الحدائق الورديّة في مناقب أئمة الزيديّة

تأليف شيخ الإسلام العلاّمة
حميد الشهيد بن أحمد بن محمّد المحلي
ت: ٦٥٢ هـ

الجزء الأول

تحقيق
د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

مطبوعات مكتبة مركز بدر
العلمي والثقافي
صنعاء

الحدائق الوردية
في مناقب أئمة الزيدية

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

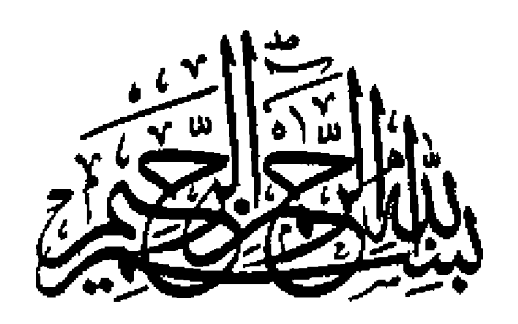
توزيع

مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع

• الجمهورية اليمنية - صنعاء
تلفون: ٢٦٩٠٩١ -
فاكس: ٢٦٩٠٧٩ - ص. ب: ٣٨٠١

Republic of yemen - Sana'a
Tel: 269091 -
Fax: 269079. P.O. Box: 3801

E.-mail: almahatwary@hotmail.com



المقدمة وترجمة المؤلف

مر في هذه الدنيا رجال حفروا تأريخهم في العقول، ونقشوه في القلوب ورغم أن العظماء يتزاحمون في الذاكرة ويتنافسون على الصدارة إلا أن البعض منهم ينساب إلى القلب، ويتسرب إلى العقل كأنه النسيم يحمل ريح الجنة. ومن هؤلاء العظام الشهيد **حميد بن أحمد المُحَلِّي** رحمه الله الذي كان بطلا وفيا في زمن الغدر والجبن، فقد أبى رحمه الله إلا أن يموت شهيدا تحت راية الإمام الزاهد والعادل المجاهد الشهيد أحمد بن الحسين الملقب بأبي طير الذي خانه حتى شيخه أحمد محمد الرصاص، وغدر به ابن عمه الأمير أحمد بن عبدالله بن حمزة؛ إذ قتل الإمام واحتز رأسه وجيء به إلى خيمة أحمد بن المنصور والرصاص.

أي سوأة وقع فيها هؤلاء تحجب عنهم الرحمة، وتدخلهم النار، إن وحشيا قتل حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه وهو مشرك، ولما أسلم وحشيٌّ هذا لم يقو إسلامه على إخراجه من لعنة التأريخ ومزبلة الغدر والخيانة كقاتل نبي الله يحيى بن زكريا، وقاتل علي بن أبي طالب وقاتل الحسين، ومثل هؤلاء قاتل أحمد بن الحسين، ياللفجيعة !إن المنحدر السحيق الذي وقع فيه قتلة الأولياء يقابله مقام الشهداء الذي باعوا مهجهم فداء للحق وتضحية من أجل الفضيلة، ما أبعد ما بين الموقفين.

إن الشهيد حميد بن أحمد يشبه الصحابي الجليل والشيخ الوقور عمار بن ياسر الذي قتل شهيدا تحت راية إمامه علي بن أبي طالب، وقد روي أن رأس الشهيد حميد كان يتكلم بالأذان وهو مقطوع، فإذا صحت هذه الكرامة فإنما هو يتأسى برأس النبي يحيى بن زكريا. إن الشهيد المحلي بوأه الله مع الشهادة كرامة العلم فكان طودا شامخا وعَلَمًا بارزا.

وأكرمه الله بكرامة الولاء لأهل البيت الطاهر وهي مكرمة لم يكتسبها عن

بيع ولا شراء وإنما ورثها عن آباء كرام وسلف صالح : رضعها من ثدي أمه الطاهر . ولمثله يصدق قول القائل :

لاعذب الله أمي أنها شربت ... حب الوصي وأسقتنيه في اللبن

وأن لي والدا يهوى أبا حسن ... وأنني مثله أهوى أبا حسن

ثم إنه تبوأ كرامة المصاحبة لأئمة العلم والجهاد من آل البيت عليهم السلام ونهل من علومهم وتشبع بأخلاق الوصي التي ورّثها لهم فكأنه مع النبي ﷺ وآله ووصيه وسبطيه والزهراء (ع) وجها لوجه ينظر إلى خمسة الكساء من خلال المهدي أحمد بن الحسين سلام الله عليه فالشهيد المحلي خط طريقه عن قناعة ، إنها قناعة المؤمن التقي الحازم ، خط عمار وأبي ذر والأشتر وقيس بن سعد ، خط الرجال الأحرار الأوفياء الذين ماسال ولايسيل لعابهم لمتاع الدنياولهوها ولم يخدعوا بمكرها وسحرها ، إنهم أهل الله وحملة لواء المعروف والوفاء والشهامة والنبل والزهد والفطنة والقناعة والتواضع والشجاعة ، وحري بهم أن ينشد فيهم :

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

إن هذا القديس الذي ألّف (الحدائق الوردية في تأريخ الأئمة الزيدية) أراد أن يجاهد لنصرة آل النبي ﷺ وآله بسنانه ولسانه وبنانه وبيانه ، فكتبه الله شهيداً فأجرى ذكر الشهيد على الألسن فصار لا يعرف إلا بالشهيد حميد .

وقد أجرى الله القبول والإستحسان لهذا الكتاب النفيس والثروة الضخمة والمخزون الذي يحوي من تأريخ أئمة آل البيت عليهم السلام وأيامهم ووقائعهم وشعرهم ونثرهم وغزير علمهم وعجائب عدلهم وشدة تحرجهم عن متاع الدنيا وعزوفهم

عن ملذاتها وما كابدوا من مكائد ولا قوا من شدائد ما يجعله أنفس من كنوز سليمان، وما حوته خزائن بني عثمان .

وقد آن الأوان لهذه الكنوز أن تثري المكتبة الإسلامية والإنسانية . وإنه لمن دواعي الأسف في عصر ثورة المعلومات أن تبقى خزائن السادة الزيدية من المخطوطات عرضة للسلب والنهب والضياع والإهمال . وإن تيسر طباعة شيء منها فلا يليق بها أن تطبع بغرض التجارة بل بغرض خدمة العلم والتراث وتقدير وحب وإجلال لنتاج علماء اليمن الكبار وإنصافهم وإخبار الدنيا أن في الزوايا خبايا وأن اليمن الحبيب بلد الإيمان والحكمة حقيقة لا مجاز .

عملنا في التحقيق :

أ : ١- حسب قواعد البحث الحديث فقد بحثنا عن نسخة المؤلف كأغلى أمنية نحققها فعثرنا على نسخة قديمة لعلها نسخة المؤلف أو قريب منها وهي بخط غير منقوط من مكتبة السيد الحجة محمد بن محمد المنصور وقال السيد العلامة محمد بن محمد المنصور في أولها : والخط في غالب ظني هو خط مؤلفها الشهيد رحمه الله تعالى بالمقابلة على خطه في منهاج الأنظار . وثبوت ذلك أنه لم يذكر في آخرها الأم التي نسخت منها ولم يذكر تأريخ النسخ وهي الجزء الأول فقط ، وأولها مبتور وتبدأ من قوله : قالوا : اللهم لا نعلمه ، قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم أيها النفر جميعا هل فيكم من أحد صلى القبلتين غيري .

٢- وجدنا نصف نسخة جميلة وصحيحة من مكتبة السيد العلامة ناصر الدرة أعارنا إياها ولده السيد العلامة يحيى الدرة حرسه الله وتفضل بإبقائها لدينا للمقابلة،ونصفها في مكتبة الشهاري المتوكل لم نجد سبيلا إليها .

٣- نسخة صورناها من مكتبة الجامع الكبير.

٤- نسخة مصورة متداولة في السوق .

٥- نسخة مصورة من نسخة السيد العلامة مجدالدين المؤيدي أطال الله بقاه

ب - ١- تم صفها بالكمبيوتر ثم دخلنا في معركة التصحيح والمقابلة والتحقيق وفك الغامض من بليغ كلام الأئمة وشعرهم وكم كانت دهشتنا ونحن نفتش معاجم اللغة وغريبها أن هؤلاء الفصحاء كانوا على اطلاع تام وإلمام شامل بمفردات اللغة كالإمام ابن منظور والفيروز آبادي ومحمد مرتضى الزبيدي والأزهري ناهيك عن فقههم فهم ورثة باب علم المصطفى .

٢- ضبط الآيات وتخريجها .

٣- تخريج الأحاديث التي تيسر لنا إخراجها ، ولم نجد ضرورة للتوسع في تخريج أحاديث الفضائل نظرا لأن الكتاب تأريخي وليس كتاب حديث مع أنا لم نهمل الإشارة الضرورية لأهم الأحاديث التي لها عندنا مراجع ، ومالم نجد له مرجعا فقد تركناه على عهدة المؤلف ، وقد استوعبنا غرر أحاديث فضائل أهل البيت في الروضة الندية شرح التحفة العلوية لإمام المحدثين السيد محمد بن إسماعيل الأمير وهو مطبوع بتحقيقنا والحمد لله .

٤- محاولة موازنة ألفاظ الشعر عندما لا نجد مرجعا لها ولا تتفق النسخ ولا يستقيم الوزن .

٥- تكميل بعض العبارات المقطوعة في بعض النسخ من النسخ الأخرى أو مما نجده من مراجع نقل منها كأن ينقل المؤلف كلاما عن الإمام علي عليه السلام فنجده في نهج البلاغة باختلاف يسير فنعتمد النهج عند الضرورة لاستقامة اللفظ والمعنى وعند اختلاف كل النسخ مع النهج .

٦- عندما نجد خطأ إملائيا أوسبق قلم في إحدى النسخ أو خطأ واضحا فنصلحه دون إثقال الكتاب بالهوامش .

نسب المؤلف :حميد بن احمد بن محمد بن أحمد بن عبدالوهاب بن عبدالرزاق بن إبراهيم بن أبي القاسم بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن بزيد بن يعيش المحلي الوادعي الصنعاني الهمداني.

مشائخ المؤلف :

أخذ عن أئمة كبار ومشائخ بحار منهم :

١- الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة .

٢- محمد بن أحمد بن الوليد القرشي .

٣- أحمد بن الحسن الرصاص .

٤- الفقيه علي بن أحمد الأكوع .

٥- الشيخ عمران بن الحسن الشتوي .

٦- الفقيه عمرو بن جميل النهدي .

٧- الشيخ تاج الدين زيد بن أحمد البيهقي . القادم إلى اليمن عام عشر وستمائة .

٨- المرتضى بن شراهنك الحسني المرعشي .

تلاميذه :

١- ولده أحمد حميد .

٢- يحيى بن القاسم الحمزي .

٣- يحيى بن عطية .

٤- عبدالله بن زيد العنسي .

مؤلفاته :

خلف الشهيد حميد رحمه الله ثروة ضخمة من المؤلفات النفيسة منها :

١- عمدة المسترشدين في أصول الدين . ٣ أجزاء- مكتبة الجامع الكبير ٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ .

٢- محاسن الأزهار في فضائل إمام الأبرار .

٣- مناهج الأنظار العاصمة من الأخطار - مكتبة السيد العلامة محمد بن محمد المنصور .

٤-الرسالة الكاشفة عن لوازم الإمامة لطالب الأمن في القيامة .

٥- العقد الفريد .

٦- الوسيط المفيد الجامع بين الإيضاح والعقد الفريد - مصور بمكتبة مركز بدر العلمي .

٧- الرد على المجبرة .

٨- الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار .

٩- نصيحة الولاة الهادية إلى النجاة - تحت تحقيق الدكتور محمد المأخذي .

١٠- الرد على المطرفية .

١١- الثعبان النفاث بهلاك أهل المسائل الثلاث .

وفاته : استشهد رحمه الله في يوم الجمعة ١٢ رمضان ٦٥٢هـ ، ومشهده بقرية الرحبة من مديرية السود بمحافظة عمران ، وتبعد عن صنعاء ٨٧ كم شمالا ، وقد كتبت على مشهده أبيات للإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين في رثاء الشهيد وهي :

وقفت بمشهد السهم الشهيد حميد بن أحمد النجل السعيد
فتى ساد الهدى وبنى المعالي وأرسى سامي الشرف المشيد
فَظُفَّر بالشهادة يوم حانت منيته فقدس من شهيد
أما حذر الذي لاقى حميدا كؤوس الموت من نار الوقيد
لقي من قاتليه بغير جرم كما لاقى ابن حيدر من يزيد
وشابهه ابن ملجم في مراد وظاهاه قدور في ثمود
وما نقم الخوارج من حميد سوى الإيمان بالله الحميد
ونشر العلم في يمن وشام وطمس رسوم إبليس المريد
وتعظيم الأئمة من علي ونشر علومهم نشر البنود
قام قناة مذهبهم وجلّى دجى الأفاق من شبه الأسود
وبعد القتل قد شهدت عداه بأن الرأس أذن في الجنود
فبل الله تربته بعفو وكافاه بجنات الخلود

وقد قمت بزيارة قرية الشهيد حميد التي فيها ضريحه، وتحدثنا مع آل حميد هناك وهم حوالي ٦٠٠ نسمة عن فضائله ومكانته، وقالوا: إن ذرية الشهيد تتوزع على كثير من الجهات في لواء حجة و خولان و بلاد الروس وبني حشيش وريمة ورداع وشرس وصنعاء وتعز وبني مطر (بيت ردم) وصعدة وشيام وغيرها.

المراجع:

١ – طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٤٢١.
٢– أعلام المؤلفين الزيدية ٤٠٨.
٣– مآثر الأبرار (خ).
٤ – مطلع البدور (خ).

٥- لوامع الأنوار ٢/ ٤٥، ٤٦.

٦- تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ٣/ ٣٠٥.

وقد تم الفراغ من آخر تصحيح ومقابلة كتاب حميد الشهيد بعد شروق يوم الإثنين ٢٥محرم ١٤٢٣هـ الموافق ٨/ ٤/ ٢٠٠٢م في مناسبة الشهيد الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام، جزى الله المؤلف عن دينه وأهل بيت نبيه خير الجزاء.

وأشكر الجهود الشاقة التي قام بها الأولاد الكرام في قسم التحقيق من مقابلة وتصحيح وتخريج وطباعة في إنجاز هذا العمل العظيم، وفي مقدمتهم / محمد حسين عيسى شرف الدين، وعبدالرحمن عبدالله المحطوري، وعبدالقادر المهدي، وعباس حسين عيسى شرف الدين كتب الله أجر الجميع.

د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي أفاضَ علينا أنوارَ الهدَايَة، وزحزحنا بلطفه عن مدارج الغواية، وحمانا بتأييده عن الانخداع بتمويهات أرباب الضلالة، وألهمنا النظر في البراهين التي ينجو من اعتصم بها[1] من الجهالة، ووفقنا لإدراك حقيقة الحق والاستمساك بالقول الصدق، وحدا قلوبنا إلى معرفته، وجذبها إلى العلم بحكمته، فأشرقت بأنوار المعارف الإلهية، وتلألأت بضياء العلوم الربانية[2] فأنوارها لاتخبو لحنادس الشبهات، وجواهرها لا تلوث بورود المشكلات، يقصر عن ضيائها شعاع الشمس الظاهر، ويتضائل عنها نور القمر الباهر؛ إذ ظهر لها مالا يظهر للعيون، وتجلّى لها من التوحيد سرّه المصون، فأصبحت في رياض التوحيد قاطنة، وفي حدائق العدل عادنة غير ظاعنة، متنعمة ببرد اليقين، متحققة أن بارئها بالتقديس جديرٌ قَمين[3]، إن طاف بهامن الشك والتخمين طائفٌ أذهبته بروق يقينها المتلألئة الخواطف، قد حرسها الله بنور هدايته، وكلأها[4] بعين حياطته عن دياجير ظلم الضلال، وغياهب سُدف[5] الإشكال، فالحمدلله على ما أكرمنا به من عرفانه، وحبانا به من إدراك التوحيد وإتقانه، حمداً يكون كفاءً لهذه النعم العميمة، وقياماً بشكر هذه المنن الجسيمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل، ولا ضدّ ولا ندّ ولا عديل، شهادةً صادرة عن يقين صاف عن كَدَر التشبيه، وإخلاص غير مشوب بشبهات أهل الزيغ والتمويه، قاضيةً بالزلفى يوم القيامة، مسلّمةً من أهوال

---

(١)في (ب) : إنشاء الله.

(٢)في (أ) : الدينية.

(٣)القمين : الخليق الجدير. القاموس : (١٥٨١).

(٤)في (ب) وتلاها.

(٥)المراد به الظلمة. القاموس : (١٠٥٩).

الطامة ، وأشهد أن محمداً عبده المختار ، ونبيه المجتبى الداعي إلى دار القرار ، المبعوث على حين فترة ، وضلال أمة ، فدعا الخلق بألطف دعا ، وناداهم بأرفق نداء ، حتى دخلوا في دين الله أفواجا ، وبادروا إليه أفراداً وأزواجا ، المخصوص بالحكم الغريبة ، والبلاغة العجيبة ، وجوامع الكلم الغُرّ ، وبدائع الألفاظ الزهر ، فاستشفى بها أهل الإسلام ، واستنبطوا منها غرائب الأحكام ، وارتووا من معينها الصافي ، واستقوا من سَلسَالها الشافي ، صلى الله عليه صلاةً تقضي له بالوسيلة ، وبلوغ عوالي الرتب الجليلة ، وتُرَقِّيه من الجنة ذرى غرفها ، وتُبلِّغه السامي من تحفها ، وتكون مؤديةً لحقه الواجب ، وسبباً للخروج عن عهدة فرضه اللازب ، وحاكمةً باستحقاق شفاعته ، والانخراط في سلك زمرته ، والإرتواء من حوضه السلسل المعين ، والتفيُّؤ في ظل لوائه يوم الدين ، وعلى وصيه وأخيه ووليه ، السابق لأهل الإسلام ، المعصوم من مقارفة الآثام ، مدمّر سباع الكفار ، المردي لعمرو يوم زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وقال المحامي والناصر ، الفائز يوم أحد بمحاسن الثناء ، المسموع من ناحية السماء ، حيث نادى رسول المليك العلي : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي[1] . الذي أخاه الرسول من بين صحابته ، وزوّجه بإذن ربه بابنته ، بعد أن زوجه فوق عرشه الملك الجليل ، وأشهد على ذلك ميكال وجبريل ، صفوة الصحابة الأخيار ، مولى المهاجرين والأنصار ، المنفرد دونهم بصدقة المناجاة ، الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله : «من كنت مولاه فعليٌ مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه»[2] المحبوّ من ثمار الجنان بأترجّها والرمان ، زاكي المناسب ، أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) المحب الطبري في ذخائره ص ٧٤ .

(٢) هذا الحديث متواتر وله طرق كثيرة رواه أحمد بن حنبل رقم ٢٥٠، ٩٦١، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٣ . وتذكر الحفاظ ١/ ١٠ و أحمد بن عيسى ٤/ ٣١٠، وفضائل الصحابة ٢/ ٧٤١ ، والنسائي في الخصائص رقم ٨٢- ٨٥ ، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٦٨ وكنز العمال رقم ٣١٦٦٢، والطبراني في الكبير ١/ ١٧٩ رقم ٣٠٤٩، والحاكم ٣/ ٣٧١ ، وغيرهم كثير .

طالب، وعلى عترته الزكية، وسلالته النبوية، أطواد الفخر وأعلامه، رعاة الإسلام وقُوّامه، سفينة النجاة، ذرية النبي الأوّاه، ورثة علم الله، حفظة وحي الله، صلاةً تقضي لهم بالزلف العظام، والتحف الجسام، أما بعد:

فإن أولى من أُسعف مراده من صفى في الدين اعتقاده، وخلص لأرباب الحق وداده، وقد بلغنا كتاب القاضي الأجل الأوحد الأعز الأسعد أدام الله إسعاده، وأحسن إرشاده، رافلاً في حلل الأدب، كاشفاً عن شريف أخلاقه والمذهب، ينم بفضل مُنشيه، ويشهد بكرم مُبديه، منطوياً على السؤال عن نكت شافية، وغرر كافية، من أخبار السابقين من ذرية النبي الأمين، والأنزع البطين سلام الله عليهم أجمعين، فرأينا الإجابة من فروض الدين، ولوازم المتقين؛ إذ كان الكلام في أحوالهم وحكاية أفعالهم من جملة القرب العظام إلى ذي الجلال والإكرام، ولقد طلب أدام الله إسعاده، وأنجح مقصده ومراده، وأحسن سداده، وأصلح معاده، أمراً عرض عنه الخلق بجمهورهم، ونبذوه وراء ظهورهم، غير أن لله عباداً يخصهم بالتوفيق، ويلهمهم فوائد التحقيق، تناولهم دعاء الخليل إلى الملك الجليل، حيث يقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فالحمد لله الذي أكرمنا وإياهم بالدخول في ضمن هذا الدعاء الشريف، الذي نرجوا به إن شاء الله تعالى الفوز في المعاد، والأمن يوم التناد، إذا دُعي كل إنسان بإمامه، وحَسَر الحق عن لثامه، وبآء المبطلون بعبء الباطل وآثامه، فحينئذ ظهرت حسرتهم، وعظمت مصيبتهم، حيث تركوا اتّباع الهداة السادة، الذين اختُصوا بشرف الولادة، وحُكم لهم على الأمة بالسيادة، وهنالك يجذل المؤمنون، ويُحبَّر المتقون، الذين قفوا مناهج الذرية النبوية،

وسلكوا أدراج العترة الزكية، وإلى مثل ذلك أرشد القرآن، وأعرب عنه الفرقان، وأوضح هذا المعنى وأبان، فقال جل ذكره: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١]، فبَخٍ بَخٍ لمن دُعي يوم التناد، بذرية النبي الهاد، فإنهم لا محالة تحت لواء أبيهم في ذلك المقام، وهم السقاة على الحوض والقوّام، وويل وثُبور لمن دُعي يوم القيامة بمن عداهم[1] من الأئمة المضلين، والقادة المخلِّين.

وقد توخينا الإيجاز فيما سأل أرشده الله عزوجل إلاّ فيما تدعوا إليه الضرورة مع أنه اقترح ما يقتضي الإسهاب، ويستدعي الإطناب، حيث طلب الوقوف على جوامع أخبارهم، ومحاسن آثارهم، ونكت من منظومهم، ولُمَع[2] من منثورهم، والله تعالى يرشدنا لموافقة محبوبه، ويرزقنا الإتيان بمطلوبه، فإن أعظم الأشياء قبولاً ما وافق الخاطر، ولم يُعرِّج عن غرض الناظر، ونحن نذكر ذلك حسبما ذكره من عني بهذا الشأن من أئمتنا عليهم السلام وغيرهم من نقلة السير، ولولا اقتراحه أن نَلي ذلك بأنفسنا، لكان الإتكال على ما وضعوه يكفي، ولكل ذي قلب يشفي، إلا أنه طلب منا أمراً فقمنا برضاه، وانحططنا في هواه والله تعالى ينفع السائل والمسئول، ويمنّ علينا بالاعتصام بذرية الرسول، لنسعد في المبدأ والمآل، وننجوا من موبقات الضلال، وقد سلكنا في ذلك طريقة المصنفين، وذكرنا نكتاً[3] مما ذكروه، ونظمنا لُمعًا مما نقلوه، ونُقدّم أمام ذلك فصلاً يتضمن طرفًا من الأحاديث التي نقلناها بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ في فضل العترة عليهم السلام؛ ليعلم الناظر أولاً أن أئمة الزيدية هم الصفوة من الأمة، والخيرة من أهل الإسلام، فيكون ذلك أقرب إلى رعاية حقهم والإعتراف بفضلهم، وليتحقق المنصف أنهم أحق الأمة بالزعامة، وأجدرهم بالإمامة.

---

(١) في (ب): عاداهم.
(٢) في (ج): ولؤلؤ.
(٣) في (ب) شيئا.

فصل :

فمن ذلك ما رويناه من أمالي السيد أبي طالب عليه السلام وقد أخبرنا به الشيخ العالم الورع الفاضل محيي الدين عمدة الموحدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الوليد القرشي رضي الله عنه[1] يرفعه إلى السيد الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني عليه السلام بإسناده إلى علي بن موسى الرضى عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وقاتلهم ، وعلى المعين عليهم ، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم »[2] وبالإسناد الموثوق به إلى السيد أبي طالب عليه السلام يرفعه إلى حنش الكناني[3] قال : سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك» .[4]

وبإسناده إلى السيد أبي طالب يرفعه إلى ابن عباس قال : قال رسول الله عليه السلام : «أيها الناس أوصيكم بعترتي أهل بيتي خيراً فإنهم لحمتي وفصيلتي ،

---

(١) ولد سنة ٥٣٨هـ حافظ مسند من كبار علماء الزيدية ، اشتغل بتحصيل كتب الأئمة ، وله سبعة وعشرون مصنفا مفيدة ، توفي سنة ٦٢١هـ من مؤلفاته مختصر تفسير الحاكم الجشمي ، مختصر جلاء الأبصار ، تحرير زوائد الإبانة ، وسيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، منهاج السلامة في مسائل الإمامة وغيرها . التحف ٢٣٦ ، ومطلع البدور ٤/ ٩٩ .

(٢) أمالي أبي طالب ص١٢١ ، صحيفة علي بن موسى ص٤٦٣ .

(٣) حنش بن المعتمر ، ويقال بن ربيعة أبو المعتمر الكوفي ، من أصحاب علي عليه السلام روى عن عليم الكندي ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي ذر الغفاري ، روى له أبو داود والترمذي والنسائي في خصائص علي وفي مسنده . تهذيب الكمال ٤٣٣/٧ ، أعيان الشيعة ٦/ ٢٥٧ .

(٤) أمالي أبي طالب ص٣٦. الهادي في الأحكام ١/ ٤٠ ، وعلي بن موسى الرضى ٤٦٤ ، والمرشد بالله ١/ ١٥٢ ، والمستدرك ٢/ ٣٤٣ ، ٣/ ١٥٠ ، على شرط مسلم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في الأوسط ٥/ ٥٣٩٠ ، والكبير ٣/ ٤٥ رقم ٢٦٣٦ ، والبزار ٢/ ٣٣٤ رقم ١٩٦٧ .

فاحفظوا منهم ما تحفظون مني»[1]. وروينا عنه ﷺ يرفعه إلى شهر بن حوشب[2] عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ أخذ ثوبًا فجلّله على علي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فجئت لأدخل معهم فقال: «مكانك إنك على خير»[3].

وروينا بالإسناد الموثوق به من غير أمالي السيد أبي طالب إلى أبي الحمراء[4] رحمه الله تعالى قال: شهدت النبي ﷺ أربعين صباحًا فيجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام فيأخذ بعضادتي الباب ويقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، الصلاة يرحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣][5].

وبالإسناد إلى السيد أبي طالب يرفعه إلى جعفر بن محمد الصادق[6] عن

---

(١) أمالي أبي طالب ص١٣٠.

(٢) الأشعري تابعي قرأ القرآن على عبدالله بن عباس وابن عمر وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وقد طعن فيه بعضهم، توفي سنة ١١١هـ وقيل غير ذلك سير أعلام النبلاء ٤/٣٧٢، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٧٨.

(٣) الأمالي ١٣٠، ومسلم ٤/ ١٨٨٣، ومسند أحمد بن حنبل رقم ٢٦٥٧٠، ٢٦٦١٢، ٢٦٨٠٧، والترمذي ٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٧، والمستدرك ١/ ١٤٦، وقال صحيح على شرط الشيخين، وسنن البيهقي ٢/ ١٥٢، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٧٠، والعمدة ٧٥، والطبراني ٣/ ٥٢ من رقم ٢٦٦٢-٢٦٧٤، وتفسير الطبري ٢٢/ ١١، وتاريخ الخطيب ١٠/ ٢٧٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٤، وشواهد التنزيل ٢/ ٤٧.

(٤) مولى رسول الله ﷺ قيل اسمه: هلال بن الحارث، وقيل: هلال بن ظفر، ينظر أسد الغابة ٦/ ٧٥، الاستيعاب ٣/ ١٩٨.

(٥) ذخائر العقبى ص٢٤، تفسير الطبري ٢٢/ ١٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٣.

(٦) جعفر الصادق ولد سنة ٨٠هـ وقيل ٨٣هـ وفضله وعلمه وزهده وورعه أشهر من أن يذكر، سمي بالصادق لصدقه، قال مالك بن أنس: ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلا وعلما وورعا. توفي سنة ١٤٨هـ. أعيان الشيعة ١/ ٦٥٩.

آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان وليًا من أهل بيتي ، موكّلاً به ، يذب عنه ، يعلن الحق ، وينوره ، ويرد كيد الكائدين ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ، وتوكلوا على الله»[1] .

وبالإسناد إليه عليه السلام يرفعه إلى أبي هريرة قال : نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال : «أنا حرب لمن حاربهم ، وسلم لمن سالمهم»[2] وبالإسناد إليه يرفعه إلى محمد بن الحسين بن علي بن الحسين[3] عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله فعملنا له خَزِيرَةً[4] وأهدت إلينا أم أيمن قعباً من لبن وزبداً وصَحْفَةً من تمر ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وأكلنا معه ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح رأسه ولحيته بيده ثم استقبل القبلة ، ودعا الله جل ذكره ما شاء ثم أكبَّ إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر ، ثم أكبَّ إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات ، فَهِبْنا أن نسأله صلى الله عليه وآله ، فوثب الحسين فأكب على رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى ، فضمَّه إليه وقال له : «بأبي أنت وأمي وما يبكيك ؟» ، فقال : يا أبت إني رأيتك تصنع مالم تصنع مثله ، فقال : «يابني إني سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم قبله ، وإن حبيبي جبريل أتاني فأخبرني بأنكم قَتلَى ، وأن مصارعكم شتى ، فحزَّنني ذلك فدعوت الله لكم» فقال الحسين عليه السلام: يا رسول الله من يزورنا على تشتتنا وتباعد قبورنا؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله « طائفة من أمتي يريدون بذلك برِّي وصِلَتي ، إذا كان

---

(١) الأمالي ١١٩ .

(٢) أمالي أبي طالب ١١٠ ، الترمذي ٥/ ٦٥٦ رقم ٣٨٧٠ ، ابن ماجة رقم ١٤٥ ، الطبراني ٣/ ٤٠ رقم ٢٦١٩ ، ٢٦٢١ ، والمستدرك ٣/ ١٤٩ ، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٣ ، كنز العمال ١٢/ ٣٤١٥٩، ٣٤١٦٤ ، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٩ .

(٣) ولد سنة ١١٤هـ مدني نزل الكوفة ، روى عن أبيه عن جده وتوفي سنة ١٨١هـ . معجم الرجال لأبي القاسم الخوئي ١٧/ ١٨ .

(٤) شبه عصيدة مع اللحم . القاموس ص٤٩١ .

يوم القيامة زرتهم بالموقف فأخذت بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها»[1].

وبالإسناد إليه يرفعه إلى جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الإسلامُ لباسُه الحياء، وزينته الوفاء، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»[2].

وبالإسناد إليه عليه السلام يرفعه إلى علي بن موسى الرضى عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أنا شفيع لهم يوم القيامة: الضارب بسيفه أمام ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»[3] ومن كتاب المناقب لابن المغازلي وقد أخبرنا الفقيه الأجل العالم الزاهد بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد الأكوع رضي الله عنه[4] يرفعه بإسناده إلى المصنف وهو القاضي العدل الخطيب أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجُلاَّبي المعروف بابن المغازلي الشافعي رضي الله عنه[5] روى بإسناده عن ابن امرأة زيد ابن أرقم قال: أقبل نبي الله ﷺ من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة فأمر بالدوحات فَقُمَّ ما تحتهن من شوك، ثم نادى: الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرِّ، وإنَّ منا لمن يضع رداءه على رأسه وبعضه على قدمه من شدة الرمضاء، حتى انتهينا

---

(١) أمالي أبي طالب ص١١٢، فضل الزيارة ٣١.

(٢) الأمالي ص٣٧٨.

(٣) أمالي أبي طالب ص٤٤٣.

(٤) فقيه عابد وعالم فاضل، ناصر الإمام عبد الله بن حمزة، جمع الإختيارات المنصورية. ينظر مطلع البدور ج٢ ص٨٢ إلخ.

(٥) فاضل، عالم برجالات واسط وحديثهم، وكان حريصا على سماع الحديث وطلبه. ت: ٤٨٠هـ وله كتاب مناقب الشافعي، والأربعين في فضائل قريش، والقضاء والشهادات على مذهب الشافعي، وشرح الجامع الصحيح للبخاري، وكتاب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ينظر ترجمته في مقدمة المناقب ص ٩، والأنساب ١٣٧/٢.

إلى رسول الله ﷺ، فصلى بنا الظهر ثم انصرف إلينا، فقال: الحمدلله نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضل، ولا مضل لمن هدى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد: أيها الناس فإنه لم يكن لنبي من عُمُره إلا نصف من عمر من قبله، وإن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد أشرعت في العشرين، ألا وإني أوشك أن أفارقكم، ألا وإني مسؤل وأنتم مسؤلون فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبد الله ورسوله قد بلغت رسالته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين، فجزاك الله عنا خير ما جزى نبيًا عن أمته. فقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟ قالوا: بلى، قال: فإني أشهد أن قد صَدَقْتكم وصدَّقتموني. ألا وإني فرطكم على الحوض وأنتم تبعي، توشكون أن تردوا عليَّ الحوض فأسألكم حين تلقوني عن ثَقَلَيَّ كيف خلفتموني فيهما؟ قال: فأعيل علينا ما ندري ما الثقلان؟! حتى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي وأمي أنت يا نبي الله ما الثقلان؟ قال: الأكبر منهما كتاب الله، سَبَبٌ طرفٌ بيد الله وطرفٌ بأيديكم فتمسكوا به ولا تولّوا ولا تضلوا، والأصغر منهما عترتي: مَن استقبل قبلتي واستجاب دعوتي فلا تقتلوهم، ولا تقهروهم، ولا تقصّروا عنهم، فإني قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني: ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليهما لي ولي، وعدوهما لي عدوّ، ألا فإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تتديّن بأهوائها، وتظّاهر على نبوتها[1]، وتقتل من قام بالقسط، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعها وقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، من كنت وليّه فهذا

(١) في (ب) بيوتها.

وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» قالها ثلاثاً[1].

وروى ابن المغازلي في كتابه بإسناده إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وكفَّ غضبه، وسجن لسانه، وبذل معروفه، واستغفر لذنبه، وأدَّى النصيحة لأهل بيتي، فقد استكمل حقائق الإيمان، وأبواب الجنة له مفتَّحة»[2].

وروى بإسناده أيضاً عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل أهل بيتي على الناس كفضل البنفسج على سائر الأدهان»[3].

وروى بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله تعالى وغضبي على من أهرق دمي وآذاني في عترتي»[4].

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن ماله فيما أنفقه؟ ومن أين اكتسبه؟ وعن حبنا أهل البيت؟»[5].

وروى بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»[6].

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[7].

---

(١) المناقب ص٦٧.

(٢) المناقب ص٩٠.

(٣) المناقب ص٩٠.

(٤) المناقب ص٩١، ولسان الميزان ٥/ ٣٦٢، ورواه أحمد رقم(٢٥٣) باب فضائل علي.

(٥) أمالي أبي طالب ٧٣، المناقب ص١٤١، وأخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ١٠٢ رقم ١١٠٧٧، ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦، ولسان الميزان ٢/ ١٥٩.

(٦) المناقب ١٤٩، ١٥٠، والطبراني في الكبير ١/ ٤٥ رقم٢٦٣٦، وميزان الاعتدال ١/ ٢٢٤.

(٧) المناقب ص١٥١، المستدرك ٣/ ١٥٠ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وتاريخ بغداد ٤/ ١٦٠، والترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم ٣٧٨٩، وحلية الأولياء ٣/ ٣٤٤.

وروى بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فقال : «والذي نفس محمد بيده لا يبغض أهل البيت أحدٌ إلا أكبَّه الله في النار»[1].

وروى بإسناده عن كثير بن زيد[2] قال : دخل الأعمش[3] على المنصور وهو جالس للمظالم ، فلما بَصُرَ به قال : يا سليمان تَصَدَّر ، فقال : أنا صَدْرٌ حيث جلست ، ثم قال : حدثني الصادق ، قال : حدثني الباقر قال : حدثني السجَّاد قال : حدثني الشهيد قال : حدثني التقي - وهو الوصي أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب عليه السلام قال : حدثني النبي ﷺ، قال : «أتاني جبريل آنفًا فقال : تختَّموا بالعقيق ، فإنه أول حجرٍ شهد لله بالوحدانية ، ولي بالنبوة ، ولعلي بالوصية ، ولولده بالإمامة ، ولشيعته بالجنة » قال : فاستدار الناس بوجوههم نحوه فقيل له : تَذْكر قوماً فتعلم مالا نعلم ، فقال : الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، والباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، والسجَّاد علي بن الحسين ، والشهيد الحسين بن علي ، والوصي وهو التقي علي بن أبي طالب عليهم السلام .[4]

وروى بإسناده عن السُّدِّي[5] في قوله عزوجل : ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ

---

(١) المناقب ١٥١ ، والمستدرك ٣/ ١٥٠ ، وكنز العمال ١٢/ ١٠٤ رقم ٣٤٢٠٤ ، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٩٦ .

(٢) الأسلمي السهمي وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه آخرون ، روى له البخاري وأبوداود والترمذي وابن ماجة ، توفي آخر أيام أبي جعفر المنصور وكانت وفاة أبي جعفر ١٥٨هـ . ينظر تهذيب الكمال ٢٤/ ١١٣ .

(٣) سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد ولد سنة ٦١ هـ مقرئ محدث حافظ ناسك عابد ، توفي ١٤٧هـ . ينظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦ .

(٤) المناقب ص٢٤٢ .

(٥) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة ، محدث ومفسر توفي ١٢٧هـ . ينظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٦ .

لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ [الشورى: ٢٣] قال: المودّة في آل الرسول ﷺ.[1] وفي قوله ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٥] قال: رضى محمد ﷺ أن يدخل أهل بيته الجنة.

وروى بإسناده عن علي بن جعفر قال: سألت الحسن عن قول الله عزوجل: ﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ قال: (المشكاة) فاطمة، (والمصباح) الحسن، والحسين: ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ قال: كانت فاطمة عليها السلام ككوكب دريّ من بين نسآء العالمين: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ فالشجرة المباركة إبراهيم: ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾: لا يهودية ولا نصرانية، ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ قال: يكاد العلم أن ينطق منها، ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ قال: فيها إمام بعد إمام: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٣٥] قال: يهدي الله عزوجل لولايتنا من يشآء[2].

وروى بأسانيده إلى الأعمش قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور[3] فقلت للرسول: لما يريدني أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعلم، فقلت: أبلغه أني آتيه، ثم تفكّرت في نفسي، فقلت: ما دعاني في هذا الوقت لخير، ولكن عسى أن يسألني عن فضآئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فإن أخبرته قتلني، قال: فتطهّرتُ ولبستُ أكفاني وتحنطتُ ثم كتبتُ وصيتي ثم صرت إليه فوجدت عنده

---

(١) المناقب ٢٦٣، ومجمع البيان ٩/ ٤٩، وتفسير القرطبي مج ٨/ ١٦/ ١٧، وشواهد التنزيل ٢/ ١٤٧. ومسند أحمد ١/ ٤٢٥ رقم ١٧١٩، ومجمع الزوائد ٩/ ١٢٥، والطبراني في الكبير ٣/ ٧٩.

(٢) المناقب ص ٢٦٣.

(٣) عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الدوانيقي ولد سنة ٩٥هـ. تولى الخلافة سنة ١٣٦هـ. وكان من المسرفين في قتل أهل البيت، وقتل من قريش ومضر واليمن والعجم والفقهاء والشعراء الكثير. توفي سنة ١٥٨هـ. ينظر المسعودي ٣/ ٢٩٣، والأعلام ٤/ ١١٧.

عَمْرو بن عبيد [1]، فحمدت الله تعالى على ذلك، وقلت : وجدت عنده عون صدق من أهل البصرة، فقال لي : ادن يا سليمان، فدنوت فلما قربت منه أقبلت على عمرو بن عبيد أسآئله وفاح مني ريح الحنوط، فقال : يا سليمان ما هذه الرآئحة؟ والله لتصدقني وإلا قتلتك!

فقلت يا أمير المؤمنين: أتاني رسولك في جوف الليل، فقلت في نفسي ما بعث إلي أمير المؤمنين في هذه الساعة إلا ليسآئلني عن فضآئل علي فإن أخبرته قتلني، فكتبت وصيتي ولبست كفني وتحنطت، فاستوى جالساً وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: أتدري يا سليمان ما اسمي؟ قلتُ : نعم يا أمير المؤمنين، قال: ما اسمي؟ قلتُ: عبدالله الطويل بن محمد بن علي بن عبدالله ابن عباس بن عبد المطلب قال: صدقت، فأخبِرْني بالله وبقرابتي من رسول الله ﷺ كم رويت في عليٍّ من فضيلة من جميع الفقهآء وكَم تكون ؟ قلت: يسيراً يا أمير المؤمنين . قال عليٌّ ذاك . قلت : عشرة آلاف حديث ومازاد، قال: فقال: يا سليمان لأحدثنك في فضآئل علي عليه السلام حديثين يأكلان كل حديث رويته عن جميع الفقهاء، فإن حلفت لي أن لا ترويهما لأحد من الشيعة حدثتك بهما. فقلت: لا أحلف ولا أخبر بهما أحداً منهم . فقال : كنت هاربًا من بني مروان، وكنت أدور البلدان أتقرب إلى الناس بحبِّ علي عليه السلام وفضآئله، وكانوا يؤونني [2]، ويطعمونني، ويزورونني، ويكرمونني، ويحملوني، حتى وردت بلاد الشام، وأهل الشام كلما أصبحوا لعنوا عليًا عليه السلام في مساجدهم؛ لأن كلهم خوارج وأصحاب معاوية، فدخلت مسجداً وفي نفسي منهم ما فيها، فأقيمت الصلاة فصليت الظهر وعليٍّ كسآء خَلِق، فلمّا سلَّم الإمام اتَّكأ على الحآئط،

---

(١)شيخ المعتزلة في وقته ومفتيها وله خطب ورسائل وكلام كثير في العدل والتوحيد وغير ذلك، توفي ١٤٤ هـ . ينظر المسعودي ٣/٣٠٣ .

(٢)في النسخ : يأوون إلي .

وأهل المسجد حضور ، فجلست فلم أر أحداً منهم يتكلم توقيراً لإمامهم فإذا بصبيين قد دخلا المسجد فلما نظر إليهما الإمام قال : ادخلا مرحبًا بكما ، ومرحبًا بمن سميتكما بأسمآئهما ، والله ما سميتكما بأسمآئهما إلا بحب محمد وآل محمد ، فإذا أحدهما يقال : له الحسن ، والآخر الحسين .

فقلت : فيما بيني وبين نفسي قد أصبت اليوم حاجتي ولا قوة إلا بالله ، وكان شابًا إلى جنبي فسألته من هذا الشيخ ؟ ومن هذان الغلامان ؟ فقال : الشيخ جدهما وليس في هذه المدينة أحد يحب عليًا عليه السلام غير هذا الشيخ ، ولذلك سماهما الحسن والحسين فقمت فرحًا ، وإني يومئذ لصارم لا أخاف الرجال ، فدنوت من الشيخ فقلت : هل لك في حديث أقرُّ به عينك ؟ قال : ما أحوجني إلى ذلك وإن أقررت عيني أقررت عينك .

فقلت : حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن رسول الله ﷺ فقال لي : من والدك ؟ ومن جدك ؟ فلما عرفت أنه يريد أسمآء الرجال ، قلت محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس قال : إنا كنا مع رسول الله ﷺ فإذا فاطمة عليها السلام قد أقبلت تبكي ، فقال النبي ﷺ : ما يبكيك يا فاطمة ؟ قالت يا أبتاه : إن الحسن والحسين قد غبرا ، وقد ذهبا منذ اليوم ولا أدري أين هما ، وإن عليًا يمشي على الدالية منذ خمسة أيام يسقي البستان ، وإني قد طلبتهما في منازلك فما أحسست لهما أثرًا ، وإذا أبو بكر عن يمينه فقال يا أبا بكر : قم فاطلب قرة عيني ، ثم قال : قم يا عمر فاطلبهما ، يا سلمان ، يا أبا ذر ، يا فلان ، يا فلان ، قال : فأحصينا على رسول الله ﷺ سبعين رجلاً بعثهم في طلبهما وحثهم ، فرجعوا ولم يصيبوهما فاغتمَّ النبي ﷺ لذلك غمًا شديداً ، ووقف على باب المسجد وهو يقول : بحق إبراهيم خليلك ، وبحق آدم صفيك إن كانا قرتي عيني وثمرة فؤادي أخذا برًا أو بحرًا فاحفظهما وسلّمهما ، فإذا جبريل عليه السلام قد هبط فقال : يا رسول الله ، إن الله يقرئك السلام ويقول لك :

لا تحزن ولا تغتمّ، الصبيّان فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة، وهما في الجنة وقد وكّلت بهما ملكاً يحفظهما إذا ناما وإذا قاما، ففرح رسول الله ﷺ فرحاً شديداً، ومضى جبريل عن يمينه والمسلمون حوله حتى دخل حظيرة بني النجار، فسلم على ذلك الملك الموكل بهما، ثم جثى النبي ﷺ على ركبتيه وإن الحسن معانق للحسين وهما نائمان وذلك الملك قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما، وعلى كل واحد منها دراعةٌ من شعرٍ أو صوف، والمداد على شفتيهما فما زال النبي ﷺ يلثمهما حتى استيقظا، فحمل النبي ﷺ الحسن، وحمل جبريل الحسين، وخرج النبي ﷺ من الحظيرة .

قال ابن عباس: وجدنا الحسن عن يمين النبي ﷺ والحسين عن يساره وهو يقبلهما ويقول: «من أحبّكما فقد أحبّ رسول الله، ومن أبغضكما فقد أبغض رسول الله ﷺ» فقال أبو بكر: يا رسول الله أعطني أحدهما أحمله، فقال له رسول الله ﷺ: نعم المحمولة ونعم المطية تحتهما، فلما أن صارا إلى باب الحظيرة لقيه عمر، فقال له مثل مقالة أبي بكر، فرد عليه رسول الله ﷺ كما ردَّ على أبي بكر فرأينا الحسن متشبثًا بثوب رسول الله ﷺ مُتكئًا على رسول الله فدخل النبي ﷺ المسجد فقال: «لأشرفنَّ ابنيَّ اليوم كما شرفهما الله»، فقال: يا بلال عليّ بالناس، فنادى بهم فاجتمع الناس فقال النبي ﷺ: «معشر أصحابي بلغوا عن نبيكم ﷺ سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ألا أدلكم اليوم على خير الناس جدًّا وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: عليكم بالحسن والحسين، فإن جدَّهُما مُحمدٌ رسولُ الله، وجدَّتهما خديجة بنت خويلد سيدة نسآء أهل الجنة. هل أدلكم على خير الناس أبًا وأمًّا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين فإن أباهما علي بن أبي طالب وهو خيرٌ منهما شابٌّ يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسولُه، ذو المنفعة والمنقبة في الإسلام، وأمّهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي سيدة نسآء أهل الجنة .

معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس عمًّا وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين فإن عمهما جعفر ذو الجناحين يطير بهما في الجنان مع الملائكة، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب. معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين فإن خالهما القاسم، وخالتهما زينب بنت رسول الله ﷺ. ألا يا معشر الناس أعلمكم أن جدهما في الجنة وجدتهما في الجنة، وأبوهما في الجنة وأمهما في الجنة، وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة، وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، وهما في الجنة. ومن أحب ابني عليٍّ فهو غداً معنا في الجنة، ومن أبغضهما فهو في النار، وإن من كرامتهما على الله أن سماهما في التوراة شبّراً وشبيراً».

فلما سمع الشيخ الإمام هذا قَدَّمني وقال: هذه حالك وأنت تروي في علي عليه السلام هذا! فكساني حلة وحملني على بغلة بعتها بمائة دينار، ثم قال لي: أدلُّك على من يفعل بك خيراً، هاهنا إخوان لي في هذه المدينة أحدهما كان إمام قوم، وكان إذا أصبح لعن عليًا ألف مرة كل غداة، وإنه لعنه يوم الجمعة أربعة آلاف مرة فغيَّر الله ما به من نعمة فصار آية للسائلين، فهو اليوم يُحبُّه، وأخ لي يُحبُّ عليًا عليه السلام منذ خرج من بطن أمه، فقم إليه ولا تحتبس عنده، والله يا سليمان لقد ركبتُ البغلة وإني يومئذ لجائع، فقام معي الشيخ وأهل المسجد حتى صرنا إلى الدار، وقال الشيخ: انظر لا تحتبس، فدققتُ الباب وقد ذهب من كان معي، فإذا شاب آدم قد خرج إلي، فلما رآني والبغلة، قال: مرحبًا بك والله ما كساك أبو فلان خلعته ولا حملك على بغلته إلا أنك تحب الله ورسوله، إن أقررت عيني لأقرنَّ عينك.

والله يا سليمان إني لأنفسُ بهذا الحديث الذي سمعته وتسمعه، أخبرني أبي عن جدي عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ جلوسًا بباب داره، فإذا فاطمة

قد أقبلت وهي حاملة للحسين وهي تبكي بكآءً شديداً، فاستقبلها رسول الله ﷺ فتناول الحسين منها، وقال لها: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أبت عيرتني نسآء قريش، وقلن زوّجك أبوك مُعدمًا لا شيء له.

فقال النبي ﷺ مهلاً يا فاطمة وإياي أن أسمع هذا منك، فإني لم أزوجك حتى زوجك الله من فوق عرشه، وشهد على ذلك جبريل وإسرافيل، وإن الله تعالى اطّلع على أهل الدنيا، فاختار من الخلآئق أباك فبعثه نبيًا، ثم اطّلع الثانية، فاختار من الخلآئق عليًا، فأوحي إليّ فزوجتُك إياه، واتخذتُه وصيًا ووزيرًا، فعليٌّ أشجع الناس قلبًا، وأعلم الناس علمًا، وأحلم الناس حلمًا[1]، وأقدم الناس إسلامًا، وأسمحهم كفًّا، وأحسن الناس خلقًا، يا فاطمة، إني آخذ لوآء الحمد ومفاتيح الجنة بيدي فأدفعها إلى علي فيكون آدم ومن وَلَد تحت لوآئه، يا فاطمة إني غداً أقيم عليًا على حوضي يسقي من عَرَفَ من أمتي، يا فاطمة، وابناك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. وكان قد سبق اسمهما في توراة موسى، وكان اسمهما في الجنة شبَّرًا وشبيرًا، فسماهما الحسن والحسين لكرامة محمد ﷺ على الله تعالى ولكرامتهما عليه، يا فاطمة، يكسى أبوك حُلَّتين من حُلَل الجنة، ويكسى عليٌّ حلَّتين من حلل الجنة، ولوآء الحمد في يدي، وأمتي تحت لوآئي، فأناولُه عليًا لكرامته على الله تعالى، وينادي مناد: يا محمد نعم الجدُّ جدُّك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، وإذا دعاني ربُّ العالَمين دعا عليًا معي، وإذا جثوتُ جثى عليٌّ معي وإذا حَييت حيي عليٌّ معي، وإذا شَفَّعَني شَفَّعَ عليًا معي، وإذا أُجبتُ أجيب عليٌّ معي، وإنه في المقام عوني على مفاتيح الجنة، قُومي يا فاطمة فإنّ عليًا وشيعته هم الفآئزون غدًا.

وقال: بينما فاطمة عليها السلام جالسة إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى جلس إليها، فقال يا فاطمة: مالي أراك باكية حزينة؟ قالت: بأبي وأمي كيف

(١) في (ب) وأحكم الناس حكمًا.

لا أبكي، وتريد أن تفارقني؟ فقال لها: يا فاطمة لا تبكي ولا تحزني فلا بد من مفارقتك قال: فاشتد بكآء فاطمة عليها السلام، ثم قالت: يا أبت أين ألقاك؟ قال: تلقيني على تل الحمد أشفع لأمتي، قالت يا أبت: فإن لم ألقك؟ قال: تلقيني على الصراط وجبريل عن يميني وميكآئيل عن يساري، وإسرافيل آخذ بحجزتي، والملآئكة من خلفي، وأنا أنادي يارب أمتي أمتي هوِّن عليهم الحساب، ثم أنظرُ يمينًا وشمالاً إلى أمتي، وكلُّ نبي يومئذ مشتغل بنفسه يقول: يا رب نفسي، وأنا أقول: يارب أمتي أمتي، وأوّل من يلحق بي يوم القيامة أنتِ وعليٌّ والحسنُ والحسينُ، فيقول الربُّ يا محمد: إن أمتك لو أتوني بذنوب كأمثالِ الجبال لعفوت عنهم ما لم يشركوا بي شيئًا، ولم يوالوا لي عدوا».

قال: فلمّا سمع الشاب هذا مني أمر لي بعشرة آلاف درهم، وكساني ثلاثين ثوبًا، ثم قال لي: من أين أنت؟ قلتُ: من أهل الكوفة. قال: عربي أنت أم مولى؟ قلتُ: بل عربي. قال: فكما أقررتَ عيني أقررتُ عينك، ثم قال: إيتني غدًا في مسجد أبي فلان، وإياك أن تخطئ الطريق، فذهبت إلى الشيخ، وهو جالس ينتظرني في المسجد فلما رآني استقبلني، وقال: ما فعل أبو فلان؟ قلت: كذا وكذا. قال: جزاه الله خيرًا جمع الله بيننا وبينهم في الجنة، فلما أصبحتُ يا سليمان ركبتُ البغلة، وأخذتُ في الطريق الذي وصف لي، فلما صرت غير بعيد تشابه عليَّ الطريق، وسمعتُ إقامةَ الصلاة في مسجد، فقلت: والله لأصلينَّ مع هؤلآء القوم، فنزلت عن البغلة ودخلت المسجد، فوجدت رجلاً قامته مثل قامة صاحبي فصرت عن يمينه، فلما صرنا في ركوع وسجود إذا عمامته قد رمى بها من خلفه، فتفرّستُ في وجهه، فإذا وجهه وجه خنزير ورأسه وحلقه ويداه ورجلاه، فلم أعلم ما صليت وما قلت في صلاتي متفكرًا في أمره، وسلَّم الإمام وتفرس في جهي، وقال: أنت أتيت أخي بالأمس فأمر لك بكذا وكذا، قلت: نعم، فأخذ بيدي، فأقامني، فلما رآنا أهل المسجد تبعونا، فقال للغلام:

أغلق الباب ، ولا تدع أحداً يدخل علينا ، ثم ضرب بيده إلى قميصه فنزعه ؛ فإذا جسده جسد خنزير ، فقلت يا أخي : ما هذا الذي أرى بك؟! قال : كنتُ مؤذن القوم ، وكنت إذا أصبحتُ ألعن عليًا ﷺ ألف مرة بين الأذان والإقامة ، قال : فخرجت من المسجد ودخلت داري هذا ، وهو يوم جمعة ؛ وقد لعنته أربعة آلاف مرة ، ولعنت أولاده ، فاتكأتُ على الدكان فذهب بي النومُ ، فرأيت في منامي كأنما أنا بالجنة قد أقبلت ، فإذا علي ﷺ فيها متكئ ، والحسن والحسين عليهما السلام معه متكئان ، بعضهم ببعض مسرورين ، تحتهم مُصَلَّيات من نور ، وإذا أنا برسول الله ﷺ جالس والحسن والحسين قدامه وبيد الحسن كأس ، فقال ﷺ للحسن : اسقني ، فشرب ، ثم قال للحسن : إسق أباك عليًا فشرب ، ثم قال للحسن : إسق الجماعة ، فشربوا ، ثم قال : اسق المتكئَ على الدكان ، فولى الحسن بوجهه عني ، وقال يا أبت : كيف أسقيه وهو يلعن أبي في كل يوم ألف مرة ، وقد لعنه اليوم أربعة آلاف مرة ، فقال ﷺ : مالك - لعنك الله - تلعن عليًا ، وتشتم أخي لعنك الله ، وتشتم أولادي الحسن والحسين ، ثم بصق النبي ﷺ فملأ وجهي وجسدي ، فانتبهت من منامي فوجدت موضع البصاق الذي أصابني من بصاق النبي ﷺ قد مسخ كما ترى وصرت آية للسائلين .

ثم قال يا سليمان : سمعت في فضائل عليٍّ ﷺ أعجب من هذين الحديثين ، يا سليمان « حب علي إيمان ، وبغضه نفاق ، لا يحب عليًا إلا مؤمن ، ولا يبغضه إلا كافر » ، قلت : يا أمير المؤمنين ، لي الأمان؟ قال : لك الأمان . قال : قلت فما تقول يا أمير المؤمنين في من قتل هؤلاء؟ قال : في النار . لا أشك ، فقلت : فما تقول فيمن قتل أودلاهم وأولاد أولادهم ، قال : فنكّس رأسه ثم قال : يا سليمان ، الملكُ عقيم ، ولكن حدّث في فضائل علي ﷺ بما شئت ، قال : قلت فمن قتل ولده فهو في النار؟ قال عمرو بن عبيد : صدقت يا سليمان ، الويل لمن قتل ولده ، فقال المنصور : يا عمرو ، أشهدُ عليه أنه في النار؟ فقال

عمرو : أخبرني الشيخ الصادق - يعني الحسن - عن أنس : «أن من قتل أولاد علي عليه السلام لا يشم رائحة الجنة» قال : فوجدت أبا جعفر وقد حَمص وجهه ، قال : فخرجنا ، فقال أبو جعفر : لولا مكان عمرو ما خرج سليمان إلا مقتولاً[1].

قال علي بن محمد بن الشرفيَّة : حضر عندي في دكاني بالورّاقين بواسط يوم الجمعة خامس ذي القعدة من سنة ثمانين وخمسمائة ، القاضي العدل جمال الدين نعمة الله بن علي بن أحمد بن العطار ، وحضر أيضًا عندي الأمير شرف الدين أبو شجاع بن العنبري الشاعر ، فسأل شرفُ الدين القاضيَ جمال الدين أن يسمعنا المناقب ، فابتدأ بالقرآءة عليه من نسختي التي بخطي في دكاني يومئذ ، وهو يرويها عن جده لأمّه الإمام العدل المعمَّر أبي عبدالله (محمد) بن علي بن المغازلي[2] عن أبيه المصنف ؛ فهُما في القرآءة وقد اجتمع عليهما جماعة إذ اجتاز أبو نصر بن قاضي العراق وأبو العباس بن زنْبقه وهما ينبزان بالعدالة ، فوقفا يغوغيان وينكران عليه قرآءة المناقب ، وأطنب بن قاضي العراق في التهزي والمجون ، وقال - في جملة مقالته على طريق الاستهزآء : أيْ قاضي اجعل لنا وظيفة كل يوم جمعة بعد الصلاة تسمعنا شيئًا من هذه المناقب في مسجد الجامع ! فقال لهم القاضي نعمة الله بن العطار : ما أنتما من أهلها ، أنتما قد حضرتما في درب الخطيب وذكرتُما أن عليًا عليه السلام ما كان يعرف سورة واحدة من كتاب الله تعالى ، والمناقب تتضمن أنه ما كان في الصحابة أقرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام ، فما أنتما من أهلها ، فأكثرا الغوغآء والتهزي . فضجر القاضي نعمة الله بن العطار وقال - بمحضر جماعة كانوا وقوفًا : اللهم إن كان لأهل بيت نبيك عندك حرمة ومنزلة فاخسف به داره ، وعجِّل نكايته ؛ فبات ليلته تلك ، وفي صبيحة يوم

(١) المناقب ص١٥٤ ، وجلاء الأبصار ٣٤٠ .

(٢) كان شيخا فاضلا عالما ، سمع أباه وغيره ، تولى القضاء والحكومة بواسط نيابة عن أبي العباس ابن بختيار الماندائي ، توفي ٥٤٣ . شذرات الذهب ٢٥١/٦ ، والأنساب للسمعاني ١٣٦/٢ .

السبت سادس ذي القعدة من سنة ثمانين وخمسمائة خسف الله تعالى بداره، فوقعت هي والقنطرة وجميع المسنَّاة إلى دجلة، وتلف منه فيها جميع ما كان يملك من مال وأثاث وقماش، فكانت هذه المنقبة من أطرف ما شوهد يومئذ من مناقب آل محمد صلوات الله عليهم، فقال علي بن محمد بن الشرفيَّة في ذلك اليوم في هذا المعنى:

يا أيها العدل الذي ... هو عن طريق الحق عادل
متجنبًا سبل الهدى ... وإلى سبيل الغي مائل
أمثل أهل البيت يا ... مغرور ويحك أنت هازل
دع عنك أسباب الخلا ... عة واستمع مني الدلائل
بالأمس حيث جحدت من ... أفضالهم بعض الفضائل
وجريت في سنن التمرّ ... د لست تسمع عذل عاذل
نزل القضاءُ على ديا ... رك في صباحك شرٌّ نازل
أضحت ديارك سائخا ... ت في الثرى خسف الزلازل
وبقيت يا مغرور في الـ ... دارين لن تحظ بطائل
هذا الجزاء بهذه الدّ ... نيا غداً ما أنت قائل

وهذه القصيدة مذكورة في نسخة المناقب[1] وهي لنا مسموعة.

ومن كتاب السفينة للحاكم[2] الإمام رحمه الله وقد أخبرنا به الفقيه الأجل

---

(١) المناقب ص٣٤٩.

(٢) هو أبو سعيد المحسِّن بن كرامة الجشمي البيهقي الحاكم ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية ولد سنة ٤١٤هـ ونشأ نشأة كريمة تليق بمكان أسرته بإقليم خراسان، شهرته تُغني عن التعريف به فهو علامة عصره وفريد دهره في علم التفسير والعدل والتوحيد، كتبه شاهدة له بالتقدم والتبريز، كان معتزليا في الأصول وحنفيا في الفروع، لكنه تحول إلى مذهب الزيدية، وتوفي شهيدا بالبلد الحرام بسبب كتابه (رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس) وله التهذيب في التفسير قيل إن الكشاف مأخوذ منه بزيادة تعقيد، وله تنبيه الغافلين عن فضائل أمير المؤمنين، وعيون المسائل وشرحه، والمؤثرات، والإمامه، وتنزيه الأنبياء والأئمة، وجلاء الأبصار في تأويل الأخبار، والسفينة، والرسالة الغراء، =

تـاج الـدين أحمد بن الحسن البيهقي[1] مناولةً عن السيد الإمام مجد الدين يحيى ابن إسماعيل بن علي بن أحمد بن علي بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن أحـمـد بن محمد زبارة بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الأفطس بن علي بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي الوصي أمير المؤمنين عليهم السلام يرفعه إلى الحاكم رحمه الله، وأخبرنا به أيضًا القاضي شهاب الدين خطيب الزيدية بنيسابور عبدالعزيز بن الحسن الزنقي الزيدي إجازةً على لسان الفقيه الأجل جمال الدين عمران بن الحسـن بن ناصر- أدام الله عزّه - عمّن يوثق به من الإخوان[2] يرفعه إلى الحاكم رحمه الله قال: روى السيد أبو طالب بإسناده عن جُويبر عن الضحاك عن ابن عباس عن النـبي صلى الله عليه وآله قـال: لما أمر الله تعالى آدم بالخروج من الجنة رفع طرفه نحو السمآء، فرأى خمسة أشباح على يمين العرش، فقال: إلهي خلقت خلقًا من قبلي؟ فأوحى الله إليه: أما تنظر إلى هذه الأشباح؟ قال: بلى، قال: هؤلآء صفوتي من نوري اشتققت أسمآءهم من اسمي، فأنا الله المحمود وهذا محـمـد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، ولي الأسمآء الحسنى، وهذا الحسين. فقال آدم: فبحقّهم اغفر لي، فأوحى الله إليه قد غفرت لك، وهي الكلمات التي قال الله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾ [البقرة: ٣٧][3].

= وترغيب المبتدئ، وتذكرة المنتهي، ونصيحة العامة، والمنتخب في فقه الزيدية وغيرها. ينظر مطلع البدور، ولوامع الأنوار ١/ ٤٥٤، والحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير تأليف د/ عدنان زرزور.

(١) يسمى زيد وأحمد بالاسمين بن الحسن البيهقي، قدم إلى هجرة حوث ٦١٠هـ في أيام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، وأجاز لابن الوليد وحميد وغيرهم وأثنى عليه العلماء وكان حافظا. ينظر الشافي ١/ ٥٦، ومطلع البدور ٢/ ١٣٣.

(٢) في (ب) كثرهم الله.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص١٠٤، والعمدة ٤٣٩، وفي الدر المنثور ١/ ١١٩ عن ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ فتاب عليه. ورواه أيضا في مجمع البيان ١/ ١٧٥ بصيغة أخرى.

ورُوينا بالإسناد من غير السفينة عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت على باب العرش مكتوبًا بالذهب لا بمآء الذهب لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على باغضهم لعنة الله»[1].

وبالإسناد إلى الحاكم رضي الله عنه قال: حدَّث زيد بن علي عليهما السلام قال: مُطر الناس بالمدينة مطرًا جَوْدًا[2] فخرج النبي ﷺ إلى ناحية المدينة، وقال لفاطمة عليها السلام إن جآء زوجك وابناك فابعثيهم إليَّ، فبينا رسول الله ﷺ ثَمَّ، إذ أتاه علي عليه السلام فسلَّم، فرد النبي ﷺ عليه السلام، ثم أخذ بيده وأجلسه عن يمينه، ثم أقبل الحسن والحسين فسلَّما عليه فرد السلام وأجلسهما، فبينما هم جلوس إذ هبط جبريل عليه السلام معه جام من ذهب مجلل مكلل، عليه منديل من نور، فقال: يا محمد إن ربك عز وجل يقرئك السلام، وأحب أن يعجل لك شيئًا من فاكهة الجنة، فأخذه النبي ﷺ فلما صار الجام في يده قال الجام: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثم دفعه إلى علي عليه السلام فقال: مثل ذلك، ثم دفعه إلى الحسن ثم إلى الحسين فقال: مثل ذلك.

وروى الحاكم رحمه الله في كتاب السفينة من كتاب الفتوح لابن أعثم[3] عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رجع من سفر له وهو متغير اللون. فخطب خطبة بليغة وهو يبكي، ثم قال: أيها الناس: إني قد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأُرومتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا وإني أنتظرهما، ألا وإني أسألكم يوم القيامة في ذلك عند الحوض، ألا وإنه سيرد علي يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة: راية سودآء فتقف، فأقول: من أنتم؟ فينسون ذكري،

---

(١) شمس الأخبار ١/ ١٢١.

(٢) الجَوْدُ: المطر الغزير. القاموس ٣٥١.

(٣) ٤/ ٣٢٥، وابن أعثم: اختلف في اسمه فقيل: لوط بن أحمد بن محمد بن أعثم، وقيل: أحمد بن محمد بن أعثم، وهو مؤرخ كوفي، ت ٣١٤هـ. الأعلام ١/ ٢٠٦، والذريعة ١٦/ ١١٩.

فيقولون: نحن أهل التوحيد من العرب. فأقول: أنا محمد نبي العرب والعجم فيقولون: نحن من أمتك. فأقول: كيف خلفتموني في عترتي، وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب فضيعناه، وأما عترتك فحرصنا على أن نُبيدهم! فأوَلِّي وجهي عنهم، فيصدرون عطاشا قد اسودت وجوههم، ثم ترد راية أخرى أشد سواداً من الأولى، فأقول لهم: مَن أنتم؟ فيقولون كالقول الأول: نحن من أهل التوحيد، فإذا ذكرت اسمي قالوا: نحن من أمتك، فأقول: كيف خلفتموني في الثقلين كتاب الله وعترتي؟ فيقولون: أما الكتاب فخالفنا، وأماالعترة فخذلناهم ومزقناهم كل ممزق! فأقول لهم: إليكم عني، فيصدرون عطاشا مسودةً وجوههم، ثم ترد عليَّ راية أخرى تلمع نوراً، فأقول: مَنْ أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أمة محمد، ونحن بقية أهل الحق، حملنا كتاب ربنا فأحللنا حلاله، وحرَّمنا حرامه، وأحببنا ذرية محمد فنصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا من ناوأهم، فأقول لهم: أبشروا فأنا نبيكم محمد، ولقد كنتم كما وصفتم، ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون رِوآءً، ألا وإن جبريل أخبرني: بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلآء، ألا ولعنة الله على قاتله وخاذله أبد الدهر».

ثم نزل، ولم يبق أحد إلا وتيقن أن الحسين عليه السلام مقتول، فلما كان أيام عُمَر وأسْلَمَ كعب الأحبار وقدم المدينة، وجعل الناس يسألونه عن الملاحم وهو يُحدِّثهم، قال كعب الأحبار: نعم وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً وهو الفساد الذي ذكره الله في الكتب وذكره في كتابكم فقال: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] الآيات، وإنما فُتِح بقتل هابيل وختم بقتل الحسين بن علي عليهما السلام قال كعب: ولعلكم تهوِّنون قتل الحسين، أوَلا تعلمون أنه يفتح يوم قتله أبواب السموات كلها، ويؤذن للسمآء بالبكآء فتبكي دمًا فإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها شرقيًا وغربيًا فاعلموا أنها تبكي حسينًا،

والذي نفس كعب بيده لتبكين زمرة من الملائكة في السموات لا يقطعون بكاهم آخر الدهر، وإن البقعة التي يدفن فيها هي خيرالبقاع بعد بيت مكة والمدينة وبيت المقدس، وما من نبي إلا وقد كان زارها وبكى عليها، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة، فإذا كانت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة نزل إليها سبعون ألف ملك يبكونه، ويذكرون فضله ومنزله عندهم، وأنه يسمى في السموات حسينًا المذبوح، وفي الأرضين أبا عبدالله المقتول، وفي البحار الفرخ الأزهر المظلوم[1].

وروى الحاكم رحمه الله: عن النبي ﷺ، أنه قال: «نحن يا علي من شجرة: أنا أصلها، وفاطمة فرعها، وأنت لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعة ورقها، لو أن رجلاً صام حتى يكون كالوَتَر، وصلى حتى يكون كالحني، وكان في قلبه وزن ذرة من بغضك أكبَّه الله على وجهه في النار»، «يا علي لا يحبك إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا منافق شقي»[2] نظمه أبو يعقوب الطبراني فقال:

يا حبذا شجر في الخلد نابتة	ما مثلها نبتت في الأرض من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثم اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمرٌ	والشيعةُ الوَرَقُ الملتف بالشجر
هذا مقال رسول الله جاء به	أهل الرواية في العالي من الخبر
إني بحبهمُ أرجو النجاة غدًا	والفوز في زمرة من أفضل الزمر[3]

روى الصادق عن آبائه عن النبي ﷺ قال: «إن في السماء لحرسًا وهم الملائكة، وفي الأرض حرسًا وهم شيعتك يا علي»[4] ذكره الناصر. وذكر

---

(١) ج٤/ ٣٢٥.

(٢) أخرجه الكنجي في الكفاية ٤٢٥، والحاكم ٣/ ١٦٠، وذخائر العقبى ١٦، والمناقب لابن المغازلي ١٢٢، ومعناه في ميزان الاعتدال ٢/ ١٨٣، ولسان الميزان ٤/ ٤٣٤، ٢/ ٢٢٦، وتأريخ دمشق ٤٢/ ٦٥، ٦٦ رقم ٨٤٠٩ - ٨٤١٣.

(٣) كفاية الطالب ٤٦٢.

(٤) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ص١٧٤.

بإسناده عن النبي ﷺ قال : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب» قال علي عليه السلام : مَنْ هم يا رسول الله؟ قال : هم شيعتك ، وأنت إمامهم »[1] وذكر عن الباقر أنه قال : إن نبي الله ﷺ قال : «إن عن يمين العرش رجالاً وجوههم من نور عليهم ثياب من نور ، ما هم بنبيئين ولا شهدآء ، يغبطهم النبيئون والشهدآء ، قيل : مَن هم؟ قال : أولئك أشياعنا وأنت إمامهم يا علي» عن علي عن النبي ﷺ قال : «من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله ، ومن أعان على أذاهم ، وركن إلى أعدآئهم فقد أذن بحرب من الله ورسوله ، ولا نصيب له في شفاعة رسول الله ﷺ » .

(روى) أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهلَ البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار»[2] .

وعنه ﷺ : « لظالموا أهل البيت عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار»[3] (روى) جابر عن النبي ﷺ : « لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلا منافق رديء »[4] [وعن] الصادق في قوله تعالى : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ❁ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء : ١٠٠ - ١٠١] . قال : نزلت فينا وفي شيعتنا ، وذلك أنا نشفع وتشفع شيعتنا ، فإذا رأى ذلك من ليس منهم ، قال : ما لنا من شافعين ولا صديق حميم . روى ذلك كله الحاكم رضي الله عنه[5] .

وروينا عن النبي ﷺ قال : «من أحسن إلى أحد من أهل بيتي بعدي

---

(١)المناقب للكوفي ٢/ ٢٨٥ ، والمناقب لابن المغازلي ٢٤٩ ، وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ص١٧٤ .

(٢)سبق تخريجه .

(٣)المناقب لابن المغازلي ١٠٦ .

(٤)المناقب للكوفي ٢/ ١٨١ ، وذخائر العقبى ١٨ ، وللحديث شواهد كثيرة .

(٥) تنبيه الغافلين ص١٧٤ .

شفعت له يوم القيامة، ويكون في الجنة معي». وروينا عنه ﷺ أنه قال: «ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة»[1].

وروينا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: قد أعطيت الكوثر؟ قلت: يا رسول الله وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة عرضه وطوله مابين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحدٌ فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، لا يشربه إنسان خفر ذمتي ولا قتل أهل بيتي»[2].

وروينا عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أهل بيت شجرة النبوءة، ومعدن الرسالة، ليس أحد من الخلائق يَفْضُلُ أهل بيتي غيري»[3].

وروينا عن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى كون أحبَّ إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته»[4].

وروينا عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ويلٌ لأعدآء أهل بيتي المستأثرين عليهم لا نالتهم شفاعتي، ولا رأوا جنة ربي».

وروينا عن جرير بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تآئبًا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوّار قبره بالرحمة الملائكة، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما

---

(١) رواه الإمام الهادي في درر الأحاديث ص٥١، وتنبيه الغافلين ص١٧٤.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٦٨٧، وشمس الأخبار ١/ ١٢٤.

(٣) شمس الأخبار ١/ ١٢٤.

(٤) تنبيه الغافلين ص٢١٣.

تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيسٌ من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة أبدًا »[1].

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣] قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله عز وجل بمودتهم؟ قال: « فاطمة وولدها »[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ سَلاَمٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٠] قال: «على آل محمد»[3]، وعنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾[الشورى: ٢٣] قال: المولاة لآل محمد صلى الله عليه وسلم»[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] قال: «ولايتنا أهل البيت».

وعن ثابت البُناني[5] في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه: ٨٢] قال: «إلى ولاية أهل نبيه»[6].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٠ في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣] والصواعق المحرقة ٢٣٢، والقرطبي ١٦/ ١٦.

(٢) الدر المنثور ٦/١٠٧، والقرطبي ١٦/ ١٦، وتفسير الخازن والبغوي ٥/ ٣٨٠، ومجمع البيان ٩/ ٤٨، وتفسير ابن كثير ٤/ ١١٢، والمناقب لابن المغازلي ٢٥٩، والكشاف ٤/ ٢٢٠، وذخائر العقبى ٢٥، وشواهد التنزيل ٢/ ١٠٣، والطبراني في الكبير ٣/ ٤٧ رقم ٢٦٤١.

(٣) الدر المنثور ٥/ ٥٣٩، والقرطبي ١٥/ ٧٩، ومجمع البيان ٨/ ٣٣٠.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ولد في أيام معاوية بن أبي سفيان، وهو من تابعي البصرة ومحدثيهم، ت ١٢٧ هـ، وقيل غير ذلك. ينظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠.

(٦) مجمع البيان ٧/ ٤٥، والطبري ١٦/ ٢٤٣، وروح المعاني ١٦/ ٣٥٢، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ١٠٣.

وروينـا عنـه ﷺ أنه قال: «يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يـوم القيامة - على ما بهم من العيوب والذنوب - وجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فُرِّجت عنهم الشدائد، وسهِّلت لهم الموارد، وأعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تتلألأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحة قد ذللت من غير مهانة، ونجبت من غير رياضة»[1].

وروينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أيها الناس اعلموا أن العلم الذي أنزله الله تعالى على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم؛ فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة؟ هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كآفة، وهم باب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين حُجَّةً من ذي حُجَّة، قالها في حَجَّة الوداع: إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله، وعترتي أهل بيتي؛ إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2].

---

(١) المناقب لابن المغازلي ٢٥١، والصواعق المحرقة ٢٣٢، وشمس الأخبار ١/١٤٣.

(٢) رواه الإمام زيد بن علي عن آبائه في المجموع ص ٤٠٤. وعلي بن موسى الرضى عن آبائه في صحيفته ص٤٦٤. ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/ ١٨٧٣ رقم٢٤٠٨، عن جابر. والترمذي عن جعفر بن محمد عن أبيه ٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٦، وقال: حديث حسن غريب. وقال: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد، وقال: حسن غريب من هذا الوجه، ورواه برقم ٣٧٨٨ عن زيد بن أرقم، وقال: حسن غريب. والطبراني في الكبير عن زيد ٥/ ١٨٦ رقم ٥٤٠. ومسند أحمد عن أبي سعيد ٤/ ٣٠رقم ١١٠٤. وج٧/ ٨٤ رقم ١٩٣٣٢ عن زيد بن أرقم. وج٨/ ١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ عن زيد بن ثابت. وابن كثير في البداية النهاية ٥/ ٢٢٨. وقال: قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

وروينا عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال : «أنزلوا آل محمد ﷺ بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة العينين من الرأس ، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس ، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين» .

وروينا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إن لهذه الأمة فرقة وجماعة ، فجامعوها إذا اجتمعت ، فإذا افترقت فارقبوا أهل بيت نبيكم ، فإن سالموا فسالموا ، وإن حاربوا فحاربوا ، فإنهم مع الحق والحقُّ معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه» . وقيل ليحيى بن معاذ رضي الله عنه[1] : ما تقول في أهل البيت عليهم السلام؟ قال : ما أقول في طينة عجنت بمآء النبوءة ، وغرست بأرض الرسالة ، فهل ينفح منها إلا ريح الهدى وعنبر التقى .

ولنقتصر على هذا المقدار من رواية الآثار في مناقب العترة عليهم السلام ، فإن الكثير منها ينطوي على مجلدات عدة ، وإنما ذكرْنا قطرة من مطرة ، ومجة من لجة ؛ رعاية لحقهم الذي أرشد الحكيم إليه ، حيث يقول : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣] ونعود بعد ذلك إلى المقصود بالكتاب ، وهو الكلام في ذكر الأئمة السابقين على الولآء حسب ما اتصل بنا من أخبارهم ، وبلغ إلينا من آثارهم ، ونبتدئُ بذكر إمام الأئمة والأمة ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ونختم بذكر الإمام المنصور بالله عليه وعليهم السلام إن شآء الله تعالى ومنه التوفيق وهو المرجوّ لسلوك أهدى طريق .

---

(١) ابن جعفر الرازي واعظ حكيم زاهد ، له كلمات سائرة ، نزل الري ثم انتقل إلى نيسابور وبها توفي ٢٥٨هـ . ينظر صفوة الصفوة ٤/ ٦٠ ، وحلية الأولياء ١٠٠/ ٥٣ ، و الأعلام ٨/ ١٧٢ .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[1]

أمّا نسبه : فهو علي بن أبي طالب، واسمه عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهو زيد بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن مَعدٌ بن عدنان. شعر :

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى رأداً[2] ومن فلق الصباح برودا

وأمُّه عليها السلام : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أول هاشمية وَلَدت لهاشمي، فهو شريك النبي صلى الله عليه وآله في نسبه الشريف، وقسيمه في جوهره العالي المنيف، كما قال الشاعر :

إنَّ علي بن أبي طالب جداً رسول الله جدَّاهُ

أبو علي وأبو المصطفى من طينة طهَّرها اللهُ

ولدته أمه عليها السلام في الكعبة، وذلك أنها لما اشتكت المخاض التجأت إلى الكعبة تبركاً بها، فطلقت طلقة فولدته عليه السلام، فحصل له هذا الشرف العظيم بولادته في أشرف بقعة في الأرض، ثم حمله رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزلها، وكان قد سار

---

(١) لترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام العديد من المصادر منها : الاستيعاب ١/ ١٩٧، والافادة ٢٠، ومروج الذهب ٢/٣٥٨، وطبقات الشيرازي ٤١، تقريب التهذيب ١/ ٤٨، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٤، والعبر ٥٢٤، وتاريخ الخلفاء ١٦٦، والجرح والتعديل ٦/ ٢٩١، وتاريخ الاسلام ٣/ ٨، وصفوة الصفوة ١/ ١٣٠، والأعلام ٤/ ٢٩٥، وحلية الأولياء ١/ ٦٩، والاصابة ٢/ ٥٠٧، وأسد الغابة ٤/ ٨٦، ومقاتل الطالبين ٢٤، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٣، وطبقات الزيدية (خ)، والغدير ١-١١ مجلداً، وأعيان الشيعة ١/ ٣٢٣، والاستيعاب ٣/١٩٧، ومناقب الإمام علي (ع) للكوفي ١ - ٣ مجلدات، والمصابيح ٢٩٧، وترجمة أمير المؤمنين في تاريخ دمشق لابن عساكر ١-٣ بتحقيق محمد باقر المحمودي، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٦٩.

(٢) الرأد : رونق الضحى، وقيل : هو بعد انبساط الشمس وارتفاع النهار. لسان العرب ج٣/ ١٦٨.

مع عمه أبي طالب حين دخل الكعبة، وأجلس أبو طالب فاطمةَ بنت أسد رحمها الله في الكعبة،[1] وهي أوّلُ امرأة بايعت رسول الله ﷺ، وكانت من المهاجرات ودفنها رسول الله ﷺ بالروحا[2] مقابل حمام أبي قطيفة، ولما ماتت رحمها الله دفنها رسول الله ﷺ وكفنها في قميصه ونزل في قبرها، وفي بعض الأخبار وتمرّغ في لحدها فقيل له في ذلك؟ فقال: إن أبي هلك وأنا صغير، فأخذتني هي وزوجها فكانا يوسعان عليَّ، ويؤثراني على أولادهما، فأحببت أن يوسع الله في قبرها. وفي بعض الأخبار: أما قميصي فأمان لها يوم القيامة، وأما اضطجاعي في قبرها فليوسِّع الله عليها[3].

وهو أصغر أولادها، وولدت أربعة ذكور بين كل ذكرين عشر سنين: طالب[4] وعقيل وجعفر وعلي.

كنيته عليه السلام: كان عليه السلام يكنى بأبي الحسن ويكنى بأبي تراب كنّاه بها رسول الله ﷺ، وذلك فيما رويناه بالإسناد الصحيح إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب عليه السلام رفيقين في غزوة العُشَيرة، فلما نزلها رسول

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٥٨.

(٢) في الأصل وكانت مهاجرة بالروحا. والروحا: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

(٣) روي في الاستيعاب ٤/ ٤٤٦، والإصابة ٤/ ٣٦٨، وأسد الغابة ٧/ ٢١٢ عن عبد الله بن عباس قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب، ألبسها رسول الله قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ماصنعت بهذه؟ فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها، ينظر مقاتل الطالبيين ٤.

(٤) كان شاعرا، وهو الذي قال حين خرج مع المشركين يوم بدر، وقد خرج كرها:

لاَهُـمَّ إما يغزون طالب ❖ في مقنب من هذه المقانب

فليكن المسلوب غير السالب ❖ والراجع المغلوب غير الغالب

وقيل رجع إلى مكة، وقيل لم يرجع واستهوته الجن فلم يوجد له أثر بين القتلى والأسرى. ينظر هامش جمهرة النسب ١/ ١٢٨.

الله ﷺ فأقامَ بها، وإذ هناك ناس من بني مُدْلج[1] يعملون في عين لهم في نخل، فقال علي عليه السلام: يا أبا اليقظان هل لك في أن نأتي إلى هؤلآء فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت إن شئت، قال: فجئناهم ثم نظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعليٌّ عليه السلام حتى اضطجعنا في صَوْر[2] من النخل ودقعآئها فوالله ما أهبّنا إلاّ رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تترّبنا من تلك الدقعآء[3] التي نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «مالك يا أبا تراب!؟ لما يرى عليه من التراب، ثم قال: «ألا أحدثكم بأشقى الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: أُحَيمرُ ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليٌّ على هذه - ووضع يده على قرنه حتى تُبل منها هذه وأخذ بلحيته»[4].

هذه طريق في تكنيته بأبي تراب.

وفي راوية أخرى بالإسناد الموثوق به أنه وقع بينه وبين فاطمة عليها السلامُ كلامٌ فخرج، فقال النبي ﷺ لإنسان: ابغِ عليًا، قال: هو ذاك في المسجد، قال: فأتاه النبي ﷺ والريح تسفي عليه التراب، فقال: «قم يا أبا تراب»، قال سهل بن سعد: وهو الذي انتهت إليه الرواية - فوالله إن كانت لأحب الأسمآء إلى علي عليه السلام[5] وفي طريق أخرى فقال سهل: فكنا نمدحه بهذا فإذا ناسٌ يعيبونه، قال الشاعر وهو السوسي:

---

(١) بنو مُدلِج: قبيلة من كنانه وهو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانه. تاج العروس ٣/ ٣٧٢

(٢) الصَّوْر: النخل الصغار أو المجتمع. تاج العروس ٧/ ١١٢.

(٣) الدقعاء: التراب. ص ٩٢٤ القاموس.

(٤) المناقب لابن المغازلي ٥٩، والخصائص ١٣٠، والمسند ١٨٣٤٩. والطحاوي مشكل الآثار ٢/ ٢١٨. والبيهقي في الدلائل ٣/ ١٢. وصححه الحاكم على شرط مسلم ٣/ ١٤١. ووافقه الذهبي. و ابن هشام ١/ ٦٠٠. والحلبية ٢/ ١٢٦. وعيون الأثر ١/ ٣٥٧ وما بعدها. وابن كثير ٢/ ٣٦٣. وتأريخ خليفة ٥٧. الطبقات ٢/ ٩.

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٦٠، والدولابي ص ٣٤ رقم ١٤، والبخاري في صحيحه ١/ ١٧٠ رقم ٤٣٠ ج ٣/ ١٣٥٨ رقم ٣٥٠٠، ٥/ ٢٢٩١ رقم ٥٨٥١.

أنا وجميعُ مَنْ فوقَ التراب فداءُ تراب نَعْلِ أبي تراب[1]

وأقام مدة مع أبويه حتى وقعت أزمة شديدة، فضمه رسولُ الله صلى الله عليه وآله إليه تخفيفًا عن أبي طالب، فتأدب بآدابه الكريمة، وتخلق بأخلاقه الشريفة حتى ظهرت فيه آثاره المطهرة .

صفته وحليته عليه السلام :

ذكر السيد أبو طالب عليه السلام في كتاب الإفادة وقد أخبرنا الفقيه الأجل تاج الدين أحمد بن أحمد بن الحسن البيهقي بحُوث، قدمها سنة عشر وستمائة عن عالم الزيدية وزاهدهم في وقته شعيب بن دابسون الجيلي رحمه الله بإسناده إلى السيد الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني عليه السلام قال: قال أبو إسحاق السبيعي فيما روينا عنه -: أدخلني أبي المسجد يوم جمعة فرفعني حتى رأيت عليا عليه السلام شيخًا أصلَعَ، ناتيءَ الجبهة، عريضَ ما بين المنكبين، له لحيةٌ قد ملأت صدره، وفي عينيه اطرغشاش[2]، قال داوود بن عبدالجبار راوي الخبر عن أبي إسحاق يعني لينا في العين، فقلت لأبي: مَنْ هذا يا أبه؟ فقال: علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وخَتَنُ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين[3].

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى السيد الإمام الموفق بالله أبي عبدالله الحسين ابن إسماعيل الحسني الجُرجَاني عليه السلام يرفعه إلى زياد المخارقي قال: سألت محمد ابن الحنفية فقلت: صف لي عليًا عليه السلام؟ فقال: كان ضخم الهامة، عريض المنكبين، عظيم المشاش، ضخم البدن، حَمِشَ الساقين، كأنما كُسِّرتْ عظامُه ثم جُبِّرَتْ، والله لو أخذ الأسد لافترسه.[4]

---

(١)هو الصاحب كما في ديوانه ص ١٨٥ .

(٢)في الأصل : اطرغاش .

(٣)المقاتل ص ٢٧ ، الإفادة ص٣٩ .

(٤)انظر صفة الإمام علي عليه السلام فقد أتت بروايات عديدة بمعنى واحد في تأريخ دمشق ٤٢/ ٢٠ ، وذخائر العقبى ٥٧ ، وغيرها في كتب التراجم .

صفة إسلامه عليه السلام وزواجه بفاطمة عليها السلام :

لما أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله يوم الإثنين أسلم عليٌّ عليه السلام يوم الثلاثاء[1]، فهو أول ذكر أسلم على الصحيح من النقل وفيه إجماع العترة عليهم السلام. واختلف في سنِّه يوم أسلم، فقيل: إنه أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة سنة[2].

وفي سبقه إلى الإسلام آثارٌ كثيرة فمنها: ما رويناه بالإسناد إلى أبي ذر رحمة الله عليه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليٌّ أولُ من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، والفاروق يفرق بين الحق والباطل»[3]. وعن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول الناس وروداً عليَّ الحوض أولهم إسلامًا علي بن أبي طالب»[4].

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «أوَّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله من الرجال عليٌّ، ومن النساء خديجة رضي الله عنهما» وعن سلمان رحمة الله

---

(١)المستدرك ٣/١٢١ ، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢ ، والترمذي ٥/٥٩٨ ، والمنتظم ٥/ ٧٦ ، وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢٧ وروى الحديث بعدة طرق ، وأسد الغابة ٤/ ٨٩ ، والإستيعاب ٣/ ٢٠٠ ، والطبراني ٢/ ٣٠٩ ، والكامل ٢/ ٣٧ ، والبداية والنهاية ٧/ ٣٦٩ ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٧٢ .

(٢)وقيل عشر سنين . انظر ابن هشام ١/ ٢٤٥. و الحلبية ١/ ٢٦٨. وتاريخ الطبري ٢/ ٣٠٩. وأسد الغابة ٤/ ٨٨. وعيون الأثر ١/ ١٧٩. والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٣٤-٣٥. ومحمد رسول الله ٦٨. ودلائل النبوة ٢/ ١٦٠. وابن كثير ١/ ٤٢٨. والطبري ٢/ ٣١٠. وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢٧ . والمصنف لعبدالرزاق ٥/ ٣٢٥. وقد أوسع في ذلك في شرح النهج ٤/ ٢١٩ ، وقد رجح أبو جعفر الاسكافي أن عمره حين أسلم ١٥ عامًا . .

(٣)تاريخ دمشق ٤٢/ ٤١ رقم ٨٣٦٩ ، مناقب الكوفي ١/ ٢٩٩ رقم ٢٢٣ و٢/ ٥٣٥ رقم ١٠٣٧ ، و شمس الأخبار ١/ ٩٤ ، والطبراني في الكبير ٦/ ٢٦٩ رقم ٦١٨٥ ، ومختصر مسند البزار ٢/ ٣٠١ رقم ١٨٩٨ ، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢ ، والكنجي في كفاية الطالب ١٥٨ .

(٤)تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٠ ، والمناقب للكوفي ١/ ٢٨٠ ، وشمس الأخبار ١/ ٩٣ ، والمستدرك ٣/ ١٣٦ ، وتاريخ الخطيب ٢/ ٨١ ، وأسد الغابة ٤/ ٩٠، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢ ، والاستيعاب ٣/ ١٩٨ ، ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٧١ رقم ٣٢١١٢، والمناقب لابن المغازلي ص ٦٧.

عليـه : «أن أول هــذه الأمة ورودًا على نبـيهـا ﷺ أولهـم إيـمانًا علي بن أبي طالـب عليه السلام»[1].

وروينا عن أمير المؤمنين، عليه السلام أنه قال على المنبر: أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يقولها بعدي إلا مفترٍ كذَّاب)[2]، فقالها رجل فأصابته جنّة، وكان يضرب برأسه الجدران حتى هلك، وقد ذكر عليه السلام سبقه إلى الإسلام في يوم الشورى بحضرة من المهاجرين والأنصار فقال :

مـحـمـدٌ النبيُّ أخي وصـهـري	وحـمـزة سيد الشهـداء عـمي
وجعـفـرٌ الذي يُمـسي ويُضحي	يـطـيـر مـع الملائكة ابنُ أمي
وبنت مـحـمـد سكني وعـرسي	مشـوط لحـمـهـا بدمي ولحـمي
وسـبطا أحـمـد ولداي منهـا	فـأيكمُ له سـهـم كـسـهـمي
سـبـقـتـكمُ إلى الإسـلام طرًا	غـلامـاً مـا بلغت آوان حُلْمي
وأوجب بالـولاية لـي عـليكـم	رسـول الله يـوم غـدير خُمِّ
فـويـل ثـم ويـل ثـم ويـل	لمن يـلقى الإلـه غـداً بظلـمي

وزوّجـه رسـولُ الله ﷺ فـاطـمةَ عليـهـا السـلام في صـفـر سنة اثنتين من الهجره عَقْداً من غير دخول بها - بعد أن طلبها أبو بكر فامتنع وطلبها عُمر فامتنع في أسانيد كثيرة يطول ذكرها : منها ما رويناه بالإسناد الموثوق به من كتاب المناقب لابن المغازلي الشافعي[3] بإسناده إلى أنس بن مالك أنَّ أبا بكر خطب فاطمةَ عليها السلامُ إلى النبي ﷺ فلم يَرُدَّ إليه جوابًا، ثم خطبها عُمر فلَم يَرُدَّ إليه جوابًا، ثم جمعهم فزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل : أقبل على أبي بكر وعمرَ فقال :

---

(1) تاريخ الخطيب ٢/ ٨١، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢.

(2) ابن ماجة ١/ رقم ١٢٠، والمستدرك ٣/ ١١٢، وكتاب السنة رقم ١٣٢٤، وخصائص النسائي رقم ٦ ص ٢٩، والمراتب ص ٣٣، ومعرفة الصحابة ١/ ٣٠١ رقم ٣٣٧، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ١٢٥، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل رقم ١٠٥٥.

(3) ص ١٨١.

إن الله عز وجل أمرني أن أزوجها من عليٍّ، ولم يأذن لي في إفشائه إلا هذا الوقت، ولم أكن لأفشي ما أمر الله عزوجل به» وابتنى علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام في سنة ثلاث من الهجرة في شهر صفر.

ورويناً بالإسناد الموثوق به إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال: رسول الله صلى الله عليه وآله كُنت ذات يوم في المسجد أصلي إذ هبط عليَّ ملك له عشرون رأسًا فوثبت لأقبِّل رأسه فقال: مه! يا محمدٌ أنت أكرم على الله من أهل السموات وأهل الأرض أجمعين، وقبَّل رأسي ويدي فقلت: حبيبي جبريل ما هذه الصورة التي لم تهبط علي بمثلها قط؟ قال: ما أنا بجبريل ولكن أنا ملك يقال لي: محمود، بين كتفي مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، بعثني الله أزوِّجُ النورَ بالنورِ. قلت: مَن النور؟ قال: فاطمة من علي، وهذا جبريل وإسرافيل وإسماعيل صاحب السمآء الدنيا وسبعون ألف ملك من الملآئكة قد حضروا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ياعلي قد زوجتك على ما زوجك الله من فوق سبع سمواته».

ثم التفت النبي صلى الله عليه وآله إلى محمود فقال: منذ كم كُتبَ هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام، وناوله جبريل قدحًا فيه خَلُوقٌ من الجنة، وقال: حبيبي مُرْ فاطمة تلطخ رأسها وبدنها من هذا الخلوق، فكانت فاطمة عليها السلام إذا حكَّت رأسها شم أهل المدينة رائحة الخلوق »[1]

ورويناً بالإسناد الموثوق به إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: دخلت أم أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وهي تبكي فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ لا أبكى الله لك عينًا، قالت: بكيت يا رسول الله؛ لأني دخلت منزل رجل من الأنصار، وقد زوج ابنته رجلاً من الأنصار فنثر على رؤسهم لوزًا وسكرًا فذكرت تزويجك لفاطمة من علي عليهما السلام، ولم تنثر عليهما شيئًا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تبكي يا أم أيمن، فوالذي بعثني بالكرامة، واستخصني بالرسالة ما أنا زوَّجته،

---

(١) مناقب المغازلي ٢٨١

ولكن الله تبارك وتعالى زوّجه من فوق عرشه، وما رضيَتْ فاطمة حتى رضي الله رب العالمين، يا أم أيمن لَمّا زوّج الله تبارك وتعالى فاطمة من عليٍّ؛ أمر الملآئكة المقربين أن يحدقوا بالعرش، وفيهم جبريل وميكآئيل وإسرافيل فأحدقوا بالعرش، وأمر الحور العين أن تتزين، وأمر الجنان أن تزخرف؛ فكان الخاطب الله تبارك وتعالى، والشهود الملآئكة، ثم أمر الله شجرة طوبى أن تنثر عليهم فنثرت اللولؤ الرطب مع الدرّ الأخضر مع الياقوت الأحمر مع الدر الأبيض، فتبادرت الحور العين يلتقطن من الحلي والحلل ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد عليهما السلام[1].

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليهما السلام، أتاه ناس من قريش فقالوا: إنك زوّجت عليا بمهر خسيس! فقال: ما أنا زوّجت عليا ولكن الله زوّجه ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى، أوحى الله عز وجل إلى سدرة المنتهى أن انثري ما عليك، فنثرت الدر والجوهر والمرجان، فابتدرت الحور العين فالتقطنه فهنّ يتهادينه ويتفاخرن، ويقلن: هذا نثار فاطمة بنت محمد عليهما السلام. فلمّا كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلته الشهبآء، وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة: اركبي وأمر سلمان أن يقودها والنبي صلى الله عليه وآله يسوقها، فبينا هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبةً فإذا هو بجبريل صلى الله عليه في سبعين ألفًا وميكآئيل عليه السلام في سبعين ألفًا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أهبطكم إلى الأرض؟ قالوا: جئنا نزف فاطمة إلى زوجها علي بن أبي طالب، فكبّر جبريل، وكبر ميكآئيل، وكبرت الملآئكة، وكبر محمد صلى الله عليه وآله فوقع التكبير على العرآئس من تلك الليلة[2].

---

(1) مناقب المغازلي ٢٧٨.

(2) مناقب المغازلي ٢٨٠، وذخائر العقبى ٣٢.

ذِكْرُ طَرَفٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ وأحواله عليه السلام :

اعلم أن التشاغل بمناقبه يخرجنا عن الغرض المقصود، ومناقبُه عليه السلام أشهر من النَّهار لذوي الأبصار، وإنما نذكر اليسير على وجه الرعاية لحَقِّه عليه السلام إذ كنا قد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ذكر عليٍّ عبادة»[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «زينوا مجالسكم بذكر عليٍّ عليه السلام»[2].

فمن ذلك ما روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما قدم علي بن أبي طالب عليه السلام بعد فتح خيبر قال: «يا علي لولا أن تقول طائفة من أمتي فيك ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت رجليك، وفضل طهورك يستشفون بهما[3]، ولكن حسبك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت تبريء ذمتي، وتستر عورتي، وتقاتل على سنتي، وأنت غداً في الآخرة أقرب الخلق مني، وأنت على الحوض خليفتي، وإن شيعتك على منابر من نور، مُبيَّضَةٌ وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون في الجنة جيراني؛ لأن حربك حربي، وسلمك سلمي، وسريرتك سريرتي، وإن ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني، وأنت تنجز وعدي، وإن الحق على لسانك وفي قلبك ومعك وبين يديك ونصب عينيك، الإيمان مخالط للحمكَ ودمك كما خالط لحمي ودمي، لا يَرِدُ عليَّ الحوض مبغضٌ لك، ولا يغيبَ عنه محبٌّ لك، فخرَّ عليٌّ عليه السلام ساجداً وقال: الحمد لله الذي منَّ عليَّ بالإسلام، وعلمني القرآن، وحببني إلى خير البرية، وأعزِّ الخليقة، وأكرمِ أهل السموات والأرض على ربه، خاتم النبيين وسيد

---

(١) مناقب المغازلي ١٩٥، والفردوس ٢/ ٢٤٤ برقم ٣١٥١ عن عائشة، وكنز العمال ١١/ ٦٠١ رقم ٣٢٨٩٤، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٣٤.

(٢) مناقب المغازلي ١٩٩ .

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٣١، والطبراني في الكبير ١/ ٣٢٠ رقم ٩٥١.

المرسلين، وصفوة الله في جميع العالمين، إحسانًا من الله إليَّ، وتَفَضُّلاً منه عليَّ. فقال له النبي ﷺ: «لولا أنت يا علي ما عرف المؤمنون بعدي»[1]، لقد جعل الله عز وجل نسل كل نبي من صلبه، وجعل نسلي من صلبك يا علي؛ فأنت أعز الخلق وأكرمهم علي وأعزهم عندي، ومُحبُّكَ أكرم من يرد عليَّ من أمتي»[2].

وروينا عن عبدالله قال: مرض رسول الله ﷺ مرضةً، فغدا إليه علي ابن أبي طالب عليه السلام في الغلس، وكان لا يحب أن يسبقه أحد، فإذا هو بصحن الدار، ورأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فقال: السلام عليك. قال: وعليك السلام ورحمة الله، أما أني أُحبُّكَ ولك عندي مديحة أزفها إليك قال: قل، قال: أنت أمير المؤمنين، وأنت قائد الغر المحجلين، وأنت سيد ولد آدم يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، لوآء الحمد بيدك، تزف أنت وشيعتك إلى الجنان زفًا زفًا، أفلح من تولاك وخاب وخسر من تخلاك، بحُبِّ محمد أحبُّوك، وببغضك لم تنلهم شفاعة محمد، ادْنُ إلى صفوة الله أخيك وابن عمك فأنت أحق الناس به قال: فدنا علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ برأس رسول الله أخذًا رفيقًا وصيَّره في حجره فانتبه رسول الله ﷺ فقال: «يا علي ما هذه الهمهمة؟ فأخبره علي عليه السلام الحديث، فقال رسول الله ﷺ: «لم يكن ذلك دحية بن خليفة، كان ذلك جبريل عليه السلام سمَّاكَ بأسمآء سمَّاك الله بها، وهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين، وهيبتك في صدور الكافرين، ولك يا علي عند الله أضعاف كثيرة».

وروينا عن أنس بن مالك قال: أُهديَ لرسول الله ﷺ طآئر فوضعه بين يديه، فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: فجآء علي بن أبي طالب فدق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا علي، فقلت:

---

(١) مناقب المغازلي ١٠٩.

(٢) أخرجه ابن المغازلي ٢١٥ بلفظه، والكفاية للكنجي ٢٦٤.

إن النبي ﷺ على حاجة ، فعل ذلك ثلاثًا ، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فقال النبي ﷺ: ما حَبَسَكَ؟ فقال : قد جئت ثلاث مرات [يردني أنس] ، فقال النبي ﷺ : ما حملك على ذلك؟ قال : كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي[1].

---

(١) هذا الحديث أخرجه المئات من أعلام أهل السنة في القرون المختلفة عن عشرات من التابعين ، عن اثني عشر شخصاً من صحابة رسول رب العالمين عليه وآله الصلاة والسلام وهم : أمير المؤمنين علي ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو رافع ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، وجابر ابن عبدالله الأنصاري ، وحبشي بن جنادة ، ويعلى بن مرة ، وابن عباس ، وسفينة مولى رسول الله ، وأنس بن مالك ، وعمرو ابن العاص في كل من تاريخ البخاري ٢/ ٣ برقم ١٤٨٨ ، والمعجم الكبير للطبراني ٧/ ٨٢ برقم ٦٤٣٧ والمعجم الأوسط ٢/ ٢٠٧ برقم ١٧٤٤ ، ٥٨٨٦ ، ٦٥٦١ ، ٧٤٦٦ ، ٩٣٧٢ ، والمغازلي ص/ ٥٠ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٠ ، والذهبي في تاريخ الإسلام ص ٦٣٣ ، والترمذي ٥/ ٥٩٥ برقم ٣٧٢١ ، ومجمع الزوائد ٩/ ١٢٦ ، والمحب الطبري في الذخائر ص ٦١ ، والرياض النضرة ٢/ ١٦٠ ، والسيوطي في الجامع الكبير ١٦/ ٢٦٩ ، برقم ٧٩١٩ ، والخصائص ٥. قال العلامة/ مجد الدين المؤيدي حفظه الله في اللوامع ٢/ ٤٦٠ ما لفظه : «خبر الطير » رواه أئمة العترة عليهم السلام منهم المنصور بالله في الشافي ٣/ ١٤٦ ، والأمير الحسين في الينابيع قال : وهذا الخبر مما احتج به أمير المؤمنين ﷺ يوم الشورى بمحضر الصحابة ولم ينكر عليه منهم منكر انتهى . قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الحاكم ٣/ ١٠٤٣ : أما حديث الطير فله طرق كثيرة ، وقد أفردتها في مصنف ومجموعها يوجب أن يكون له أصلاً ، وابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٣٠ ، وأخرجه صاحب فضائل الخمسة بكل طرقه ٢/ ١٨٩ ، ١٩٥ ، وابن البطريق في العمدة ١٣٠ ، وتذكرة الخواص ٤٤ ، وتهذيب التهذيب في ترجمة أبي الهندي ١٢/ ٢٦٨ ، وأخبار أصبهان لأبي نعيم ١/ ٢٣٢ ، وميزان الاعتدال رقم ٢٢٨٠ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٣٦٩ ، ومصابيح السنة ٢/ ٥١٧ برقم ٢٦٧٧ ، وترجمة الإمام علي لابن عساكر ٢/ ١٠٥ و١٥٨ برقم ٦١٢ - ٦٤٥ ، وجامع الأصول ٨/ ٦٥٣ برقم ٦٤٩٤ ، وأسد الغابة ٤/ ١٠٤ ، وكنز العمال ٣٦٥٠٥ - ٣٩٦٤ ، والجامع الكبير للسيوطي ١٦/ ٢٦٩ برقم ٧٩١٦ ، ٧٩١٨ ، ٧٩١٩ ، والعلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ٢٢٥ ، ولسان الميزان ١/ ٧١ ، ٨٥ ، والعقيلي في الضعفاء ١/ ٤٦ ، ٤/ ٨٣ ، ١٨٩ . والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٨٧ ، وكفاية الطالبين ٤٤ ، وابن عدي في الكامل ١/ ٢١٤ ، وحلية الأولياء ٥٤/ ٣٩٥ ، ٦/ ٣٧١ برقم ٨٩٧٣ ، ومختصر مسند البزار لابن حجر العسقلاني ٢/ ٣١٥ - ٣١٦ برقم ١٩٢٥ - ١٩٢٦ ، وكشف الأستار ٢٥٤٨ . وقد أفرد السيد الميلاني له جزأين ١٣ ، ١٤ ، وأخرج جميع من روى هذا الحديث ، وبين طرقه ، ورد على من ضعفه فتأمل .

وروينا عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة إذ بدت رمانة من الكعبة، فاخضرَّ المسجدُ لحسن خضرتها، فمد رسول الله ﷺ يده إليها فتناولها ومضى رسول الله ﷺ في طوافه، فلما انقضى طوافه صلى بالمقام ركعتين، ثم فلق الرمانة نصفين كأنها قدَّت، فأكل النصف وأطعم عليًا عليه السلام النصف فرنخت [أي استرخت] أشداقهما لعذوبتها، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال: «إن هذه قطف من قطوف الجنة لا يأكله إلا نبي أو وصي نبي ولولا ذلك لأطعمناكم» وروينا عن زيد الباهلي أن رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين وقال: «يا علي أنت أخي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، أما علمت يا علي أن أول من يُدعى به يوم القيامة يُدعى بي، فأقوم عن يمين العرش في ظله فأكسى حُلةً خضرآء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على بعض فيكونون سِمَاطَين[1] عن يمين العرش، ثم يكسون حللاً خُضراً من حلل الجنة، وإني أخبرك يا علي أن أمتي أول الأمم يحاسبون، ثم إنه أول من يدعى بك لقرابتك مني ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوآئي وهو لوآء الحمد، وتسير به بين السماطين، آدم عليه السلام وجميع خلق الله يستظلون بظل لوآئي يوم القيامة طوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمرآء، قصبته من فضة بيضآء، زُجُّه[2] درة خضرآء، له ثلاث ذوآئب من نور: ذؤآبة في المشرق، وذؤآبة في المغرب، والثالثة وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطر: الأول بسم الله الرحمن الرحيم، والثاني الحمدلله رب العالمين، والثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله، طول كل سطر مسيرة ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللوآء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بين يدي

---

(١) سِمَاطُ القوم: صفهم. قاموس ٨٦٧.

(٢) الزُّجّ: الحديدة التي في أسفل الرمح. مختار الصحاح ٢٦٨

إبراهيم عليه السلام في ظل العرش، ثم تكسى حلة خضراء، ثم ينادي مناد من تحت العرش نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، أبشر يا علي إنك تُكسى إذا كُسيتُ، وتُدعى إذا دُعيتُ، وتحبى إذا حُبيتُ»[1] . **وروينا** بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا علي أنت فارس العرب، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، وأنت رفيقي في الجنة، وأنت أخي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وأنت سيف الله الذي لا يخطئ»[2].

وروينا[3] بالإسناد عن عامر بن واثلة قال : كنت على الباب يوم الشورى إذ دخل علي عليه السلام وأهل الشورى وحضرهم عبدالله بن عمر فسمعت عليًا عليه السلام يقول : «بايع الناس أبا بكر، فسمعت وأطعت، ثم بايعوا عمر فسمعت وأطعت، ثم يريدون أن يبايعوا عثمان إذًا أسمع وأطيع، ولكني محتج عليكم : أنشدكم الله هل تعلمون فيكم أحدًا أحق برسول الله صلى الله عليه وآله مني ؟ قالوا : اللهم لا . **قال** : أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له عمٌ مثل عمي حمزة أسد الله وعم رسوله وسيد الشهدآء؟ قالوا : اللهم لا . **قال** :أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له أخ كأخي جعفر له جناحان أخضران يطير بهما مع الملآئكة ؟ قالوا : اللهم لا . **قال** : أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له زوجة مثل زوجي فاطمة سيدة نسآء الجنة؟ قالوا : اللهم لا . **قال** : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم صلى الله عليه وآله هل فيكم من

---

(١) في (ب): وتحيّى إذا حييتَ . مناقب المغازلي ٤٦ .

(٢) أمالي أبي طالب ص٦٦، وورد برواية أنت قاتل الناكثين والمارقين والقاسطين في المصادر التالية : ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١/ ٢٠٠ - ٢١٤ برقم ١١٢٠٦ إلى ١٢١٩ ، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٣٨، و ٩/ ٢٣٥ ، ومختصر الزوائد ٢/ ١٧٤ برقم ١٦٤٠ ، وابن عدي في الكامل ٢/ ٢٣٦ ، والمعجم الأوسط ٨/ ٢١٣ برقم ٨٤٣٣ ، وتلخيص الحبير ٤/ ٤٤ ، وأسد الغابة ٤/ ١٠٨ ، ومستدرك الحاكم ٣/ ١٣٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٧٢٥، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٠٤، والبداية والنهاية ٧/ ٣٣٨ - ٣٣٩ ، والسيوطي في الجامع الكبير ١٦/ ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) مناقب المغازلي ٢٤٦ ، وكفاية الطالب ٣٨٩٦ ، وميزان الاعتدال ١/ ٢٠٥ .

أحد له سبطان مثل سبطيَّ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة[1] ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . **قال** : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم ﷺ هل فيكم من أحد وحَّد اللهَ قبلي؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . **قال**[2] : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم أيها النفر جميعًا هل فيكم من أحد صلى القبلتين غيري[3] ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . **قال** : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد نصر أبوه رسولَ الله ﷺ وهو مشرك[4] غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . **قال** : فأنشدكم بالله ويحق نبيكم هل فيكم من أحد أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً غيري؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . **قال** : فأنشدكم بالله ويحق نبيكم هل فيكم من أحد أَقْتَلُ لمشركي قريش في حرب رسول الله ﷺ وإخراجه ناجزاً عنه عند كل شديدة تنزل مني ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . **قال** : فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد مسح رسول الله ﷺ عينيه وأعطاه الراية يوم خيبر وقال : لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله عليه ، ليس برعديد ولا جبان غيري؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . **قال** : فأنشدكم بالله وبحق

---

(١) يعني بهما يحيى بن زكريا ، وعيسى بن مريم سلام الله عليهما .

(٢) من هنا تبدأ النسخة الأصل والتي بخط المؤلف . ظن .

(٣) المعلوم أن النبي ﷺ صلى في المدينة إلى بيت المقدس ثم حولت القبلة إلى الكعبة . وعليه فليس في هذا احتجاج ، ولكن عليًا عليه السلام صلى قبل الناس مع رسول الله سبع سنين وكانت القبلة هي بيت المقدس وكان الرسول يحب التوجه إلى الكعبة ؛ لأنها قبلة آبائه .

(٤) بمعنى نصر النبي ﷺ وهو مشرك ، ثم أسلم واستمر في النصرة ، وهو متظاهر بالشرك ؛ لأنه كتم إسلامه وهذه من مناقبه ؛ لأن القوم الذين احتج عليهم علي عليه السلام لم يعرف من آبائهم إلا الشرك والمعارضة للنبي ﷺ ، وأما إسلام أبي طالب فمشهور فهو الذي ظل يدافع عن رسول الله ﷺ قرابة نصف قرن وعندما مات ، سَمَّى رسولُ الله ﷺ ذلك العام : عام الحزن وقد روي عن علي عليه السلام (ما عَبَدَ أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبدمناف صنما قط . قيل فماذا كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم الخليل متمسكين به) . وقد أفرد العلامة زيني دحلان كتابا في ذلك وسمَّاه (أسنى المطالب في إسلام أبي طالب) .

نبيكم هل فيكم من أحد نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله للناس ولكم يوم غدير خم ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه غيري؟ قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد واخاه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم آخى بين المسلمين وقال له : أنت أخي وأنا أخوك ترثني وأرثك ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد بارز عَمْراً بن عبد ودٍّ . يوم الخندق وقتله غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق رسول الله صلى الله عليه وآله هل فيكم من أحد وقف مع الملائكة يوم حنين غيري –حين ذهب الناس –؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد اشتاقت الجنة إلى رؤيته بقول نبيكم غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله في أهله غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد له سبق مثل سبقي في الأسلام؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد ورث سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ودوابَّه عند موته غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد له شقيق مثل شقيقي ، ووزير مثل وزيري[1]؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو أغنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله مني حين اضطجع في مضجعي[2] ، وأضجعني في مضجعه ، وبذلت له مهجة دمي وأقيه بنفسي ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله ، وبحق نبيكم هل

---

(١)هكذا في المخطوطات . في هامش الأمالي الصغرى ص١١٩ ما لفظه : في هامش نسخة العلامة محمد يحيى مطهر : الشقيق : يحتمل أن يكون أراد به جعفر(ع) كل ذلك بشرف انفراده عنهم ، وكذلك الوزير يحتمل الأخ كما تقدم . انتهى ذكر معناه حميد في محاسنه . تمت .

(٢)في نسخة : مضجعه .

فيكم من أحد له سهمان كسهمي سهم في الخاصة، وسهم في العامَّة؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله، وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو أحدث عهدًا برسول الله ﷺ مني؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله، وبحق نبيكم، هل فيكم من أحد وَلِيَ غسل رسول الله ﷺ بالروح والريحان مع الملائكة المقربين غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله، وبحق نبيكم، هل فيكم من أحد قال له رسول الله ﷺ: اغسلني فإنه لا يرى أحدٌ شيئًا من عورتي إلاَّ عُمِيَ غيرك يا علي؟، قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد وضع رسول الله ﷺ في حفرته ولفَّ عليه أكفانه غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله وبحق نبيكم، هل من أحد أمر الله بمودَّته من السمآء حيث يقول: ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى** ﴾ [الشورى: ٢٣] غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد جارُ رسول الله ﷺ في مسجده، يحل له فيه ما يحل لرسول الله، ويحرم عليه ما يحرم على رسول الله ﷺ، وأمر الله نبيه بسد أبواب المهاجرين، وأخرجهم غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد قال له رسول الله ﷺ حين قال له ذووا قرابته: سددت أبوابنا وأخرجتنا من مسجدك، وتركت عليًا عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: ما أنا أخرجتكم، ولا سددت أبوابكم ولا تركت عليًا، لكن الله أمرني بإخراجكم، وترك عليًا ولم يخرجه؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال علي** عليه السلام: اللهم اشهد، وكفى به شهيدًا بيني وبينكم، أسمع وأطيع وأتبع وأصبر حتى يأتي الله بالفتح من عنده، شأنكم فاصنعوا ما بدا لكم، ثم قال هذه الأبيات:

محمد النبيُّ أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يضحي ويمسي | يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي | مشوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها | فأيكمُ له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرًّا | غلامًا ما بلغت أوان حلمي
وأوجب بالولاية لي عليكم | رسول الله يوم غدير خم

وروينا بالإسناد عن أبي الفرج عبدالواحد بن محمد المخزومي الشاعر المعروف بالببغا[1]، قال: كنت بصور في سنِّي نيف وخمسين وثلاثمائة عند أبي علي محمد بن علي المستأمن، وإنما لقب بذلك لأنه استأمن من عسكر القرامطة إلى أصحاب السلطان بالشام وهو على حماية البلد، فجآءه قاضيها أبوالقاسم بن إبان وكان شابًا أديبًا فاضلاً جليلاً واسع المال عظيم الثروة ليلاً فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه، قال: أيها الأمير قد حدث الليلة أمر ما لنا بمثله عهد، وهو أن في هذه البلد رجلاً ضريراً، يقوم كل ليلة في الثلث الأخير فيطوف في البلد ويقول بأعلى صوته: يا غافلين اذكروا الله، يا مذنبين استغفروا الله، يا مبغض معاوية عليك لعنة الله، وأن رابّتي التي ربتني كانت لها عادة في أن تنتبه على صياحه، فجآءتني الليلة وأيقظتني قالت: كنت نآئمة فرأيت في منامي كأن الناس يهرعون إلى المسجد الجامع فسألت عن السبب، فقالوا: رسول الله ﷺ هناك؛ فتوجهت إلى المسجد فدخلته ورأيت النبي ﷺ على المنبر وبين يديه رجل واقف، وعن يمنيه ويساره غلامان واقفان، والناس يسلمون على رسول الله ﷺ ويردُّ عليهم السلام، حتى رأيت ذلك الضرير الذي يطوف في البلد ويذكُر، ويقول: كذا وكذا - و أعادت ما يقوله في كل ليلة- قد دخل فسلَّم على النبي ﷺ فأعرض عنه، وعاوده فأعرض عنه، فقال الرجل الواقف: يا رسول الله

---

(١) قال في الحاشية: لقب بذلك للثغة كانت فيه.

رجـل من أمتـك ضرير يحفظ القرآن يسلِّم عليك فلمَ حرمته الرد عليه؟ فقال له : يا أبا الحـسن هذا يلعنك ويلعن ولدك منذ ثلاثين سنة ، فـالتـفـت الرجل الواقف فقال : يا قنبر ، فإذا أنا برجل قد برز ، فقال : اصفعه فصفعه صفعةً فخر على وجهـه ، ثم انتبـهت فلم أسـمع له صـوتًا ! وهذا هو الوقت الذي جـرت عـادته بالصياح والطواف والتذكير . قال أبو الفرج : فقلت أيها الأمير تنفذ من يعرف خبره ، فأنفذنا في الحال رسولاً قاصداً ليخبر أمره ، فجآءنا يُعرِّفنا أن امرأته ذكرت أنه عرض له في هذه الليلة حكاك شديد في قفاه[1] فمنعه من التطواف والتذكير ، فقلت لأبي علي المستأمن : أيها الأمير هذه آية ونحب أن نشاهدها ، فركبنا وقد بقيت من الليل بقية يسيرة ، وجئنا إلى دار الضرير فوجدناه نآئمًا على وجهـه يخور ، فسألنا زوجته عن حاله ، فقالت : انتبه وحك هذا الموضع ، وأشارت إلى قفاه ، وكان قد ظهر فيه مثل العدسة ، وقد اتسعت الآن وانتفخت وتشققت ، وهو الآن على مـا تشاهدون يخور ولا يعقل ، فانصرفنا وتركناه ، فلمـا أصبح توفي فـأكب أهل صور على تشييع جنازته وتعظيـمـه . قـال أبو الفـرج : واتفق أني لما وردت إلى باب عـضـد الدولة بالموصل في سنة ثمـان وستين وثلاثمـآئة لزمتُ دار خازنه أبي نصر خرَّشيْذ يزديار بن مافنّه ، وكان يجتمع فيها كل يوم خلق كثير من طبقات النا س ، فحدثت بهذه الحكاية جماعة في دار أبي نصر : منهم القاضي أبو علي التنوخي رحـمـه الله ، وأبو القاسم الحسين بن محـمـد الجنَّابيّ ، وأبا إسـحاق النصيبي ، وابن طُرخان وغيرهم ، فكلهم ردَّ عليَّ واستبعد ما حكيته على أشنع وجه غير القاضي أبي علي رحـمه الله فإنه جوَّز أن تكون هذه الحكاية صحيحة وشيَّدها وحكى في مقابلتها ما يقاربها ، ثم مضت على هذه مُديدة[2] يسيرة ،

---

(١)في الأصل سقطت (قفاه).

(٢)في الأصل : (مدة) .

فحضرت دار أبي نصر على العادة واتفق حضور أكثر الجماعة، فلما استقر بي المجلس سلَّم عليَّ فتًى شاب لم أعرفه فاستثبته. فقال: أنا ابن أبي القاسم بن أبان قاضي صور، فبدأت فأقسمت عليه بالله يمينًا مكررة مؤكدة وبأيمان كثيرة مغلظة محرجة إلا صدق فيما أسأله عنه، فقال: نعم عندي أنك تريد أن تسألني عن المنام والضرير المذكَّرْ وميتته الطريفة، فقلت: نعم هو ذاك فبدأهم وحدثهم بمثل ما حدثتهم به، فعجبوا من ذلك واستطرفوه وأنشد الساري قال أنشدنا والدي لنفسه:

لن يبلغوا مدح النبي وآله قوم إذا ما بالمدائح فاهوا
رجل يقول إذا تحدث قال لي جبريل أرسلني إليك الله

وهو عليه السلام في الجهاد السابقُ في الميدان، المبيدُ للأقران، المقطِّرُ للشجعان، روينا عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال لي معاوية: أتحب عليًا؟ قلت: وكيف لا أحبه وقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، ولقد رأيته بارز يوم بدر وهو يحمحم كما يحمحم الفرس، ويقول:

(ما تنقم الحرب العَوانُ مني)[1]
بازل عامين حديثٌ سنِّي سنحنح الليل كأني جني
ثم قال: لمثل هذا ولدتني أمي

فما رجع حتى خضَّبَ سيفه دمًا[2]. وروينا عن عبدالله قال: دخل علي بن أبي طالب عليه السلام - يوم قتل عمرو بن عبد ودٌّ - على رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه

---

(١) ما بين القوسين في (أ) فقط. والعوان: من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا. مختار الصحاح ٤٦٣.

(٢) مناقب ابن المغازلي ٤٨ رقم ٤٨، وعمدة عيون الصحاح ١٨١ برقم ٢٠٧، وينابيع المودة ١٤/٥٩.

يقطر دمًا فقال ﷺ: اللهم اتحف عليًا بتحفة لم تتحف بها أحدًا قبله، ولا تتحف بها أحداً بعده، قال: فهبط جبريل على النبي ﷺ بأترجّة، فإذا فيها سطران مكتوبان: هدية من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب[1]، وأنشد عليه السلام في قتل عمرو بن عبد ودّ:

أعليَّ تقتحم الفوارس هكذا	عني وعنهم أخبروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي	ومصممٌ في الهام ليس بنابي
آلى ابن عبد حين شدَّ أليَّةً	وحلفت فاستمعوا منَ الكذاب
أن لا يصد ولا يهلل فالتقى	رجلان يضطربان أيَّ ضراب
فصددت حين رأيته متقطراً	كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو انني	كنتُ المقطَّرَ بزَّني أثوابي

وروينا عن سعيد بن المسيب قال: لقد أصابت عليًا عليه السلام يوم أحد ست عشرة ضربة، كل ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا جبريل عليه السلام.

وروينا عن المنتجع بن قارض النهدي أن أباه حدَّثه، وكان جاهليًا قال: شهدت هوازن يوم هوازن، وكنت امرأً نَدبًا يسودني قومي، ولقينا رسول الله ﷺ، فرأيت في عسكره رجلاً لا يلقاه قرن إلا دهدهه، ولا يبرز إليه شجاع إلا أرداه، فصمد له وبرز إليه الجلموز بن قربع، وكان والله ما علمته حوشي القلب، شديد الضرب، فأهوى له الرجل بسيفه، فاختلى قحف رأسه على أم دماغه، فحِدْتُ عنه وَجَعَلْتُ أرمقه وهو لا يقصد ركاكة، ولا يؤمُّ إلا صناديد الرجال، لا يدنو من رجل إلا قتله، وكانت الدائرة لمحمد ﷺ علينا، فأسلمت بعد ذلك، فتعرَّفتُ الرجلَ، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وتالله لقد رأيت زنده فخلته أربع أصابع، وإن أول خنصره كآخر مفصل من مرفقه. وروينا عن عبدالله

---

(١) كفاية الطالب للكنجي ٧٨.

ابن الحسن عليه السلام قال: بارز علي بن أبي طالب عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين مبرزاً.

وروينا في خبر أنه صلى الله عليه وآله لما قفل من غزوة تبوك، وقسم للناس الغنائم، دفع إلى علي عليه السلام سهمين، فأنكر ذلك قوم! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس هل أحدٌ أصدق مني؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: أيها الناس أما رأيتم صاحب الفرس الأبلق أمام عسكرنا في الميمنة مرة، وفي الميسرة؟ قالوا: رأيناه يا رسول الله. فماذا؟ قال: ذلك جبريل عليه السلام قال لي يا محمد: إن لي سهماً مما فتح الله عليك، وقد جعلته لابن عمك علي بن أبي طالب فسلّمه إليه، قال أنس: فكنت فيمن بشر علياً عليه السلام بقول رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان عليه السلام في العلم البحر الذي لا ينتهي إلى قراره، والغمام الذي لا يقلع ديمة مدراره.

وقد روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»[1] وقال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة الحكمة

---

(1) ابن عساكر ٢/ ٤٦٤ برقم ٩٨٤ –٩٩٧، وشواهد التنزيل للحسكاني ١/ ٣٣٤ برقم ٤٥٦، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٢٦، ١٢٧، وأسد الغابة ٤/ ٩٥، وابن المغازلي ٨١، وكفاية الطالب ٢٢٠، وينابيع المودة ٧٧، والاستيعاب ٣/ ٢٠٥، وابن أبي الحديد ٧/ ٢١٩، وذخائر العقبى ٧٧، وجامع الأصول ٩/ ٤٧٣ برقم ٦٤٨٩، وفضائل الخمسة ٢/ ٢٥٠، ومسند الكلابي ٣٦٣، والجامع الصغير للسيوطي ١/ ٤٥١، والجامع الكبير للسيوطي ١٦/ ٢٥٩ برقم ٧٨٨١، والرياض النضرة ٢/ ٢٥٥، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ١٥٠، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٣٠٨ برقم ٣٤٦، وتاريخ جرجان ٦٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٣٦، والصواعق المحرقة ٣٣٧، وحاوي الفتاوى للسيوطي ٢/ ١١٧، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٨٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٩، والفوائد المجموعة للشوكاني ٣٤٩. والفردوس للديلمي ١/ ٤٤، وتاريخ بغداد للخطيب ٤/ ٣٤٨، ٧/ ١٧٣، ١١/ ٤٨، والمواهب اللدنية ١/ ١٨٣، والطبراني في الكبير ١١/ ٦٦، وأسنى المطالب في مناقب آل أبي طالب ٦٩، وابن عدي في الكامل ١/ ١٩٣، ١٩٥، ٣/ ١٢٤٧، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٥٠–٣٥٣، ومجمع الزوائد ٩/ ١١٧، والأميني في الغدير ٦/ ٦١، من مائة وثلاثة وأربعين مصدراً، وكنز العمال برقم ٣٢٩٧٨، ٣٢٩٨٠، ٣٦٤٦٣، ولقد خصص له الميلاني ثلاثة مجلدات من كتابه نفحات الأزهار ١٠، ١١، ١٢.

وعلي بابها، فمن أراد الحكمة، فليأت الباب»[1]، وعن عمر أنه قال: لا أبقاني الله لمعضلة لا أرى فيها ابن أبي طالب[2]، وعنه: «لولا علي لهلك عمر»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: وجدنا العلم على ستة أسداس: لعلي منها خمسة أسداس خاصة، ولسائر الناس سدس واحد، ويشاركهم فيه، وعنه رحمه الله تعالى قال: «لعلي عليه السلام خصالٌ قواطع: بسطة في العشيرة، وصهر بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وعلم بالتنزيل، وفقه بالتأويل، وصبر إذا دعيت نزال».

وعنه في صفة أمير المؤمنين عليه السلام: «كان والله يشبه القمر الباهر، والحسام الباتر، والربيع الباكر، والفرات الزاخر، والليث الخادر، فأشبه من القمر ضوءه وبهاءه، ومن الحسام حدَّه وجلاءه، ومن الربيع خصبه وحياءه، ومن الفرات جوده وسخاءه، ومن الليث شجاعته ومضاءه.

وروينا عن سعيد بن كلثوم قال: كنت عند جعفر بن محمد، فذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فأطراه، ثم قال: والله ما أكل عليٌ من الدنيا حرامًا قط حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قط هما لله برضى إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نازلةٌ إلا دعاه فقدَّمه أمامه ثقةً به، وما أطاق عملَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة غيرُه، وإن كان ليعمل عمل رجل كأنَّ وجهه

---

(١) الترمذي ٥/ ٥٩٦ برقم ٣٧٢٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٢٠٤، ومناقب أحمد ٢ برقم ١٠٨١، ولسان الميزان ٤/ ٣٣٢، ٥/ ٧٠، وابن عدي ٥/ ١٨٢٣، ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٥١٦ برقم ٢٦٧٩، وذخائر العقبى ٧٧، وكنز العمال ١١/ ٦٠٠ برقم ٣٢٨٨٩، ومناقب ابن المغازلي ١١٩ برقم ١٢٨.

(٢) فرائد السمطين ١/ ٣٨٤، والفخر الرازي ١٦/ ٣٢/ ١١ تفسير سورة التين، وذخائر العقبى ٨٢، وابن عساكر ٣/ ٥٠.

(٣) الأحكام ٢/ ٢٢٠، مجموع الإمام زيد ٣٣٥، وفرائد السمطين ١/ ٣٥١، الرياض النضرة ٢/ ١٩٤، الغدير ٦/ ٨٣، وأسد الغابة ٣/ ٢٠٦.

بين الجنة والنار، يرجو ثواب هذه، ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله، والنجاة من النار، مما كدَّ بيده، ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوِّت أهله بالزيت والخل والعجوة، وما كان لباسه إلا الكرابيس، إذا فضل شيء عن يده من كمِّه دعا بالجلم فقصه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحدٌ، وإن كان أقرب القوم شبهًا به في لباسه وفقهه علي بن الحسين عليهما السلام.

وعن عروة بن الزبير قال: كنا جلوسًا في مسجد رسول الله ﷺ، فتذاكرنا أعمال بدر، وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: ألا أخبركم بأقل القوم مالاً، وأكثرهم ورعًا، وأشدهم اجتهادًا في العبادة؟ قالوا: مَن هو؟ قال: علي ابن أبي طالب، قال: فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرضٌ عنه بوجهه، ثم ابتدر له رجلٌ من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها فقال أبو الدرداء: يا قوم إني قائل ما رأيت، وليقل كل امرء ما رأى؛ شهدت عليًا ﷺ، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بفَسلان النخل، فافتقدته فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجي، وهو يقول: إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك، فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي ﷺ بعينه، فاستترت منه، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والاستغفار والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به ربه أن قال: إلهي أفكر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليه بليتي، ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فياله مَن مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء، ثم قال: آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى، آهٍ من نار نزاعة للشوى، آهٍ من ملهبات لظى.

قال: ثم أنعم في البكآء فلم أسمع له حسًا ولا حركة، فقلت: غلبه النوم بطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر فأتيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، فزويته فلم ينزو، فقلت: إنا لله وإنا لله راجعون، مات والله علي بن أبي طالــب، قال: فأتيت منزله مبادرًا أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدردآء هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بمآء فنضحوه على وجهه فأفاق، فنظر إليّ وأنا أبكي، فقال: ما بكآؤك؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدردآء فكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب، وأيقن أهل الجرآئم بالعقاب[1]، واحتوشتني ملآئكة غلاظ، وزبانية أفظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحبآء، ورحمني أهل الدنيا؛ لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية!

قال أبو الدردآء: ما رأيت أحدًا من أصحاب محمد ﷺ مثل ذلك.

وروينا عن محمد بن السآئب عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية، فقال له: صف لي عليًا، فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك، قال: إذ لا بد، فإنه كان والله بعيد المدا، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه[2]، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفيه، ويحاسب نفسه، يُعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن.

كان والله كأحدنا يدنينا إذا أذناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع قربه منا لا نكلمه هيبةً منه، وإن تبسمً فمثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله

---

(١) في (ج): بالعذاب.

(٢) في (ب، ج): نواجذه.

لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، مُمثَّلاً في محرابه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكآء الحزين، وكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدينا : أبي تعرّضت، أم بيَّ تشوّقت، هيهات هيهات غرّي غيري لا حان حينك، قد بَتَتُّك ثلاثًا، فعمرك قصير، وخطرك كبير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، قال: فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكآء، فقال: كذا كان أبو الحسن فكيف وَجْدُكَ عليه يا ضرار؟ قال: وَجْدُ من ذُبح واحدُها في حجرها، لا ترقأ دمعتُها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج[1].

وروينا عن زيد بن علي عليهما السلام قال: اجتمع نفر من قريش فيهم علي ابن أبي طالب عليه السلام فتفاخروا، فقالوا شيئًا من الشعر حتى انتهو إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا : يا أبا الحسن قل فقد قال أصحابك، فقال عليه السلام :

الله أكرمنا بنصر نبيه	وبنا أقام دعآئم الإسلام
وبنا أعزَّ نبيه وكتابه	وأعزّه بالنَّصر والإقدام
في كل معترك تطير سيوفنا	فيها الجماجم من قراح الهام
ينتابنا جبريل في أبياتنا	بفرآئض الإسلام والأحكام
فنكون أوّل مستحلٍّ حلّه	ومحرّمٍ لله كل حرام
نحن الخيار من البرية كلها	ونظامها وزمام كل زمام
الخآئضو غمرات كل كريهة	والضامنون حوادث الأيام
والمبرمون قوى الأمور بعزمهم	والناقضون مراير الإبرام
سآئل أبا كرب وسآئل تُبّعًا	عنا وأهل العير والأزلام
إنا لنمنع من أردنا منعهم	ونجود بالمعروف والإنعام

(١) حلية الأولياء ١/١٢٦ رقم ٣٦١، والاستيعاب ٣/٢٠٩ وصفة الصفوة.

وترد عادية الخميس سيوفُنا   وتقيم رأس الأصيد القمقام[1]

وروينا عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال أهل الشام لمحمد بن الحنفية، وقد برز في بعض أيام صفين: هذا ابن أبي تراب، هذا ابن أبي تراب، فقال لهم محمد بن الحنفية: إخسئوا ذريَّة النَّار، وحشو النفاق، وحَصَب جهنم أنتم لها واردون، عن الأسل النافذ، والنجم الثاقب، والقمر المنير، ويعسوب المؤمنين، من قبل أن تطمس وجوه فتردّ على أدبارها، وتلعنوا كما لعن أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولاً.

أو لا تدرون أي عقبة تتسنمون، بل ينظرون إليك وهم لا يبصرون، أصنوَ رسول الله ﷺ تستهدفون؟ ضلةً بكم، هيهات برّز والله بسبق، وفاز بخصل محرزاً القصبات سبقه، فانحسرت عنه الأبصار، وتقطعت دونه الرقاب، واحتفزت دونه رجال، وكرّثهم السعي، وفاتهم الطلب، وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد. فخفضًا أقلّوا لا أبًا لأبيكم من اللوم، أو سدوا المكان الذي سدوا، وأنّى تسدون مسدّ أخي رسول الله ﷺ إذ شفعوا، وشبيه هارون إذ منحوا، والبادي ببدر إذا ابتدروا، والمدعو إلى خيبر إذ نكلوا، والصابر مع هاشم يوم هاشم إذ حصّلوا، والخليفة على المهاد ومستودع الأسرار!

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأنّى يبعد عن كل مكرمة وعُلاً وقد نمته ورسول الله أبوةٌ، وتفيئا في ظلٍ، ودرجا في سكن، وربيا في حجر، منتجبان مطهران من الدنس، فرسول الله ﷺ للنبوءة، وأمير المؤمنين عليه السلام للخلافة، خلافة قد رفع الله عنها سُنّة الاستبداد، وطمس عنها وسم الذلة فقد حلأها عن شربها أخذاً بأكظامها، يرحضُها عن مال الله حتى عضّها الثقاف، و مضها فرض الكتاب، فجرجرت جرجرت العود، فلفظته أفواهها، ومجته شفاهها، ولم يزل على ذلك وكذلك،

---

(١) ديوان الإمام علي ص ٩٢، وتاريخ ابن عساكر ٤٢ / ٥٢٢.

حتى أقشع عنكم ريب الذّلة، واستنشقتم ريح[1] النَّصفَة، وتطعمتم قسمة السوآء، سياسة مأمون الخرفة[2]، مكتهل الحنكة، طبٌّ بأدوآئكم، فَمن بدوآئكم، يبيت بالربوة، كالياً لحوزتكم، جامعًا لقاصيتكم، يقتات الجريش، ويلبس الهدْم، ويشرب الْخمس، وأنتم تريدون أن تطفئوا نور الله بأفواهكم: ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

ثم إذا تكافح السيفان، وتبادرت الأقران، وطاح الوشيج، واستسلم الوشيظ وغمغمت الأبطال، ودَعَت نزال، وغرّدت الكماة، وقلّصت الشفاه، وقامت الحرب على ساق، وسألت عن أبراق، الفيتَ أمير المؤمنين مثبتًا لقطبها، مديرًا لرحاها، دلاقًا للبُهم، ضرابًا للقلل، سَلابًا للمُهج، ترّاكًا للونية[3]، مُثكل أمهات، ومُؤيِّم أزواج، ومؤتم أطفال، طامحًا في الغمرة، راكدًا للجولة، يهتف بأولاها فتنكفئ على أُخراها، فآونة يكفاها، وفينة يطويها طي الصحيفة، وتارة يفرقها فرق الوَفرة، فبأي مناقب أمير المؤمنين تكذبون، وعن أي امرءٍ مثل حديثه تروون، وربنا المستعان على ما تصفون، وتفصيل مناقبه عليه السلام تخرجنا عن المراد وإنما نبهنا عن اليسير دون الكثير.

وقد روينا في مثل هذا المعنى عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أن الغياض أقلام، والبحار مداد، والجن كُتّاب، والإنس حُسَّاب ما أحصوا فضآئل علي بن أبي طالب»، فكيف يروم أحد مع ذلك الإحاطة بمناقبه والإحصآء لمكارمه.

هذا وقد روينا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦١] أن رسول الله ﷺ دعا عليًّا وفاطمة عليهما السلام، والحسن والحسين، فكانت الأنفس المراد بها نفس النبي ونفس علي صلوات الله عليهما، والنسآء المراد بها فاطمة عليها السلام،

---

(١) في (ج): روح.

(٢) في (ب): الحرفة.

(٣) في (ج): للوثبة.

والأبناء المراد بها الحسن والحسين عليهما السلام[1]، وهذا شرف لا يسامى، وفضل لا يداني، ومَن مدحه مُحكم التنزيل؛ اكْتُفِيَ في ظهور فضله عن التطويل، ولله القائل:

يفنى الكلام ولا يحاط بمدحكم　　　أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

ذكر بيعته ونبذ من سيرته عليه السلام

بُويِعَ له عليه السلام بالخلافة يوم الجمعة بعد العصر بالمدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة. وهو اليوم الذي قُتِلَ فيه عثمان، وبويع له في الغد يوم السبت، وامتدت البيعة على ما قيل ثلاثة أيام[2]، وأول من بايعه طلحة، ثم الزبير، ثم من حضر من المهاجرين والأنصار وسواهم، وكان يأخذ البيعة على الناس عمّار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيِّهان، ولما بويع له على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقف خزيمة بن ثابت الأنصاري بين يدي المنبر[3] وأنشأ يقول:

---

(١) ينابيع النصيحة ٣٤٩، ومسلم ٤/ ١٨٧١ فضائل علي عليه السلام، والترمذي ٥/ ٥٩٦ رقم ٣٧٢٤، وأحمد بن حنبل ١/ ٣٩١ رقم ١٦٠٨، والنسائي في الخصائص ٣٢ رقم ٩، والحاكم في مستدركه ٣/ ١٣٣، وشواهد التنزيل للحسكاني ١/ ١٢٠ برقم ١٧٦١٦٨، ومناقب ابن المغازلي ٣٣١ برقم ٣١٠، وكفاية الطالب ١٤١- ١٤٤، وتفسير الطبري ٣/ ٢١١-٢١٣، وابن كثير ١/ ٣٧٠، وتفسير الكشاف للزمخشري ١/ ٢٨٢-٢٨٣، وتفسير القرطبي٢/ ٤/ ٦٧، وأسباب النزول للواحدي ٥٨، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٤٧-٣٤٨. وتفسير الفخر الرازي ٤/ ٩٠-٩١ وجامع الأصول لابن الأثير ٨/ ٦٥٠ برقم ٦٤٩١، وذخائر العقبى ٢٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٨ وتفسير الخازن ١/ ٤٦٦، وتفسير البغوي ١/ ٤٦٧، وأسد الغابة ٤/ ٩٩، والإصابة ٢/ ٥٠٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٧٦، وتفسير أبي السعود ٢/ ٤٦، ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٥٢١ برقم ٢٧٠٠، ومجمع البيان ٢/ ٣/ ١٠١، والدر المنثور ٢/ ٦٨-٧٠، وتفسير الماوردي ١/ ٣٩٨، والجلالين ٧٧، وتفسير الميزان ٣/ ٢٢٩.

(٢) أعيان الشيعة ١/ ٤٤٣، والطبري ٤/ ٤٢٧، والاستيعاب ٣/ ٥٩ - ١٦٠.

(٣) في (ج): أمير المؤمنين.

إذا نحن بايعنا عليًا فحسبنا أبو حَسَنٍ مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس إنه أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وإن قريشًا ما تشق غباره إذا ما جرى يومًا على الضُمَّر البُدُن
وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم كل الذي فيه من حسن

وقال خزيمة بن ثابت رحمه الله أيضًا عند اختلاف الناس على علي عليه السلام بعد البيعة – وكان يسمَّى ذا الشهادتين، قطع به رسول الله ﷺ وحده –:

ويلكم إنه الدليل على الله وداعيه للهدى وأمينه
وابن عم النبي قد علم النّاس جميعًا وصنوه وخدينه
كل خير يزينهم هو فيه وله دونهم خصال تزينه
ثم ويل لمن يبارز في الروع إذا ضمت الحسام يمينه
ثم نادى أنا أبوالحسن القرم فلا بد أن يطيح قرينه

(وقعة الجمل)

ولما استقرت له البيعة عليه السلام أتاه طلحة والزبير فاستأذناه للحج، فقال: ما الحج تريدان! ولكن اذهبا فذهبا، والتقوا بعائشة مقبلة من الحج، وعبدالله بن عامر، وجاء يعلى بن مُنية[1] من اليمن – وكان عاملاً فيه لعثمان، فاشتَوَرُوا واتفقت آراؤهم على الخروج إلى البصرة لمخالفة علي عليه السلام، والطلب بدم عثمان، وهؤلاء من عيون أهل عصرهم في الدنيا والدين[2]، ولهذا قال علي عليه السلام: في حربهم بُليتُ بأشجع الناس في الناس –يعني الزبير، وأطوع الناس في الناس–

(1) هو يعلى بن أميه، ومنية هي أمه لقب بها. أسد الغابة ٥/٤٨٦.

(2) الطبري ٤/ ٤٥٠، والبداية والنهاية ٧/٢٥٧، والكامل ٣/١٠٦، ومروج الذهب ٢/٣٥٦، وتأريخ اليعقوبي ٧/ ٧٩، وكتاب الفتوح ٢/ ٤٥١.

يعني عائشة، وأغنى الناس في الناس يعني- يعلى بن منية[1]، و راودوا أم سلمة رضي الله عنها على الخروج معهم فأبت[2].

وكتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان العبدي: بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أمّا بعد: إذا جآءك كتابي هذا فأقم في بيتك، واخذل الناس عن علي حتى يبلغك أمري، ولْيَبْلُغني عنك ما أُسَرُّ به، فإنك من أوثق أهلي عندي والسلام. فلمّا قرأ كتابها قال: أُمِرَتْ بأمرٍ وأُمِرْنا بغيره، أُمِرَتْ أن تجلس في بيتها، وأن تَقَرَّ فيه، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فركبتْ ما أُمرنا، وتأمرُنا أن نركب ما أُمِرتْ به[3]. ثم إن عائشة وطلحة والزبير ومن انضاف إليهم ساروا حتى نزلوا البصرة، وفيها عامل علي عليه السلام عثمان بن حنيف رحمه الله تعالى، فهَمُّوا بقتله، ثم حبسوه وحلقوا لحيته، وقتلوا رجالاً كثيراً كانوا معه على بيت المال وغير ذلك من أعماله[4]، فلمّا بلغ عليًا عليه السلام مسيرُهم خرج مبادراً إليهم واستنجد أهل الكوفة، ثم سار بهم إلى البصرة وهم بضعة عشر ألفًا، فخرج إليهم طلحة والزبير وعائشة بأهل البصرة فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهُزِمَ عسكرُ عائشة، وأمر أمير المؤمنين صلوات الله عليه بردِّها إلى المدينة، وقد كان رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر، فإذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها». **وروينا** أن عليًّا عليه السلام خرج على بغلة رسول الله ﷺ فنادى بأعلى صوته: «ادعوا لي الزبير، فَدُعيَ به، فقال علي: أنشُدُكَ الله، أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ، ونحن في مكان كذا؟ فقال: يا زبير أتحب

---

(1) الاستيعاب ٢/٣١٨، وكتاب الفتوح ٢/ ٤٦٣.

(2) كتاب الفتوح ٢/٤٥٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٧٨.

(3) الطبري ٤/ ٤٧٦، والبداية والنهاية ٧/٢٦١، وتأريخ اليعقوبي ٢/ ٨٠.

(4) الطبري ٤/ ٤٦٩، ومروج الذهب ٢/٣٥٨، وكتاب الفتوح ٢/ ٤٥٩.

عليًا؟ فقلت: ألا أُحبُّ ابن خالي وابن عمي، ومَنْ على ديني! فقال: يا علي أتحبُّه؟ فقلت: ألا أحب ابن عمتي، ومن على ديني! فقال: يا زبير أما والله لتقاتلنَّه وأنت له ظالم، فقال الزبير: بلى والله لقد نسيت منذ سمعته، ثم تذكرته الآن، والله لا أُقاتِلُكَ، فرجع الزبير يشقُّ الصفوف، فعرض له ابنه عبدالله، فقال: مالك؟ قال: ذكّرني عليٌّ عليه السلام حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «لَتُقاتلنَّه وأنتَ لهُ ظالمٌ»[1] فلا والله لا أقاتله، ثم ولّى وأنشد:

تَرْكُ الأمور التي تُخشَى عواقبُها	لله أجمل في الدنيا وفي الدين
نادى عليٌّ بأمر لستُ أُنكرُه	قد كان عَمْرُو أبيك الخيرَ مُذْحين
فاخترت عارًا على نار مؤجَّجَة	أنَّى يقوم لها خلق من الطِّين

ثم ذهب حتى نزل بوادي السباع، فقتله ابن جرموز وأتى برأسه عليًا عليه السلام فقال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار»[2] فقال ابن جرموز:

أتيت عليًّا برأس الزبير	وقد كنت أرجو به الزلفة
فبشر بالنار قبل العيان	فبئست بشارة ذي التحفة
فسيان عندي قتل الزبير	وضرطة عنز بذي الجُحْفَة[3]

ودعى عليٌّ عليه السلام أيضًا بطلحة فقال له: نشدتك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مَولاهُ، اللهم والِ مَن والاه، وعاد من عاداه»؟ قال: نعم. قال: فلمَ تُقاتلُني؟ قال: لم أذكر، وانصرف[4].

وروي أنه لما رُمِيَ بسهم قال بعد ما أفاق من غشيته: ما رأيتُ مصرع قرشي

---

(١) أمالي أبي طالب ص ٧٠.

(٢) القرطبي ٨/ ٢١١.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٩٢، والبداية والنهاية ٧/ ٢٦٩، ومروج الذهب ٢/ ٣٦٢، وكتاب الفتوح ٢/ ٤٦٩، وتأريخ اليعقوبي ٢/ ٨١.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٣١٨، ومروج الذهب ٢/ ٣٦٤.

أضل من مصرعي. وروي أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه دفع رايته يوم الجمل إلى محمد بن الحنفية، وقال: تقدمْ يا بني، فتقدم، ثم وقف ساعة، فصاح به: اقتحم لا أم لك، فحمل مُحمدٌ وطعن بها في أصحاب الجمل طعنًا منكرًا فأُعجب به عليه السلام، فجعل يُنشدُ:

اطعن بهـا طعن أبيك تُحمـد لا خيـر في الحرب إذا لم توقـد

ورجع ثم استل أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وحمل على القوم فضرب فيهم يمينًا وشمالاً ورجع وقد انحنى سيفه فجعل يسويه بركبتيه، فقيل له: نحن نكفيكها يا أمير المؤمنين، فلم يجب أحدًا حتى سواه، ثم حمل ثانيًا حتى اختلط بهم، ثم رجع، وقد انحنى سيفه فوقف يسويه بركبتيه، ويقول: والله ما أريد بذلك إلا وجهَ الله والدارَ الآخرة، ثم التفت إلى ابنه محمد وقال: هكذا فاصنع يا بني. وخرج عمرو بن اليثربي وقتل ثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين، وطلب البراز، فخرج إليه عمّار، وألقاهُ عن فرسه وجرّه حتى ألقاه بين يدي أمير المؤمنين، فأمر بضرب عنقه، فقال: استبْقني لأقتل منهم مثل ما قتلتُ من أصحابك، فقال: أبعد ثلاثة من أصحابي! فقالَ: أدْنِ مني أُذُنك أكلمك، فقال: أنت رجل متمرد، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بكل متمرد، فقال: لو أدنيت مني لقطعت أُذُنك، وقُتلَ، فخرج أخوه عبدالله بن اليثربي يرتجز ويقول:

أضـربْكم ولو أرى عليّـا عـمـمـتـه أبيض مشـرفـيـا

فخرج عليٌّ عليه السلام وهو يقول:

أُثبت لتلقـاه به مليّـا مهـذبًا سـميـدعًا كـمـيـا

فحمل عليه علي عليه السلام فضربه ضربة رمى بنصف رأسه فقتله وانصرف. فصاح صائح من خلفه، فالتفت فإذا بعبد الله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عائشة، فقال: ما تشآء يا ابن خلف؟ فقال: هل لك في المبارزة؟ قال: ما أكره ذلك، ولكن

ما راحتُك في القتل؟ فقال: تُرَى أيُّنا يقتل صاحبه؟ ثم جعل يرتجز:

إن تدن مني يا علي فــتــرا ... فــإنني دان إليك شــبــرا
بصــارم يســقــيك كــأســا مــرّا ... ها إنّ في صــدري عليك وِتْرا

فَثَنَى عليٌّ عليه السلام عنانه، وأنشأ يقول:

يا ذا الذي يطلب مني الوَتْرا ... إن كنت تبغي أنْ تزور القبــرا
حقّا وتصلى بعد ذاك الجمرا ... فــادنُ تجــدني أســداً هِزَبْرا
أسْعطكَ اليوم زعافاً مُرّا

وتطاعنا وتضاربا فضربه علي عليه السلام ضربة رمى بيمنه، ثم ثناه ضربة أخرى فأطار قحف رأسه، ثم وقف عليه وجعل يرتجز:

إياي تدعو في الوغى يا ابن الأرب ... ... مـن أبيـــــــــات

ولما عُرْقِبَ الجمل ووقع، دنا أمير المؤمنين على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فقرع الهودج برمحه وقال: يا عائشة، أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت عائشة: قد ظفرت فأحْسِنْ، فقال لمحمد بن أبي بكر: شأنك بأختك، فأدْخلها البصرة ثم ردّها إلى المدينة.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم الجمل كان في خمسة عشر ألفًا، وطلحة والزبير في خمسة وثلاثين ألفًا، فما كان إلا ثلاثُ ساعات أو أربع حتى قُتل من الفريقين زُهَاء نَيف وعشرين ألفًا، ولما انهزم أصحاب الجمل بعث أمير المؤمنين ابن عباس إلى عائشة في خمسين نسوة من أهل البصرة يأمرها بالانصراف إلى بيتها بالمدينة الذي تركها فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال له: قل لها: إن الذي يردها خير من الذي يخرجها، ثم نادى مناديه: لا تجيزوا على جريح، ولا تَتْبَعُوا مدبرًا، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا امرأة؛ مَنْ دخل داره وألقى سلاحه فهو آمن، وماحوت المنازل والدور فهو ميراث. وإنما فعله؛ لأنه لم يكن لهم فِئَة.

وروينا بالإسناد[1] إلى السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم[2] الحسني رضي الله عنه بإسناده إلى ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله من يغسلك إذا متّ؟ قال: يغسّل كلَّ نبي وصيُّه، قال: قلت: يا رسول الله مَنْ وصيك؟ قال: علي بن أبي طالب، قلت: يا رسول الله كم يعيش بعدك؟، قال: ثلاثين سنة، وإن يوشَع بن نون عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى، وقالت: أنا أحق بالأمر منك، فقاتلها وقاتل مقاتلتها، وأسرها وأحسن أسرها، وإن بنت أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفًا من أمتي، فيقاتلها ويقاتل مقاتليها، ويأسرها ويحسن أسرها، وفيها وفي صفراء أنزل الله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣][3]، يعني صفراء في خروجها على يوشع بن نون.

وروينا عنه رضي الله عنه رواه بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدْنب؟ لا تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها، وعن يسارها قتلى كثير في النار[4].

قال الشيخ العالم أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد الزيدي رضي الله عنه في كتاب المحيط بالإمامة: ولا شبهة عند أهل النقل أن النبي ﷺ كان أخبر عائشة أن كلاب الحوأب تنبحها في سيرها، وأنها لمّا بلغت الحوأب ونبحتها كلابه، سألت الجمّال عن ذلك الموضع فعرّفها أنه الحوأب، فأمرت أن يناخ بعيرها واضطربت، حتى جآء أصحابها، وحلف -على ما في الخبر- نحوُ ثلاثين

---

(١) في (ب): الموثوق به.

(٢) (أحمد بن إبراهيم) ساقط من (أ).

(٣) المصابيح ٣٠٥ برقم ١٥١.

(٤) المصابيح ٣٠٦ برقم ١٥٤، وحكى ما يوافق ذلك الاستيعاب رقم ٤٧٤، وكنز العمال ٥/ ٤٩٢.

رجلاً، وفي رواية أخرى خمسين رجلاً أن ذلك الموضع ليس بالحوأب، واشتهرت القصة في ذلك حتى ذكر أهل اللغة كلاب الحوأب في كتبهم.

قال الخليل في كتاب العين: الحوأب موضع حيث نبحت الكلاب على عائشة، وقال ثعلب في كتاب الفصيح: وهي كلاب الحوأب مهموز، وذكر القتيبي في أدب الكتّاب: ولشهرته استُدل بذلك على مُعجز النبي ﷺ، وأنه كان أخبر أن كلاب الحوأب تنبحها في مسيرها، وأن الأمر كان كما قال ﷺ.

وروينا بالإسناد عن السيد أبي العباس رضي الله عنه بإسناده عن أم هانيء: (قد علم من جرت عليه المواسي أن أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي، وقد خاب من افترى)[1]. وبالإسناد إليه رضي الله عنه بإسناده إلى عليٍّ عليه السلام قال: (لقد عَلِمَتْ صاحبةُ الجمل أن أصحاب النهروان وأصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي ﷺ)[2].

وروى صاحب المحيط في الإمامة رضي الله عنه بإسناده عن ابن عباس قال: مرض عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، فدخل رسول الله ﷺ ليعوده في مرضه فرأى طلحة عند رأسه والزبير عند رجليه فقال لهما رسول الله ﷺ: (يشتد عليكما مرض علي؟ فقالا: سبحانه الله! وكيف لا يشتد علينا مرض علي؟! فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده إنكما لا تَخْرُجانِ من الدنيا حتى تقاتلاه وأنتما له ظالمان»[3]. وقتل طلحةَ مروانُ بن الحكم[4]. وفي الرواية لما صُرِعَ مَرَّ به رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أمِن أصحابنا؟ أم من أصحاب أمير المؤمنين؟

(١) المصابيح لأبي العباس ٣٠٦ رقم ١٥٥.

(٢) المصابيح ٣٠٧ رقم ١٥٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٢.

(٤) المصابيح ٣١٣ رقم ١٦٠ وابن عبدالبر في الاستيعاب (٢/ ٣١٦-٣٢١) وشرح النهج ٩/ ١١٣.

فقال: بل من أصحاب أمير المؤمنين فقال: ابسط يدك لأبايعك لأمير المؤمنين فألقى الله علي بيعته، أما والله ما كفتنا آية من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿ واتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الانفال: ٢٥] فوالله لقد أصابت الذين ظلموا منا خاصة.

وكانت وقعة الجمل لعشر خلون من شهر جمادى الأخرى سنة ست وثلاثين، وكانت عدة القتلى ثلاثين ألفًا برواية وكيع، ولما انقضى حرب الجمل بالفتح المبين لأمير المؤمنين عليه السلام، وبلغ إلى معاوية ذلك؛ كتب إلى علي عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعلي بن أبي طالب من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فو الله ما بقي أحد أحب أن يكون هذا الأمر إليه منك، ولقد عرفت رأي أبي قبل، لقد جاءك يوم توفى رسول الله ﷺ يدعوك إلى البيعة، فأنا إلى ذلك اليوم أسرع إن أعطيتني النَّصَفَ، أوتحاملت على نفسك لقرابتي؛ إن استعملتني على الشام، و أعطيتني ما أثلج به لا تعزلني عنه بايعت لك ومن قِبَلي وكنا أعوانك، فقد رأيتَ عمر قد ولاني فلم يجد عليّ، وإن لم تفعل فوالله لأجلبن عليك خمسين ألف حصان قارح في غير ذلك من الخيل[1]. فلما قرأ علي عليه السلام الكتاب استشار فيه عبدالله بن عباس، والحسن بن علي، وعمّار بن ياسر رجلاً رجلاً، فقال عمّار: والله ما أرى أن تستعمله على الزرقاء وإنما بها خمسة أنفس، فقال علي عليه السلام: اطو ذلك، ثم دعا الحسن وابن عباس، فقالا قد كنا أشرنا عليك أن تُقرَّه على عمله ولا تحركه حتى إذا بايع الناس أخذت ما أردت وأقررته إن رأيته أهلاً لذلك[2].

---

(١) المصابيح ٣٠٨.

(٢)المصابيح ٣٠٨.

وروينا عن السيد أبي العباس بإسناده أن عليًا عليه السلام قال: كان المغيرة بن شعبة قد أشار عليَّ أن استعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة فأبيت عليه؛ ولم يكن الله ليراني أن اتخذ المضلين عَضُدا[1]، قال: قال الواقدي في حديثه: فلمّا علم معاوية ذلك من علي عليه السلام قال: والله ما كتبت إليه وأنا أريد أن آليَ له شيئًا، ولا أبايعه، ولكن أردت أن أخدعه وأقول لأهل الشام انظروا إلى عليٍّ، وإلى ما عرض عليَّ فيزيدهم بصيرة، ويختلف أهل العراق عليه، فأُحضر العشية حتى تُسمع كلامي، فقام فحمد الله وأثنى عليه [و] قال: وكان إمامكم إمام الرحمة، والعفو، والبر، والصلاة، والصلة عثمان بن عفان، فبطر علي بن أبي طالب النعمة، وطالت عليه المدة، واستعجل أمر الله قبل حينه، وأراد أن يكون الأمر له فقتل إمامكم، وفرّق جماعتكم، وأطمع عدوكم فيكم. ومعه قميص عثمان وهو يقول: يا أهل الشام ذبح على هذا القميص كما تذبح الشاه، ثم بكى وأبكى أهل الشام ساعةً طويلةً، ثم قال: يا أهل الشام عمد ابن أبي طالب إلى البصرة، فسار إليها فلقي رجالاً لا يعرفون قتاله، وأنتم أهل مناصحة في الدين، وأهل طاعة للخلفاء، يا أهل الشام إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣] وأنتم ولاة دم خليفتكم، والقائمون به، وأنا معكم، فأجابه أهل الشام: سِرْ بنا حيث ننصر إمامنا ونطلب بدمه، والذي أمره بذلك- في حديث نصر بن مزاحم- عمرو بن العاص، قال نصر: حدثنا محمد بن عبيدالله، وعمر بن سعد، أن معاوية كتب إلى عمرو بن العاص وهو بفلسطين أما بعد: فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة، وقدم إلينا جرير بن عبدالله في بيعة علي، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني، فلما قدم الكتاب

---

(١) المصابيح ٣٠٩.

على عمرو استشار ابنيه عبدالله ومحمداً فقال عبدالله : قِرَّ في منزلك ولاتكن حاشية لمعاوية على دنيا قليلة ، وقال محمد: إنك شيخ قريش ، وإن يضرم[1] هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك ، فالحق بجماعة أهل الشام ، واطلب بدم عثمان ، فسار حتى قدم على معاوية ، فقال : أبا عبدالله إن عليًا نزل بالكوفة متهيئًا للمسير إلينا ، فقال : والله ما تُسوِّي العرب بينك وبينه في شيء إلا أن تظلمه .

وفي حديث عمر بن سعد أنه قال : أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه ، وشق عصى المسلمين ، وقتل الخليفة ، فقال عمرو : والله يا معاوية ما أنت وعليٌّ بعكمَي بعير ، فما تجعل لي أن أبايعك على ما تسمع من العز والخطر .

وفي حديث عمر بن سعد أنه قال : أبا عبدالله ، إني أكره أن تحدث العرب أنك دخلت في هذا الأمر لغرض دنيا ، قال عمرو : دعني منك فإن مثلي لا يخدع لأنا أكيس من ذلك ، فما تعطيني ؟ قال : مصر طعمةً . فخرج عمرو من عنده ، فقال ابناه : ما صنعت ؟ قال : أعطانا مصر . قالا : وما مصر في ملك العرب ؟ قال : لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعا بمصر[2] .

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر مناديه ، فنادى في الناس أن اخرجوا إلى معسكركم بالنُّخَيْلة فأجابوه ، ولم يبرح في النخيلة حتى قدم إليه ابن عباس مع أهل البصرة ، ثم سار حتى إذا جاوز الجسْر نزل في مسجد أبي سَبْرة فقصر فيها صلاة الظهر ، ثم سار حتى نزل دير أبي موسى على فرسخين من الكوفة فصلى العصر ، وقدم زياد بن النضر الحارثي في ثلاثة آلاف ، وشريح بن هاني في ألفين فمضيا حتى إذا جازا عرض الجزيرة فلقيهما أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في حد الشام في خيل عظيمة ، فدعواه إلى الطاعة فأبى إلا القتال ، فراسلا أمير

---

(١) في (ب) : وإن انصرم .

(٢) ابن مزاحم في وقعة صفين ص٣٨ ، وابن أبي الحديد شرح النهج ٢/ ٦٥ .

المؤمنين، فدعا عليٌّ عليه السلام مالك بن الحارث الأشتر رحمه الله، وقال: إذا قدمت عليهم فأنت أمير، ولا تبدأ القوم بالقتال إلا أن يبدؤك، واجعل على ميمنتك زيادًا، وعلى ميسرتك شريحًا، ولا تحاربهم حتى نقدم عليك، فمضى الأشتر، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام في أثره حتى بلغ صِفّين وهو من الرقة على عشرة أو خمسة فراسخ.

وروينا من غير طريق السيد أبي العباس أن عليًا عليه السلام لما سار جعل يقول: سيروا إلى قتال أهل الشام العتاة الطغاة، سيروا إلى أولياء الشيطان، وأعداء السنة والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، سيروا إلى الكذبة الفجار وقتلة المهاجرين والأنصار، وجعل عمار بن ياسر يرتجز ويقول:

سيروا إلى الأحزاب أعدآء النبي ... سيروا فخير الناس أتباع علي

هذا أوانٌ طاب سل المشرفي ... وَقَودُنا الخيل وهَزُّ السَّمْهَرِيِّ

ولما خرج عليه السلام من الأنبار سائراً أخرج في طريقه عينًا بقرب دَيْر، فسئل الراهب؟ فقال: إنما بُني هذا الدير لهذه العين، وإنه عين رَاحُومَا ما استخرجها إلا نبي أو وصي نبي، ولقد شرب منها سبعون نبيًا، وسبعون وصيًا، فأخبروا بذلك عليًا عليه السلام.

وكانت تعبئة أمير المؤمنين عليه السلام لعسكره: على خيل ميمنته الحسن والحسين، وعلى رجّالتها عبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى خيل الميسرة محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر، وعلى رجّالتها هاشم بن عتبة، وعلى جناح القلب عبدالله بن العباس، وعلى رجّالته الأشتر والأشعث، وعلى الكُمَّين عمار بن ياسر.

وروي أنه عليه السلام كان في تسعين ألفًا، ومعاوية لعنه الله في مائة وعشرين ألفًا، وكان في عسكره عليه السلام من الأنصار، ثمان مائة أو تسع مائة ممن بايع تحت

الشجرة، وثمانون بدريًا، وأول وقائعهم وقعة الأشتر مع أبي الأعور السلمي وكانا قد سبقا العسكرين، ثم وقعة الماء عند نزول العسكر بصفين. قال السيد أبو العباس رضي الله عنه: قتل في اليوم الأول زيادة على ألف رجل سوى الجرحى، وأميرهم يومئذ عمار بن ياسر رحمه الله في خمسة عشر ألفًا[1].

قال: وفي حديث أبي مِخنَف لوط بن يحيى الأزدي أن أمير المؤمنين عليه السلام شخص من النخيلة لخمس مضين من شوال، ولم يقاتلوا إلا غرة صفر، إلا ما كان من القتال حين وردوا الماء أولاً، ثم اتصل القتال شهر صفر كله إلى ليلة الهرير من ربيع الأول، وكانت في صفين أخبار يطول ذكرها.

فمن ذلك ما روي أن عليًا عليه السلام خطب في بعض أيام صفين وحث الناس على القتال، فقام قيس بن سعد بن عبادة فتكلم، فلامه المشيخة على أن تكلم أوَّلاً فقال: إنكم لسادتي وعمومتي ولكن وجدت الدين في صدري قد جاش فلم أجد بُدًا من الكلام، وكتب إلى معاوية كتابًا أوله:

معاوي قد كنت رِخْوَ الْخناق ... فألقَحْتَ حربًا تُضيقُ الخناقا

من قصيدة. وخرج في بعض أيام صفين يرتجز ويقول:

أنا ابن سعد وأبي عبادة ... والخزرجيُّون رجالٌ سادة

ليس فراري في الوغى بعادة ... يا ذا الجلال لَقِّني الشهادة

شهادة تتبعها سعادة ... حتى متى تثنى لي الوسادة

فخرج إليه بسر، فجرحه قيس وانهزم بسر، وروي أن معاوية دعا بالنعمان ابن بشير وسلمة بن مجالد، وذم الأنصار، وقال: ما لقيت منهم؟ لا أسأل عن رجل إلا قيل: قتله[2] فلان الأنصاري، فبلغ ذلك قيسًا، فقال بعد كلام: بلغني أن

---

(١) المصابيح ٢١٢- ٢١٣.

(٢) في (ج): قتل.

ابن آكلة الأكباد قال: كذا وكذا، وقد أجاب عنكم صاحبكم النعمان بن بشير، ولعمري لأن وترتموه في الإسلام لقد وترتموهم في الجاهلية، وأنتم اليوم مع ذلك اللواء الذي كان يقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، والقوم يقاتلون مع لوآء أبي جهل والأحزاب، وقال قصيدة يذم معاوية أولها:

يا ابن هند دع التوثب في الحر ب إذا نحن في الحروب دنونا

ثم خرج من الغد وحمل عليهم وأثّر أثرًا منكرًا حتى قال معاوية: إذا رأيتم هذا الرجل فاحترسوا عنه فإنه الأسد الضرغام.

وروينا بالإسناد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما رأيت رئيسًا كأمير المؤمنين علي عليه السلام، ولقد رأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة بيضاء، وكأنَّ عينيه سراجًا سليط وهو يحمش أصحابه إلى أن انتهى إليَّ وأنا في كُثُف من المسلمين، فقال معشر المسلمين: استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وأخملوا اللَّوم، وأخفوا الـجُبْن[1]، وأقلقوا السيوف في الغمد قبل السلة، والحظو الشَّزْرَ، واطعنوا النشر، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا، وامشوا إلى الموت سُجُحًا، وعليكم بالرواق المطنَّب فاضربوا ثبجه، فإن الشيطان راكدٌ في كِسْرِه، نافج حضنيه، مفترش ذراعيه، قد قدّم للوثبة يدًا، وأخّر للنكوص رجلاً.

وروينا أنه كان لمعاوية مولى يقال له: حريث. وكان من أشجع الناس وأشبههم بمعاوية، وكان إذا حمل أيام صفين قال الناس: حمل معاوية، وكان لا يقوم له قائم، وكان معاوية مسرورًا بموضعه، فقال له يومًا: يا حريث، بارز كل من بارزك، وقاتل كل من قاتلك؛ إلا عليًّا فإنه لا طاقة لك به، فحسد عمرو ابن العاص حريثًا؛ لما يظهر من نجدته وبسالته فقال له: يا حريث، إن معاويةَ نَفسَ عليك بقتل عليٍّ؛ لأنك عبد، ولو كنت عربيًا وذا شرف لرضيك لهذا الأمر

(١) في (ب، ج): واعملوا اللَّوْم وأخفوا الجبْن.

والمنزلة، فإن قتلت عليًا انصرفت براية الفخر، وأعلا ذروة الشرف، فعمل في حريث قول عمرو. فلما برز علي عليه السلام أحجم الناس عنه، فتقدم إليه حريث، فضربَ عليًا عليه السلام ضربةً لم تؤثر فيه، وضربه علي عليه السلام فقتله، فاتصل الخبر بمعاوية فقلق وجزع، وقال: من أين أُتي حريث وقد كنت حذّرته عليًا، ومنعته من قتاله؟ فقيل: إن عمراً أشار عليه بذلك، فأنشا معاوية يقول:

حريث ألم تعلم وعلمك ضائع ... بأن عليًّا للفوارس قاهر

وأن عليًّا لم يبارزه واحدٌ ... من الناس إلاّ أقعصته الأظافر

أمرتك أمراً حازمًا فعصيتني ... فجدك إذ لم تقبل النصح عاثر

ودلاّك عمرو والحوادث جَمّةٌ ... فلله ما جرّت عليك المقادر

وظن حريث قول عمرو نصيحةً ... وقد يُهلك الإنسان ما لا يُحاذر

وخرج المخارق بن عبدالرحمن من أصحاب معاوية، فقتل أربعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكشف عوراتهم، واحتز[1] رؤوسهم، فتنكر علي عليه السلام، وخرج فقتل ثمانية نفر من أصحاب معاوية واحتز رؤوسهم، ولم يكشف العورة، فقال معاوية لغلام له بطل: اكفني هذا الرجل، فقال: إني أرى رجلاً لو برز إليه جميع عسكرك لأفناهم، ولم يخرج، فجال علي عليه السلام ساعة ثم رفع المغفر وقال: أنا أبو الحسن. وخرج مولىً لعثمان يقال له: أحمر للمبارزة، فخرج إليه كيسان مولىً لعلي عليه السلام فحمل عليه أحمر فقتله، فقال علي عليه السلام: قتلني الله إن لم أقتلك، فحمل عليه فاستقبله أحمر وهو لا يعرفه فمدَّ علي عليه السلام يده إليه وقبض على ثوبه فضرب به الأرض وكسر منكبه وأضلاعه.

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام في بعض المواقف على عمرو بن العاص فأسقطه عن فرسه فرفع عمرو رجله وأبدى عورته، فأعرض عنه أمير المؤمنين ورجع. ومعاوية يضحك فقال: مم تضحك؟ فقال: منك ومن علي، والله لقد وجدته

---

(١) في (ج): وأكب يحتز.

هاشميًا مليًا بالنزال، لا ينظر إلى عورات الرجال، وقال احمد اللهَ يا عمرو وعورتَك، فقال عمرو: يا معاوية، أما والله لو بدا له من صفحتك لأوجع قذالك وأيتم عيالك، وأنهب مالك.

وفي بعض الأخبار أن معاوية ضحك، فقال عمرو: مم تضحك؟ فقال: يضحكني دفعك عليًا عن نفسك بالإستاه، ولقد كان كريمًا لا ينظر إلى عورات الرجال، فقال له: هلا ضحكت إذ دعاك علي إلى البراز، فَاحْوَلَّتْ عيناك، ومالت شدقاك، وارتعدت فرائصك، وبدا من أسفلك شيءٌ أكره ذكره.

وخرج بعد أيام بسر بن أرطأة إلى علي عليه السلام وهو لا يعرفه، فلما بصر به عرفه، وحمل عليه علي عليه السلام، فسقط عن فرسه، ورفع رجله، وكشف عورته، وصرف علي عليه السلام وجهه، ووثب بسر هارباً، فضحك معاوية من بسر، وقال: لا عليك، فقد نزل بعمرو ما نزل بك، وصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون لقد علَّمكم عمرو بن العاص في الحرب كشف الإستاه، ثم أنشأ يقول: -

أفي كل يوم فارس ذو كريهة ... له عورة وسط العجاجة باديه

يكف له عنه علي سنانه ... ويضحك منه في الخلاء معاويه

بدت أمس من عمرو فقنع رأسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذيه

فقولا لعمرو وابن أرطأة انظرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه

فلا تحمدا إلا الخنا[1] وخصاكما ... هما كانتا والله للنفس واقيه

فلولا هما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها عن العود ناهيه

وكان بسر مرة يضحك من عمرو، وعمرو يضحك من بسر.

وتحامى أهل الشام عليًا عليه السلام وخافوه خوفًا شديداً، وصار حديث عمرو

(١) الخنا: الفحش. المختار ١٩٢.

مثلاً حتى قال أبو فراس :

ولا خـيـر في دفع الردى بمذلّة كمـا ردّها يومًـا بسوءته عـمـرو

وخرج علي عليه السلام يومًا ووقف وأنشأ يقول :

أنا عليٌّ فـاسـألوني تخـبـروا ثـم ابرزوا لي في الوغى أو أدبروا
سـيـفي حـسـام وسناني يزهر منـا النـبي الطـاهـر المطهَّـر
وحـمـزة الخـيـر ومنا جـعـفـر وفـاطم عـرسي وفـيـهـا مـفـخـر
هذا لهـذا وابن هند مُـحْـجَـر مـذبذب مطرد مـؤخَّـر

فقال معاوية : إنه ليدعوني أبدًا إلى البراز حتى لقد استحييت من قريش . فقال أخوه عتبة : الهَ عن كلامه فإنك تعلم أنه قتل حريثًا ، وفضح عَمْراً ، ولا تَقَدَّمَ إليه امرؤ إلا وقد أيس من نفسه ، ولو برزت إليه لا شممت رائحة الحياة أبدًا .

وروى الحـاكم رحمه الله عن علقـمـة والأسـود بن يزيد ، قـال : أتينا أبا أيوب الأنصـاري فـقلنا له : يا أبا أيوب إن الله تعـالى أكرمك بنبـيـه ﷺ إذ أوحى إلى راحلته فبركت على باب دارك ، وكـان رسـول الله ﷺ ضيفًا لك فضيلة من الله فضـلك بها ، أخبـرنا بـمخرجـك مع علي عليه السلام يقاتل أهل لا إله إلا الله ، فقال أبو أيوب : فإني أقـسم لكمـا بالله تعـالى لقـد كـان رسـول الله ﷺ معي في هذا البـيت الذي أنتـمـا مـعي فـيه ، ومـا في البـيت غـيـر رسـول الله ﷺ وعليٌّ عليه السلام جالسٌ عن يمينه ، وأنا جالس عن يساره ، وأنس قائم بين يديه ، إذ حرَّك البـاب ، فقـال رسـول اللـه ﷺ : يا أنس انظر من بالباب فخرج أنس فنظر ، ثم رجع فقال : يا رسول الله هذا عمار بن ياسر ، فقال رسول ﷺ : افتح لعمار الطيب المطيّب ، ففتح أنس الباب فدخل عمّار فسلّم على رسول الله ﷺ فرحب به ، ثم قال لعمّار : «إنه سيكون في أمتي من بعدي هَنَاتٌ حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضًا ، وحتى يتبرأ بعضهم من بعض ، فإذا أنت رأيت

ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني يعني علي بن أبي طالب فإن سلك الناس كلهم واديًا وسلك علي واديًا فاسلك وادي علي، وخل عن الناس، يا عمار إنّ عليًا لا يردك عن هدى، ولا يدلك على ردى، يا عمار طاعة عليٍّ طاعتي، وطاعتي طاعة الله».

ولما قُتلَ عمار رضي الله عنه قويت بصائر المسلمين في الجهاد بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، وكان خزيمة بن ثابت كافًا لسلاحه حتى قتل عمار فسل سيفه، وقال: قد حلّ لي القتال فقاتل حتى قتل رحمه الله.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: اليوم صح لي أنك يا معاوية على الباطل؛ لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية»[1] فقال معاوية: أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من جآء به. قال: فإنما قَتَلَ حمزة النبي صلى الله عليه وآله، ولما رأى علي عليه السلام عمّارًا مقتولاً وقف عليه وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرءًا لم تدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء» ثم قال: «رحم الله عماراً يوم قُتلَ، ويوم يُبعثُ، ويوم يُسئلُ» فوالله لقد رأيت عماراً، وما يذكر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة إلا كان رابعهم، ولا أربعة؛ إلا كان خامسهم، إن عماراً وجبت له الجنة في غير موطن، فهنيئًا له الجنة، ولقد قتل مع الحق، والحق معه، فَقَاتِلُ عمّار وسالب عمار، وشاتم عمار في النار، وصلى عليه عليٌّ عليه السلام ودفنه.

وروى الحاكم رحمه الله عن عبدالله بن سلمة قال: رأيت عماراً يوم صفين شيخًا آدم طُوالاً أخذ الحربة بيده، ويده ترتعد وهو يقول: والذي نفسي بيده لقد قاتلت هذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات وهذه الرابعة والذي نفسي بيده

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ رقم ١٨٧٤، والطبراني في الأوسط ٤/ رقم ٣٤٣٨، والبيهقي في السنن ٢/ ١٤٨، ومسند أحمد ٤/ ٣٧رقم ١١١٣١، والترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم٣٧٨٨، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٢، والدارمي ٢/ ٤٣٢، والشجري ١/ ١٤٣.

لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفنا أنَّا على الحق وهم على الضلالة، وقال ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» وآخر زادك ضَيَاحٌ[1] من لبن، فلما كان اليوم الذي قتل فيه شرب شربة من لبن، ثم كان يقول الجنة تحت الأسنة، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

وممن كان مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين أُويْس القَرَني المشهور فضله، رحمة الله عليه ورضوانه، وكانت الوقائع بصفين تسعين وقعة، وأقام أمير المؤمنين عليه السلام بصفين ومعاوية مائة يوم وعشرة أيام حتى أفضى الأمر إلى التحكيم.

قال السيد أبو العباس رضي الله عنه بإسناده عن الحارث بن أدهم: إن الناس بصفين زحف بعضهم إلى بعض وارتموا بالنبل حتى فنيت، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسَّرت، ثم مشى بعضهم إلى بعض بالسيوف وعُمُد الحديد فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق. وأخذ الأشتر رحمة الله عليه فيما بين الميمنة والميسرة فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل لم يصلوا لله صلاة، فلم يزل يفعل ذلك الأشتر بالناس حتى أصبح من المجالدة، وهي ليلة الهرير[2].

وفي رواية من غير السيد أبي العباس رحمه الله، أن عليًا عليه السلام قَتَلَ في ليلة الهرير خمسمائة ونيفًا وثلاثين رجلاً. قال السيد أبو العباس: قال نصر عن عمر ابن سعد عن عمارة بن ربيعة قال: مرَّ بي والله الأشتر فأقبلت معه فقال: شدوا فداكم عمي وخالي شَدَّةً ترضون الله بها وتعزون بها الدين، ثم شد بالقوم حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، ثم قاتلوا عند العسكر قتالاً شديداً، وأخذ علي عليه السلام لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمده بالرجال، وجعل علي عليه السلام يقول لم يبق منهم إلا

---

(١) ضياح: اللبن الرقيق الممزوج. لسان العرب ٢/ ٥٢٧.

(٢) المصابيح ٣١٨ رقم ١٦٥، وشرح نهج البلاغة ١/ ٤٢٠، وقعة صفين لابن مزاحم ٤٧٤.

آخر نَفَس ، فدعا معاوية عمرو بن العاص فقال : ما ترى ، فقال : إن رجالك لا يقومونَ برجاله ، ولست مثله يقاتلك على أمر وتقاتله على غيره ، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء ، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم ، وأهل الشام لا يخافون من علي إن ظفر بهم ، ولكن ألق إليهم أمرًا إن قبلوه اختلفوا ، وإن ردوه اختلفوا ، ادعهم إلى كتاب الله حكمًا فيما بينك وبينهم ، فإنك بالغ به حاجتك[1] .

قال نصر : حدثنا عمرو بن سمرة بإسناده عن جابر قال : سمعت تميم بن خزيم يقول : لما أصبحنا من ليلة الهرير ، نظرنا فإذا المصاحف ربطت على رؤوس الرماح. قال أبو جعفر وأبو الطفيل : وضعوا في كل مجنبة[2] مائتي مصحف ، فكان جميعها خمسمائة مصحف ، ثم نادوا هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، وأقبل الأشتر على فرس كميت قد وضع مغفره على قربوس السرج يقول : اصبروا يا معشر المسلمين ، قد حمي الوطيس واشتد القتال . قال نصر في حديث عمر بن سعد : فلما رفع أهل الشام المصاحف قال علي عليه السلام : أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني لأعْرَفُ بهم منكم ، صحبتهم صغاراً ورجالاً ، وكانوا شر صغار ، وشر كبار[3] ، وما رفعوها إلا خديعة ، فجآءه من أصحابه قدر عشرين ألفًا مقنعين في الحديد ، سالِّي سيوفهم على عواتقهم ، قد اسودّت جباههم من أثر السجود ، فقالوا : يا علي أجب القوم إلى كتاب الله أو نقتلك كما قتلنا ابن عفان ، وابعث إلى الأشتر فيأتيك ، فقال الأشتر : أمهلوني فواق ناقة لقد أحسست بالظفر ، فقالوا له : تحب أنك ظفرت ويقتل أمير المؤمنين ، أو يُسَلَّمَ إلى عدوه ، فأقبل حتى انتهى

---

(١) المصابيح ٣١٨ ، وقعة صفين (٤٧٦-٤٧٧) .

(٢) المجَنّبة : بكسر النون المشددة : ميمنة الجيش وميسرته ، وبفتحها مقدمة الجيش .

(٣) في (ب ، ج) : ورجال .

إليـهم، فصـاح: يا أهل الذلّ والوهن، أحين علوتم فظنوا أنكم قـاهرون رفعـوا المصـاحف، حـدثوني عنكم فـقـد قـتل أمـاثلكم، مـتى كنتم مـحـقـين؟ أحين قـتل خياركم! فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلين! أم أنتم محقـون؟ فقتلاكم الذين كـانوا خـيـر منكم في النار! قـالوا: دعنا منك يا أشـتـر، قـال: خـدعـتم فانخـدعتم، فـسبوه وسـبهم، وضربوا بسياطهم وجه دابته، وضـرب دوابهم، وصـاح بهـم علي عليه السلام فكفـوا، فبعث علي عليه السلام نفرًا قُرآءً من أهل العراق، وبعث معاوية من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصاحف، واجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، ويميتوا ما أماته، وعلى أن يحكموا رجلين أحدهما من أصحاب علي عليه السلام، والآخر من أصحاب معاوية، فقال أهل الشام: اخترنا عمرا ابن العاص، فقال الأشعث والخوارج: رضينا بأبي موسى، فقال علي عليه السلام: إني لا أرضى به وليس برضى، وقد فارقني وخذل الناس عني، ثم هرب مني ولكن هذا ابن عباس، قال[1]: والله ما نبالي أنت كنت أو ابن عباس، قال: فإني أجعل الأشتر. فقال الأشعث: وهل ضيّق سعة الأرض علينا إلا الأشتر، فقال علي عليه السلام: فإني أخاف أن يخدع يمنيّكم، فإن عمرًا ليس من الله في شيء، قال الأشعث: هو أحب إلينا، فقال علي عليه السلام: قد أبيتم إلا أبا موسى؟! قالوا: نعم. فبعثوا إلى أبي موسى، فجاء الأحنف بن قيس إلى علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين إن شئت أن تجعلني حكمًا، أو ثانيًا، أو ثالثًا فإنه لا يعقد عقدة إلا حللتها، ولن تحل إلاّ عقدت، فأبى الناس ذلك، ثم إن أبا موسى وعَمْرَ ابن العاص أخذا على علي عليه السلام ومعاوية عهدَ الله بالرضى بما حكما به من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، على أن الحكمين أن يحكما بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، فإن لم يفعلا برئت الأمة من حكمهما، وللحكمين أن ينزلا منزلاً

---

(١) أي الأشعث قبحه الله.

عدلاً بين أهل العراق والشام لا يحضرهما فيه إلا من أحبا عن ملأ منهما وتراض، والناس آمنون على أنفسهم وأهليهم، وأموالهم إلى إنقضاء مدة الأجل، والسلاح موضوع، والسبيل مخلاة، وكان الكتاب في صفر، والأجل الذي يلتقي إليه الحكمان شهر رمضان، ثم إن الأشعث خرج بالكتاب يقرؤه على الناس، فرضي به أهل الشام، ثم مر برايات عَنَزَه وكان منهم مع علي عليه السلام أربعة الآف مجفف، فلما قرأه عليهم قال معدان وجعد (أخوان): لا حكم إلا لله، فهما أول من حكّم، ثم حملا على أهل الشام، ثم مرّا به على مراد، فقال صالح بن شقيق:

ما لعلي في الدمآء قد حكَم　　　لو قاتل الأحزاب يومًا ما ظلم

لا حكم إلا لله ورسوله، وقال بنو راسب كذلك، وكذلك رجل من تميم، وآخر يقال له: عروة بن أُديَّة حتى قالوا: يحكمون[1] الرجال، وقالوا لعلي: ارجع وتب كما تبنا وإلا برئنا منك فإنا لسنا نرضى بما في الصحيفة، ولا نرى إلا قتالهم، فقال علي عليه السلام: ولا أنا رضيت لكن لا رأي لمن لا يطاع، ولا يصلح الرجوع إلا أن يعصى الله ويتعدى حدود ما في كتابه فيقاتل من ترك أمره، ثم إن الناس أقبلوا على قتلاهم يدفنونهم[2]. ثم إن عليًا عليه السلام بعث شريح بن هاني في أربع مائة، وعبدالله بن عباس يصلي بهم، ومعهم أبو موسى. وجاء عمرو بن العاص في أربعمائة إلى دومة الجندل، فنزل عمرو بأصحابه، وابن عباس وشريح وأبو موسى مقابلهم. وكتب النجاشي شاعر علي عليه السلام عند ذلك إلى أبي موسى قصيدة منها:

أبا موسى جزاك الله خيراً　　　عراقك إن حظك بالعراق

وإن الشام قد نصبوا إمامًا　　　من الأحزاب معروف النفاق

وإنا لا نزال لهم عدواً　　　أبا موسى إلى يوم التلاق

---

(١) في (ج): أتحكمون.

(٢) المصابيح ٣٢٢.

فلا تجعل معاوية بن صخر إمامًا ما مشى قدم بساق

ولا يخدعك عمرو إن عمراً أبا موسى لَداهية الرفاق

وكان ابن عباس يعظ أبا موسى ويقول: إنما هو عمرو فلا تغترَّنَّ بقوله، فتدافعا قريبًا من شهرين يجتمعون بين يومين وثلاثة، وكان رأي أبي موسى في ابن عمر، فقال له عمرو: يا أبا موسى كنّا مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر نجاهد ونقاتل المشركين، واليوم كما ترى وبكى، ثم نال من معاوية وذكر أنه لا يرضى بشيء من فعله. فقال أبو موسى: وأنا كذلك لا أرضى بعلي وذمّه. وجعل ابن عباس يستقره ما يجري بينهما، ويكتمه أبو موسى، ثم إن أبا موسى أتى عمراً واستخبره ما يريد، فقال: إن شئت أحيينا سنة عمر، فقال: إن كنت تريد أن تبايع ابنه فما يمنعك في ابني؟ فقال: إنه رجل صدوق ولكنك غمسته في الفتنة، قال: صدقت، واتفقا على أن يخلعا عليًا عليه السلام ويجعلا الأمر في عبدالله ابن عمر، وبذلك خَدَعَ عمروٌ أبا موسى، ثم أقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، وقال له عمرو: اصعد وتكلم، وقد كان ابن عباس قال له: قدِّم عمراً قبلك ثم تكلم بعده فإنه رجل غدّار، فصعد أبو موسى المنبر بين العسكرين فقال: اشهدوا أني قد خلعت عليًا ونزع خاتمه، وقال: كما ترون... خلعت هذا الخاتم، ثم صعد عمرو.. فحمد الله وأثنى عليه، وقال: سمعتم خلعه صاحبه وقد خلعته أنا وبيده خاتم، وقال: وأثبت صاحبي كما أثبت الخاتم في إصبعي هذه وأدخل إصبعه، فقال أبو موسى: لا وفقك الله... غدرت وخنت، مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقال عمرو: ومثلك مثل الحمار يحمل أسفارًا، والتمس أصحاب علي عليه السلام أبا موسى، فركب ناقته ولحق بمكة. فكان ابن عباس يقول: قبّح الله أبا موسى قد حذّرته فما عقل، فكان أبو موسى يقول: حذّرني ابن عباس غدرة الفاسق[1]، وقال بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في

(1) المصابيح ٣٢٢-٣٢٣، وقعة صفين ٤٩٧-٥٤٨.

ذلك قصيدة أولها:

لَعمُركَ لا أُلفَى مدى الدهر خالعًا علِيًا بقول الأشعري ولا عمرو

وقال بعضهم:

لو كان للقوم رأيٌ يعصمون به عند الخطاب رموكم بابن عباس

لله درَّ أبيه أيما رجلٍ ما مثله لقضاء الحكم في الناس

لكن رموكم بشيخ من ذُرى يَمَنٍ لم يدر ما ضربُ أخماسٍ لأسداس

وروي أن أبا الأسود كان عند معاوية فذكر الحكمين، فقال: لو كنت مكان أبي موسى ما صنعت ما صنع، فقال له معاوية: فما كنت تصنع؟ قال: كنت أجمع عدة من المهاجرين والأنصار، فأنشدهم بالله المهاجرون أحق بالخلافة أم الطلقاء؟ قال له معاوية: أقسمتُ بالله عليك لا تذكر هذا ما عشت.

وبلغ القتلى في أيام صفين من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفًا، ومن أصحاب علي عليه السلام خمسة وعشرون ألفًا، فيهم خمسة وعشرون بَدْريًا، وفيهم عمار بن ياسر رحمه الله، وهاشم بن عتبة، وعبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء، وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين في آخرين رحمة الله عليهم[1].

ثم كان أمر الخوارج وقتالهم[2]. وقد بينا أنهم أنكروا التحكيم الذي كان، واعتقدوا تكفير أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكُفْرَ أنفسهم،[3] وطلبوا من علي عليه السلام التوبة، فقال علي عليه السلام: توبوا فلم تَكْفُرُوا، وارجعوا إلى حرب عدوكم، فقالوا: لا حتى تُقرَّ على نفسك، فقال: ويحكم أنتم فعلتم بأنفسكم وتركتم أمري. فخرج اثنا عشر ألفًا من العراقين، رئيسهم شَبث بن ربعي، وعبدالله بن الكوّا وعبدالله بن أوفى، ووهب الراسبي أصحاب الصوف والبرانس، فأرسل

---

(١) وقعة صفين ٥٥٧-٥٥٨.

(٢) المصابيح ٣٢٤-٣٢٦ رقم ١٦٦.

(٣) في (ب، ج): كفرهم بأنفسهم.

علي عليه السلام إليهم أبا أيوب الأنصاري، وصعصعة بن صوحان، ثم سار إليهم بنفسه في اليوم الثالث، واحتج عليهم فندمُوا على ذلك وانصرفوا إلى الكوفة، وأجمع أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الشام، ووافقوه على ذلك، فجمع من الحجاز والبصرة ومن نواحيها أربعين ألفًا، وأنفذ على مقدمته قيس بن سعد بن عُبادة في ستة الآف، فمضى إلى أرض الجزيرة[1]، وسار أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى نزل أرض مسكن، فلما كان في بعض الطريق من الليل خرج من أهل الكوفة والبصرة سبعة الآف، وقيل: ثمانية آلآف رجل فأغاروا وقتلوا عبدالله بن خبّاب ابن الأرت والي المدآئن وأمَّ ولده وولداً له صغيراً ورجلا من بني أسد كان يحمل الميرة إلى عسكر علي عليه السلام، فقيل لعلي عليه السلام: كيف تخرج وعدونا في مكاننا يُغيرُ علينا! فانصرفوا وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة، ومضى الخوارج إلى شَهْرزور ونواحيها، يغيرون، ويقتلون، ويَسْبُون، ورئيسهم من أهل الكوفة عبدالله بن وهب وزيد بن حصين، ومن أهل البصرة[2] مسْعَرْ بن فَدكي والمستوردْ ابن علقمة، فسار إليهم علي عليه السلام مع قيس بن سعد وسهل بن حنيف ومَعْقلْ بن قيس وشريح بن هاني، ومالك الأشتر في زهآء عشرة آلآف حتى انتهى إلى النهروان في عسكره فوجد القوم قد تجردوا للقتال واستقبلوه بصدور الرماح؛ فنادى أمير المؤمنين عليه السلام قنبراً فقال: يا قنبر ناد القوم ما نقمتم على أمير المؤمنين؟ ألم يعدل في قسمتكم، ويقسط في حكمكم، ويرحم مسترحمكم، لم يتخذ أموالكم دُولا، ولم يأخذ منكم إلا السهمين اللذين جعلهما الله سهمًا في الخاصة وسهمًا في العامّة، فقالت الخوارج: يا قنبر إن مولاك رجلُ جَدَل، وهو رجل خَصِمٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] وهو

---

(١) الجزيرة: موضع بعينه، وهو ما بين دجلة والفرات. مختار الصحاح ص١٠٢.

(٢) الجزيرة: موجودة في (ج) فقط.

منهم، وقد ردنا بكلامه الحلو في غير موطن. وجعلوا يقولون والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فقال علي ﷺ: يا ابن عبّاس، انهض إلى القوم فادعهم بمثل الذي دعاهم به قنبر، فإني أرجو أن يجيبوك، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين أُلقيْ عليَّ حُلتي، أو ألبس على سلاحي فإني أخافهم على نفسي، قال: بلى، فانهض إليهم في حُلّتك،

من أي يومـيك من الموت تفـر   من يوم لم يقـدر أم يوم قـدر

قال: فنهض ابن عباس إليهم وناداهم بمثل الذي أمره به[1]، فقالت طائفة: والله لا نجيبه حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، وقال أصحاب الحجج في أنفسهم: والله لنجيبنَّه ولنخصمنَّه، ولنكفرنّه، وصاحبه لاينكر ذلك، فقالوا: نقم عليه خصالا كلها موبقة مكفِّرة: أمّا أولاهنَّ فإنه محى اسمه من أمير المؤمنين حيث كتب إلى معاوية؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين فإنه أميرُ الكافرين؛ لأنه ليس بينهما منزلة، ونحن مؤمنون ولسنا نرضى أن يكون علينا أميراً.

ونقمنا عليه أن يُقَسِّمَ علينا يوم البصرة ما حوى العسكر. وسَفَكَ الدماء ومنعنا النسآء والذراري فلعمري إن كان حَلَّ هذا فما حرَّم هذا!

ونقمنا عليه يوم صفين أنه أحب الحياة وركن إلى الدنيا حُبّا بيِّنًا أن نقاتل معه وأن ننصره حيث رُفِعَتْ لنا مصاحف أهل الشام، فهلا ثبت وحرَّض على قتال القوم وضرب بسيفه حتى نرجع إلى أمر الله ونقاتلهم، واللهُ تعالى يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّه لِلَّه﴾ [الأنفال: ٣٩]، وننقم عليه أنه حكَّم الحكمين فحَكَمَا بجور لزمه وزْرُه[2].

ونقمنا عليه أنّه ولّى الحكم غيره وهو عندنا من أحكم الناس.

---

(١) في (أ): بمثل الذي ناداهم به.

(٢) في (أ): ولزمه رده.

ونقمنا عليه أنَّه شَكَّ في نفسه حين أمر الحكمين أن ينظرا ، فإن كان معاوية أولى بالأمر ولّوه ، فإن شك في نفسه فنحن أعظم فيه شكًا .

ونقمنا عليه أنَّه كان وصيًا فضيع الوصية ، ونقمنا عليك يا ابن عباس حيث جئت ترفل إلينا في حُلّة حسنة تدعونا إليه . فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين قد سمعت ما قال القوم ، فقال علي عليه السلام : لا ترتابنَّ ظفرت بهم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، نادهم : ألستم ترضون بما أتيتكم به من كتاب الله لا تجهلون به ، وسنة رسول الله ﷺ لا تنكرونه؟ قالوا : اللهم بلى ، قال : أبدأُ بما بدأتم به على مدار الأمر أنا كاتب رسول الله ﷺ حيث كتب : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى سهيل بن عمرو وصخر بن حرب ومن قِبَلهما من المشركين عهدًا إلى مدة ، فكتب المشركون : إنا لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، فاكتب إلينا باسمك فإنه الذي نعرف ، واكتب إلينا ابن عبدالله ، فأمرني فمحوت رسول الله وكتبتُ ابن عبدالله ، وكذلك كتبت إلى معاوية من علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومن قِبَلهما من الناكثين عهدًا إلى مدة فكتبوا إنا لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما قاتلناك ؛ فاكتب إلينا من علي بن أبي طالب نُجبْك ؛ فمحوت أمير المؤمنين وكتبت ابن أبي طالب كما محى رسول الله ﷺ وكما كتب ، فإن كنتم تُلغون بسم الله الرحمن الرحيم أن محاها وتلغون رسول الله أن محاها ولا تثبتونه فَالغُوني ولا تثبتوني ، وإن أثبتموه فإن الله تعالى يقول : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] ، وقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب : ٢١] (فاستننتُ برسول الله ﷺ ، قالوا : صدقت هذه بحجتنا هذه . قال : وأما قولكم : إني قسمت بينكم ما حوى العسكر يوم البصرة وأحللت الدماء ومنعتكم النسآء

والذرية؛ فإني مننت على أهل البصرة لَمّا افتتحتها وهم يَدّعون الإسلام كما منّ رسول الله ﷺ على أهل مكة وهم مشركون لَمّا افتتحها، وكان أولادهم ولدوا على الفطرة قبل الفرقة بدينهم[1] وإن عَدَوا علينا أخذناهم بذنوبهم، ولم نأخذ صغيراً بذنب كبير، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، قال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلا غلّ عقالا من الحرب لأتى يوم القيامة وهو مغلول به حتى يؤديه». وكانت أم المؤمنين أثقل من عقال، فلو غللتها وقسمت سوى ذلك فإنه غلول، ولو قسمتها لكم وهي أمكم لاستحل منها ما حرم الله، فأيكم كان يأخذ أم المؤمنين في سهمه وهي أمه؟ قالوا: لا أحد وهذه بحجتنا هذه.

وأما قولكم: إني حكّمت الحكمين، فقد عرفتم كراهتي لهما إلا أن تكذبوا. وقولي لكم: ولّوها رجلاً من قريش، فإن قريشًا لا تُخْدَع فأبيتم إلا أن وليتموها من وليتم. فإن قلتم: سكت حيث فعلنا ولم تنكر، فإنما جعل الله الإقرار على النسآء في بيوتهن، ولم يجعله على الرجال في بيوتهم. فإن كذبتم وقلتم: أنت حكّمت ورضيت، فإن الله قد حكّم في دينه الرجال وهو أحكم الحاكمين، فقال: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ الآية [المائدة: ٩٥]، وقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٣٥]. فإنما على الإنسان الاجتهاد في استصلاح الحكمين، فإن عدلا كان العدل[2] فيما رأياه أولى، وإن لم يعدلا فيه وجارا كان الوزر عليهما، ولا تزر وازرة وزر أخرى، قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

---

(١) في (آ): فلا نأخذهم بذنبهم.

(٢) في (آ): الأمر.

وأمّا قَولُكم: إني حكّمتُ وأنا أولى الناس بالحكم فقد حكّم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ يوم اليهود فحَكَم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وجعل أموالهم للمهاجرين دون الأنصار، فقالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

وأمّا قَولُكم: إني قلت للحكمينْ: انظرا في كتاب الله فإن كان معاوية أحق بها مني فأثبتوه وإن كنت أولى[1] بها فأثبتوني، فلو أن الحكمين اتقيا الله ونظرا إلى القرآن عرفا أنني كنت من السابقين بإسلامي قبل معاوية، ومعاوية مشرك، وعرفتُ أنهم إذا نظروا في كتاب الله وجدوني يجب لي على معاوية الاستغفار؛ لأني سبقته بالإيمان، ولا يجب لمعاوية عليّ الاستغفار، ووجدوني يجب لي على معاوية خُمُس ما غنمتم؛ لأن الله تبارك وتعالى أمر بذلك إذ يقول: ﴿ واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ [الأنفال: ٤١]، فإذا حكّما بما أنزل الله أثبتوني، ولو قلتُ: احكموا وأثبتوني أبى معاوية، ولكني أظهرت لهم النصفة حتى رضي. كما أن رسول الله ﷺ لو قال: أجعل لعنة الله عليكم أبوا أن يباهلوا، ولكن جعل لعنة الله على الكاذبين، فهم الكاذبون واللعنة عليهم، ولكن أظهر لهم النصفة فقبلوا، قالوا: صدقت هذه بحجتنا هذه.

وأمّا قَولُكم: إن كان معاوية أهدى مني فأثبتوه، فإنني قد عرفت أنهم لا يجدونه أهدى مني، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٩] فقد[2] عرفتُ أنهم لايجدون معاوية أهدى مني.

وأما قولكم: إن الحكمين كانا رجلي سوء فَلِمَ حَكَّمْتَهما؟ فإنهما لو حكما بالعدل لدخلا فيما نحن فيه وخرجا من سوئهما، كما أن أهل الكتاب لو حكموا

---

(١) في (آ): أحق.

(٢) في (ج): فكذلك.

بما أمر الله سبحانه حيث يقول : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنْجِيلِ بِمَا أنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة : ٤٧] خرجوا من كفرهم إلى ديننا ، قالوا : صدقت وهذه بحجتنا هذه . وأمّا قولكم : إني كنت وصيًا فضيّعت الوصية ، فإن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٧] ولو ترك الحج من استطاع إليه سبيلا كفر ولم يكن البيت ليكفر ، ولو تركه الناس لا يأتونه ، ولكن كان يكفر من يستطيع إليه السبيل ولا يأتيه ، وكذلك أنا إن أكن وصيًا فأنتم كفرتم لا أنا كفرت بكم وبما ترتكموني قالوا : صدقت وهذه بحجتنا هذه .

وأمّا قولكم : إن ابن عباس جآء يرفل في حُلّة حسنة يدعوكم إلى ما ندعوكم إليه ، فقد رأيت أحسن منها على رسول الله ﷺ يوم حرب .

فرجع إليه من الخوارج أكثر من أربعة الآف ، وثبت على قتاله أربعة الآف ، وأقبلوا يحكمون ، فقال علي ﷺ : حكمُ الله أنتظر فيكم . ياهؤلاء أيكم قتل خباب بن الأرت وزوجته وابنه يظهر لي أقتله بهم ، وانصرف عهداً إلى مدة حكم الله أنتظر فيكم ؟ فنادوا : اللهم كُلّنا قتل خبابا وزوجته وابنه واشترك في دمآئهم . فناداهم أمير المؤمنين ﷺ : أظهروا لي كتابًا وشافهوني بذلك فإني أكره أن يُقرّ به بعضكم في الضوضاء ولا يُقرُّ بعض ، ولا أعرف ذلك في الضوضاء ، ولا استحل قتل من لم يقر بقتل من أقرّ ، لكم الأمان حتى ترجعوا إلى مراكزكم كما كنتم ، ففعلوا وجعلوا كلما جآء كتيبة سألهم عن ذلك ، فإذا أقرّوا عزلهم ذات اليمين حتى أتى على آخرهم ، ثم قال : ارجعوا إلى مراكزكم ، فلما رجعوا ناداهم ثلاث مرات رجعتم كما كنتم قبل الأمان من صفوفكم ، فنادوا كلهم نعم . فالتفت إلى الناس فقال : الله أكبر لو أقرّ بقتلهم أهل الدنيا وأقْدرُ على قتلهم لقتلتهم ، ثم شدّ عليهم مرة بعد مرة ، يرجع بسيفه يسويه على ركبتيه من اعوجاجة . ثم شدّ

الناس عليهم فقتلوهم فلم ينج منهم تمام عشرة، فقال: ائتوني بذي الثدية فإنه في القوم، فقلب الناسُ القتلى فلم يقدروا عليه، فأتي فأخبر بذلك، فقال: الله أكبر، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذبت وإنه لفي القوم، ثم قال: ائتوني بالبغلة فإنها هادية، فركبها ثم انطلق حتى وقف على قليب، ثم قال: قلِّبوا فقلبوا سبعة من القتلى فوجدوه ثامنهم، فقال: الله أكبر هذا ذو الثدية، والذي خَبَّرَني رسول الله ﷺ أنه يقتل مع شرّجيل، ثم قال: تفرقوا فلم يقاتل معه الذين كانوا اعتزلوا، كانوا وقوفًا على حدَة، وقد كان عليه السلام قال لأصحابه: إنه لا يقتل منكم عشرة، ولا ينجو منهم عشرة، فكان الأمر كما قال[1].

وقد روينا في الخوارج عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «تمرق مارقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق».[2]

وروينا عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلاب أهل النار الخوارج».[3]

وروينا بالإسناد إلى عبدالله بن مسعود قال: أُمِرَ عليٌّ عليه السلام بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين.[4] وعن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ «بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فمع مَن؟ قال: مع علي بن أبي طالب».

والمراد بالناكثين: طلحة والزبير وأصحابهم؛ لأنهم نكثوا بيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه. وبالقاسطين: معاوية وأصحابه؛ لأنهم قسطوا

---

(١) المصابيح ٣٢٦، وشرح نهج البلاغة (٢/ ٢٧٥-٢٧٧).

(٢) صحيح مسلم رقم ١٠٦٤، وسنن أبي داوود رقم ٤٦٦٧، ومسند أحمد ١١٢٩٣، وفتح الباري رقم ٦٥٣٢، والسنن الكبرى رقم ٨٥١١، مسند أبي يعلى رقم ١٢٤٦.

(٣) ابن ماجة رقم ١٧٣، والمعجم الكبير رقم ٨٠٣٣، ٨٠٣٤، ٨٠٣٦، ٨٠٤٢، ومسند الطيالسي رقم ١١٣٦، ومسند أحمد بن حنبل رقم ١٩١٥٣، ١٩٤٣٤، مسند الحميدي رقم ٩٠٨.

(٤) الحاكم ٣/ ١٥٠ رقم ٤٤٧، والمعجم الكبير ١٠/ ٩١ رقم ١٠٠٥٣.

عن الحق أي جاروا وعدلوا. وبالمارقين: الخوارج ؛ لأنهم مرقوا عن طاعة أمير المؤمنين عليه السلام.

مُدَّة خلافَته عليه السلام بَعْدَ البَيْعَة

كانت البيعة كما ذكرنا يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وضُرِبَ عليه السلام لتسع عشرة، وقيل: لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وتوفي ليلة إحدى وعشرين من الشهر على أثبت الروايات سنة أربعين من الهجرة ؛ فكانت مدة الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وأيامًا على أصح الروايات، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام في الإفادة[1].

أولاد أمير المؤمنين عليه السلام: الحسن والحسين صلوات الله عليهما والمُحسِّن دَرَجَ صغيراً، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، أمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. وأبو القاسم محمد، أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني بكر بن وائل ثم من بني حنيفة. والعباس وعثمان وجعفر وعبدالله قُتِلُوا مع الحسين صلوات الله عليه، أمهم أم البنين بنت حزام من ولد عامر بن صعصعة. وأبو بكر وعبيد الله، أمهما ليلى بنت مسعود الدّارمية. وعمر ورقية، أمهما الصهباء وهي أم حبيب بنت ربيعة من بني تغلب بن وائل من سبي خالد بن الوليد. وعمر الأصغر أمه المُصْطَلقيّة. ومحمد الأوسط، ومحمد الأصغر، وعمر الأوسط على قول بعضهم، والعباس الأصغر، وجعفر الأصغر لأمهات شتى. وعبدالرحمن، وأمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأمُّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي ابنة أخت فاطمة عليها السلام. وكانت أوصت إليه عليه السلام

(١) الإفادة ص٤٠، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٢.

بأن يتزوج بها بعدها. ويحيى وعون درجا صغيرين، وأمهما أسماء بنت عميس من ولد خثعم بن أنمار بن نزار. فهؤلآء عشرون ابنًا. هُم أكثر المعدودين من أولاده الذكور. ومن أصحاب الأنساب من لم يعد محمد الأوسط والأصغر، ولم يذكر عمر الأوسط، ومنهم من لم يذكر إلا عمر المعقب. والعقب لخمسة منهم: وهم الحسن، والحسين عليهما السلام، ومحمد، والعباس، وعمر.

والبنات اثنتان وعشرون بنتًا على اختلاف في ذلك بين أهل النسب. زينب الكبرى قد روت عن أمها فاطمة عليها السلام غير حديث، والصغرى. وأم كلثوم الكبرى، والصغرى، ورملة الكبرى، والصغرى، ورقية الكبرى، والصغرى، وأم هاني الكبرى، والصغرى، وأم الكرام واسمها الجمانة، وأم جعفر، وقد اختلف هل النسب فيها. فمنهم من يقول: جمانة هي أم جعفر، وهو قول يحيى ابن الحسن العقيقي. ابن الكلبي يقول: الجمانة غير أم جعفر. وأم سلمة. ونفيسة هي أم كلثوم الصغرى. وقال غيره: هي غيرها. وميمونة، وليلى، وأم الحسن، وفاطمة، وخديجة، وأمامة.

والعقب لأربع منهن: وهنّ زينب الكبرى عقبها في ولد عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وزينب الصغرى عقبها في ولد محمد بن عقيل ولدت له عبدالله بن محمد بن عقيل[1]، وأم الحسن عقبها في ولد جعدة بن هبيرة ابن أخت علي عليه السلام، وفاطمة عقبها في ولد سعد بن الأسود بن أبي البختري. والبواقي منهن لم يتزوجن، ومنهن مزوجات من ولد عقيل والعباس بن عبد المطلب وقد انقرض عقبهن[2].

عمّاله عليه السلام: كاتبه عبيدالله بن أبي رافع. وحاجبه قنبر مولاه. وعامله على مكة مَعْبدُ بن العباس بن عبدالمطلب. وعلى المدينة قُثم بن العباس. وعلى اليمن

---

(١) ولدت له عبدالله بن عقيل، في (أ): ساقطة.

(٢) أنظر المصابيح ٣٣٠-٣٣١، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٣-١٥٥.

عبيدالله بن العباس هذه رواية[1] الزبير بن بكّار. وروى غيره أن مكة والطائف ونواحيها كان عليها قثم بن العباس. وكان على المدينة أبو أيوب الأنصاري، وهذا أظهر. وعلى مصر قيس بن سعد. ثم ولى محمد بن أبي بكر عليها. ثم ولى الأشتر عليها فلم يصل إليها وسُمَّ في الطريق بحيلة من معاوية. وعلى البصرة عثمان بن حنيف قُتِلَ في وقعة الجمل، ثم عبدالله بن العباس بعدها. وأبو الأسود الدؤلي كان على القضاء بها. وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث. وعلى فارس وكرمان ونواحيها زياد. وعلى خراسان جعدة بن هبيرة. ثم خالد بن قُرَّة اليربوعي. وعلى المدائن سعيد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد[2].

ذِكْرُ مَقْتَلِهِ وَمَبْلَغِ عُمْرِهِ وَمَوْضِعِ قَبْرِهِ عليه السلام:

روينا عن قيس بن الربيع قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يفطر عند الحسن بن علي عليهما السلام فلا يزيد على ثلاثة لقم قال: فيقول: يا أبة لو زدت، فيقولُ: أحب أن ألقى الله خميصاً. وعن عثمان بن المغيرة قال: لمّا دخل رمضان جعل علي عليه السلام يتعشّى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن جعفر، لا يزيد على ثلاث لقم يقول: يأتيني أمر الله حين يأتيني وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو ليلتان[3]. ورأى أمير المؤمنين علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، قال علي: فشكوت إليه ما لقيت من أهل العراق فوعدني الراحة عن قريب، فما لبث بعد ذلك إلا جمعة أو جمعتين.

وروينا عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال علي عليه السلام: واشتكى شكوى، فلما أفاق قالوا: لقد خفنا عليك، قال: ما خفتم عليَّ؟ قالوا:

---

(١) في (ج): هذه الرواية عن الزبير.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) كنز العمال ١٣/ ١٩٥ برقم ٣٦٥٨٣.

لم نأمن عليك الموت، قال: لا، لعمري ما من الموت أمان، ولكن حدثني الصادق المصدوق البار ﷺ أني لن أموت حتى تخضب لحيتي هذه من دم رأسي، يضربني أشقى هذه، كما عقر ناقةَ الله أشقى ثمود[1].

وروى الحاكم رضي الله عنه عن عبدالله بن سَبُع قال: خطبنا علي عليه السلام وقال: فيما عهد إليّ رسول الله ﷺ: لتُخْضَبَنَّ هذه من دم هذا، فقالوا: ألا تخبرنا به فنبيد عترته، فقال: أنشد الله رجلا قتل غير قاتلي.

وروى رضي الله عنه عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت عليّا عليه السلام يقول: أتاني عبدالله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال: أين تريد؟ فقلت العراق، فقال: أما إنك لو جئتها ليصيبنَّك بها ذباب السيف، ثم قال عليٌّ عليه السلام: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: قبله، قال أبو الأسود: فتعجبتُ منه؛ رجلٌ محاربٌ يحدث بمثل هذا عن نفسه!

وروي عنه أنه عليه السلام لما أراد أن يخرج من الدار في الليلة التي ضرب فيها تعلق مئزره بالباب فانشأ يقول:

اشدد حيازيمك للمو ... ت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من المو ... ت اذا حلّ بواديكا[2]

ثم مضى الى المسجد وهو يقول:

خلوا سبيل المؤمن المجاهد ... في الله لا يعبد غير الواحد
ويوقظ الناس إلى المساجد

وروينا أن عبدالرحمن بن ملجم، والبرك بن عبدالله، وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس، وعابوا عمل ولاتهم، ثم ذكروا أمر أهل النهر فترحمّوا عليهم وقالوا: والله ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا، فلو اشترينا

---

(١) الأمالي ٧٥ وبلفظ مقارب، وكنز العمال ١٣/ ١٩٣ رقم ٣٦٥٧٧ - ٣٦٥٧٨-٣٦٥٨٠.
(٢) مقاتل الطالبين ٣١، وصفوة الصفوة ١/ ١٤٠، وكتاب الفتوح ٤/ ٢٧٧.

أنفسنا وأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم وأرحنا منهم البلاد، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا على ذلك، واتعدوا ليلة تسع عشرة من رمضان، وهي الليلة التي ضرب ابن ملجم فيها عليًا ﷺ. فأقبل كل واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه[1].

فأما ابن ملجم فلقي أصحابه بالكوفة فكاتمهم أمره حتى إذا أتى ذات يوم أصحابًا له من تيم الرباب، وقد كان علي ﷺ قتل منهم عدّة يوم النهر، فلقي من يومه ذلك امرأة يقال لها: قطام، وكان علي ﷺ قد قتل أباها وأخاها يوم النهر، وكانت جميلة، فلما رآها التبست بقلبه فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشتفي لي. قال: وما تشآئين؟ قالت: ثلاثة الآف، وعبد، وقينة، وقتل علي بن أبي طالب، فقال: والله ما جاء بي إلا قتل علي بن أبي طالب، قالت: فإني أطلب لك من يساعدك، وبعثت إلى رجل يقال له: وردان فكلمته فأجابها. وأتى ابن ملجم شبيب بن بحره ويقال: شبث، وقال: هل لك في قتل علي؟ فقال: ثكلتك أمك! كيف تقدر عليه؟ قال: أكمُنُ له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه، قال: ويحك! لو كان غير علي كان أهون، قال: أما تعلم بأنه قتل أهل النهر العبّاد المصلين، قال: بلى، قال نقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه، فجآءوا حتى دخلوا على قطام، وقال: هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبيّ أن يقتل كل واحد منا صاحبه[2].

وروي أنها أعدّت له سيفًا، فلما دفعته إليه قالت: اقْتُلْ عليًا وارجع قرير العين مسرورًا، فقال: لا بل أرجع سخين العين مثبورًا، ثم إنهم أخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ﷺ، فخرج صلوات الله عليه لصلاة

---

(١) الطبري ٦/ ٨٣، وابن أبي الحديد ٢/ ٤٢، والبداية والنهاية ٧/ ٣٢٥، ومقاتل الطالبين ٢٩.
(٢) مقاتل الطالبين ٣٣.

الغداة فشد عليه شبث فوقع سيفه بعضادة الباب وبالطاق ولم يصبه ، وضربه ابن ملجم على رأسه ، وهرب وردان حتى دخل منزله ، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع السيف والحريرة ، وأخبره بما كان ، فذهب إلى منزله وأخذ سيفه وعلاه به حتى قتله ، وخرج شبث ونجا ، وشدوا على ابن ملجم وأخذوه[1] .

وروي أن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن جبلة بن معاوية كان تلك الليلة بناحية من المسجد ، وحجر بن عدي رحمه الله كان يصلي ، فسمع الأشعث يقول له : النجا ، فَضَحَكَ الصُّبْحُ ، فقال : قتلته يا أعور قتلك الله ، وكان الأشعث أعور ، وكان ابن ملجم حليفًا لبني جبلة وابن أخت لهم ، وجبلة هو الذي ينتمي إليه الأشعث ، كما قدّمنا نسبه ، فلما قُتِلَ علي عليه السلام قال قيس بن ربيعة الكندي يرثيه ويهجو الأشعث :

قــتلت أمــيــر المؤمنين تَخَسونًا	على غير شيء يابن واهصة الخصى[2]
وأنت لعلج من هرابذ فــارس	تؤول لعلج مــا تبــوء لذي العــلا
لشنجيت ترمي شـر أبناء فـارس	إلى شــر منجــول وآلأمَ مُنتــمى
غـدرت بميمـون النقيبـة حـازم	وأكرم من ضمت حصاب ومن مشى
أخي الدين والإسلام والبر والتقى	وصهر الذي أصفى له الدين بالهدى
أبرَّ بذي قــربى وأبعــد من خنى	وأتقى لرب حين مـيْــزَ ذوو النهى
وأشجع من ضرغامة ذي مهابة	وأجـود من نوء السـمـاك إذا سـقى
أخا أحـمـد والوارث العلم بعـده	وصي له في الغـابرين ومن مـضى
فأبشر أخا الإتراف والحوب والخنا	بما إن تلاقي أن تحش لكم لظى
مـقـارن إبليس بهـا عـرف نارها	وقـود لحـاميـهـا ليهْنَ لك السـقـا

(١) المصابيح ٢٣٥ .

(٢) يعير الرجل فيقال : يابن واهصة الخصى إذا كانت أمه راعية . لسان العرب مادة : وهص .

فلا زلت موزوعًا لَعينًا مُبَغَّضًا   وأبعدك الرحمان واجتاحك الردى[1]

وكان الأشعث دعيًا في كندة؛ ولذلك قال علي عليه السلام فيما حكى الأسود بن سعد بن قيس الهمداني: أن عليًا عليه السلام كان جالسًا في الرَّحبة إذ طلع الأشعث بن قيس فَسَلَّم ثم جلس فقال: يا أمير المؤمنين جئتُ خاطبًا، قال: لمن؟ قال: إليك قال أحمقة: كحمقة أبي بكر يا شعث، يأبى ذلك عليك شنجيت، فقال الأشعث: وما شنجيت؟ قال رجل من الفرس لما تمزق ملك بني عمرو بن معاوية شخص مع كندة إلى اليمن، وابنه خُرزاذ معه غلام، فلما انتهوا إلى حضرموت هلك شنجيت، فانتسب خرزاذ جدك الذي يقال له: معدي كرب إلى جبلة بن معاوية. وكان الأشعث لما ارتد عن الإسلام وتحصن بحصنه النحير بَعَثَ إليه أبو بكر زياد بن لبيد البياضي، فأخذه فمنَّ عليه أبو بكر وزوّجه أخته أم فروة؛ فلذلك قال علي عليه السلام: أحمقة كحمقة أبي بكر[2].

وروي عن محمد بن حنيف قال: والله إني لأُصَلّي تلك الليلة التي ضرب فيها ابنُ مُلْجَمٍ عليًا عليه السلام قريبًا من السدة في رجال كثير من أهل البصرة، إذ خرج علي عليه السلام لصلاة الغداة، فنظرت إلى بريق السيف، وسمعت: الحُكْمُ لله لا لك يا علي ولا لأصحابك، ثم سمعت عليًا عليه السلام يقول: لا يفوتنكم الرجل، فلم أبرح حتى أُخذَ ابن ملجم وأدخل على علي عليه السلام فسمعته يقول: النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأي. فبيناهم عنده- وابن ملجم مكتوف بين يدي الحسن عليه السلام- إذ نادت أم كلثوم بنت علي عليه السلام: إنه لا بأس على أبي، واللهُ مخزيك يا عدو الله، فقال: فعلام تبكين؟ فوالله لقد شريته بألف، وسمّمته بألف، ولو كانت هذه الضربة لجميع الناس ما بقي منهم

---

(١) المصابيح ٣٣٦.

(٢) المصابيح ٣٧٧.

أحـد. وأقـبل علي ﷺ على ابن ملجم، وقـال: أرأيت إن سـألتك عن ثلاث خصال تصدقني إن سألتك؟ قال: سلني، قال: سألتك بالله هل كنت تُدْعَى وأنت صغير: ابن راعية الكلاب؟ قال: اللهم نعم. قال: فأسألك عن الثانية: أنشدك بالله أمرَّ بك رجل وقد تحركت فقال: أنت شقيق عاقر ناقة ثمود؟ قال: اللهـم نعم. قال: فإني سائلك عن الثالثة، وهي أشدهن عليك هل حدثتك أمك أنها حملت بك في حيضها؟ قال: اللهم نعم، ولو كنتُ كاتمًا شيئًا لكتمته[1].

وفي قطام وما كان منها يقول القائل وهو ابن مياس الفزاري:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وقتل علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ... ولا فَتْكَ إلا دون فتك ابن ملجم[2]

وأما صاحبا ابن ملجم لعنه الله تعالى: فإن البرك بن عبدالله انطلق تلك الليلة التي ضرب فيها علي ﷺ - إلى معاوية فوافقه يصلي بالناس فشدَّ عليه فطعنه بالخنجر في أليته، فأُخذ فقُتل. ويقال: بل قطع يديه ورجليه وخلى عنه. ودُوِّي[3] معاوية وبرىء، ثم بلغه أنه ولد له ولد[4]، فبعث إليه فقتله، ثم اتخذ معاوية المقاصير والحرس، وهو أول من اتخذها في الإسلام خوفًا على نفسه. وانطلق عمرو بن بكر إلى عمرو بن العاص، وكان عميداً يشتكي بطنه فلم يخرج تلك الليلة، وأمر خارجه قاضي مصر أن يصلي بالناس، فخرج يصلي بهم

---

(١) المصابيح ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) ابن أبي الحديد ٢/ ٤٦، والاستيعاب ٢/ ٢٨٥، ومقاتل الطالبين ٣٧، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٠.

(٣) في (ج): وبري.

(٤) في هامش (أ): بلغه أنه لا يولد له بعد تلك الطعنة، وأن نسله ينقطع من أجلها، فأمر به يزيد بن معاوية فقتل.

فوافقه ابن بكر فقتله، فَأَمْسَكَ فَانطُلِقَ به إلى عمرو، وقال لعمرو : يا عدو الله والله ما أردت غيرك لكنَّ الله أبى إلا خارجه، ثم أمر به فقتل وصلب.

وروينا عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام: أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخرج إلى الصبح وفي يده درّة يوقظ بها الناس، فضربه ابن ملجم، فقال علي عليه السلام : أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن عشت فالحق حقي،[1] فإن شئت استقدت. وفي بعض الأخبار كفوا عنه وأوثقوه، فإن أعش فالحق حقي أرى فيه رأيي، وإن أمت فرأيكم في حقكم.

وضُرِبَ عليه السلام ليلة تسع عشرة من شهر رمضان. وروينا أنه عليه السلام لما ضرب جمع له أطباء أهل الكوفة فلم يكن فيهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني، وكان متطببًا صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلامًا الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في بيعة عين التمر فسباهم. وأن أثيرًا لما نظر إلى جُرح أمير المؤمنين عليه السلام دعا برئة شاة حارة فاستخرج عرقًا منها فأدخله الجرح ثم استخرجه فإذا عليه بياض الدماغ فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك[2].

وروينا عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: لما ضُرِبَ أمير المؤمنين علي عليه السلام الضربة التي توفي منها؛ استند إلى اسطوانة المسجد، والدمآء تسيل على شيبته، وضجَّ الناس في المسجد كهيئة يوم قبض فيه النبي صلى الله عليه وآله، فابتدأ خطيبًا فقال- بعد الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله : كل امرء ملاق ما يفر منه، والأجل تساق إليه النفس، والهرب منه موافاته. كم اطردت الأيام ابحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا ستره، وإخفاءه علمًا مكنونًا. أما

---

(١)في (ب): أرى فيه رأيي، وإن شئت...

(٢)ابن أبي الحديد ٢/ ٤٤، ومقاتل الطالبين ٣٨، أمالي أبي طالب ٧٩-٨٠.

وصيتي بالله عز وجل: فلا تشركوا به شيئًا، ومحمداً ﷺ فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، حَمَّلَ كل أمرىء منكم مجهوده، وخفف عن العجزة ربٌّ كريم رحيم، ودين قويم، وإمام عليم، كنتم في إعصار وذَرْوِ رياح، تحت ظل غمامة اظمحل راكدها، ليَعظُكُم خفوتي وسكون أطرافي، إنه لأوعظ لكم من نطق بليغ. ودَّعتكم وداع امرىء مرصد للتلاق، غدا ترون أيامي، ويُكْشَفُ لكم عن سرائري، فعليكم السلام إلى يوم اللزام، كنت بالأمس صاحبكم، وأنا اليوم عظة لكم، وغداً أفارقكم. فإن أبق فأنا ولي دمي، وإن أَفْنَ فالقيامة ميعادي، عفى الله عني وعنكم[1].

توفى عليه السلام ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين. وولي غسله ابنه الحسن بن علي عليهما السلام، وعبيدالله بن العباس، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلى عليه ابنه الحسن بن علي عليهما السلام، وكبر خمس تكبيرات، ودفن عند صلاة الصبح أولا في الرحبة مما يلي باب كندة، ثم نقل ليلا إلى الغري[2]. وذكر السيد أبو طالب أن المشهور أن زيد بن علي عليهما السلام قال لأصحابه - وهم يسلكون معه طريق الغَريّ -: أتدرون أين نحن؟ نحن في رياض الجنة، نحن في طريق قبر أمير المؤمنين[3]. قال: ومن المعلوم الذي لا يخفى على من نظر في الأخبار أن جعفر بن محمد حضر الموضع وزار القبر، وقال لابنه اسماعيل: هذا قبر جدك أمير المؤمنين[4].

وروي عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال: حملناه ليلا ودفناه بالغري[5]. فهذا كلام سادة العترة عليهم السلام، فكيف تدعى النواصب أن

---

(١) أمالي أبي طالب ١٨٨-١٨٩.

(٢) مقاتل الطالبين ٤١، المصابيح ٣٣٩.

(٣) الإفادة ٣٠-٣١، والأمالي ٧٩، والمصابيح ٣٣٩-٣٤٠.

(٤) الإفادة ٣١.

(٥) الإفادة ٣١.

موضع القبر ليس بمعلوم! لولا عمى بصائرهم وشدة انحرافهم عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

وروينا بالإسناد عن الأسود الكندي والأجلح قالا: توفي أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو ابن أربع وستين سنة، قال السيد أبو طالب عليه السلام: وهو الأصح[1]. وعن جعفر بن محمد قال: قتل علي عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين، وعن محمد ابن الحنفية لما جاوز خمسا وستين سنة قال: جاوزتُ سن أبي بسنتين.

ولما دفن عليه الصلاة والسلام، دعا الحسن بن علي عليهما السلام – بعد دفنه أباه ابن ملجم لعنه الله فأتي به فأمر بضرب عنقه، فقال له: إن رأيت أن تأخذ عليَّ العهود أني أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك بعد أن أمضي إلى الشام فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية فإن كان قتله وإلا قتلته، ثم عدت إليك فتحكم فيَّ بحكمك؟ فقال له الحسن عليه السلام: هيهات، والله لا تشرب الماء البارد أو تلحق روحك بالنار، ثم ضُرِبَتْ عنقه، فاستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه، فوهبها لها، فاحرقتها بالنار[2].

وروينابالإسناد عن ابن شهاب قال: قدمت دمشق غازيًا فدخلت على عبدالملك بن مروان، فإذا هو على فرش يفوت القائم، والناس سماطين بين يديه فسلمت، فأخذت مجلسًا، فقال: يا ابن شهاب، أتعرف ما كان في بيت المقدس صباح ليلة قتل فيها علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم، قال: هَلُمَّ فدرت خلف السماط حتى أتيته من خلف القبة، فتحول إليَّ فولأني[3] رأسه، فقال: ما كان؟ فقلت: ما رُفِعَ حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم![4] فقال: ما بقي أحد يعرف هذا غيري وغيرك فلا يخرجنَّ منك، فما حدثت به حتى مات.

---

(1)الإفادة ٣٤.

(2)الأمالي ٨٥، ومقاتل الطالبين ٤١.

(3)في (ب،ج): فولاً.

(4)في (ب): غبيطا.

وروينا بالإسناد إلى الحاكم رضي الله عنه رواه عن جعفر بن محمد بإسناده عن النبي ﷺ وآله قال لعلي: يا علي من زارني في حياتي، أو بعد وفاتي، أو زارك في حياتك، أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما، أو بعد موتهما، ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدآئدها حتى أصيره معي في درجتي»[1].

وروي عن الرضى عليه السلام أنه قال: من زار قبر أمير المؤمنين فليصل عند رأسه ست ركعات؛ فإن في قبره عِظَامَ آدم، وجَسَدَ نوح، وأميرَ المؤمنين عليهم السلام، فمن زار أمير المؤمنين فقد زار آدم ونوحًا وأمير المؤمنين. وعنه رضي الله عنه عن الصادق عليه السلام: إذا بعدت بأحدكم الشقة ونَأَتْ به الدار فَلْيُصَلِّ ركعتين، ولْيَوْمَ بالسلام إلى قبورنا، فإن ذلك يصل إلينا.

وقالت أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب ترثي أمير المؤمنين عليًا عليه السلام[2]:

ألا يا عين ويحك أسعدينا	ألا تبكي أمير المؤمنينا
رُزِئنا خيرَ من ركب المطايا	وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمثينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر راع الناظرينا
فلا والله لا أنسَى عليًا	وحُسْنَ صلاته في الراكعينا
يقيم الحد لا يرتاب فيه	ويقضي بالفرائض مستبينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طُرًا أجمعينا

(١) درر الأحاديث النبوية ٤٩ عن الحسن بن علي (ع) قال للنبي ﷺ وآله ما لمن زارنا؟ فقال رسول الله «من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك حياً أو ميتاً أو زارك حياً أو ميتاً كان حقيقاً على الله أن يستنقذه يوم القيامة».

(٢) إختلف الرواة في ترتيب هذه الأبيات كما أختلفوا في نسبتها، وقد نسبها الطبري في تاريخه ٥/ ١٥٠ لأبي الأسود الدؤلي.

كــأن الناس إذ فــقــدوا عليّــا ... نَعَــامٌ حــال في بلد سنينا
وكُنّا قــبل مــهلكه بخــيــر ... نرى فــينا وصي المسلمــينا
أشــاب ذؤابتي وأطال جُــهْــدي ... أُمَــامَــةُ حين فــارقت القــرينا
وعَــبْــرَةُ أمِّ كلثــوم بحــزن ... تجــرعــهــا وقــد رأت اليــقــينا
فــلا تَشْــمَتْ مــعاويةُ بن صخر ... فــإن بقــيــة الخلفــآء فــينا[1]

ولما دفن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قام صعصعة بن صوحان، وأخذ التراب ووضعه على رأسه، وأنشأ يقول:

ألا من لي بســرك يا أخــيّــا ... ومن لي أن أبثك مــا لــديّا
طوتك منون دهرك بعــد نشــر ... كــذلك دَأبُهُ نشــرا وطَيّــا
فلو نشــرت طواك لي المنايا ... شكرت إليك مــا صنعت إليّــا
كــفى حــزنًا بفــقــدك ثم إني ... نفــضت تراب قــبــرك من يديّا
بكيــتك يا عليّ بملء عــيني ... فلم يغن البكاء عليك شــيًّــا
وكــانت في حــياتك لي عظاة ... فــأنت اليــوم أوعظ منك حــيا

وقال عمران بن حطان الخارجي في عبد الرحمن بن ملجم لعنهما الله -حين ضرب عليًا عليه السلام[2]:

يا ضــربة من تقي مــا أراد بهــا ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضــوانا
إنــي لأذكــره يومًــا فأحسبــه ... أوفى البــرية عند الله مــيــزانا
أخْلِقْ بقــومٍ بطونُ الطير أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم كفــرًا وعــدوانا

فأجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الفقيه الشافعي بهذه الأبيات:

إني لأبرءُ مما أنت قــــائله ... عن ابن مُلْجَم الملعــون بهــتــانا
يا ضــربة من شــقي مــا أراد بهــا ... إلا ليــهــدم للإســلام أركــانا

---

(١) مقاتل الطالبين ٤٣ .

(٢) مقاتل الطالبين ٣٧ .

إني لأذكـــره يومًـــا فـــألعنه ... دينًا وألعن عـــمـــرانا وحطانا
عليك ثم عليـه الدهر متـصـلا ... لعـائن الله إســراراً وإعــلانا
فأنتما من كلاب النار جآء به ... نص الشـريعـة برهانًا وتبـيـانًا

وروى صاحب كتاب الاستيعاب الفقيه الحافظ[1] أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النميري لبكر بن حماد التاهرتي يعارض ابن حطان :

قتلتَ أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس إســلامًـــا وإيمانا
وأعلم الناس بالقــرآن ثم بما ... سَنَّ الرسول لنا شرعًا وتبيـانا
صـهـر النبي ومـولاه وناصـره ... أضـحـت مناقـبـه نوراً وبرهانا
وكـان منه على رغم الحسـود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفًا صارمًا ذكرًا ... ليـثًـا إذا لقي الأقـران أقـرانا
ذكـرت قـاتله والدمع منحـدرٌ ... فقلت : سبحان رب الناس سبحانا
إني لأحـسـبـه مـا كـان من بَشَرٍ ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادٍ إذا عُدت قبـائلها ... وأخـسـر الناس عند الله مـيـزانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها ... قـبل المنيـة أزمـانا فـأزمـانا
فـلا عـفى الله عنه مـا تحـمّله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقـوله في شقي ظل مجـترمًـا ... ونال مـا ناله ظلمًـا وعـدوانا
يا ضـربة من تقي مـا أراد بهـا ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضـربة من غـوي أوردته لظى ... مخلدًا قد أتى الرحمن غضبانا
كـأنه لم يرد قـصـدًا بضـربتـه ... إلا ليـصلى عـذاب الخلد نيـرانا

وروي له أيضًا :

وهز عليٌّ بالعـراقين لحـيـةً ... مصيبتها جلّت على كل مسلم
فقـال : سيأتيـهـا من الله حـادثٌ ... ويخـضـبـهـا أشـقى البرية بالدم

---

(١) في (أ) : بدون الحافظ .

فـبـاكـره بالسـيف شلت يمينه ... لشـؤم دعـاه عند ذاك ابن ملجم
فيا ضربة من خاسر ظل سعيه ... تَبَوَّءَ منهـا مـقـعـداً في جـهنم
فـفـاز أمـيـر المؤمنين بحظه ... وإن طرقت فـيـه الليـالي بمعظم
ألا إنما الـدينـا بـلاءٌ وفـتـنـة ... حـلاوتهـا شِيْبَتْ بصابٍ وعلقم

ذِكْرُ نُكَتٍ مِنْ كَلامِهِ وَسِيْرَتِهِ عليه السلام :

كلامه عليه السلام في الطبقة العالية في كل فن من فنونه لفظًا ومعنًى، وهو بحر يطمي تياره، ويتلاطم زخّارُه، وإنما نذكر مجةً[1] من لجٍ زاخر، وقطرة من وابل ماطر. من ذلك ما رويناه بالإسناد الموثوق به عن الحارث أن عليًا عليه السلام لما اختلف أصحابه خطبهم حين اجتمعوا عنده مبتديًا بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: أما بعد:

فذمتي بذلك رهينة، وأنا به زعيم، مَنْ صرّحت له العبر فيما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن ارتكاب الشُّبهات، وإنه لن يظمأ على التقوى زرع قوم ولن[2] يبلى على الهدى سِنْخُ أصل، وإن الخير والخيرة في معرفة الإنسان قَدْرَه، وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره، وإن أحب خلق الله إلى الله عبد أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، وأضمر اليقين، وزهرت مصابيح الهدى في قلبه، فسهَّل على نفسه الشديد، وقرب عليها البعيد، فلم يَدَعْ مبهمة إلا كشف غطاءها، ولا مظلمةً إلا قصد جلاها، ولا معضلة إلا بلغ مداها، مُعاين طريقته، مشاهد من كل أمر حقيقته، شرب نهلا، وسلك طريقًا سهلا، يحط حيث القرآن حط رحله، وأين[3] نزل كان منزله، فهو من خاص[4] أولياء الله.

---

(١) في (ب، ج): لجة.
(٢) في (ب): ولكن.
(٣) في (أ): وإن.
(٤) في (ب): أخص.

وإن أبغض خلق الله إلى الله عبد وكله إلى نفسه جائر عن قصد السبيل ، مشغوف بكلام بدعة ، فهو فتنة لمن افتتن بعبادته ، ضآل عن هدي من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به ، حمَّال خطايا غيره ، رهين بخطيئته ، قَمَشَ جهلا من الجُهال فأوطأ الناس عشوة ، غاراً بأوباش الفتنة[1] ، قد لَهَج بالصلاة والصوم ، فسمَّاه أشباهه من الناس عالما ولم يغن في العلم يومًا سالما ، تكثر فاستكثر ، وما قل منه خير مما كثر ، حتى إذا ارتوى من آجن وأكثر من غير طائل ، قعد حاكمًا بين الناس ، ضامنًا لتخليص ما اشتبه عليهم ، إن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشوًا من رأيه ، فهو من[2] قطَعِ الشُبهات في مثل غزل العنكبوت إن أصاب[3] ، وإن أخطأ لم يعلم ؛ لأنه لا يعلَم أصاب أم أخطأ لا يحسب أن العلم في شيء مما ينكر ، ولا أن من ورآء ما بلغه غاية ، إن قاس شيئًا لم يكذب بصره ، وإن أظلم عليه أمرٌ كتم ما يعلم من نفسه ؛ لكيلا يقال : لا يعلم ، ركّاب عشوات ، وخائض غمرات ، ومفتاح ظلمات ، ومعتقد شبهات ، لا يعتذر مما لا يعلم ، ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيسلم ، يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم ، تصرخ منه الدمآء ، وتبكي منه المواريث ، ويستحل بقضائه الفروج[4] الحرام ، ويُحَرِّم بقضائه الفروج الحلال ، لا مليءٌ بإصدار ما ورد عليه ، ولا أهل لإصلاح ما فرط منه ، فأبصروا معادن الجور ، واستقصوا آثارها ، واستروحوا إلى طاعة الله من لا تعذرون بجهالته ، ثم ردُوا هذا عذب فرات ، واحذروا هذا ملح أجاج ، واعلموا أن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام ، وما فصلته الأنبيآء ، في عترة نبيكم صلى الله عليه وآله فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة ؟ هؤلاء مثلها فيكم ، وهم لكم كالكهف لأصحاب الكهف ، وهم باب حطة ، وباب السلم ، فادخلوا في السِّلم كآفة ، خذوا عني عن

---

(١)في النهج : عادٍ في أغباش .

(٢)في (ب) : في .

(٣)في النهج من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت .

(٤)في (ج) : الفرج .

خاتم المرسلين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض »[1].

ورويناباالإسناد الموثوق به : أن رجلا قام إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف كان ربنا؟ فقال علي عليه السلام : كيف لم يكن وربنا لم يزل تبارك وتعالى ، وإنما يقال : لشيء لم يكن كيف كان؟ فأما ربنا فهو قبل القبل ، وقبل كل غاية ، انقطعت الغايات عنده ، فهو غاية كل غاية ، فقال : كيف عرفته؟ فقال : أعرفه بما عرَّف به نفسه ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤] ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، متدان في علوه ، عال في دنوه : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ، وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ، وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] قريب غير ملتصق ، بعيد غير متقص ، يعرف بالعلامات ، وثبت بالآيات ، يوحَّد ولا يبعض ، ويحقق و لايمثل ، لا إله إلا هو الكبير المتعال[2].

ورويناعن أبي المعتمر قال : حضرت مجلس أمير المؤمنين علي عليه السلام في جامع الكوفة ، فقام إليه رجل مصفار اللون ، كأنه من متهودة اليمن ، فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك وانعته لنا حتى كأنا نراه وننظر إليه ، فسبح علي عليه السلام ربه عز وجل وعظمه ، وقال : الحمدلله الذي هو أول لا بُدِئَ مما ، ولاباطن فيما ، ولا هو ممازج مع ما ، ولا حَالٌ بما ، ليس بشبح فيرى ، ولا بجسم فيتجزى ، ولا بذي غاية فيتناهى ، ولا بمحدث فيتصرف ، ولا بمستتر فيتكشف ، ولا كان بعد أن لم يكن ، بل حارت الأوهام أن تكيف المكيِّف للأشياء ، من لم يزل لا بمكان ، ولا يزول لاختلاف الأزمان ، ولا يقلبه شأن بعد شأن ، البعيد من تَخَيُّلِ القلوب ،

---

(١) نهج البلاغة ص ٢٧ خطبة رقم ١٧بخلاف يسير.

(٢) الأمالي ١٨٨ .

المتعالي عن الأشباه والضروب، علام الغيوب، فمعاني الخلق عنه مَنفيَّة، وسرائرهم عليه غير خفية، المعروف بغير كيفية، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأقدار، ولا تُقَدِّره العقول، ولا تقع عليه الأوهام[1].

ومن خطبة له ﷺ قوله: الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ماكوَّن، يستشهد بحدوث الأشياء على قدمه، وبما وسمها من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيَّة، ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية، ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثيه، مباين لجميع ما جرى في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الأدوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرم الحالات، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تدركه الأبصار لجلاله، ممتنع من الأوهام أن تستعرفه، وعن الأذهان أن تتمثله.

وفي رواية أخرى: فليست له صفةٌ تنال، ولا حدٌ يضرب له فيه بالأمثال، كلَّ دون صفاته تخابير اللغات، وضل هنالك تصاريف الصفات، وحارَ دون ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول، واحد لا بعدد، دائم لا بأمد، قائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا بشبح فتضارعه الأشباح، ليس لها محيص عن إدراكه لها، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها، كفى بإتقان صنعه لها آية، وبتركيب خلقها عليه دلالة، وبحدوث ما فطر على قدمه شهادة، فليس له حد منسوب، ولا مثل مضروب، ولا شيء هو عنه محجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً[2].

---

(١) الأمالي ١٩٠، وحلية الأولياء ١/ ٧٢، والسيوطي في الكبير ٢٥٨ رقم ٥٦٤٩.
(٢) الأمالي ١٩٨-١٩٩.

ومن كلام له عليه السلام حين وقع خلاف من خالفه

بعد حمد الله والثناء عليه ثم قال: ما شآء الله توكلت على الله الذي لا إله إلاهو، حيٌّ بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا قوي بعد ما كوّن، ولا كان ضعيفًا قبل أن يكوِّن، ولا كان مستوحشًا قبل أن يبتدع، ولا خلواً من الملك قبل إنشآئه، ولا يكون خلواً بعد ذهابه، كان إلهًا حيًا لا بحياة، وملكًا قبل أن ينشئ شيئًا، ومالك قبل إنشآئه، وليس يكون له كيف ولا أين، ولا له حد يعرف، ولا شيء يشبهه، ولكن سميع بلا سمع، وبصير بغير بصر، وقوي بغير قوة من خلقه، لا تدركه حدق الناظرين، ولا يحيط به سمع السامعين، إذا أراد شيئًا كان بلا مشاورة ولا مظاهرة، ولا يسأل أحداً عن شيء خلقه وأراده، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، العلي الجبار، أيتها الأمة المخدوعة انخدعت وعرفت خديعة من خدعها، فأصرت على ما عرفت، واتبعت هواها، وضربت في عشوآء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدت عنه، والطريق الواضح فتنكبته، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من موضعه، وشربتم المآء بعذوبته، وأخذتم من الطريق واضحه؛ لأنهجتْ لكم السبل، وبدتْ لكم الأعلام، ولأكلتم رغداً، ولا عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكنكم سلكتم سبل الظلام، فأظلمتْ عليكم دنياكم برحبها، وسددتم عليكم أبواب العلم، فقلتم بأهوائكم، واختلفتم في دينكم، فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتبعتم الغواة فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم، فإذا حزب الأمر سألتم أهل الذكر، فإذا أنبأوكم قلتم: هو العلم بعينه، فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه، رويداً عما قليل تحصدون غب ما تزرعون، وتجدون وخيم ما اجترحتم، وينزل بكم ما وُعدتّم كما

نزل بالأمم قبلكم، وإلى الله غدا تصيرون وسيسألكم الله عن أئمتكم، والحمدلله رب العالمين[1] .

ومن كتاب نَهْجِ البَلاغة:

وقد أخبرنا الشريف الأجل السيد الأفضل الزاهد العابد الورع الصالح أبو طالب المرتضى شَراهَنْكَ الحسيني أدام الله علوَّه، وأخبرنا به أيضًا الفقيه الأجل العالم الزاهد المجاهد بهآء الدين علي بن محمد الأكوع رضوان الله عليه، مناولة يرفعانه إلى المصنف، وهو الشريف السيد الفاضل الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: ما وحَّده من كيَّفه، ولا حقيقته أصاب من مثَّله، ولا إياه عنى من شبَّهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، فاعل لا باضطراب آلة، مقدِّرٌ لا بجول فكرة، غني لا باستفادة. لاتصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونُه، والعدمَ وجودُه، والابتداء أزلُه، بتشعير المشاعر عرف ألاّ مشْعرَ له، وبمضادته بين الأمور عرف ألاّ ضدّ له، وبمقارنته بين الأشيآء عرف ألاّ قرين له، ضادَّ النوربالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل، والحرور بالصرد، مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها، لا يشمل بحد، ولا يحسب بعد، وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها، منعتها منذ القدمية، وحمتها قد[2] الأزلية، وجنبتها لولا التكملية، بها تجلى صانعها للمعقول، وبها امتنع من نظر العيون، لا يجرى عليه السكونُ والحركةُ، وكيف

---

(١) الأمالي٢٠٧ .

(٢) في (ب): قدم .

يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؟! إذًا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام، ولالْتَمَسَ التمامَ إذ لزمه النقصانُ! وإذًا لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلا بعد أن كان مدلولا عليه، وخرج بسلطان الإمتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره! الذي لايحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفول، لم يلد فيكون مولودًا، ولم يولـد فيصـير مـحدودًا، جلّ عن اتخاذ الأبنآء، وطهر عن ملامسة النسآء، لا تناله الأوهام فتُقَدّره، ولا تتوهمه الفطن فتصوّره، ولا تدركه الحواس فتُحسُّه، ولا تلمسه الأيدي فتمسُّه، لا يتغيّر بحال، ولا يَتبدَّل في الأحوال، لا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيره الضيآء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعَرَضٍ من الأعراض ولابالغيرية والأبعاض، ولا يقال له: حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه؛ فتقله أو تهويه، أو أن شيئًا يحمله فيميله أو يعدله، ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع بلا خُرُوق وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقَّة، ويبغض ويغضب من غير مشقة، يقول لما أراد كونه: كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا ندآء يُسمع، وإنما كلامه - سبحانه- فِعْلٌ منه أنشأه ومثّله، ولم يكن من قبل ذلك كائنًا، ولو كان قديمًا لكان إلهًا ثانيًا، لا يقال كان بعد أن لم يكن، فتجري عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينه وبينها فصل ولا له عليها فضل، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع. خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأوَد والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب

أسدادها، واستفاض عيونها، وخد أوديتها، فلمَ يهِن ما بناه، ولا ضَعُفَ ما قَوّاه. هو الظاهر[1] عليه بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته، لا يعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه، خضعت الأشياء له فذلت مستكينةً لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه ولا ضره، ولا كُفْوَ له فَيُكَافيه، ولا نظيرَ له فيساويَه، وهو المفني لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها. وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، فكيف لو اجتمع جميع حيوانها: من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلّدات أممها وأكياسها، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيرت عقولُها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئةً حسيرة، عارفةً بأنها مقهورة، مُقرةً بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها، وأنه سبحانه يعود بعد فنآء الدنيا وحده، لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنآئها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الواحد القهار، الذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها على ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها، لم يَتَكَأّدْهُ صُنْعُ شيء منها إذ صنعه، ولم يَؤُدْهُ منها خلق ما برأه وخلقه، ولم يُكَوِّنْها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندٍّ مكاثر، ولا للاحتراز بها عن ضد مثوار[2]،

---

(١) في (أ): وهو القاهر.

(٢) المثوار: المواثب المهاجم.

ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثم هو يفنيها بعد تكوينها، لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، لا يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنه سبحانه دبرها[1] بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منها عليها، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس، ولا من حال جهل[2] وعمى إلى علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذل وضعة إلى عز وقدرة[3] .

ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشِّقْشِقيَّة[4]:

أمَا والله لقد تَقَمَّصَها فلان، وإنه ليعلم أن مَحلِّي منها مَحَلُّ القطبِ من الرَّحى: ينحدرُ عني السيلُ، ولا ترقى إليّ الطيرُ. فسدلتُ دونها ثوبًا، وطويتُ عنها كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أرتئي بين أنْ أصول بيد جَذَّاء، أو أصْبِرَ على طَخْيَة عمياء، يَهْرَمُ فيها الكبير، وَيَشيبُ فيها الصغيرُ، وَيَكْدَحُ فيها مؤمنٌ حتى يلقى ربَّهُ. فرأيتُ أنَّ الصبرَ على هَاتا أحْجى. فصبرْتُ وفي العينِ قَذى، وفي الحَلق شَجًى، أرَى تُراثي نَهْبا، حتى مضى الأولُ لسَبيله، فأدْلَى بها إلى فلان بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ عليه السلام بهذا البيت):

شَتَّانَ ما يَومي على كُورِها وَيَومُ حَيَّانَ أخي جَابِرِ

فيا عجبًا بَيْنا هو يَستَقِيلُها في حَياتِه، إذ عقَدها لآخَرَ بعدَ وفَاتِه، لشَدَّ

---

(١)في (أ): برأها .

(٢)في (ب، ج): جهد .

(٣)نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٤ ص٤٣٩ .

(٤)نهج البلاغة، الخطبة ج/ ١ رقم: ٣ ص١٠٢ .

ما تشطَّرا ضَرْعَيْهَا فصيَّرها في حوزة خَشْنَاءَ، يَغلُظُ كَلْمُهَا، ويخْشُنُ مسُّها، ويكثُر العثارُ فيها، والاعتذارُ منها، فصاحبُها كَراكب الصَّعْبَة، إنْ أشْنقَ لها خَرَمَ، وإن أسْلَسَ لهـا تَقَـحَّم، فَـمُنيَ النـاسُ - لعَـمـرُ اللَّه - بخـبط وشـمـاس وتَلوُّن واعْتراض؟ فَصَبرتُ على طُول الْمُدّة، وشدَّة الْمحنَة. حتى إذا مَضى لسَبيله، جَعَلَها في جماعة زَعَمَ أنّي أحَدُهُم، فَيَا للَّه وللشُّورَى! مَتى اعترضَ الرَّيبُ فيَّ مَعَ الأوَّل منهمْ حَتى صرتُ أُقْرَنُ إلى هَذه النَّظَائر! لَكنني أسْفَفْتُ إذْ أسَفُّوا، وَطرتُ إذْ طَارُوا، فَصَغَى رجُلٌ منهمُ لضغنه، وَمَالَ الآخَرُ لصهره، مَعَ هَن وَهَن، إلَى أن قَامَ ثَالثُ القَومِ نَافجًا حضنَيه بَينَ نَثيله وَمُعتَلَفه، وَقَامَ معهُ بنُو أبيه يَخضمُونَ مالَ اللَّه خَضْمَ الإبلِ نبْتَةَ الرَّبيع، إلَى أن انتَكثَ فَتْلُهُ، وأجْهَزَ عليه عَمَلُهُ، وكَبَتْ به بطْنَتُهُ، فمَا راعني إلا والناس كعُرف الضَّبُع إليَّ، يَنثالُونَ عليَّ من كُلِّ جانب، حتّى لقد وُطئَ الْحَسنَان، وشُقَّ عطفَاي، مُجتَمعينَ حولي كرَبيضَة الغَنَم فلمَّا نهضتُ بالأمر نكثَتْ طائفةٌ، وَمَرَقتْ أُخرى، وقسط آخرونَ، كَأنَّهُم لم يَسْمَعوا كَلامَ اللَّه حَيثُ يقُول: **﴿تلْكَ الدَّارُ الآخرَةُ نَجْعَلُهَا للَّذينَ لا يُريدُونَ عُلُوًّا في الأرْضِ وَلا فَسَادًا وَالعَاقبَةُ للْمُتَّقينَ﴾** [القصص: ٨٣] بَلَى والله لقَد سَمعوها وَوَعَوها وَلكنَّهم حَليت الدُّنيا في أعيُنهم وراقَهم زبرجُها..

أما والذي فَلقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لولا حُضُورُ الحاضر، وَقيامُ الحُجَّة بُوجود النَّاصر، وَمَا أخَذَ اللَّهُ على العُلَمَاء أن لا يُقَارُّوا على كَظَّة ظالم، ولا سَغَب مظلُوم، لألْقَيْتُ حَبْلَها على غاربها، وَلسقيتُ آخرَها بكَأس أوَّلها، ولألفَيتُم دُنياكُم هَذه أزْهَدَ عندي من عَفْطَة عَنز.

ومَن كَلامَ له ﷺ وقَدَ قَالَ له قَائل: إنك يا ابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص، فقلت: بل أنتم والله أحرص مني عليه وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقًا لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه

فلما قرعتُه بالحجة في ملأ من الحاضرين بُهتَ لا يرى مايجيبني به .

اللهم إني استعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي ، وصغّروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي أمرًا هو لي ، ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تتركه[1] .

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابًا وهو من محاسن الكتب أما بعد :

فقد أتاني كتابك تذكر أصطفاء الله عز وجل محمداً ﷺ لدينه ، وتأييده بمن أيّده من أصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبًا إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ، ونعمته علينا في نبينا ﷺ ، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هَجَر ، وداعي مسدّده إلى النّضال ، وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان ، فذكرت أمرًا إن تم اعتزلك كلُّه ، وأن نقص لم يلحقك ثَلْمُه ، وما أنت والفاضلَ والمفضول ، والسائس والمسوس ، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء ، والتمييز بين المهاجرين ، وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ؟ هيهات ! لقد حن قدح ليس منها ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ، ألا تَرْبَعُ أيها الإنسان على ظلْعك ، وتعرف قصور ذَرْعك ، وتتأخر حيث أخرك القَدَر ! فما عليك غلبة المغلوب ، ولا لك ظفر الظافر ، وإنك لذهّاب في التيه ، روّاغ عن القصد ، ألا ترى - غير مُخبر لك ، لكن بنعمة الله أُحَدِّثُ - أن قومًا استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ، ولكل فضل ، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل : سيد الشهداء ، وخصه رسول الله ﷺ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ، أولا ترى أن قومًا قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل ، حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم ، قيل : الطيار في الجنة ، وذو الجناحين ، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرىء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجها آذان السامعين ، فدع

(١) نهج البلاغة ص٤٠٦ ، خطبة رقم ١٧٠ .

عنك ما مالت به الرميّة، فإنا صنائعُ ربنا، والناس بعد صنائع لنا. لم يمنعنا قديم عزنا، وعادي طَوْلنا على قومك أن خلطناكم[1] بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هنالك! وأنى يكون ذلك كذلك؟ ومنّا النبي ﷺ، ومنكم المكذِّب؟ ومنا أسد الله، ومنكم أسَدُ الأحلاف؟ ومنا سيدا شباب أهل الجنة، ومنكم صبية النار؟ ومنّا خير نسآء العالمين، ومنكم حمالة الحطب؟ في كثير مما لنا وعليكم. فإسلامنا[2] قد سمع، وجاهليّتنا لا تُدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا وهو قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أوْلى بالطاعة، ولَمّا احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ، فَلَجُوا عليهم: فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم!

وزعمتَ أني لكل الخلفاء حسدتُ، وعلى كلهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك «وتلك شكاة ظاهر عنك عارها».

وقلتَ: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردتَ أن تذم فمدحت، وأن تفضَحَ فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلومًا مالم يكن شاكًا في دينه، ولا مرتابًا بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قَصْدُها، ولكني أطلقت لك بقدر ما سنح من ذكرها.

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له، وأهدى إلى مقاتله؟ أمَنْ بذل له نصرته فاستقعده واستَكَفّه؟ أم

---

(١) في (آ): خلطناهم.

(٢) في (ب، ج): ما قد سمع.

من استنصره فتراخى عنه، وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟ كلا والله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨] وماكنت اعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثًا، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فربّ ملوم لا ذنب له:

وقد يستفيد الظِّنَّة المُتنصِّحُ

وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وذكرتَ أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف! فلقد أضحكت بعد استعبار [متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، وبالسيوف مخوّفين؟

لَبِّثْ قليلا يلحق الهيجا حَمَلْ[1]

فيطلبك من تطلب، ويقرُبُ منك ما تستبعد، وأنا مرقلٌ نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، شديد زحَامهُم، ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبُّ اللقآء إليهم لقآءُ ربهمْ، قد صحبتهم ذُرِّيَّة بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك، وخالك، وجدك، وأهلك، وما هي من الظالمين ببعيد[2].

ومن كلام له عليه السلام: رويناه من أمالي السيد أبي طالب عليه السلام بإسناده عن الحارث أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب فقال: ألا إن الحق لو أخلص له لم يَخْفَ على ذي حجى، ألا وإن الباطل لو أخلص لم يخف على ذي حجى، ولكنه يؤخذ من هذا ضِغْثٌ ومن هذا ضغث فيمزجان، فحينئذ استولى الشيطان على حزبه، ونجا حزب الله الذين سبقت لهم من الله الحسنى. ألا وإن الباطل خيل شُمُس ركبها أهلها وأرسلوا أزمتها فسارت حتى انتهت بهم إلى نار وقودها الناس والحجارة،

---

(١) يشير إلى بيت قائله حمل بن بدر.

(٢) نهج البلاغة رقم٢٨ ص٥٦٥.

الا وإن الحق مطايا ذُلُلٌ ركبها أهلها وأعطوا أزمتها فسارت بهم الهوينا حتى أتَتْ ظلاً ظليلاً، فعليكم بالحق فاسلكوا سبله، واعملوا به تكونوا من أهله، ألا وإنه مَن خاف حذر، ومن حَذَرَ جانب السيئات، ألا وإنه من خاف السيئات أدلج إلى الخيرات في السُّرى، ومن أراد سفراً أعدّ له زادا، فأعدوا الزاد ليوم المعاد، واعملوا لجزآء باق، فإني والله لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها[1].

وروينا أن أمير المؤمنين عليه السلام شيع جنازة، فلما وضع الميت في لحده عج أهله وبكوا، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال -وهو قائم على قدميه على من تبكون؟ أما والله لو عاينتم ما عاين ميتكم، لأذهلتكم معاينتكم عن البكآء، ثم قال: الحمدلله أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأستهدي الله الهدى وأعوذ بالله من الضلالة والردى، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين، أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقّت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعًا؛ لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلوا عن عشاها، وأفئدة لتفهم ما دهاها في تركيب صورها، ومدة عمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثًا، ولم يُهملكم سُدًى، ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بالرفد الروافد، وأحاط بكم الإحصآء، وأرصد لكم الجزآء في السرآء والضرآء، فاتقوا الله عباد الله، وأجدُّوا في الطلب، ونجاة الهرب، وبادروا بالعمل قبل منقطع النهدات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لايدوم نعيمها، ولا تؤمن فجعاتها، ولا تتوقى سوءاتها، غرور حائل، وشح قاتل، وسناد مآئل، تضيء مستطرفها، وتردي مستزيدها، تُخيِّل مصرعها، وتصرم حبالها، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنذر،

---

(١) الأمالي ١٨٩ .

حل بكم طالب المنية، وضُمِّنْتُم بيت التراب، ودهمتكم الساعة بنفخة الصور، وبَعثَرة القبور، وسياقة المحشر إلى الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق وشهيد يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٦٩]، فارتَجَّت الأرض لنداء المنادي، وكشف عن ساق، وكان يوم التلاق، فكورت الشمس، وحشرت الوحوش، وارتجت الأفئدة، ونزل بأهل النار من الله سطوةٌ مجتاحة، وعقوبة متاحة، وقُرِّبت الجحيم لها كَلَبٌ ولجب، ولهب ساطع، وتغيظٌ وتلظ ، وزفير ووعيد، تأجج جحيمها، وغلى حميمها، وتوقد سَمُومُها، لايهرم خالدها، ولا يظعن مقيمها، ولا تقصم كبولها، معهم ملائكة الزجر، يبشرونهم بنُزُلٍ من حميم، وتصلية جحيم، هم عن الله محجوبون، ولأوليآئه مفارقون، وإلى النار منطلقون، حتى إذا أتوا جهنم قالوا: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٠-١٠٢] قيل لهم: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات:٢٤] وجهنم تناديهم، وهي مشرفة عليهم إليَّ بأهلي، وعزة ربي لأنتقمن اليوم من أعدآئه، ثم يناديهم ملك من الزبانية، ثم يسحبهم حتى يلقيهم في النار على وجوههم، ثم يقول: ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ [الحج:٢٢] ثم أزلفت الجنة للمتقين، مخضرة[1] للناظرين، فيها درجات لا يبيد نعيمها، ولا ييأس ساكنها، أمنوا الموت فصفى لهم ما فيها: ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد:١٥] مع أزواج مطهرة، وحور عين: ﴿ كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن:٥٨]، مع حلية وآنية من فضة، ولباس السندس الأخضر، والفواكه الدائمة، تدخل الملآئكة عليهم فتقول: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ

---

(١) في (ب، ج): مخضرة مخضلة.

بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] فلا تزال الكرامة لهم حين وفدوا إلى خالقهم، وقعدوا في داره، ونالهم ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، فاسألوا الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة، الذين خلقوا لها وخلقت لهم، عباد الله اتقوا الله تقيَّة من كنع فخنع، ووجل فحذر، واجتنب هاربًا، ونجا هاربًا، وأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وقدم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقمًا، وخصيمًا، وكفى بالجنة ثوابًا ونوالا، وكفى بالنار عقابًا ونكالا[1].

ومن خطبة له ﷺ في الاستسقاء:

اللهم قد انصاحت جبالنا، واغبرّت أرضنا، وهامت دوابُّنا، وتحيّرت في مرابضها، وعجت عجيج الثكالى على أولادها، وملّت التردُّد في مراتعها، والحنين إلى مواردها. اللهم فارحم أنين الآنّة، وحنين الحآنة، اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها، وأنينها في موالجها. اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين، وأخلفتنا مخايلُ الجود، فكنت الرجآء للمبتئس، والبلاغ للملتمس، ندعوك حين قنط الأنامُ، ومُنعَ الغمام، وهلك السّوام، ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا، وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق، والربيع المغدق، والنبات المونق، سحابًا وابلا، تحيي به ما قد مات، وترد به ما قد فات، اللهم سُقْيا منك مُحْيِيَة، مروية، تامة، عامة، طيبة، مباركة، هنيئة، مريعة، زاكيًا نبتُها، ثامرًا فرعها، ناضرًا ورقها، تُنعشُ بها الضعيف من عبادك، وتحيي بها المَيتَ من بلادك. اللهم سقيًا منك تُعشبُ بها نجادنا، وتجري بها وهادنا، ويُخصبُ بها جنابنا، وتُقبلُ بها ثمارنا، وتعيش بها مواشينا، وتَنْدى بها أقاصينا، وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة، وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة،

---

(١) الأمالي ١٩٣ - ١٩٥.

ووحشك المهملة، وأنزل علينا سماء مخضلة، مدراراً هاطلة، يدافع الودقُ منها الودقَ، ويحفزُ القطرُ منها القَطرَ، غيرُ خلَّبٍ بَرقُها، ولاجهام عارضها، ولا قَزَعٍ رَبَابُهَا، ولا شفان ذهابها حتى يخصب لإمراعها المجدبون، ويحيا ببركتها المسنتون، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد[1].

قال السيد الرضي رضي الله عنه: قوله ﷺ: «انصاحت جبالنا» أي: تشققت من المُحُول، يقال: انصاح الثوب، إذا انشق، ويقال أيضًا: انصاح النبت، وصاح وصوّح إذا جفّ ويبس. وقوله: «هامت دوابُّنا» أي: عطشت، والهيام: العطش. وقوله: «حدابير السنين» جمع حدبار وهي: الناقة التي أنضاها السير، فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب. قال ذو الرمة:

حدابير ما تنفك إلا مُناخةً   على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا

وقوله: «لا قزع ربابُها» القزع: القطع الصغار المتفرقة من السحاب. وقوله: «ولا شفّان ذهابها» فإن تقديره: ولا ذات شفّان ذهابها. والشفان: الريح الباردة. والذهاب: الأمطار الليّنة. فحذف «ذات» لعلم السامع به[2].

وروينا عن أبي مطر البصري قال: كنت من شباب ذلك الزمان، فبينا أنا أمشي في المسجد وقد أسبلت إزاري، وأرخيت شعري، إذ نادى رجل من خلفي يا عبدالله، ارفع إزارك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، وجزَّ من شعرك إن كنت امرأً مسلمًا، فإذا رجل كأنه أعرابي، فجئت حتى قمت من خلفه، فقلت لامرىء من المسلمين: من هذا؟ فقال: أغريب أنت؟ فقلت: نعم، من أهل البصرة، فقال له: هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فمشيت خلفه حتى خرجت من المسجد، فمرَّ بأصحاب الإبل، فقال: يا أصحاب الإبل، بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تزيّن البيع، وتمحق البركة. ثم مشى حتى

---

(١) نهج البلاغة ٣٠٤ رقم ١١٣.

(٢) نهج البلاغة ٣٠٦.

أتى أصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي، فقال: يا جارية، ما شأنك؟ قالت: بعثني مولاي بدرهم، فابتعت من هذا تمراً، فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله، فقال: ياعبدالله، إنها خادمة، وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها وخذ التمر. فلم يعرفه الرجل، وقام إليه ليلكزه، فقال له رجل من المسلمين: أتدري من هذا؟ هذا أمير المؤمنين! فانخزل[1] الرجل واصفرّ، وأخذ التمر، فنثره ورد إليها درهمها، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ارض عني، فقال: ما أرضاني عنك إن أنت أصلحت أمرك[2]، ثم مشى حتى توسطهم، فقال: يا أصحاب التمر أطعموا المساكين وابن السبيل؛ فإن ربحكم يربو. ثم مشى حتى أتى أصحاب السمك، فقال: ألا لا يباع في سوقكم طاف. ثم مشى فأتى قومًا يبيعون قمصًا من هذه الكرابيس، فابتاع قميصًا بثلاثة دراهم فلبسه فكان ما بين الرسغين إلى الكعبين، فلما وضعه في رأسه قال: بسم الله والحمدلله الذي رزقني من اللباس ما أتجمل به في الناس وأواري عورتي، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أشيء قلته برأيك أم سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا القول عند الكسوة، ثم مشى حتى أتى المسجد فجلس فيه، ثم أخذ بلحيته، فقال: ما يحبس أشقاها أن يخضب هذه من هذا، وأشار بيده إلى رأسه فوالله ما كَذبتُ ولا كُذبتُ، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن وضوء رسول الله ﷺ، فدعا بكوز من ماء فتوضأ فغسل يديه ثلاثًا، ثم تمضمض واستنشق ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل ذراعيه ثلاثًا، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجليه ثلاثًا، ثم قال: أين السائل عن وضوء رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: أنا، فقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ.

---

(١) الانخزال: مشية في تثاقل، القاموس ص١٢٨٢.

(٢) في (أ): نفسك.

قال أبو مطر : وكأني أنظر إلى المآء يهطل من لحيته على صدره، ثم أتيته وقد ضربه ابن ملجم لعنه الله.

فسمعته وهو يقول: امشوا بي بين الأمرين، لا تسرعوا ولا تبطئوا، ولا تغالوا في كفني، فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «الكفن سَلَبٌ سريع إن يكن من أهل الجنة يكفن من الجنة، وإن يكن من أهل النار يكفن من النار» .

وروينا أن عليًا عليه السلام استعمل عاملاً على عكبرى قال: ولم يكن السواد يسكنه المصلون، فقال لي بين أيديهم: استوف منهم خراجهم، ولا يجدوا منك رخصة، ولا يجدوا فيك ضعفًا، ثم قال لي: إذا كان عند الظهر فرُح إليَّ، فرُحتُ إليه، فلم أجد عنده حاجبًا يحجبني دونه، فوجدته جالسًا وعنده قدح وكوز فيه مآء، فدعا بظبية . قال: قلت في نفسي لقد أمنني حتى يخرج لديَّ جوهرًا، ولا أدري ما فيه، قال: فإذا عليها ختم فكسر الختم فإذا فيه سويق، فأخرج منه، فصب في القدح وصب عليه مآء، فشرب وسقاني، فلم أصبر أن قلت : يا أمير المؤمنين، بالعراق تصنع هذا ؟طعام العراق أكثر من ذلك! قال: والله ما أختم عليه بُخْلاً به، ولكنني أبتاع ما يكفيني، فأخاف أن يفتح فيوضع فيه من غيره، فإنما حفظي لذلك، وأكره أن يدخل جوفي إلا طيّب، وإني لا أستطيع أن أقول لك إلا الذي قلت بين أيديهم لأنهم قَومٌ خَدَعَه، ولكني آمرك الآن بما تأخذهم به فإن أنت فعلت وإلا أخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ما آمرك به عزلتك، لا تبيعن لهم رزقًا يأكلونه، ولا كسوة شتآء ولا صيف، ولا تضربن رجلاً منهم سوطًا في طلب درهم؛ فإنا لم نؤمر بذلك، ولا تبيعن لهم دابة يعملون عليها، إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو. قلت: إذًا أجيئك كما ذهبت، قال: ففعلت فاتبعت ما أمرني به، فرجعت والله ما بقي درهم إلا وفيته.

وروينا بالإسناد عن الأصبغ بن نباته قال: قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في سوق الكوفة على دابته، فنادى ثلاثًا : يا معشر الناس،

أوصيكم بتقوى الله، فإنه وصية الله في الأولين والآخرين، و﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَتَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣] ولاتغشوا هذه الفضة الجيدة بالزئبق، ولا بالكحل فتكونوا غدًا من المعذّبين[١].

وروينا بالإسناد إلى أبي صادق قال: بلغ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام أن خيلاً لمعاوية أغارت على الأنبار وقتلوا عامله حسان بن حسان البكري، فقام علي عليه السلام يجر ثوبه حتى أتى النخيلة، فقالوا: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فقال، ما تكفوني ولا تكفون أنفسكم، قال: واجتمع الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، من تركه ألبسه الله الذلة، وسيم الخسف، ودُيِّثَ بالصغار، وقد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهارًا، وسرًا وإعلانًا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزِي قومٌ في عُقْر دارهم إلا ذلُّوا، فتثاقلتم وتواكلتم، وثقل عليكم ذلك، حتى شُنَّت عليكم الغارات، وهذا أخو غامد قد نزلت خيله الأنبار، وقتلوا حسان بن حسان، ورجالاً صالحين ونسآء، ولقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع رعاثها، وحجلها، ثم انصرفوا موفورين، لم يُكْلم أحد منهم كلمًا، والله لو أن امرءًا مسلمًا مات من دون هذا أسفًا لما كان عندي ملومًا، بل كان عندي بذلك جديرًا، يا عجبًا؛ عجبًا يميت القلب، ويكثر الهمّ، ويبعث الأحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقكم، حتى صرتم غرضًا تُرمَونَ وَلا تَرْمُون، وتُغْزَونَ وَلا تَغْزُون، ويُغار عليكم ولا تُغيرون، ويُعصى الله وترضون! يا أشباه الرجال ولا رجال، أحلام الأطفال، وعقول ربات الحجال، إذا قلت لكم: اغزوهم في الحر قلتم: هذه حمارّة القيظ، فمن يغزو فيها!؟ أمهلنا حتى ينسلخ

---

(١) الأمالي ص٢٠٨.

الحر عنا ، وإذا قلت لكم : اغزوهم في البرد ، قلتم : هذه أيام قُرٌّ وصرّ ، أمهلنا حتى ينسلخ القرُّ عنا ، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر! أما والله لوددت أني لم أركم ، ولم أعرفكم معرفة -والله- جرت ندمًا ، وملأتم قلبي غيظًا ، وأفسدتم عليَّ رأيي بالخذلان ، حتى لقد بلغني أن قريشًا تقول : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكنه لا علم له بالحروب . لله أبوهم! وهل منهم أشد لها مراسًا مني !؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا الآن قد نيّفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع[1]. قال : فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أنا وأخي كما قال الله تعالى : ﴿ لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي ﴾ [المائدة: ٢٥] فها أنا ذا ، وهذا أخي ، فمرنا بأمرك فوالله لنضربن دونك ولو حال بيننا جمر الغضا ، وشوك القتاد ، قال : فقال علي عليه السلام : يرحمكما الله ، وأين تقعان مما أريد[2]؟!

وروينا بالإسناد إلى الحسن البصري قال : كنت جالسًا بالبصرة ، وأنا حينئذ غلام أتطهر للصلاة ، إذ مرّ بي رجل راكب بغلةً شهباء متلثم بعمامة سوداء ، فقال لي : يا حسن أحْسِن وضوءك يحسن الله إليك في الدنيا والآخرة ، يا حَسَن ، أما علمت أن الصلاة مكيال وميزان؟ قال : فرفعت رأسي فتأملت فإذا هو علي عليه السلام ، فأسرعت في طهوري ، وجعلت أقفو أثره إذ حانت منه التفاتة ، فقال لي : يا غلام ، ألك حاجة؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . تفيدني كلامًا ينفعني الله به في الدنيا والآخرة ، قال : يا غلام إنه من صدق الله نجا ، ومن أشفق من ذنبه أمن من الردى ، ومن زهد في هذه الدنيا قرّت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا ، ثم قال : يا غلام ، ألا أزيدك؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : إن سرّك أن تلقى الله وهو عنك راض فكن في هذه الدنيا زاهدًا ، وفي الآخرة راغبًا ، وعليك بالصدق في

---

(١) نهج البلاغة رقم ٢٧ ص ١٤٠ ، بخلاف يسير .

(٢) الأمالي ١٨٦ ، ونهج البلاغة ١٤ رقم ٢٧ بخلاف يسير .

جميع أمورك تنجو مع الناجين غداً، يا غلام، إن تزرع هذا الكلام نصب عينيك ينفعك الله به، ثم أطلق عنان البغلة من يده، وقرص بطنها بعقبه، فجعلت أقفو أثره، إذ دخل سوقًا من أسواق البصرة، فسمعته عليه السلام يقول: يا أهل البصرة، يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة، يا أهل تدمر - أربعًا - إذا كنتم بالنهار؛ الدنيا تخدمون، وبالليل على فراشكم تتقلبون، وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون، فمتى ترمون الزاد؟ ومتى تفكرون في المعاد؟ فقام إليه رجل من السوقة فقال: يا أمير المؤمنين، أبدٌ من طلب المعاش؟ فقال: أيها الرجل، إن طلب المعاش لا يصرفك عن طلب الآخرة. ألا قلت: أبدٌ[1] من طلب احتكار، فأعذرك إن كنت معذورًا فولى الرجل وهو يبكي، فسمعته عليه السلام يقول: أقبل عليَّ يا ذا الرجل أزيدك تبيانًا، إنه لابد لكل عامل من أن يوفى في القيامة أجر عمله، وعامل الدنيا إنما أجره النار، ثم خرج من السوق، والناس في رنة من البكاء، إذ مرَّ بواعظ يعظ الناس، فلما بصر بأمير المؤمنين عليه السلام سكت ولم يتكلم بشيء، فقال عليه السلام: فكم، وإلى كم توعظون فلا تتعظون؟ قد وعظكم الواعظون، وزجركم الزاجرون، وحذّركم المحذّرون، وبلّغكم المبلّغون، ودلت الرسل على سبل النجاة، وقامت الحجة وظهرت المحجة، وقرب الأمر والأمد، والجزاء غداً ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. يا أيها الناس، إنه لم يكن لله تبارك وتعالى في أرضه حجة ولا حكمة أبلغ من كتابه، ولا مَدَح الله منكم أحدًا إلا من اعتصم بحبله، وإنما هلك من هلك عندما عصاه، وخالفه واتبع هواه، واعلموا أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، والله ما هو شيء قلته من تلقاء نفسي، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد جاهد نفسه، فردها عن معصية الله إلا باها الله به كرام الملآئكة، ومن باها الله به كرام الملآئكة

---

(١) في (آ): ساقطة أبدٌ.

فلن تمسه النار»، ثم قال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد ٢١][1].

وروينا أنه لما قفل أمير المؤمنين عليه السلام من صفين، وأكثر كثير من أصحابه والمحكّمة القولَ في الحكمين، أمر فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم»، ثم قال: اللهم هذا مقام من فَلَجَ فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطف[2] أو أوعث[3] أو أسرف فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، نشدتكم الله، هل تعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله فقلت لكم: إنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن، ولقد صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، وهم شرُّ أطفال ورجال، امضوا على صدقكم وحقكم، فإنما رفعوا المصاحف خديعة ومكيدة، فرددتم قولي، وقلتم: لا بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إياي، وإذا أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين، أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن؛ لأنهما إن حكما بحكم القرآن لم يكن لنا خلاف على من حكم بما في القرآن، وإن أبيا كنا من حكمهما براء، وكنا على رأس أمرنا، قالوا: أفَعَدْلٌ يحكم الرجال في الدماء، قال: إنا لسنا الرجال حَكَّمْنَا، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مخطوط مستور بين الدفتين، وإنما ينطق بحكمه الرجال». قالوا: فَخَبِّرْنا عن الأجل لِمَ جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويثبت[4] العالم، ولعل الله يصلح في هذه المدة أمر هذه الأمة، ادخلوا مصركم فدخل أصحابه عن آخرهم.[5]

---

(١) الأمالي ١٧٧ – ١٧٩.

(٢) نَطَفَ: اتهم بريبة وتلطخ بعيب، وفسد. قاموس ١١٠٨ مادة نطف.

(٣) أوعث: وقع في الوعث وأسرف في المال. قاموس ٢٢٧ مادة وعث.

(٤) في (ج): ويتبين.

(٥) الأمالي ص١٩٨.

وروينا أنه عليه السلام لما فتح البصرة صلى بالناس الظهر، ثم التفت إليهم فقال: سلوا، فقام إليه رجل فقال: والله ما قسمت بيننا بالسوية إذ تقسم بيننا ما حوى عسكرهم، وتدع أبناءهم ونسآءهم؟ فقال علي عليه السلام: إن كنتَ كاذبًا فلا أماتك الله حتى تدرك غلام ثقيف، ثم قال عليه السلام: ويحك إنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وقد اجتمع أبواه على رشده، وولد على الفطرة، ولكنا نربيه من الفيء، ونتأنى به الكبر، فإن عدا علينا أخذناه بذنبه، وإن لم يعد لم نأخذه بذنب غيره، ويحك أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها.

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام فيما رواه أن عقيلاً رضي الله عنه كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام لعبدالله أمير المؤمنين من عقيل سلام عليك أما بعد:

فإن الله جارُك من كل سوء، وعاصمك من كل مكروه، أعلمك أني خرجت معتمراً، فلقيت عبدالله بن أبي سرح في نحو من أربعين راكبًا من أبنآء الطلقاء مصدرين ركابهم من قُدَيد، فقلت لهم -وعرفت المنكر في وجوههم-: أين يا أبنآء الطلقاء، أبالشام تلحقون عداوةً تريدون بها إطفآء نور الله وتغيير أمره؟ فأسمعني القوم وأسمعتهم، فسمعتهم يقولون: إن الضحاك بن قيس الفهري أغار على الحيرة، وأصاب من أموال أهلها ما شآء ثم انكفأ راجعًا، فأُفٍّ لحياة في دهر جرَّ عليك ما أرى، وما الضحاك إلا فَقْعٌ بقَرْقر[1]، وقد ظننت حين بلغني ذلك أن أنصارك خذلوك، فاكتب إليَّ يا ابن أبي برأيك وأمرك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك ما مت، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فُواقًا، وايم الله الأعز الأجل إنَّ عَيشًا أعيشه في هذه الدنيا لغير هنيء ولا مريء والسلام.

فأجابه علي عليه السلام أما بعد: فكلأك الله كلاءةَ من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد، قدم عليَّ عبيدالله بن عبدالرحمن الأزدي بكتابك، تذكر أنك لقيت ابن

---

(١) مثل يقال للذليل «أذل من فقع بقرقر» والفقع: نبتة بيضاء من الكمأة لا أصل له ولا فرع توطأ بالأرجل. والقرقر: القاع الأملس. قاموس مادة فقع ص٩٦٦، ومادة قرقر ص٥٩٣.

أبي سرح في نحو من أربعين راكبًا متوجهين إلى المغرب ، وإن ابن أبي سرح طال والله ما كاد الإسلام ، وضلَّ عن كتاب الله وسنة نبيه وبغاها عوجًا ، فدع ابن أبي سرح وقريشًا وتراكضهم في الضلالة ، وتجاولهم في الشقاق ، فإنها اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله ﷺ .

وأمّا الذي ذكرت من إغارة الضحاك على الحيرة فهو أذلُّ من أن يكون مَرَّ بحبنباتها ، ولكن جآء في جريدة خيل فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة حتى مر بواقصة ، فسرّحت إليهم جندًا من المسلمين ، فلما بلغه ذلك ولى هاربًا ، فتبعوه ولحقوه في بعض الطريق ، وقد أمعن حين طفلت الشمس للإياب ، ثم اقتتلوا فلم يصبروا إلا قليلاً ، فقتل من أصحاب الضحاك بضعة عشر رجلاً ، ومضى جريحًا بعد ما أخذ منه بالمخنق .

وأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فإن رأيي جهاد القوم مع المسلمين حتى ألقى الله لا تزيدني كثرة الناس حولي عزّة ، ولا نفورهم عني وحشة ؛ لأني محقٌ والله مع المحق ، والله ما أكره الموت على الحق ، لأن الخير كله مع الموت لمن عقل ودعا إلى الحق .

وأما ما عرضتَه عليَّ من مسيرك إليَّ ببنيك وولد أخيك ، فإنه لا حاجة لي في ذلك ، أقم راشدًا مهديًا ، فو الله ما أحبُّ أن يهلكوا معي لو هلكت ، فلا تحسبن ابن أمك و إن أسلمه الناس يخشع أو يتضرع ، وما أنا إلا كما قال أخو بني سليم :

فإن تسأليني كيف أنتَ؟ فإنني ... صبورٌ على ريب الزمان صليبُ
يَعِزُّ عليَّ أن تُرى بي كآبةٌ ... فيشمَتَ عادٍ أو يُسَآءَ حبيب[1]

وروينا عن السيد أبي طالب فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لم أزل مظلومًا في صغَري وكبَري ، فقيل له : قد عرفنا يا أمير المؤمنين ظلم الناس إياك في كبرك ، فما ظلمهم في صغرك : فقال : إن عقيلاً كان في عينه وجع ، فإذا أرادت الأم أن تذرّ في عينه ذرورًا امتنع عليها ، وقال : ابدءوا بعلي أوّلاً ، فكانت

---

(١) أمالي أبي طالب ص٦٢ ، وشرح النهج ١/ ١٨٢ ، والغارات ٢٩٥ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٧٥ .

تذر في عيني ذروراً من غير وجع بها[1] .

وبالإسناد إلى السيد أبي طالب فيما رواه أن أمير المؤمنين عليه السلام قيل له : إنك يا أمير المؤمنين رجل مطلوب ، فلو ركبت الخيل في الحرب ، فقال عليه السلام : أنا لا أفر عمن كرَّ ، ولا أكِرُّ على من فَرَّ ، والبغلة تزجيني . وفسر أبو الحسن علي بن مهدي ، وهو الذي انتهت إليه رواية السيد أبي طالب عليه السلام الإزجي : بالسوق ، واستشهد عليه بقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣] أي : يسوقه فقال : تزجيني البغلة أي : تسوقني إلى ما أريد[2] .

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام : إني لأستحيي من الله أن يكون ذنب إليّ أعظم من عفوي ، أوجهل أعظم من حلمي ، أو عورة لا يواريها ستري ، أو خَلّة لا يسدها جودي[3] .

وروينا بالإسناد أن رجلاً سأل أمير المؤمنين عليًا عليه السلام في مسجد الكوفة ، فقال : يا أمير المؤمنين هل تصف لنا ربنا ؟ فنزداد له حبًا وبه معرفة ، فغضب علي عليه السلام ونادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غصّ المسجد بأهله ، ثم صعد المنبر ، وهو مغضبٌ متغير اللون ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال :

الحمد لله الذي لا يَفِرُهُ المنع ، ولا يكديه الإعطاء ، ثمّ كل معط يُنْتَقَصُ سواه ، هو المنان بفوائد النعم ، وعوائد المزيد ، ضمن عيالةَ خلقه ، وأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه ، وليس فيما سُئل بأجود منه فيما لم يسأل ، وما اختلف دهر فيختلف فيه الحال ، ولو وَهَب ما شقت عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أصداف البحار ، من فلزّ اللُّجَين ، وسبائك العقيان ، ونثارة الدرّ ، وحصائد المرجان لبعض عبيده ؛

---

(١) الأمالي ص٧٣ .

(٢) الأمالي ص٦٩ .

(٣) الأمالي ص٦٢ .

لما أثّر ذلك في جوده، ولا أنفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الإفضال مالم ينفده مطالب السؤال، ولا يخطر لكثرته على بال؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب، ولا يُبخلُه إلحاح الملحّين، و﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، فما ظنكم بمن هو هكذا؟ سبحانه وبحمده. أيها السائل اعقل ما سألتني عنه، ولا تسألنّ أحدًا عنه بعدي، فإني أكفيك مُؤنة الطلب، وشدّة التعمق في المذهب، وكيف يوصف الذي سألتني عنه!؟ وهو الذي عجزت الملائكة مع قربهم من كرسي كرامته، وطول ولَهِهِمْ إليه، وتعظيم جلال عزّته، وقربهم من غيب ملكوت قدرته، أن يعلموا من علْمه إلا ما علَّمَهُم، وهم من ملكوت القدس بحيث هم، ومن معرفته على ما فطرهم عليه، فقالوا: ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢]. فعليك أيها السائل بما دلك عليه القرآن من صفته، وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فأتمَّ به واستضىء بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلّفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا عن أئمة الهدى أثره فَكلْ علْمَه إلى الله سبحانه؛ فإنه منتهى حق الله تعالى عليك.

اعلم أيها السائل أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن الاقتحام على السُّدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من تفسير الغيب المحجوب، فقالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فمدح الله سبحانه اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علمًا، وسمّى تركهم التعمق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخًا، فاقتصر على ذلك. واعلم أن الله لم يُحدَثْ فيمكنَ فيه التغير والانتقال، ولم يتصرف في ذاته كرور الأحوال، ولم يختلف عليه عُقَب الأيام والليالي، وهو الذي خلق الخلق على غير مثال امتثله، ولامقدار احتذى عليه من خالق كان قبله، بل أرانا من ملكوت قدرته، وعجائب

ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمهم بتبليغ قوّته[1]، ما دلنا باضطرار قيام الحجّة له علينا على معرفته، ولم تحط به الصفات فيكونَ بإدراكها إيّاه بالحدود متناهيًا، وما زال هو الله الذي ليس كمثله شيء، عن صفة المخلوقين متعاليًا، وانحسرت وجل عن أن تناله الأبصار، فيكون بالعيان موصوفًا، وارتفع عن أن يحوي كنه عظمته فهاهات رويّات المتفكرين، وليس له مثل فيكون بالخلق مشبهًا، وما زال عند أهل المعرفة عن الأشباه والأنداد منزّهًا، كذب العادلون بالله إذ شبهوه بأصنافهم، وحلّوه بحلية المخلوقين بأوهامهم.

وكيف لما لا يُقْدَرُ قَدْره مقدارٌ في رويّات الأوهام؛ لأنه أجل من أن تَحدّه ألباب البشر بتفكير، وهو أعلى من أن يكون له كفوٌ فيشبّه بنظير، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين، وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين، فأين يتاه بأحدكم؟وأين يُدرك ما لا يُدرَك والله المستعان[2].

قال السيد أبو طالب الحسني رضي الله عنه ما تشتمل هذه الخطبة عليه من ذكر عَجْز المخلوقين عن المعرفة على جميع صفات الله تعالى، المراد به العجز عن معرفة معلوماته ومقدوراته، وعجائب صنعه وخلقه على التفصيل، ومقادير نعمه على خلقه، وما اختص به تعالى من علم الغيوب، الذي لم يُطْلِعِ البشر عليه[3].

وروينا بالإسناد إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال: لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة -بعد قتال الجمل- دعاه الأحنف بن قيس، فاتخذ له طعامًا، وبعث إليه وإلى أصحابه، فأقبل إليه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قال له: يا أحنف، ادعُ أصحابي فدعاهم، فدخل قوم متخشعون كأنهم شنان بوال. فقال له الأحنف بن قيس:

---

(١)الأمالي والنهج: إلى أن يقيمها بمسالك قدرته.

(٢)الأمالي ص٢٠٢، والنهج رقم ٨٩ص٢٣٦ باختلاف يسير.

(٣)الأمالي ٢٠٤.

يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي نزل بهم من قلة الطعام؟ أم من هول الحرب؟ قال: لا يا أحنف. إن الله عز وجل إذا أحب قومًا تنسكوا له في دار الدنيا تنسُّك من هجم على ما علم من فزع يوم القيامة من قبل أن يشاهدوها، فحمَّلوا أنفسهم كل مجهودها، فكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله تعالى توهموا خروج عنق من النار تَحشُرُ الخلائق إلى ربهم عز وجل، وظهور كتاب تبدوا فيه فضائح ذنوبهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا، وتطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانًا، وتفارقهم عقولهم إذا غَلَت بهم مراجل المردّ إلى الله عز وجل غليانًا، يحنون حنين الواله في دجى الظُّلَمِ، ذبّل الأجسام، حزينةً قلوبهم، كالحةً وجوههم، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، تراهم سكارى وليسوا بسكارى، هم سمَّار وحشة الليالي، متخشعون قد أخلصوا لله أعمالهم سرًا وعلانية، فلو رأيتهم في ليلهم ونهارهم، وقد نامت العيون، وهدأت الأصوات، وسكنت الحركات من الطير في الوكور، وقد نهنههم يوم الوعيد، ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧] فاستيقظوا لها فزعين، وقاموا إلى مضاجعهم يعولون ويبكون تارة، ويسبِّحون ليلة مظلمة بهماء، فلو رأيتهم يا أحنف، قيامًا على أطرافهم، منحنية ظهورهم على أجزاء القرآن لصلاتهم، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صارت في أعناقهم. فلو رأيتهم في نهارهم إذًا لرأيت قومًا يمشون على الأرض هونًا، ويقولون للناس حسنًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، وإذا مرّوا باللغو مرّوا كرامًا، أولئك يا أحنف انتجعوا دار السلام، التي من دخلها كان آمنًا، فلعلك شغلك يا أحنف نَظَرُكَ إلى وجه واحدة تبيد الأسقام غضارة وجهها، ودار قد اشتغلت بتقريب فراقها، وستور علّقتها، والرياح والأيام موكلة بتمزيقها، وبئست لك دارًا من دار البقاء، فاحْتَلْ للدّار

التي خلقها الله عز وجل من لؤلؤة بيضاء، فشقّ فيها أنهارها، وغرس فيها أشجارها، وأظل عليها بالنضيج من ثمارها، وكبسها بالعواتق من حُورها، ثم أسكنها أولياءه وأهل طاعته. فإن فاتك يا أحنف ما ذكرتُ لك لترفلنّ في سرابيل القطران، ولتطوفن بينها وبين حميم آن، فكم يومئذ في النار من صُلْب محطوم، ووجه مشؤم[1]، ولو رأيت وقد قام مناد ينادي: يا أهل الجنة ونعيمها، وحليها وحللها، خلوداً ولا موت، ثم يلتفت إلى أهل النار فيقول: يا أهل النار، يا أهل السلاسل والأغلال، خلوداً ولا موت، فعندها انقطع رجاؤهم، وتقطعت بهم الأسباب، فهذا ما أعد الله عز وجل للمجرمين، وذلك ما أعد الله عز وجل للمتقين. وروينا بالإسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن عليًا عليه السلام سمع رجلا يذمُّ الدنيا فأطنب في ذمِّها، فصرخ به علي عليه السلام فقال: هلمّ أيها الذامُّ للدنيا، فلما أتاه قال له عليه السلام: أيها الذامُّ للدنيا ويحك لمَ تذمها؟ أنت المجترم عليها أم هي المجترمة عليك؟ فقال: بل أنا المجترم عليها يا أمير المؤمنين، قال: ويحك فيم تذمها؟ أليست منزل صدق لمن صدقها؟ ودار غنًا لمن تزود منها؟ ودار عافية لمن فهم عنها؟ مسجد أحبآء الله عز وجل، ومهبط وحيه، ومصلى ملآئكته، ومتجر أوليآئه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمُّها وقد آذنت ببينها، ونادت بانقطاعها، ومثلت ببلآئها البلآء، وشوقت بسرورها إلى السرور؟ راحت بفجيعة، وابتكرت بعافية، بتحذير وترغيب وتخويف، فذمَّها رجال غداة النّدامة، حدثتهم فلم يصدّقوا، وذكّرتهم فلم يذّكروا، وحمدها آخرون ذكّرتهم فذَكَروا، وحدثتهم فصدقوا. فأيها الذام للدنيا، المغتر بتغريرها، متى استذمّت إليك؟ بل متى غرتْك؟ أبمضاجع آبائك من البلى؟ أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى؟ كم علّلت بيدك؟ وكم مرّضت بكفك؟ تلتمس له الشفاء، وتستوصف له

---

(١) في (أ): موسوم.

الأطباء، لم ينفعه شفآؤك[1]، ولم تغن عنه طلبتك، مثّلتْ لك ويحك الدنيا بمضجعه مضجعك، حين لا يغني بكاؤك، ولا ينفع أحباؤك[2].

وروى السيد أبو طالب عليه السلام هذه الرواية بطريق أخرى، وذكر أنهما لا تختلفان إلاّ في أحرف يسيرة. وفيها قال: ثم التفت إلى أصحابه، فقال: عباد الله، انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها فإنها والله عن قليل تزيل الثاويَ الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر، ولا يُدرى ما هو آت منها فينتظر، سرورها مشوبٌ بالحزن، وآخر الحياة فيها إلى الضعف والوَهَن، فلاَ يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها؛ لقلة ما يصحبكم منها، رحم الله عبداً تفكّر فاعتبر، وأبصر فازدجر، وعاين إدبار ما أدبر، وحضور ما حضر، فكأنّ ما هو كآئن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأن ما هو كآئن من الآخرة لم يزل، وكل ما هو آت قريب، واعلموا أنه إنما أهلك من كان قبلكم خبثُ أعمالهم لَمَّا لم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك. فَأمُرُوا بالمعروف وَانْهُوا عَن المنكر؛ فإن ذلك لن يقدِّم أجلاً، ولن يؤخِّر رزقًا، فإذا رأى أحدكم نقصًا في نفس أو أهل أو مال ورأى لأخيه صفوة فلا يكونن ذلك فتنة له، فإن المسلم البريء من الخيانة، ما لم يخش دنآءة يخشع لها إذا ذكرت، ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الذي ينتظر أول فوزة من قداحه، تذهب عنه المغرم، وتوجب له المغنم. وكذلك المرؤ المسلم ينتظر إحدى الحسنيين، إما رزقًا من الله تعالى، فإذا هو ذو أهل ومال، ومعه دينه وحسبه، وإما داعي الله فما عند الله خير للأبرار، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والعمل الصالح حرث الدنيا وقد يجمعهما الله لأقوام[3].

وروينا من كتاب جلاء الأبصار عن الحاكم رحمه الله تعالى بإسناده إلى أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر صاحب أبي عثمان الجاحظ قال: كان الجاحظ يقول لنا

---

(١) في (ع): شفاعتك.

(٢) الأمالي ٢٧٣، ونهج البلاغة ٧٠٩ رقم ١٣١ باختلاف يسير.

(٣) الأمالي ٣٧٤.

زمانًا: إن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مائة كلمة كل كلمة، منها تفي بألف كلمة من محاسن كلام العرب، قال: وكنت أسأله دهرًا بعيدًا أن يجمعها لي ويمليها علي، وكان يعدني بها ويتغافل عنها ضنًا بها. قال: فلما كان آخر عمره أخرج يومًا جملة من مسوّدات مصنفاته، فجمع منها تلك الكلمات، وأخرجها إليّ بخطه، فكانت الكلمات المائه هذه:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم. ما هلك امرؤ عرف قدره. قيمة كل امرء ما يُحْسِنُ. من عرف نفسه فقد عرف ربه. المرء مخبوءٌ تحت لسانه. مَن عَذُبَ لسانه كثر إخوانه. بالبرّ يُستعبد الحرُّ. بشر مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لاظَفَر مع بغي. لاثناء مع كبر. لا برّ مع شُح. لا صحة مع نَهَمٍ. لا شرف مع سوء أدب. لا اجتنابَ لمحرَّمٍ مع حرص. لاراحة لحسود[1]. لا سؤدد مع انتقام. لامحبة مع مرآء. لازيارة مع زعارّة[2]. لاصواب مع ترك المشورة. لا مروءة لكذوب. لاوفاء لملول. لاكرم أعزُّ من التقى. لا شرف أعلى من الإسلام. لا معقل أحرز من الورع. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من السلامة. لا دآء أعيى من الجهل. لا مرض أضنى من قلة العقل. لسانك يقتضيك ما عودته. المرؤ عدو ما جهله. رحم الله امرءًا عرف قدره ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكير بالذنب. النصح بين الملأ تقريع. إذا تم العقل نقص الكلام. الشفيع جناح الطالب. نفاق المرء ذلة. نعمة الجاهل كروْضة على مَزبَلَة. الجزع أتعب من الصبر. المسئول حرٌّ حتى يعد. أكبر الأعدآء أخفاهم مكيدة. من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعينه. السامع للغيبة أحد المغتابين. الذلّ مع الطّمع. الراحة مع اليأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه

---

(١) في (ج): مع حسود.

(٢) الزعارّة: شرسة الخلق ولا فعل له. مختار ص ٢٧٢.

لم يَخلُ منْ حقْد عليه أو استخفاف به . عبد الشهوة أذلُ من عبد الرِّق . الحاسد مغتـاظ على من لا ذنـب له . كفى بالظَّفَر شفيعًا للمذنب . ربَّ ساعٍ فيما يضره . لا تتكل على المنى فإنها بضائع النَّوكا . اليأس حرٌ والرجاء عبد . ظن العاقل كهانة . مَنْ نظر اعتبر . العداوة شغل القلب . القلب إذا أكره عمي . الأدب صورة العقل . لا حياء لحريص . من لانت أسافله صلبت أعاليه . من أتي في عجانة[1] قل حياؤه ، وبَذُأ لسانه . السعيد من وُعظ بغيره . الحكمة ضالة المؤمن . الشر جامع لمساوئ العيوب . كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق . ربَّ آمل خائب ، ورب رجاء يؤدي إلى الحرمان . ربَّ أرباح تؤدي إلى الخسران . ربَّ طمع كاذب . البغي سائق إلى الحين . في كل جرعة شرقة ، ومع كل أكلة غصة . من كثر فكره في العواقب لم يشجُع . إذا حلّت المقادير ضلت التدابير . إذا حلّ المقدور بطل التدبير . إذا حل القدر بطل الحذر . الإحسان يقطع اللسان . الشرف العقل والأدب ، لا الأصل والحسب . أكرمُ الحسب حُسنُ الخلق . أكرم النسب حسن الأدب . أفقر الفقر الحُمْق . أوحش الوحشة العُجْب . أغنى الغنَى العقل . الطامع في وثاق الذل . احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود . أكثر مصارع ذوي العقول تحت بروق الأطماع . من أبدى صفحته للحق هلك . إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة . من لان عوده كثفت أغصانه . قلب الأحمق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه . من جرى في عنان أمله عثر بأجله . إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه . ما أضمر أحدٌ شيئًا إلا ظهر منه في فلتات لسانه وصفحات وجهه . اللهم اغفر رمزات الألحاظ ، وسقطات الألفاظ ، وشهوات الجنان ، وهفوات اللسان . البخيل مستعجل للفقر يعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه .

---

(١) العجان : الدبر أو الأست . ينظر لسان العرب مادة عجن .

قال الجاحظ -معناه: أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مراجعة فكره، ومفاحصة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنَّ قلب الأحمق وراء لسانه.

وروينا بالإسناد إلى السيد أبي طالب رضي الله عنه بإسناده عن كميل بن زياد أن أمير المؤمنين عليًا عليه السلام قال: يا سبحان الله! ما أزهد كثير من الناس في الخير! عجبت لرجل يأتيه أخوه المؤمن في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً! فوالله لو كنا لا نرجو جنةً ولا ثوابًا، ولا نخشى نارًا ولا عقابًا- لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق؛ فإنها تدل على سبل النجاح. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: نعم. وما هو خير منه، لما أتانا سبايا (طيّ) وقعت جارية حَمّآء، حوّاء، لعسآء، لميآء، عيطآء، شمّاء الأنف، معتدلة القامة، ردما الكعبين، خدلجة الساقين، لفآء الفخذين، خميصة الخصرين، ضامرة الكشحين، فلما رأيتها أُعجبت بها، وقلت: لأطلبنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعلها في فيئي، فلما تَكَلَّمَتْ نسيت جمالها لما رأينا[1] فصاحتها، فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي العرب، فإني ابنةُ سُرَّةِ قومي، كان أبي يفك العاني، ويشبع الجائع، ويُقري الضيف، ويفرّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، وما ردَّ طالبَ حاجة قط عنها، أنا ابنة حاتم الطائي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلامياً ترحمنا عليه، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق واللهَ يحب مكارم الأخلاق، فقام أبو بردة فقال: يا رسول الله تحب مكارم الأخلاق؟ فقال: نعم يا أبا بردة لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق[2].

قال الحاكم الإمام رحمه الله: حمّاء أي: سمرآء، وكذلك الحوّاء: من الحُوّة في اللون، وقيل: منه سميت امرأة آدم عليه السلام حوّاء. وفي الحديث «خير الخيل الحوّآء»

---

(١) في (أ): لما سمعت من.

(٢) الأمالي ٣٢٨.

يعني: الكميت التي يعلوها سواد، وقد حوى الفرس حوّه.

وقوله: لمياَء لعساَء، اللماَء واللعس: سواد مستحسن في الشفة، يقال: جارية لعساَء، إذا كان في لونها أدنى سواد وشربة من الحمرة. قال ذو الرمة:

لـمـيـاءُ في شفتيـهـا حُـوَّةٌ لَعسٌ   وفي اللثـات وفي أنيـابهـا شنب

وقوله: عيطاَء: هي الطويلة في اعتدال، والشماَء: من الشمم في الأنف، وهو تطامُن القصبة، وقوله: ردما: هي التي خفي العظم في ساقها غمض من كثرة اللحم وامتلائه، والخدلّجة: الممتلئة الساقين سمنًا. وقوله: لَفّاَء: هي من اللَّفَف وهو اجتماع اللحم على الفخذ، ومنه الشجرُ الملتفّ الأغصان، والكَشْحُ والخصر واحد، ومنه الكاشح العدو، الذي يضمر العدواة في كشحه، وقولها: سُرّة قومي: أي خالصهم وصميمهم[1].

ومنه حديث ظبيان قال لما وفد على رسول الله ﷺ: نحن قوم من سُرة مذحج: أي خيارهم، وقولها: ويفك العاني: أي يطلق الأسير، ومنه: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد: ١٣]، ومنه الحديث: «أعتق النسمة، وفك الرقبة» قيل: أو ليسا واحدة؟ قال: لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة: أن تعين في عتقها.

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام رواه عن عقبة بن أبي الصهباَء قال: لما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليًا عليه السلام دخل الحسن عليه السلام وهو باك، فقال له علي عليه السلام: ما يُبكيك يا بني؟ قال الحسن عليه السلام: ومالي لا أبكي وأنتَ في أول يوم من الآخرة وأخر يوم من الدنيا، فقال: يا بني احفظ عني أربعًا لا يضرك ما عملت معهن شيء، فقال عليه السلام: ما هنّ يا أمير المؤمنين؟ فقال: «اعلم أن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحُمْق، وأوحش الوحشة العجب، وأكبر من الحسب حسن الخلق» فقال الحسن عليه السلام: يا أبة هذه الأربع فأعطني الأربع قال: يا بني إياك

---

(١) الأمالي ص٣٢٩.

ومصادقةَ الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذّاب فإنه يقرب إليك البعيد ويباعد عنك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يَقعد عنك أحوجَ ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه اليسير.

وروينا بالإسناد إلى السيد أبي طالب عليه السلام بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه عليهم السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كتب إلى ابنه الحسن عليه السلام بعد انصرافه من صفين إلى قناصرين[1]:

من الوالد الفان، المقرُّ للزمان، المستسلم للدهر[2]، الذامُّ للدنيا، الساكن مساكن الموتى، الظاعن منها إليهم غداً، إلى الولد المؤمِّل في دنياه ما لا يدرك، السالك في الموت سبيل من هلك، غرض الأسقام، ورهينة الأيام، وقرين الأحزان، ورمية المصايب، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت، ونصب الآفات، وخليفة الأموات. أما بعد، يا بني: فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني، وجنوح الدهر عليَّ، وإقبال الأخرة إليَّ ما ينزع بي عن ذكري سواي، والاهتمام بما ورائي، غير أني تفرَّد بي دون هموم الدنيا همُّ نفسي، فصدَقني رأيي، وصرفني عن هواي، وصرَّح لي محضُ[3] أمري، وأفضى بي إلى جدٍّ لا يُزري بي لعبٌ، وصدق لا يشوبه كذب. وجدتُك يا بني بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن لو شيئاً أصابك أصابني، وحتى لو أن الموت أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي، كتبت إليك كتابي هذا إن بقيت أو فنيت.

أوصيك بتقوى الله، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وأي سبب أوثق من سبب يكون بينك وبين الله، فأحي قلبك بالموعظة،

---

(١) في النهج والامالي (حاضرين)، وهو: اسم بلدة في نواحي صفين.
(٢) في المتن: للحدثان.
(٣) في النسخ (فحص).

ونوِّره بالحكمة ، ومرِّنه على الزهد ، وقوِّه باليقين ، وذلّله بالموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجآئع الدنيا ، وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الأيام والليالي ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكِّره ما أصاب من قبلك ، وسر في ديارهم وآثارهم ، وانظر ما فعلوا ، وأين حلوا ، وعمّا انقلبوا؟ فإنك تجدهم انقلبوا عن الأحبة ، ونزلوا دار الغربة ، فكأنك عن قليل صرت كأحدهم ؛ فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لاتعرف ، والنظر في ما لم تُكلَّف ، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته ، فإن الوقوف عند حيرة الطريق خيرٌ من ركوب الأهوال ، وأمر بالمعروف ، وكن من أهله ، وأنكر المنكر بلسانك ويدك ، وباين مَنْ فَعَلَهُ بجهدك ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولا يأخذك في الله لومة لآئم .

وفي رواية أخرى : وعوِّد نفسك الصبر على المكروه ، ونعم الْخُلُق الصبر[1] ، وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك ؛ فإنك تلجئها إلى كهف حريز ، ومانع عزيز ، واخلص المسألة لربك ؛ فإن في يديه العطاء والحرمان ، وأكثر من الاستخارة ، واحفظ وصيتي . ومن هاهنا اتفقت الروايتان : ولا تذهبن عنك صفحًا ؛ فإن خير القول ما نفع .

واعلم يا بني أنه لا غناء بك عن حسن الارتياد ، وبلاغ الزّاد ، مع خفة الظهر ، فلا تحمل على ظهرك فوق بلاغك ، فيكون عليك ثقلاً ووبالاً ، وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل زادك فيوافيك به حيث ما تحتاج إليه فاغتنمه ؛ فإن أمامك عقبة كئوداً لا محالة ، وإن مهبطها يكون على جنة أو على نار ، فارتد يابني لنفسك قبل نزولك ، وأحسن إلى غيرك كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض من الناس بما ترضى لهم ، ولرُبّ بعيد أقرب من قريب ، والغريب من ليس له حبيب ، ولربّما أخطأ البصير قصده ،

---

(١)في الأمالي والنهج : التصبر .

وأبصر الأعمى رشده .

يا بني : قطيعتك الجاهل تعدل مواصلة العاقل ، قلة التوقي أشد زلّة ، وعلّة الكاذب أقبح علّة ، وليس مع الاختلاف ائتلاف ، مَنْ أمن الزمان خانه ، ومن تعاظم عليه أهانه ، ومن لجأ إليه أسلمه . رأس الدين صحة اليقين ، وخير المقال ما صدّقه الفعال ، سَلْ يا بني عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدّار ، واحتمل ضيم المدل عليك ، واقبل عذر من اعتذر إليك ، وكن من أخيك عند صرمه لك على الصلة ، وعند تباعده على الدنوّ منه ، وعند جموده على البذل ، حتى كأنه ذو نعمة عليك ، وإياك أن تفعل ذلك في غير موضعه ، أو تصنعه بغير أهله . لِنْ لمن غالطك فيوشك أن يلين لك ، ولا تَقُل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم .

واعلم أن الانحراف عن القصد ضد الصواب وآفة ذوي الألباب ، فإذا اهتديت لقصدك فكن أخشى ما تكون لربك .

وفي رواية أخرى : وإياك والاتكال على الأماني ؛ فإنها بضائع النّوكا ، وتثبيط عن الآخرة والأولى ، وخير حظ المرء قرينٌ صالح . قارب أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، ولا يغلبن عليك سوء الظن ، فإنه لا يدع بينك وبين خليلك صلحًا ، وذكِّ قلبك بالأدب كما تُذك النار بالحطب . كفر النعمة لؤم ، وصحبة الأحمق شؤم ، واعلم أن الذي بيده خزآئن السموات والأرض قد أذن بدعآئك ، وتكفّل بإجابتك ، وأمَرك أن تسأله ليعطيك ، وهو رحيم بصير ، لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، وفتح لك باب المتاب والأسباب ، فمتى شئت سمع دعآءك ونجواك ؛ فافض إليه بحاجتك ، وبث ذات نفسك ، وأسند إليه أمورك ، ولا تكن مسألتك فيما لا يعنيك ، ولا بما يلزمك خباله ، ويبقي عليك وباله ، فإنه يوشك أن ترى عاقبة أمرك حَسَنًا أو قبيحًا .

واعلم يا بني أنك إنما خُلقت للآخرة لا للدنيا ، وللبقآء لا للفنآء ، وللحياة لا للموت ، وأنك في منزل قُلْعَة ، وطريق إلى الآخرة ، وأنك طريد الموت الذي

لا ينجو هاربه، فأكثر ذكر الموت، وما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه، واجعله أمامك حيث تراه، فيأتيك وقد أخذت حذرك، واذْكُرِ الآخرةَ وما فيها من النعيم والعذاب الأليم؛ فإن ذلك يزهدك في الدنيا، ويصغرها عندك، مع أن الدنيا قد نعت إليك نفسها، وتكشّفت لك عن مساوئها، وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهلها، وتكالبهم عليها، فإنما هم كلاب عادية، وسباعٌ ضارية، يَهِرُّ بعضها على بعض، يأكل عزيزها ذليلها، وكثيرها قليلها. واعلم يا بني أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر، وأن الله قد أذن بخراب الدنيا وعمارة الآخرة، فإن تزهد فيما زهّدتك فيه منها ورغبت عما رغبت عنها فأنت أهل لذلك، وإن كنت غير قابل نصيحتي فاعلم علمًا يقينًا أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدوا أجلك، وإنك في سبيل من كان قبلك، فاخفض في الطلب، وأجمل في المكتسب، فرُبّ طلَبٍ جرَّ إلى حرب.

وانظر إلى إخوانك الذين كانوا لك في الدنيا مواسين، ومعك لله ذاكرين متكاتفين، قد خَلَوا عن الدور، وأقاموا في القبور إلى يوم النشور، وكأن قد سلكت مسلكهم، ووردت منهلهم، وفارقت الأحبة، ونزلت دار الغربة، ومحل الوحشة، وجاورت جيرانًا افترقوا في التجاور، واشتغلوا عن التزاور، فاعمل لذلك المصرع، وهول المطلع، فيوشك أن تفارق الدنيا، وتنزل بك العظمى، وتصير القبور لك مثوى، واعمل ليوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، ويجيء فيه بصفوف الملآئكة المقربين، حول العرش يجمعون على إنجاز موعد الآخرة، وزوال الدنيا الفانية، وتغير الأحوال، وتبدل الآمال من عدل القضآء، وفصل الجزآء في جميع الأشيآء، فكم يومئذ من عين باكية، وعورة بادية، تُجَر إلى العذاب الأليم، وتُسقى مآء الحميم، في مساكن الجحيم، إن صرخ لم يُرحم، وإن صبر لم يُؤجر، فاعمل لتلك الأخطار تتخلص من النار، وتكون مع الصالحين الأبرار... يا بني: كن في الرخآء شكوراً، وعند البلاء صبوراً، ولربك ذكوراً،

وليكن ما بينك وبينه معموراً، يا بني لن تزال بخير ما حمدت ربك، وعرفت موعظته لك، فإن قلوب المؤمنين رقيقة، وأعمالهم وثيقة، ونياتهم صدق وحقيقة، فالزم محاسن أخلاقهم، وجميل أفعالهم، لعلك تُحاسَب حسابهم، وتثاب ثوابهم.

يا بني: أزحتُ عنك العلّة، وألزمتك الحجة، وكشفت عنك الشبهة، وظهرت لك الآثار، ووضحت لك البينات، وما أنت بمخلد في الدنيا، فعيشها غرور، ما يتم فيها لذي لُبٍّ سرور، يوشك ما ترى أن ينقضي وتمر أيامه، ويبقى وزره وآثامه.

إن الدار التي أصبحنا فيها بالبلآء محفوفة، وبالفنآء موصوفة، كلما ترى فيها وبين أهلها دول سجال، وعوار مقبوضة، بينا أهلها فيها في رخآء وسرور إذ هم في بلآء وغرور، تتغير فيها الحالات، وتتابع فيها الرزيّات، ويساق أهلها للمنيات، فهم فيها أغراض ترميهم سهامها، ويغشاهم حمامها، قد أكَلَتْ القرون الماضية، وأشْرَعَتْ في الأمم الباقية، أكلهم ذعاق ناقع، وحمام واقع، ليس عنه مذهب، ولا منه مهرب، إن أهل الدنيا سفر نازلون، وأهل ظعن شاخصون، فكأن قد انقلبت بهم الحال، ونودوا بالارتحال، فأصبحت منهم قفاراً، ومن جميعهم بواراً، والسلام عليك[1].

ومن كلامه عليه السلام: أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل كنّ لها أهلاً: لا يرجوَنّ أحدٌ منكم إلا ربّه، ولا يخافَنّ إلا ذنبه، ولا يستحيين أحد منكم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحيين أحدٌ إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم [بالصبر فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه].[2]

---

(١) الأمالي ص٨١، والنهج ص٥٧٢ رقم: ٣١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من جميع النسخ، وموجود في هامش (آ) فقط. ينظر الأمالي ص١٤٥.

وقال عليه السلام : المغبون من غبن نفسه ، والمغبوط من سلم له دينه ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من انخدع لهواه وغروره .

وقال عليه السلام : بؤساً لنعمة تذهب لذتها وتبقى تَبِعَتُها .

وقال عليه السلام : ثلاثٌ من كنوز الجنة : كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان المرض .

وقال عليه السلام : جميع الخير كله في ثلاث : النظر ، والسكوت ، والكلام . فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو ، وكل كلام ليس فيه ذِكْر فهو لغو ، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة ، فطوبى لمن كان نظره عبرة ، وسكوته فكراً ، وكلامه ذكراً ، وبكى على خطيئته ، وأمن الناس شره .

وكتب عليه السلام إلى الأشتر : صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وقُل الحق على نفسك .

وروي عن الجاحظ أنه قال : صنفتُ ألف كتاب ما سمعت كلمةً إلا أتيتُ بنظيرها إلا تسع كلمات لأمير المؤمنين صلوات الله عليه : ثلاث في المناجاة ، وثلاث في الحكمة وثلاث في الأدب . أما التي في المناجاة : إلهي كفى لي فخراً أن تكون لي ربّاً ، إلهي كفى لي عزّاً أن أكون لك عبداً ، إلهي أنت كما أُحبُّ فاجعلني كما تُحب .

وأما التي في الحكمة فقوله : استغن عمَّن شئت تكن نظيره ، وارغب إلى من شئت تكن أسيره ، وتفضَّل على من شئت تكن أميره .

وأمَّا التي في الأدب فقوله : قيمة كلّ امرئ ما يُحسنه ، والمرء مخبوءٌ تحت لسانه ، وما هلك امرؤٌ عرف قدره .

ومن شعره عليه السلام قوله وقد توفيت فاطمة (ع) :

نفسي على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزّفرات

لا خير بعدكِ في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

ثم أخذ في جهازها ودفنها وهو يقول :

وإنّ افتقادي فاطمًا بعد أحمد … دليلٌ على أن لا يدوم خليل

لكل اجتماع من خليلين فرقةٌ … وكل الذي دون الفراق[1] قليل

ولمّا أقبل من قبرها زار قبر رسول الله ﷺ، وقال: إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلاّ عليك، وإن المصيبة بك لجليل، وأما بعدك فجلل، ثم أنشأ يقول :

ما غاض دمعي عند نازلة … إلا جعلتُك للبكا سببَا

فإذا ذكرتُك سامَحَتْك به … مني الجفونَ ففاض وانسكبَا

وروى سعيد بن المسيب قال: دخلنا مقابر المدينة مع جنازة، فمال علي عليه السلام إلى قبر فاطمة عليها السلام وانصرف الناس فبكى وأنشأ يقول :

لكل اجتماع من خليلين فُرقة … وإن الذي دون الفراق قليلُ

أرى علل الدنيا عليَّ كثيرةً … وصاحبها حتى الممات عليلُ

إذا انقطعت يومًا من العيش مدتي … فإن غناء الباكيات قليلُ

وإن افتقادي فاطمًا بعد أحمد … دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ

وروي: وإنّ افتقادي واحداً بعد واحد.

ثم نادى: يا أهل القبور، تخبرونا أخباركم، أم تريدون أن نخبركم، أم عن الجواب مُنعْتُم، يا معشر الأخوان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال: فسمعنا صوتاً يقول: وعليك السلام ورحمة الله يا أمير المؤمنين، خبِّرنا بأخبارك، ما عندك؟ فقال عليه السلام : أما أزواجكم فقد زُوِّجوا، وأما أموالكم فقد اقتُسمت، وقد حشر في زمرة اليتامى أولادكم، والمنازل التي شيَّدتم وبنيتم قد سكنها أعداؤكم، فهذه أخباركم عندنا، فما أخبارنا عندكم؟ قال: فأجابه مجيبٌ وهو يقول: تخرَّقت الأكفان، وتناثرت الشعور، وتمغَّطت الجلود،

(١) في (أ): الممات.

وسالت الأحداق على الخدود، وسالت المناخر والأفواه بالقيح والصديد، وما قدَّمنا وجدناه، وما أبقينا خسرناه، ونحن مرتهنون بالأعمال.

وله عليه السلام يعظ ابنه محمداً عليه السلام:

إنْ عضَّكَ الدَّهرُ فانتظر فرجًا ... فإنه ناظرٌ لمنتظره
أوْ مسَّكَ العُسرُ فابتُليتَ به ... فاصبر فإن الرخاءَ في أثره
ربَّ معافىً شكا تقلُّبه ... ومُشْتكٍ ما ينام من سهَره
وآمنٍ في عشاء ليلته ... دبَّ إليه البلاءُ في سَحَره
من صَحبَ الدهر ذمَّ صحبَتَه ... ونال من صفوه ومن كدره

وله عليه السلام:

رضيت بما قسم الله لي ... وفوّضت أمري إلى خالقي
لقد أحسن الله فيما مضى ... كذلك يُحسن فيما بقي

وله عليه السلام:

انظر لنفسك هل ترى من ظالم ... إلاّ وصافي عيشه متكدِّرُ
الله يمهل ثم يأخذ بغتةً ... وله جزاء عاجل ومؤخَّرُ

وله عليه السلام:

ما أحسن الدنيا وإقبالها ... إذا أطاع اللهَ من نالها
من لم يواس الناس من فضله ... عرَّض للإدبار إقبالها

وقال عليه السلام في رجل ضعيف يقال له: وَبَرَةٌ، ذي مال:

سبحان ربِّ العباد يا وبرة ... ورازق المسلمين والفَجَرة
لو كان رزق العباد من جَلَد ... ما نلتَ من رزق ربنا وَبَرة

وقال عليه السلام:

لإن ساءني دهرٌ لقد سرَّني دهرُ ... وإن مسني عسرٌ لقد مسني يُسرُ
لكلٍّ من الأيام عندي عادةٌ ... فإن ساءني صبرٌ وإن سرني شكرُ

وله عليه السلام :

مـا أكـثـرَ النـاسَ لا بل مـا أقلَّهُمُ ... اللـهُ يـعـلـم أنـي لـم أقـل فـنَـدا

إني لأطبق جَـفـني ثم أفـتـحُـه ... أرى كـثـيـرًا ولكن لا أرى أحـدا

وله عليه السلام يخاطب جابرًا :

لا تخـضـعـنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ ... فـإنَّ ذلك نقصٌ منك في الدينِ

واسـتـرزق الله مما في خـزآئنه ... فـإن ذلـك بين الكاف والنونِ

روينا ما بعد وصية أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب السفينة إلى ها هنا .

وروينا من غيرها مما هو مسموعٌ لنا أيضًا لأمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول :

إذا يقـضي لك الرحـمنُ رزقًـا ... يُعـدُّ لرزقـه المقـضيُّ بابا

وإن يحـرمك لا تَسطع بحـولٍ ... ولا رأي الرجـال له اكـتـسـابا

فـأقـصـر في خُطاك فلست تعدو ... بحـيلتك القـضـآء ولا الكتـابا

وله عليه السلام :

لا تعـتـبنَّ على العـبـاد فـإنما ... يأتيك رزقك حين يؤذن فـيـه

سـبق القـضـاء بوقـتـه فكأنما ... يأتيك حين الوقت أو تأتيـه

وثقنْ بمولاك اللطيف فـإنه ... بالعـبـد أرأف من أب ببنيـه

وأشِعْ غناك وكن لفقـرك صـائنًا ... تُضني حـشـاك وأنت لا تبـديه

فـالحـرُّ يكتم جـاهدًا إعـدامـه ... فكأنما عن نفـسـه يُخـفـيـه

وله عليه السلام :

لو كـانت الأرزاق تجـري على ... مـقـدار مـا يسـتـوجب العـبـدُ

لكان من يُخـدَم مـسـتـخـدمًا ... وغـاب نحسٌ وبدا سـعـدُ

واعـتـذر الدهرُ إلى أهله ... واتصل السـؤدد والمجـدُ

لكنهـا تجرى على سـمـتـهـا ... بما يريد الواحـد الفـردُ

ومن كلامه ﷺ رواه مصنف نهج البلاغة[1]: واعجبًا أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة!

وروي له ﷺ في هذا المعنى:

لأن كنتَ بالشورى ملكتَ أمورهم	فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ
وإن كنت بالقربى حججتَ خصيمهم	فغيرُكَ أولى بالنبي وأقربُ

ومن دعائه ﷺ – رواه أيضًا: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدتُ فعدلي بالمغفرة. اللهم اغفر لي ما رأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي. اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك ثم خالفه قلبي. اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، وهفوات اللّسان.[2]

ومن كلام له ﷺ – رواه أيضًا: اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي، وعلى ما تعافي وتبتلي، حمدًا يكون أرضى الحمد لكَ، وأحبَّ الحمد إليك، وأفضلَ الحمد عندك، حمدًا يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت، حمدًا لا يُحجبُ عنك، ولا يَقصُرُ دونك، حمدًا لا ينقطع عدده، ولا يفنى مَددُه، فلسنا نعلم كنه عظمتك، إلا أنا نعلم أنك حيٌّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر، أدركتَ الأبصار، وأحصيت الأعمار، وأخذتَ بالنواصي والأقدام، وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك، ونَصفُه من عظيم سُلطانك، وماتغيّبَ عنّا منه، وقصرت أبصارنا عنه، وانتهت عقولنا دونه، وحالت سواتر الغيوب بيننا وبينه أعظم، فمن فرّغ قلبه، وأعمل فكْرَه؛ – ليعلم كيف أقمت عرشك، وكيف ذرأت خلقك، وكيف عُلّقت في الهواء سماواتك، وكيف مددت على مَور الماء أرضك– رجع طرفُه حسيرًا، وعقله مبهورًا، وسمعه وَالهًا، وفكره حائرًا[3].

---

(1) (الحكم والأمثال) رقم ١٩٠ ص ٧٢١.

(2) النهج ص ٢٠٢ رقم: ٧٦.

(3) النهج ص ٢٨١ رقم: ١٥٨.

ومن كلامه عليه السلام : اللهمّ أنت أهل الوصف الجميل، والتعداد الكثير، إن تؤمَّلْ فخيرُ مأمول، وإن تُرْجَ فخيرُ مرجوٍّ، اللهم وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك، ولا أثني به على أحد سواك، ولا أوجّهه إلى معادن الخيبة، ومواضع الريبة، وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين، والثناء على المربوبين المخلوقين. اللهمّ ولكل مُثنٍ على من أثنى عليه مثوبةٌ من جزآء، أو عارفة من عطآء، وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة، وكنوز المغفرة. اللهمّ وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هُوَ لك، ولم يَرَ مستحقًا لهذه المحامد والممادح غيرَك، وبي فاقة إليك لا يَجْبرُ مسكنتها إلا فضلكَ، ولا يُنعشُ منْ خَلَقَهَا إلا مَنُّك وجودُك؛ فهب لنا في هذا المقام رضاك، وأغننا عن مدِّ الأيدي إلى سواك، إنك على كل شيء قدير.

وبالإسناد الموثوق به من كتاب آخر أنه قال في مناجاته عليه السلام : إلهي ارحمنا إذا تضمنتنا بطونُ لحودنا، وأغميتْ باللَّبن سقوفُ بيوتنا، واضطجعنا مساكين على الأيمان في قبورنا، وخُلِّفنا فرادى في أضيق المضاجع، وصرعتنا المنايا في أعجب المصارع، وصرنا في دار قوم كانت مأهولة منهم بلاقع. إلهي لقد رجوتُ ممن ألبسني من بين الأحياء ثوب عافيته ألا يعريني منه من بين الأموات بجود رأفته.

ومن كلام له عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله : لم يكن صلى الله عليه وآله بالطويل الممَّغط[1]، ولا بالقصير المتردِّد[2]. كان رَبْعة[3] من القوم، ولم يكن بالْجَعْد القَطَط[4] ولا السَّبْط، كان جَعْداً رجْلاً[5]، لم يكن بالمطهّم[6] ولا

---

(١) أي: لم يكن بالطويل البائن الطول. لسان العرب ٧/٤٠٥ مادة: مغط.

(٢) أي: القبيح الخلقة.

(٣) أي: بين الطول والقصر.

(٤) القطط: الشديد جعودة الشعر.

(٥) مسرح الشعر.

(٦) المطهّم: العظيم الجسم.

المُكَلْثم[1]، وكان أبيضَ مُشربًا بحمرة، أدعج[2] العينين، أهدب[3] الأشفار، جليل[4] المشاش والكتد[5]، دقيق المسربة[6]،

أجرد، شثن[7] الكفَّين والقدمين، إذا مشى تقلَّع[8] كأنه يمشي في صَبَب[9]، وإذا التفت التفت معًا، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو ﷺ خاتم النبيين، أجود الناس كفًا، وأجرأ الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبّه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ. رويناه من سيرة ابن هشام[10].

ومن كلامه عليه السلام في تعليم الناس الصلاة على النبي ﷺ: اللهم داحي المدحوّات، وداعم المسموكات، وجابلَ القلوب على فطرتها، شَقيِّها وسعيدها: اجعل شرآئف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحقَّ بالحقّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل، كما حُمِّل فاضطلع قائمًا بأمرك، مُستوفزًا في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قُدُمٍ، ولا واهٍ في عزمٍ، واعيًا لوحيك، حافظًا لوعدك، ماضيًا على نفاذ أمرك، حتى أورى قبس القابس، وأضآء الطريق للخابط، وهدنت به القلوب

---

(1) المكلثم: المستدير الوجه في صغر.
(2) الأدعج: الأسود.
(3) أهدب الأشفار: طويلها.
(4) المشاش: عظام رؤوس المفاصل.
(5) الكتد: ما بين الكتفين.
(6) المسربة: الشعر الممتد من الصدر إلى السرة.
(7) أي: غليظهما.
(8) لم يثبت قدميه.
(9) الصبب: ما انحدر من الأرض.
(10) ج٢ص١٤.

بعد خوضات الفتن، وأقام مُوضحات الأعلام، ونيِّرات الأحكام، فهو أمينُك المأمون، وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين، وبعيثك بالحق، ورسولك إلى الخلق. اللهم افسح له مفسحًا في ظلِّك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك. اللهم أعلِ على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك منزلته، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعاثك له مقبولَ الشهادة، ومرضيَّ المقالة، ذا منطق عدل، وخطة فصل. اللهمَّ اجمع بيننا وبينه في برد العيش، وقرار النعمة، ومُنَى الشهوات، وأهواء اللذات، ورخاء الدعة، ومنتهى الطمأنينة، وتحف الكرامة. رواه في نهج البلاغة [1]، ولنقتصر على حكاية هذا القدر، وإن كان قليلاً من كثير من كلامه عليه السلام، وهو كلُّه في الرفيع من منازل الفصاحة، والعالي من درجات البلاغة رضي الله عنه وأرضاه.



(1) الخطبة رقم ٧٠ ص ١٦٤.

الإمام الحسن بن علي عليهما السلام[1]

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وأمه فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ. وروي أنها لما طُلِقَتْ[2] فاطمة عليها السلام بالحسن بن علي عليهما السلام أُخْبِر بذلك رسول الله ﷺ، فأرسل إلى أسماء بنت عميس وإلى عائشة، وقال: انطلقا إلى فاطمة، فإذا وضعت ما في بطنها فاقرءا بفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، واعلماني بما وضعت، ففعلتا ذلك وبعثتا إليه، فأذَّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، ولبّاه بريقه فحنكه، وقال: اللهمَّ إني أعيذه بك وذريّته من الشيطان الرجيم. وجاء علي عليه السلام، فقال: ما سميتَه؟ فقال: حرب يارسول الله، قال: هو حسن، ومن بعده حسين، وأنت أبو الحسن القرم[3].

ثم جاءت به أمُّه تحمله بعد ذلك، فقالت: يارسول الله، انحَلْ ابني، قال: قد نحلتُه المهابة والحياء، ونحلتُ حسيناً الشجاعة والجود، وهما سيدا شباب أهل الجنة، ومن أحبهما فبحبي أحبَّهما، ومن أبغضهما أو بغى عليهما فببغضي أبغضهما.

وولد الحسن عليه السلام للنصف من شهر رمضان، سنة ثلاث من الهجرة عام

---

(١) مقاتل الطالبين (٤٦)، الإفادة (٣٥)، تاريخ الطبري (٥/ ١٥٨)، الجرح والتعديل (٣/ ١٩١)، مروج الذهب (٣/ ١٨١) الحلية (٢/ ٣٥)، جمهرة أنساب العرب (٣٨)، الاستيعاب (٥٧٤)، تاريخ ابن عساكر (١/ ٤٩)، أسد الغابة (٢/ ٩)، الكامل (٣/ ٤٦٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٦)، البداية والنهاية (٨/ ١٤)، مجمع الزوائد (٩/ ١٧٤)، تاريخ الخلفاء (١٨٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥)، الأعلام (٢/ ١٩٩) صفوة الصفوة (١/ ٣٤٢)، أعيان الشيعة (١/ ٥٦٢).

(٢) طلقت: أصابها وجع الولادة قاموس مادة طلق ١١٦٧.

(٣) ذكرت برواية أخرى في أمالي أبي طالب ص ٩٤، تنبيه الغافلين ص ٧٣، رواه الترمذي ج١/ ص٢٨٦، أبو داود ج٣/ ص٢١٤، رواه أحمد بن حنبل ٦/ ٩، ٣٩١ وص٣٩٢.

(أُحُد)[1] بعد الوقعة، وعقَّ عنه رسول الله ﷺ في اليوم السابع كبشاً، وحلقت فاطمة عليها السلام رأسه وتصدَّقت بوزنه فضةً على المساكين.

صفته عليه السلام: كان علي عليه السلام يقول: إن الحسن والحسين اقتسما رسول الله ﷺ، فالحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين مفرق صدره إلى نحره، والحسين أسفل من ذلك.

وروي أنه كان أبيض اللون، حسن الوجه، على رُتَّة في لسانه[2] قال النبي ﷺ: أتته من قِبَل جدِّه موسى عليه السلام، ونحله رسول الله ﷺ المهابة والحياء كما تقدم في الخبر.

ذكر طرف من مناقبه ومقاماته عليه السلام:

روينا عن النبي ﷺ أنه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حربٌ لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»[3]، وقال ﷺ: «لما أُسري بي رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب، لا بماء الذهب: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، عليٌّ ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على باغضهم لعنة الله»، وعنه ﷺ أنه قال للحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»[4].

---

(١) في الأصل: (بدر) والصواب: (أحد)؛ لأن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل بفاطمة عليها السلام بعد رجوعه من غزوة بدر، وكذلك غزوة بدر كانت في السنة الثانية، وميلاد السبط الحسن في السنة الثالثة. انظر المقاتل ص٤٨، والإفادة ص٤٩، والاستيعاب ج١ ص٤٣٦.

(٢) في الإفادة ص٥٠: أنه فصيح اللسان، وفي هامش (أ) قال الزمخشري: إن الرتة كانت في الحسين عليه السلام.

(٣) أمالي أبي طالب ١١٠، الترمذي ٥/ ٦٥٦ رقم ٣٨٧٠، ابن ماجة رقم ١٤٥، المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٤٠ رقم ٢٦١٩، ٢٦٢١، ٥٠٣٠ والمستدرك ٣/ ١٤٩، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٣، كنز العمال ١٢/ ٣٤١٥٩، ٣٤١٦٤، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٩ وقال المقبلي حديث أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» قال لعلي والحسن والحسين وفاطمة.

(٤) البخاري رقم ٣٥٣٩، ٥٥٤٥، ومسلم رقم ٢٤٢١، و٢٤٢٢، و الترمذي رقم ٣٧٨٣، ابن ماجة رقم ١٤٣، أحمد بن حنبل رقم ٧٣٩٢، ٨٣٦٢، ١٠٩٠٤، ١٨٥٢٤، ١٨٦٠٠، -

وعنه أنه قال: «إن ابني هذا سيد، ومن أحبني فليحب هذا في حجري»[1]، وروينا عن سلمان رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين من أحبهما أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة جنة النعيم، ومن أبغضهما وبغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم خالداً فيها وله عذاب مقيم[2]».

وروينا عن عبدالله بن الزبير[3] قال: لقد رأيت الحسن بن علي عليهما السلام «يأتي النبي ﷺ» وهو ساجد فيركب على ظهره، وما يُنزله حتى يكون هو الذي يَنزل، ويأتي وهو راكع فيفرِّج له بين رجليه حتى يأتي من الجانب الآخر.

وفي ذلك يقول الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له:

ألم يكن والدي هُبلتَ إذا صـ ـلَّى لديه امتطى على صلبه

ثم يشير اتركوه لا تَركتْ لك الرزايا مالاً لمنتهبه

وعن عكرمة قال: بينا ابن عباس يُحدث الناس، إذ قام إليه نافع بن الأزرق، فقال: ياابن عباس، تفتي في النملة والقملة، صف لي إلهك الذي تعبده! فأطرق

= و البيهقي ٢٠٨٦١، و ٢٠٨٦٢، المعجم الكبير للطبراني ٢٥٨٢، وابن حبان رقم ٦٩٦٢، و٦٩٦٣، والمستدرك ٤٧٩١، وفتح الباري ٢٠١٦، النسائي ٨١٦٤، و٨١٦٥، ومسند أبي يعلى رقم ٩٦٠، ٦٣٩١، ومسند ابن الجعد رقم ٢٠٠٨، مسند الحميدي رقم ١٠٤٣، وتأريخ بغداد ١/ ١٣٩.

(١) البخاري ٢/ ٩٦٢، ورقم ٢٥٥٧، ورقم ٣٤٣٠، ٣٥٣٦، ٦/ ٢٦٠٢، ورقم ٦٦٩٢؛ وسنن أبي داوود رقم ٤٣٩٠، ٤٦٦٢، وسنن البيهقي رقم ١١٧٠٥، ١٣١٦٧، ١٦٤٨٦، والمعجم الكبير رقم ٢٥٨٨، ٢٥٩٠، ٢٥٩١، ٢٥٩٢، ٢٥٩٣، ٢٥٩٤، ٢٥٩٥، وابن حبان ٦٩٦٤، والمستدرك رقم ٤٨٠٩، ٤٨١٠، وفتح الباري ٥/ ٣٠٧، ٧/ ٩٥، ٩/ ١٥٩، النسائي رقم ١٧١٨، ٨١٦٦، ١٠٠٨٠ - ١٠٠٨٥، ومسند ابن حنبل رقم ٢٠٤٠٨ وغيرها وكلها برواية «إن ابني هذا سيد ولعل سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين».

(٢) الكنجي والحافظ ابن عساكر، وابن ماجة، والحاكم على شرط الشيخين ٣/ ص١٦٦، والترمذي ٥/ ص٦١٤ رقم الحديث ٣٧٦٩.

(٣) الخطبة رقم٧٠ص١٩٤.

ابن عباس إعظاماً لقوله، وكان الحسن عليه السلام جالساً في ناحية فقال: إليّ ياابن الأزرق، قال: لستُ إياك أسال، قال ابن عباس: ياابن الأزرق، إنه من أهل النبوّة، وهم ورثة العلم، فأقبل نافع نحو الحسن عليه السلام، فقال له الحسن: يا نافع، إنه من وضع دينه على القياس لم يزل دهره في التباس، قابلاً غير المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل. ياابن الأزرق، أصفُ إلهي بما وصف به نفسه، وأُعَرِّفُه بما عرَّف به نفسه: لا يُدرَك بالحواس، ولا يُقاسُ بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيدٌ غير متقص، يُوَحَّد ولا يُبَعَّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال، قال: فبكى ابن الأزرق، وقال يا حسن: ما أحسن كلامك! أما والله يا حسن لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام، ونجوم الأحكام، حتى بَدَّلْتُم فاستبدلنا بكم، فقال الحسن: إني أسالك عن مسألة، قال: سل، قال: هذه الآية: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ٨٢] ياابن الأزرق، مَن حُفِظَ في الغلامين؟ قال: أبوهما، قال الحسن: فأبوهما خيرٌ أم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال ابن الأزرق: قد أنبانا الله بأنكم قوم خَصِمُون.

وروينا عن قتادة عن الحسن (البصري) رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا أبا سعيد، أمعاوية كان أحلم أم الحسن؟ قال: بل الحسن، قال إنما أعني معاوية بن أبي سفيان الذي كان أمير المؤمنين، قال الحسن رضي الله عنه: وهل كان ذلك إلا حماراً نهَّاقاً.

وروينا أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يمشيان إلى الحج فلم يمرا براكب إلا نزل يمشي، فثقل ذلك على بعضهم فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد ثقل علينا المشي ولا نستحسن أن نركب وهذان الفتيان يمشيان، فقال سعد للحسن عليه السلام: يا أبا محمد، إن المشي قد ثقل على جماعة ممن معك، والناس إذا رأوكُما لم تطب أنفسُهم بأن يركبوا، فلو ركبتما، فقال الحسن عليه السلام: لا نركب قد جعلت على نفسي أن أمشي، ولكن أتنكب الطريق، فأخذَ جانباً.

ورويّنا عن المغيرة بن أبي نَجيح : «أن الحسن بن فاطمة عليهما السلام حجَّ خمسًا وعشرين حجةً وقاسم مالَه ربَّه مرتين .

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب نسب آل أبي طالب بإسناده إلى عبدالله بن عبيد بن عمير قال : لقد حج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجةً ماشياً ، وإن النجائب لتقاد معه .

وروينا عن مدرك بن أبي راشد قال : كنَّا في حيطان لابن عباس فجاء الحسن والحسين عليهما السلام ، فطافا بالبستان قال : فقال الحسن عليه السلام : عندك غداء يا مدرك ؟ قال : قلت : طعام الغلمان ، قال : فجئته بخبز وملح جريش وطاقات بقل ، قال : فأكل ثم جيئ بطعامه وكان كثير الطعام طيبه ، فقال : يامدرك ، اجمع غلمان البستان ، فجمعهم فأكلوا ولم يأكل ، فقلت له في ذلك فقال : ذاك كان عندي أشهى من هذا ، قال : ثم توضأ ثم جيئ بدآبته ، فأمسك له ابن عباس بالركاب وسَوَّى عليه ، ثم مضى بدآبة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب فسوى عليه ثم مضى ، قال : قلت له : أنت أسَنُّ منهما تمسكُ لهما ؟ قال : يا لكع أو ما تدري مَنْ هذان ؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله» ، أوليس هذا مما أنعم الله به عليَّ أن أُمسك لهما وأسوِّيَ عليهما !

وسمع الحسن عليه السلام رجلاً يسألُ الله عشرة آلاف فانصرف الحسن عليه السلام إلى منزله فبعث بها إليه .

وروي أن الحسن عليه السلام كان عند معاوية في جماعة من قريش ، فذكر كل واحد منهم قومه وقديمه وحديثه ، والحسن عليه السلام ساكت ، فقال معاوية : يا أبا محمد ، مالي أراك ساكتاً ، فوالله ما أنت بكليل اللسان ، ولا مأشوب الحسب ، فقال الحسن عليه السلام : والله ما ذكروا مكرمة مونقة ، ولا فضيلة قديمة إلا ولي محضها وجوهرها ، ثم قال :

فيمَ المرآء وقد سَبقتُ مُبرِّزاً ؟	سبق الجواد من المدى المتباعد
نحن الذين إذا القروم تخاطروا	فزنا على رغم العدوّ الحاسد

دانت لنا رَغْماً بفضل قديمنا　　مُضَرٌ وقوَّمنا طريق الحايد

ومن مواقعه عليه السلام: ما روي أنه كان عند معاوية يوماً فافتخر معاوية فقال: أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن أغزرها جوداً، وأكرمها جدوداً، أنا ابن من ساد قريشًا فضلاً ناشئًا وكهلاً، فقال الحسن عليه السلام: أعليَّ تفتخر يا معاوية؟! أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقى، أنا ابن من جآء بالهدى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالفضل السابق، والجود اللآئق، والحسب الفائق، أنا ابن من طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله، فهل لك أب كأبي تباهيني به؟ وقديم كقديمي تساميني به؟ قل نعم أو لا، قال: بل أقول لا، وهي لك تصديق، فقال الحسن عليه السلام:

الحقُّ أبلج ما يُخيل سبيله　　والحق يعرفه ذووا الألباب

ومن مقاماته عليه السلام:

ما روي أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معَيط، والمغيرة بن شعبة فقالوا: يا معاوية، أرسل لنا إلى الحسن بن علي لنسُبَّ أباه ونوبِّخه ونُصَغِّرَهُ، وكانوا قد تواطئوا على أمر واحد، ثم قال عمرو: إن الحسن قد أحيا أباه، وخفقت النعال خلفه، وأمر فَأُطيع، وقال فَصُدِّق، وهذا رافعه إلى ما هو أعظم منه، فلو بعثت إليه، فأخذنا منه النصفَة كان رأياً، فقال معاوية: إني والله أخاف أن يقلِّدكم قلآئد تبقى عليكم في قبوركم، فوالله ما رأيتُه قط إلا خفتُ جنابه، وهبتُ عتابَه، وإن بعثت إليه والله أنصفتُه منكم، فقال عمرو: أتخاف أن يأتي باطلُه على حقِّنا، أو مرضُه على صحتنا؟ قال: لا فابعثو إليه إذاً فالقوه بما في أنفسكم، ولا تُكَنّوا[1] ولا تلجلجوا، وصرِّحوا ولا تعرضوا، فلن ينفعكم غير التصريح.

قال: فبعثوا إلى الحسن عليه السلام، فقال الرسول: أجب أمير المؤمنين معاوية، فقال من عنده؟ فسمَّاهم، فقال: مالهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم

---

(١) في (ج): تكتموا.

العذاب من حيث لا يشعرون، ثم قال: ياجارية، أبلغيني ثيابي، ثم قال: اللهمَّ إني أدرأُ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فأكفنيهم بما شئت، وكيف شئت، وأنَّى شئت بحولك وقوتك يا رحمان، ثم قال للرسول: هذه كلمات الفرج، فلمَّا أتى معاوية رحَّب به وناوله يده، فقال الحسن: إنَّ الترحيب سلامة، والمصافحة أمانة، قال: أجل، فلمَّا قعد قال له معاوية: ما أنا دعوتك ولكن هؤلآء أحرجوني فيك حتى أرسلت إليك فدعوتك لهم، وإنما دعوك ليقرروك أن عثمان قُتِلَ مظلوماً، وأن أباك قتله، فاسمع منهم وأجبهم، ولا يمنعك هيبتي ولا هيبتُهم أن تتكلم بصليب لسانك، فقال الحسن عليه السلام: سبحان الله! البيت بيتك، والإذن فيه إليك، والله لئن كنتَ أجبتَهم إلى ما قالوا[1] إنَّه استحياءٌ لك من الفحش، ولئن كانوا غلبوك على ما تريد إنه استحياءٌ لك من الضعف، فبأيِّهما تُقِر؟ ومن أيِّهما تفر[2]؟ فهلاَّ إذْ أرسلت إليَّ أنبأتني فأجيء بمثلهم من بني هاشم، على أنهم مع وحدتي أوحش منهم مع جميعهم، وإن الله لوليِّي فَلْيقولوا فأسمع.

فبدأ عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر عليًا عليه السلام، فلم يترك شيئًا من الوقوع فيه حتى عَيَّره بأنَّه شتم أبا بكر، واشترك في دم عمر، وقتل عثمان مظلوماً، وادَّعى ما ليس له بحق، ثم قال: إنكم معشر بني هاشم لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخليفة، واستحلالكم ماحرَّم الله عليكم، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يَحلُّ لكم، ثم أنت يا حسن: كيف تحدث نفسك أنك كائن خليفة؟ وليس عندك عقل ذلك ولا رأيه، فكيف تُراك تأتيه، وأنت أحمق قريش! وفيك سوء عقل أبيك، وإني دعوتك لأَسُبَّكَ وأباك، ثم لا تستطيع أن تغيرّه، ولا أن تكذبه، فأمَّا أبوك فقد كفانا الله شرَّه، وأمَّا أنت ففي أيدينا نتخيّر

---

(١) في (ج): أرادوا.

(٢) في (ج): تعتذر.

فيك، والله لو قتلناك ما كان في قتلك إثمٌ من الله، ولا عتبٌ من الناس، فتكلّم، وإلا فأعلم أنك وأباك من شر خلق الله تعالى.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: إنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان، ثم لم تَدُوْهُ، ولم تقيدونا به، والله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم من الله، ولا لومٌ من الناس، وكان من الحق أن نقتلك وأباك، فأمّا أبوك فقد تفرَّد الله بقتله وكفاناه، وأمّا أنت فقد أقادك الله به إذ كان أبوك شرَّ قريشٍ لقريش، أقطعهم لأرحامها، وأسفكهم لدمائها، وعليك القود في كتاب الله فنحن قاتلوك به. وأمّا رجاؤك الخلافة فليست قدحة رأيك، ولا رجح ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبة فقال: إنكم بني هاشم كنتم أخوال عثمان، ولنعم الولد كان لكم إذ كنتم أصهاره، ولنعم الصهر كان لكم، يعرف حقكم، ويكرمكم، وإنكم كنتم أول من حسده ودبَّ في قتله وفتك به، وكنتم أنتم قتلتموه، وأطعتم الناس في قتله؛ حرصاً على الملك، وقطيعة للرحم، فكيف ترون الله طلب بدمه؟ وكيف ترون منزلكم منازلكم؟ أمّا أبوك فقتله الله، وأما أنت فصرت إلى ما كرهت.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فقال ياحسن: إن عثمان قُتل مظلومًا، ولم يكن لأبيك في ذلك عذر بري، ولا اعتذار مذنب، غير أنا ظننا أنه راض بقتله لضمّه قتلته، ومكانهم منه، وكان والله طويل اللسان والسيف، يقتل الحي ويعيب الميِّت، وبنو أمية لبني هاشم خير من بني هاشم لبني أمية، ومعاوية خير لك منك له.

ثم تكلم الحسن ﷺ: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معاوية، والله ما شتمني غيرك فحشًا منك، وخلقًا سيئاً، وبغياً عليَّ، وعداوةً لرسول الله ﷺ قديماً وحديثاً، ولا أبداً إلا بك، ولا أقول إلا دون ما فيك، والله لو كنتُ أنا وهؤلاء في مسجد رسول الله ﷺ، وحولنا أهل المدينة لما استطاعوا أن

يتكلّموا بالذي تكلّموا به، ولكن اسمعوا أيها الملأ، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا باطلاً إن تكلمتُ به: أنشدكم الله، أتعلمون أن الرجل الذي شتمتم وتناولتم منه اليوم قد صلى القبلتين كلتيهما، وأنت يا معاوية كافر بهما تراهما ضلالة وتعبد اللات والعزّى، وبايع البيعتين بيعة الرضوان وبيعة الفتح وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالثانية ناكث.

وأنشدكم الله، أتعلمون أن عليّا لقيكم يوم الأحزاب ويوم بدر مع رسول الله ﷺ ومعه راية رسول الله ﷺ والمؤمنين ومعك يا معاوية لوآء المشركين من قريش في كل ذلك يفلج الله حجته، ويحقُّ دعوته، ويصدّق أحدوثته، وينصر رايته، وفي كل ذلك رسول الله ﷺ راضٍ عنه في المواطن كلّها.

وأنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ حاصر قريظة والنضير، فبعث عمر براية المهاجرين، وسعد بن معاذ براية الأنصار، فأمّا سعد فجيء به جريحًا، وأمّا عمر فرجع بأصحابه. فقال النبي ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه يفتح الله على يديه»[1].

فتعرّض لها أبو بكر وعمر، وعليٌّ عليه السلام يومئذ أرمد، فدعاه النبي ﷺ وأعطاه إياها، فلم يلبث حتى فتح الله عليه، فاستنزلهم على حكم الله ورسوله، وأنت يومئذ مشرك بمكة عدو لله. بالله أتعلمون أن عليّا عليه السلام من أصحاب محمد ﷺ ممن حرّم الشهوات، من الذين أنزل الله فيهم ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] وكان في رهط هو عاشرهم، فأنبأهم الله أنهم مؤمنون، وأنت في رهط قريب من أولئك

---

(١) في هامش (ج): هذا كما ترى، والمشهور في السير أن سعد بن معاذ أصيب في أكحله يوم الخندق، ومحاصرة النبي ﷺ لبني قريظة وهو مريض ومات فيه (مات بعد انقضاء شأنهم وحكمه فيهم. ابن هشام ج٣ ص٢٦٢). القصة المشهورة في إعطاء الراية عليًا عليه السلام وهو أرمد في فتح خيبر، وقال النبي ﷺ قبيل إعطاء الراية ما قاله من قوله ﷺ: «لأعطين الراية ...» إلخ، وكان الفتح على يديه فتحقق.

لعنك رسول الله ﷺ .

ونشدتك بالله، أتعلم أنك كنتَ تسوق أباك يوم الأحزاب، ويقود به أخوك هذا القاعد: عتبة بن أبي سفيان على جمل أحمر بعد ما عمي أبو سفيان، فلعن رسولُ الله ﷺ الجملَ والقائدَ والراكبَ والسائقَ .

ونشدتك بالله، أتعلم أنك كنتَ تكتب لرسول الله ﷺ. وكان يعجبه حسن خطك، فأرسل إليك يوماً، فقال الرسول: هو يأكل، فأعاد ذلك مراراً، كل ذلك يقول الرسول: هو يأكل، فقال الرسول ﷺ: «اللهم لا تشبع بطنه»[1] فنشدتك الله، ألست تعرف تلك الدّعوة في نهمتك وأكلك ورغبة بطنك؟

ونشدتك بالله! أتعلم أن رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن: **لعنه** يوم لقيه خارجاً من مكة مهاجراً إلى المدنية، وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه وسبّه وكذّبه وأوعده وهمّ أن يبطش به، فصدّه الله عنه. **ولعنه** يوم أحد، قال أبو سفيان: أُعل هبل، فقال ﷺ: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: الله مولانا ولامولى لكم. ولعنة الله وملائكته ورسله عليه. **ولعنه** يوم بدر إذ جاء أبو سفيان بجميع قريش، فردّهم بغيظهم، فأنزل الله فيهم آيتين: سَمّى أباك في كلتيهما وأصحابَه كافرًا، وأنت يا معاوية يومئذ مع أبيك.

ولعنه يوم الهَدي معكوفًا أن يبلغ محله، فرجع رسول الله ﷺ، ولم يطف بالبيت، ولم يقض نسكه. **ولعنه** يوم الأحزاب: جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عيينة بن حصن بن بدر بغطفان، وواعدكم قريظة والنضير، فلعن اللهُ القادةَ والاتباعَ، فأما الأتباع فلا تصيب اللعنة مؤمنًا، وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا مجيب ولا ناج. **ولعنه** يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة، وهم اثنا عشر رجلاً: سبعة من بني أمية، وأبو سفيان فيهم، وخمسة من سائر

---

(١) مسلم ٢٠١٠ رقم ٢٦٢٤، مقدمة كتاب سنن النسائي وقد قتل بسببه.

قريش، لعن الله من على الثنية غير النبي ﷺ وناقته وسائقها وقائدها، فهل تردوا عليّ مما قلت شيئًا؟.

ومنها: لعنك يوم أبوك همّ أن يُسلم، فبعثت إليه بشعر معروف تنهاه عن الإسلام[1]، فهذه مواطن لعنت فيها أنت وأبوك. ومنها: ولاك عمر الشام فخنته، وولاّك عثمان فتربصت به، وقاتلت علياً عليه السلام على أمر كان أولى به منك عندالله، فلما بلغ الكتاب أجله، وصار إلى خير منقلب، وصرت إلى شرّ مثوى، وقد خفّفتُ عنك من عيوبك. وشعرُ معاوية إلى أبيه يرده عن الإسلام:

ياصخر لاتسلمنّ طوعًا فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
جَـدِّي وخـالي وعمُّ الأم يالهمُ	قومًا وحنظلةُ الْمُهدي لنا الأرقا
لا تركنَنَّ إلى أمر يُقلدنا	والراقصات به في مكة الخُرُقا
والموتُ أهون من قول السفاه لقد	خلّى ابن حرب لنا العزّى لنا فرقا
فإن أتيت أبينا ما تريد فلا	نثني عن اللّات والعُزّى لنا عُنقا

وأمّا أنت يا عمرو: فإن أول لؤمك أنك وُلدت على فراش مشترك، وقد احتج فيك خمسة من قريش: أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان ابن الحويرث، والنضر بن حارثة، والعاص بن وائل، كل واحد منهم يدّعي أنك ابنه، فغلب عليك جزّار قريش ألأمُها حسباً، وأخبثها منصباً، وأعظمها لعنة، ثم قمت خطيباً في نادي قريش، فقلت[2]: إني شانئٌ محمداً، فأنزل الله تعالى فيك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، ثم كنت في كل يوم قاتَلَ فيه رسول الله ﷺ أشدهم له عداوةً وتكذيباً، ثم كنت من الفسقة الذين ركبوا إلى النجاشي في جعفر، فكذّبك الله وردّك بغيظك، فلما أخطأك ما رجوتَ أجلبتَ على صاحبك عمارة بن الوليد فقتلته. وأنت عدوّ بني هاشم في الجاهلية والإسلام،

---

(١) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/ ٤٦١ عن الحسن والأميني في الغدير ١٠/ ٨١.

(٢) قائل ذلك: هو أبوه العاص بن وائل، كما روي في كتب التفسير.

ولسنا نلومك على حسبك، ولا نستعتبك على حبٍّ، وقد هجوتَ النبي ﷺ بسبعين بيتًا، فقال نبي الله ﷺ: اللهم إني لا أحسن الشعر، ولكن الْعنْهُ بكل بيت لعنة[1]، فأما قولك في عثمان، فإنك ألهبتها عليه شانياً، ثم هربت إلى فلسطين، فلما بلغك قتلُه حبستَ نفسَك على معاوية، فبعته دينَك بدنياه، ولسنا نلومك على بغضنا، وأنت القائل حيث قلت :

تقول ابنتي: أين أين الرحيـل؟ وما السير مني بمستنكرِ
فقلت: دعيني فإني امرؤٌ أريد النجاشي في جعفرِ
لأكويَه عنده كيَّةً أقيم بها صَعَرَ الأصْعَرِ
ولا أنثني عن بني هاشم بما اسْطَعتُ في الغيب والمحضرِ
وعن عائب اللات في قوله ولولا رضى اللات لم نُمطرِ
وإني لأشنى قريش له وأقولهم فيه بالمنكرِ
وأجرا قريش على عيبه وإن كان كالذَّهب الأحمرِ
فإن بزَّني الأمر تابعته وإلاّ لويتُ له مشفرِ

وأما أنت يا عتبة: فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأعيبك، ولا فيك خيرٌ يُرتَجى، ولا شرٌ يُتّقى، وأمّا وعيدُك إياي بالقتل فهلا قتلت الذي وجدتَ على فراشها قد غلبك على فرجها، وأشركك في ولدها؟ ولو كنتَ تستحيي من شيء، أو تقتل أحدًا لما أمسكتها بعد إذ بغت عليك، ولم تغر عليها ولا عليه، فكيف يخافك أحدٌ؟! أم كيف توعَّد الناس بالقتل وقد تركته! ولا ألومك على سبِّ عليٍّ ﵇، وقد قتل خالك مبارزةً، واشترك هو وحمزة في جدك فقتلاه. وأما قولك في رجائي الخلافة، فلعمري إن لي لَملبسًا، ولكنّك والله ما أنا بنظير أخيك، ولا خليفة أبيك، وكان حقًا لك أن تستحيي من قول نصر بن الحجاج حيث يقول :

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج٧/ ١٠٨ .

يا لـرجـال لحـارث الأزمـان ولسـوءة سـآءت أبا سـفـيـان
نبئتُ عـتـبـة قـذّرته عـرسـه بصـداقـة الهُـذلي من لحـيـان
ألفاه معهـا في الفراش فلم يكن حُـراً وأمـسك شـرّة النسـوان
لله درك خلٍّ عنهـا إنهـا ليـست وعندك علمـهـا بحـصـان
واطلب سـواها حـرّة مـأمـونة ألقت عليك بثـقـلة الذيثـان
لله درك إنهـا مكروهـة قـالوا الزنى ونكاحـهـا سـيّـان
لا تُلزمنْ يا عُتب نفسك حبّها إن النسـآء حـبـآئلُ الشـيطان

وأمّا أنت يا وليد: فلا ألومك أن تسبَّ عليًا عليه السلام وقد جلدك في الخمر، وقد قتل أباك بيده صبراً عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف تسبّه وقد سمّاه الله في عشر آيات مؤمنًا وسمّاك فاسقًا!، وكيف تسبّه وأنت علج[1] صفُّوريّة!.

وأما زعمك أنا قتلنا عثمان، فوالله ما استطاع طلحة والزبير أن يقولا لعليٍّ ذلك، ولو استطاعا لقالا، وكأنك قد نسيت قول شاعرك حيث يقول:

أنزل الله في كـتـاب عـزيز في عليٍّ وفي الوليـد قـرآنا
... القصيدة.

وأما أنت يا مغيرة: فوالله ما كنت حقيقًا أن تقع في هذا الكلام، إنما مثلك مثل البعوضة حيث وقعت على النخلة، فقالت لها: استمسكي فإني نازلةٌ عنك، فقالت النخلة: والله ما شعرت بوقوعك فيشق عليَّ نهوضك، ونحن والله ما شعرنا بعداوتك ولا غمّتنا إذ عرفناها، ولكن أخبرني بأي الخصال تسبُّ عليًا: انتقاصًا في نسبه؟ أم بُعداً من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أم سوءَ بلاء في الإسلام؟ أم جَوْرَ حُكمٍ؟ أم رغبة في الدنيا؟ فلئن قلتَ واحدةً منها فقد كذبت، أو جئت تزعم أن عليا عليه السلام قتل عثمان، ولعمري لو قتله ما كنتُ من ذلك في شيء، فأمّا قيلكم في الأمر والملك الذي أعطيتم فإن الله تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ

(1) العلج: بوزن العجل-الواحد من كفار العجم. المختار ص٤٤٩.

فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[الإسراء: ١٦]
والله ما نصرت عثمان حيًا، ولا غضبت له ميتًا، وما زالت الطآئف دارك حتى كان أمس، وأمّا اعتراضك في بني هاشم أو بني أميّة، فهو ادعاؤك إلى معاوية.
ونفض ثيابه وخرج.

فقال معاوية: ذوقوا، قد نبأتكم، والله ما قام حتى أظلم عليَّ البيت، وقال معاوية شعرًا:

أمرتكم أمرًا فلم تسمعوا له	وقلتُ لكم لاتبعثُنَّ إلى الحسن
فإني وربِّ الراقصات عشية	بركبانها يهوين من سرّة اليمن
أخاف عليكم منه طولَ لسانه	وبعد مداه عند تجريره الرّسن
فلما أبيتم كنتُ فيه كبعضكم	وكان خطابي فيه غَبْنًا من الغَبَن
فأجمعتمُ بغيًا عليه وغدرةً	وقد يعثر العير المدلُّ من السمن
فكيف رأيتم غِبَّ رأيي ورأيكم	على أنه دار السلاح على المحن
فحسبكم ما كان من نضج كَيِّه	وحسبي وحسب المرء في القبر والكفن

وقال قثم بن العباس:

والله لو جئنا لما قال قائل	مع ابن رسول الله حرفًا مدى الدّهر
وانصروه منكم وأنتم عصابةٌ	أذلُّ بحمد الله من عازب الوبر
دلفتم بعمرو واثقين بفحشه	إلى ابن رسول الله خُرقًا ولا ندري
وليس يساوي عمروكم شسع نعله	ألا لا وشِسْعُ النعل أفضل من عمرو
وقد كان للمرء المعيطي شاغلٌ	عن ابن رسول الله في الطهر والخمر
وقل لأبي سفيان عتبه زفّها	إليك عروسًا واترك الفخر في فهر
وما الأحمق الزنّا إلا بعوضة	هوت في ذناب الريح في لجة البحر
ورأس خطاياهم معاوية الذي	يردُّ بطيسر الماء عادية الصقر

فلما أتاه الصقر أبصر صيده ... فظلت دماء الصيد في نحره تجري
أتؤذي نبي الله في أهل بيته ... وتوصل أرواثًا جُمعن من الحُمر
على غير ذنب كان منا علمته ... سوى ما قتلنا من قريش على الكفر

من قصيدة له طويلة، وكانوا يهابون الحسن عليه السلام بعد ذلك حتى قبض، وقال غيلان بن مسلمة من قصيدة له :

ألا أبلغا عني المغيرة مالكًا ... عجلت إلى أمر وفي عجلك الزَّللْ
وغرّك عمروٌ والوليدُ سفاهةً ... وعتبة ممن كان فيه عسى ولعلْ
دعوك وأعراض الحتوف كثيرة ... إلى الحيَّة الصمَّاء والقائل الفُعَل
إلى خير من يمشي على الأرض حافيًا ... ومنتعلاً في الهدي والقول والعمَل
إلى حسن من غير ذنب أتى به ... إليك ولا عار تَجر له[1] العلَل
فسمَّاك فيما كنت فيه بعوضة ... وكان بها فيما مضى يضرب المَثل
فوالله ما أخطى الذي أنت أهله ... ألا ربّ حاد قد حدا غير ذي جَمل
وعبت عليًا والحوادث جمَّةٌ ... فما لك في التقوى رجاءٌ ولا أمل

ومناقبه عليه السلام ظاهرة، وبدور شرفه باهرة.

ذكر بيعته عليه السلام

بُويع له بعد موت أمير المؤمنين عليه السلام، يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربعين، وكان من كلامه عليه السلام بعد الخطبة –وقد ذكر أمير المؤمنين فقال: خاتم الوصيين، ووصي خاتم الأنبياء، وأمير الصديقين والشهدآء والصالحين، ثم قال: أيها الناس لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون، ولا يُدْركه الآخرون، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمنيه، وميكائل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، ما ترك ذهبًا ولا فضة إلا شيئًا على صبي له، وما ترك في المال إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادمًا لأم كلثوم،

---

(١) في (ج): تحركه.

ثم قال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد ﷺ، ثم تلا قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٣٨] أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله السراج المنير(١)، وأنا ابن الذي أُرسلَ رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل عليهم، وعنهم كان يعرُج، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل على محمد ﷺ: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى:٢٣] واقترافُ الحسنة مودتُنا.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فقال- بعد حمد الله والثناء عليه :-

أما بعد : فإنَّ الله بعث محمداً بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون، فأدّى عن الله رسالاته، ونصح الله في عباده حتى توفّاه، وقد رضيَ عمله، وغفر ذنبه ﷺ، ثم ذكر الذين ولوا الأمر من بعده، وذكر عثمان وقال: إنه خالف سنة من كان قبله، وسن سنن ضلالة لم تكن قبله، واستأثر بالفيء وحابى به قربآءه، ووضعه في غير موضعه، فرأى أهل الفضل من هذه الأمة أن ينفوا ما رأوا من إحداثه فقتلوه، ثم نهضوا إلى خير خلق الله بعد رسوله ﷺ، وأولاهم بالأمر من بعده فبايعوه، فأقام الكتاب، وحكم بالحق، وتخلى من الدنيا، ورضي منها بالكفاف، وتزود منها زاد البلغة، ولم يؤثر نفسه ولاأقرباءه بفيء المسلمين، فتوفاه الله حسن السيرة، تابعًا للسنة، ماحقًا للبدعة، وهذا ابنه وابن رسول الله ﷺ، وأولى عباد الله اليوم بهذا الأمر، فانهضوا إليه

---

(١)في (أ): اختلف ترتيب الجمل (كان جبريل ينزل عليهم، وعنهم كان يعرج، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجز وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم).

رحمكم الله، فبايعوه ترشدوا وتصيبوا، ثم قال: ابسط يدك يا ابن رسول الله أبايعك، فبسطها فبايعه، ثم تبعه العيون من أهل الفضل .

وروينا عن أبي بكر الهذلي قال: أتى أبا الأسود الدؤلي نَعْيُ أمير المؤمنين وبيعة الحسن بن علي عليهما السلام، فصعد المنبر فخطب الناس، ونعى عليًا عليه السلام وقال في خطبته : إن رجلاً من أعداء الله المارقة في دينه اغتال أمير المؤمنين كرم الله وجهه ومثواه في مسجده، وهو خارج لتهجُّده في ليلة يُرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله، فيا لله من قتيل! وأكرم به وبروحه من روح! عرجت إلى الله بالبر والتقوى، والإيمان والهدى، ولقد أطفأ نور الله في أرضه، لا يُضاء بعده، وهدم ركنًا من أركان الإسلام لا يشاد مثله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد، ويوم قُتل، ويوم يُبْعَثُ حيًا. ثم بكى حتى اختلجت أضلاعه، ثم قال: وقد أوصى بالإمامة إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يجبر الله به ما وهي، ويسد به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفي به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا، فبايعت الشيعةُ كلها، وهرب قوم فلحقوا بمعاوية .

ولما فرغ الحسن عليه السلام من كلامه الذي تقدم، قام عبدالله بن العباس عليهما السلام يدعو الناس إلى بيعته ويأخذها عليهم، وأسرع الناس إلى بيعته، فبايعه : قيس بن سعد بن عبادة، وسليمان بن صُرَد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، وسعيد بن عبدالله الحنفي، وحجر بن عدي، وعدي بن حاتم، وكان يقول للرجل: تبايع على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله سلمٌ من سالمت، وحرب من حاربت، فعلموا أنه يريد الجدَّ في الحرب، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أوصاه بذلك عند وفاته، ووردت عليه بيعة أهل مكة والمدينة وسائر الحجاز والبصرة واليمامة والبحرين والعراقين، وزاد عليه السلام المقاتلة عند البيعة مائة مائة، فتبعه الخلفاء

على ذلك ، وهو أصل ما يسمى الآن مال البيعة .

وكتب عليه السلام إلى العمال يقرُّهم في أعمالهم ، ويسط فيهم العدل ، واستقامت له النواحي إلا الشام والجزيرة ومصر ، قال أبو الفرج الأصفهاني : ودسَّ معاوية لعنه الله رجلاً من حمير إلى الكوفة ، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار ، فدُلّ على الحميري عند لحام جرير ، ودلّ على القيني بالبصرة في بني سليم فأُخذا وقتلا .

وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية لعنه الله أما بعد : فإنك دَسسْتَ إليّ الرجال كأنك تحب اللقاء ، وما أشكُّ في ذلك فَتَوَقّعه إن شاء الله تعالى ، وقد بلغني أنك شَمتَّ بما لا يشمت به ذوو الحجى ، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول :

قل للذي يبغي خلاف الذي مضى	تجهّز لأخرى مثلها فكأن قد
وإنا ومن قد مات منّا لك الذي	يروح فيمسي في المبيت ليغتدي[1]

فأجابه معاوية ، أما بعد : فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، ولقد علمتُ بما حدث ، فلم أفرح ، ولم أشمت ، ولم آس ، وإنّ علي بن أبي طالب لَكَمَا قال أعشى قيس بن ثعلبة :

فأنت الجواد وأنت الذي	إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقا	ء تضرب منها النساءُ النحورا
وما مزبد من خليج البحور	يعلو الآكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده	فيعطي المئين ويعطي البدورا[2]

وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع جندب بن عبدالله الأزدي :

---

(١)الاغتداء : الغدوّ ، وغداه ، فتغدى . مختار الصحاح ص٤٧٠ .

(٢)المقاتل ص٥٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . . . أما بعد:

فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ومنة على المؤمنين، وكافة إلى الناس أجمعين ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠] فبلغ رسالات الله، وأقام على أمر الله، حتى توفاه الله وهو غير مقصر ولا وان، حتى أظهر به الحق، ومحق به الشرك، ونصر به المؤمنين، وأعزّ به العرب، وشرف به قريشًا خاصة، فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الشورى: ٤٤] فلما توفي ﷺ تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته، وأسرته وأولياؤه، ولا يحمُل لكم أن تنازعونا سلطان محمد ﷺ في الناس وحقه، فرأت العرب أن القول كما قالت قريش، وأن الحجة في ذلك على من نازعها أمر محمد ﷺ، فأنعمت لهم العرب، وسلمت ذلك.

ثم حاججنا نحن قريشًا بمثل ما به حاجّت العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها؛ لأنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهلَ بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا، والعيب منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي والنصير، وقد عجبنا لتوثُّب المتوثبين في حقنا، وسلطان نبيئنا محمد ﷺ، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافةً على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا من إفساده، فليتعجب المتعجب من توثُّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، فأنت ابن حرب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكتابه، والله حسيبك، وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربك، ثم

ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.

إنَّ عليًا عليه السلام لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض، ويوم منَّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حيًا -ولاني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الفانية[1] شيئًا ينقصنا في الآخرة مما عنده من كرامته، وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله في أمرك، ولك في ذلك إن فعلت الحظ الجسيم، وللمسلمين فيه صلاح، فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أواب حفيظ، ومن له قلب منيب، واتق الله ودع البغي، واحقن دمآء المسلمين، فوالله ما لك من خير في أن تلقى الله من دمآئهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منك؛ ليطفيء الله الثائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين، فإن أنت أبيت إلا التمادي في غيِّك نهدت إليك بالمسلمين فحاكمت حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . . . فكتب إليه معاوية لعنه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . . . أما بعد:

فقد بلغني كتابك، وفهمت ماذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه صغيره وكبيره، فلقد والله بلّغ وأدّى، ونصح وهدى، حتى أنقذ الله به من الهلكة، وأنار به من العمى، وهدى به من الضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيًا عن أمته، وصلوات الله عليه يوم ولد، ويوم بُعثَ، ويوم قبض، ويوم يبعثه الله حيًا.

وذكرتَ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتنازع المسلمين من بعده، فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري الرسول

---

(١) في النسخة (ب): الزائلة.

ﷺ، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك؛ إنك امرؤٌ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولا المسيء، ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل، إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها ﷺ لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من نبيكم ﷺ، ولا مكانكم في الإسلام ومن أهله، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ﷺ، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يولُّوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلامًا، وأحكمها علمًا، وأحبها له، وأقواها على أمر الله، فاختاروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الدين والفضيلة والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتَّهمين، ولا فيما أتوا بالمخطئين، ولو رأى المسلمون أن فيكم من يغني غناه، أو يقوم مقامه، أو يذب عن حُرَم الإسلام ذبه، ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله، فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقد فهمت ما الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها وأبو بكر بعد النبي ﷺ، لو علمتُ أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيدُ للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ورأيتك لذلك أهلاً، ولكن قد علمت أني أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادْخُل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغًا ما بلغ تحمله إلى حيث أحببت، ولك خراج أي كور العراق شئت معونةً لك على نفقتك يجبيها أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، ولك أن لايُستولى عليك بالأشياء، ولا يُقضى دونك بالأمور، ولا تُعصى في أمر أردت به طاعة الله تعالى، أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء والسلام.

قال جندب : فلما أتيت الحسن عليه السلام بكتاب معاوية قلت له : إن الرجل سائر إليك فابدأه بالمسير إليه حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله ، فإما أن تقدّر أنه ينقاد لك فلا والله حتى يرى يومًا أعظم من يوم صفين فقال : أفعل ، ثم قعد عن مشورتي وتناسى قولي . قال : وكتب معاوية لعنه الله إلى الحسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإن الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ، واحذر أن تكون منيتك على يدي رعاع من الناس ، وآيس من أن تجد فينا غميزة ، وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه وتابعتني وفيّت لك بما وعدت ، وأجزت لك ما شرطت ، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني[1] قيس بن ثعلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانةً فأوف بها تُدعى إذا متَّ وافيا
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تَجْفه إن كان في المال فانيا

ثم الخلافة لك من بعدي ، فأنت أولى الناس بها والسلام .

فأجابه الحسن عليه السلام . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فقد وصل إليَّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك خشية البغي عليك ، وبالله أعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم أني من أهله ، وعليَّ إثم أن أقول فأكذب والسلام .

فلما وصل كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية - لعنه الله - قرأه ، ثم كتب إلى عماله على النواحي بنسخة واحدة . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ، ومن قبله من المسلمين سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . . . أما بعد :

---

(١) في (أ) : بدون : بني .

فالحمدلله الذي كفاكم مؤنة عدوكم، وقتلة خليفتكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فقتله، وترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جآءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي بجدكم وجندكم، وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله.

قال: فاجتمعت العساكر إلى معاوية لعنه الله، وسار قاصداً إلى العراق، وبلغ الحسن عليه السلام خبر مسيره، وأنه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك، وبعث حجر بن عدي يأمر العمال والناس بالتهيء للمسير، ونادى المنادي الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون، فقال الحسن عليه السلام : إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني، وجآءه سعيد بن قيس الهمداني، فقال له: اخرج، فخرج الحسن عليه السلام، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أما بعد :

فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (اصبروا إن الله مع الصابرين) فلستم أيها الناس نائلين[1] ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، إنه بلغني أن معاوية لعنه الله بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا.

قال: وإنه في كلامه لَيتخوّف خذلان الناس إياه قال: فسكتوا فما تكلم أحد منهم ولا أجابه بحرف، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قال: أنا ابن حاتم، بص بص، سبحان الله- ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء مصر، أين المتبلّغون، أين الخواصون من أهل المصر؟ الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا وجدوا الجد فَروّاغُون كالثعالب، أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها.

---

(١)في (أ): تنالون .

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال : أصاب الله بك المراشد، وجنبك المكاره، ووفقك لما يُحمد وِرْدُه وصَدَرُه، قد سمعنا مقالتك، وأتينا إلى أمرك، وسمعنا منك، وأطعناك فيما قلت، وما[1] رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحب أن يوافي فليواف، ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبه ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، فكان عدي أول الناس عسكرًا، ثم قام قيس بن سعد بن عبادة، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن حفصة التيمي، فأنّبوا الناس، ولاموهم، وحرّضوهم، وكلموا الحسن بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول، فقال لهم الحسن عليه السلام : صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء بالقول، والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيرًا ثم نزل.

وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج، وخرج الحسن عليه السلام إلى المعسكر واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى تتالى[2] العسكر، ثم إن الحسن عليه السلام سار في عسكر عظيم، وعدّة حسنة، حتى أتى دير عبدالرحمن فأقام به ثلاثًا حتى اجتمع الناس، ثم دعا عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب فقال له: يا بن عم إني باعث معك اثني عشر ألفًا من فرسان العرب، وقرآء المصر، الرجل منهم يرد الكتيبة فسر بهم، وألِنْ لهم جانبك، وابسط وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات، ثم إلى مسكن، ثم امض حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإني في أثرك وشيكا، وليكن خبرك عندي في كل يوم، وشاورْ هذين يعني قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل

---

(١) في (أ): بدون : ما .

(٢) في (ج): أتوا.

فقاتله، فإن أُصبتَ فقيس على الناس، فإن أصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس، ثم أمره بما أراد، وسار عبيدالله على الزبيرة في شينور حتى خرج إلى شاهي، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى أتى مسكن، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب، فنزل ساباط دون القنطرة.

فلما أصبح نادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم فقال: الحمدلله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالحق، وائتمنه على الوحي ﷺ أما بعد: فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلقه لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم معتبة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، ولا تخالفوا أمري، ولا تردوا عليَّ رأيي غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضى.

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاوية، ويسلّم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شدَّ عليه عبدالرحمن بن عبدالله بن جعال الأزدي، فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير ردآء، ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من أراده، ولاموه وضعفوه لما تكلم به، فقال: ادعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوا له فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه، ومعهم شوب من غيرهم، فقام إليه رجل من بني أسد من بني نصر بن قعين يقال له: الجراح بن سنان، فلما مرَّ في مظلم ساباط قام إليه فأخذ بلجامه وبيده معول فقال: الله أكبر يا حسن أشركت كما أشرك أبوك فطعنه فوقعت في فخذه، فشقه حتى خالط أربيته، فسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه واعتنقه فخرا جميعاً

إلى الأرض، فوثب عبدالله بن الخضل الطائي فنزع المعول من يده فخضخضه[1] به، وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه، ثم أخذوا له الآجر فشدخوا وجهه ورأسه حتى قتلوه.

وحُمل الحسن على سرير إلى المدائن، وبها سعد بن مسعود الثقفي وال عليها من قبَله، وكان علي عليه السلام ولاّه فأقرّه الحسن عليه السلام، قال: ثم إن معاوية وافى حتى أتى قرية يقال لها: الجنوبية بمسكن، وأقبل عبيدالله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجّه معاوية بخيله إليهم، فخرج إليهم عبيدالله بن العباس فيمن معه فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل أرسل معاوية لعنه الله إلى عبيدالله بن العباس أن الحسن راسلني في الصلح، وهو مسلّم الأمر إليّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعًا، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أعطيتك مائة ألف درهم يُعَجَّلُ لك في هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسلّ عبيدالله ليلاً فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده.

وأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلي بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه؛ فصلى بهم قيس بن سعد، ثم خطبهم فقال: أيها الناس، لا يهولنّكم ولايعظمنّ[2] عليكم ما صنع هذا الرجل، الوله[3] الوزغ، إنّ هذا و أباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط، إنّ أباه عمُّ الرسول صلى الله عليه وآله خرج يقاتله ببدر، وأسره أبو اليَسر كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ فداه فقسّمه بين المسلمين، وإن أخاه ولاّه علي أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة، فسرق مال الله ومال المسلمين واشترى به الجواري، وزعم أن ذلك له حلال، وإن هذا أيضًا ولاّه عليٌّ عليه السلام اليمن، فهرب من بسر بن أرطأة وترك ولديه حتى قتلا، وصنع الآن هذا الذي صنع.

---

(١)في(ج): فخضضه.

(٢)ساقطة من (أ).

(٣)الوَله: الذاهب العقل

قال فتنادى الناس: الحمدلله الذي أخرجه من بيننا، انهض بنا إلى عدونا، فنهض بهم، وخرج إليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفًا فصاحوا هذا أميركم قد بايع، وهذا الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم؟ قال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين: إما القتال مع غير إمام، وإما تبايعون بيعة ضلال، قالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضاربوا أهل الشام حتى ردُّوهم إلى مصافهم.

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا تقابلني أبدًا إلا وبيني وبينك الرمح، فكتب إليه معاوية أما بعد: إنما[1] أنت يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحبُّ الفريقين إليك نبذك وعزلك، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحزَّ، وأخطأ المفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحوران طريدًا غريبًا. والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد أما بعد: فإنما أنت وثن من هذه الأوثان، دخلت في الإسلام كرهًا، وأقمت عليه فرقًا، وخرجت منه طوعًا، ولم يجعل الله لك فيه نصيبًا؛ لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حربًا لله ولرسوله، وحزبًا من أحزاب المشركين، فأنت عدوٌّ لله ورسوله والمؤمنين من عباده، وذكرت أبي، ولعمري ما أوتر إلا قوسه، ولا رمى إلا غرضه، فشغب عليه من لا يشق غباره، ولا يبلغ كعبه، وكان امرءًا مرغوبًا عنه، مزهودًا فيه، وزعمت أني يهودي ابن يهودي، وقد علمت وعلمنا أنَّ أبي من أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعدآء الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه، والسلام.

فلما قرأ كتابه معاوية غاظه وأراد إجابته، فقال له عمرو: مهلاً إن كاتبته أجابك بأشد من هذا، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس فأمسك عنه، قال: وبعث معاوية عبدالله بن عامر، وعبدالرحمن بن سمرة إلى الحسن عليه السلام للصلح

(١) في (ج): فإنما أصلك.

فدعواه إليه، وزهّداه في الأمر، وأعطيّاه ماشرط له معاوية، وأن لا يتبع أحد بما مضى، ولا يُنال أحدٌ من شيعة علي عليه السلام بمكروه، ولا يُذكر علي عليه السلام إلا بخير، وأشياء اشترطها فأجابه الحسن عليه السلام إلى ذلك.

قال أبو الفرج : وسار معه حتى نزل النخيلة، وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخلوا الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة، وجاءت مقطعة في الحديث، وسنذكر ما انتهى إلينا من ذلك، فروى بإسناده عن الشعبي قال : خطب معاوية حين بويع له فقال : ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، ثم إنه انتبه فندم فقال : إلا هذه الأمة فإنها فإنها.

وروى بإسناده عن أبي إسحاق قال : سمعت معاوية بالنخيلة يقول : ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدميَّ هاتين لا أفي به. قال أبو إسحاق : وكان والله غداراً. وروى بإسناده عن سعيد بن سويد قال : صلى بنا معاوية بالنخيلة يوم الجمعة الضحى ثم خطبنا فقال : وإني والله ما قاتلتكم لتصلُّوا ولا لتصوموا ولا لتحجُّوا ولا لتزكُّوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمرَّ عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، قال شريك في حديثه : هذا هو التهتك.

وروى بإسناده عن حبيب بن أبي ثابت قال : لما بويع معاوية خطب فذكر عليًا عليه السلام فنال منه، ونال من الحسن فقام الحسين ليردَّ عليه فأخذ الحسن بيده، فأجلسه ثم قام وقال أيها الذاكر عليًا أنا الحسنُ وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله، وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسبًا، وشرنا قدمًا، وأقدمنا كفراً ونفاقًا، فقال طوائف من أهل المسجد : آمين. قال : فضل، قال يحيى بن معين : ونحن نقول آمين، قال أبو عبيد : ونحن أيضًا نقول آمين، قال : فدخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد بن عرفطة،

ومعه رجل يقال له : حبيب بن حمار يحمل رايته حتى دخل الكوفة وصار إلى المسجد فدخله من باب الفيل واجتمع الناس إليه .

قال الشيخ أبو الفرج : ولما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد بن عبادة يدعوه إلى البيعة فأُتي به ، قال : وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المشرف ورجلاه يخطان الأرض ، وما في وجهه طاقة شعر ، وكان يسمى خصي الأنصار ، فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال : إني قد حلفت أني لا ألقاه إلا وبني وبينه الرمح ، أو السيف ، فأمر معاوية برمح أو سيف ، فوضع بينه وبينه ليبر في يمينه . وروى الشيخ أبو الفرج بإسناد آخر قال : فأقبل على الحسن فقال : أنا في حلٍّ من بيعتك قال : نعم ، فأُلقي لقيسٍ كرسي وجلس عليه ، وجلس معاوية على سريره فقال له معاوية : أتبايع؟ قال : نعم ، فوضع يده على فخذه ، ولم يمدها إلى معاوية ، فحنى معاوية على سريره ، وأكب على قيس حتى مسح على يده ، فما رفع قيس إليه يده .

وروى بإسناده أن معاوية أمر الحسن أن يخطب لَمّا سلَّم إليه الأمر ، وظن أنه سَيُحصر ، فقال في خطبته : إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وليس الخليفة من سار بالجور ، ذلك مَلكٌ مَلَك مُلْكًا يُمَتَّع فيه قليلاً ، ثم تنقطع لذته ، وتبقى تبعته ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، قال : وانصرف الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها .

وروينا بالإسناد إلى السيد الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الحسني الجرجاني عليه السلام ، رواه بإسناده عن الشعبي قال : شهدت الحسن بن علي بالنخيلة حين صالحه معاوية فقال له معاوية : إن كان ذا فقم فتكلم ، فأخبر الناس أنك قد سلَّمت هذا الأمر ، وربما قال سفيان : أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي . فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه . قال الشعبي : وأنا أسمع ، فقال : أما بعد : إن أكيس الكيس التقى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، وإن هذا الأمر الذي

اختلفت فيه أنا ومعاوية : إما كان حقًا لي تركته لمعاوية ؛ إرادة صلاح هذه الأمة، وحقن دمآئهم ، أو يكون حقًا كان لامرءٍ أحقُّ به مني ففعلت ذلك . وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

وروى بالإسناد إلى ابن عون عن أنس قال -يعني ابن سيرين - : قال الحسن ابن علي عليهما السلام يوم كلَّم معاوية:ما بين جابرس وجابُلق رجل جده نبيٌّ غيري ، وإني رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ وكنت أحقهم بذلك ، ألا وإنا قد بايعنا معاوية ، وما أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

ولـمَّا استقر الصلح بين الحسن بن علي عليهما السلام ومعاوية على ما تقدم وأن يكون الأمر بعده للحسن ﷺ غرة شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، لامَه جماعة من أصحابه على ذلك .

فروينا عن عمارة بن ربيعة قال : قال الحسين للحسن عليهما السلام : أجادٌ أنت فيما أرى من موادعة معاوية؟ قال : نعم . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاثًا ، ثم قال : لو لم تكن إلاَّ في ألف رجل لكان ينبغي لنا أن نقاتل عن حقنا حتى ندركه أو نموت وقد أعذرنا . فقال الحسن : وكيف لنا بألف رجل مسلمين ! إني أذكِّرك الله يا أخي أن تفسد عليَّ ما أريد ، أو تردَّ عليَّ أمري ، فوالله ما آلوك ونفسي وأمة محمد خيرًا ، إنك ترى ما أقاسي من الناس ، وما كان يقاسي منهم أبوك من قبلنا حتى كان يرغب إلى الله في فراقهم كل صباح ومسآء ، ثم قد ترى ما صنعوا بي ، فبهؤلاء ترجو أن ندرك حقنا ! أنا اليوم يا أخي في سعة وعذر حيث قبض نبينا ، قال : فكفَّ الحسين وسكت .

وروينا بالإسناد عن سفيان بن الليل قال : دخلت على الحسن بن علي فقلت : السلام عليك يا مذل رقاب المسلمين ، أنت والله بأبي وأمي أذللت رقابنا حين سلَّمت الأمر إلى معاوية اللعين ابن اللعين ، ابن آكالة الأكباد ، ومعك مائة ألف كلهم يموتون دونك ، فقال : يا سفيان بن الليل ، إني سمعت

أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلي هذه الأمة أو أمتي رجل واسع البلعوم، رحب الضرس، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه»، ثم قال: ما جاء بك يا سفيان؟ قال: حبكم أهل البيت، قال: إذاً والله تكون معنا هكذا وألصق بين أصبعيه السبابتين.

وروينا بالإسنادعن القاسم بن المفضل، قال حدثنا يوسف بن مازن الراسي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي عليهما السلام قال: سوّدت وجوه المؤمنين، وفعلت وفعلت، دخلتَ مع معاوية، قال: لا تؤذني يرحمك الله، فإن رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يصعدون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك، فأنزل الله عزوجل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر ١-٣] يملكها بنو أمية، قال القاسم: فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص!.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام بإسناده: أن مدة خلافته عليه السلام كانت خمسة أشهر وأياماً، وهذا إنما حكاه على أنَّ اعتزاله كان في غرة شهر ربيع الأول، قال: وروي أن اعتزاله كان في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين. فعلى هذا القول تكون مدة الخلافة ستة أشهر وأياماً.

أولادهُ عليه السلام:

الحسن بن الحسن، وأمه: خولة بنت منظور الفزارية، وكان وصي أبيه ووالي صدقته. وزيد بن الحسن، وأمه: أم بشير بنت أبي مسعود من ولد الحارث ابن الخزرج. وعمر، والقاسم، وأبو بكر، قتلوا بالطف مع عمهم، وعبدالله قتل بالطف، وعبدالرحمن، وحسين الأثرم، وطلحة وهو طلحة الجود، ذكره محمد ابن حبيب في الطلحات المعدودين في الأجواد، وأمه: أم إسحاق ابنة طلحة بن عبدالله التيمي. وإسماعيل، ويعقوب، ومحمد، وجعفر، وحمزة، لأمهات أولاد، فهؤلاء الأربعة عشر ابناً العقب منهم لاثنين وهما: الحسن بن الحسن،

وزيد بن الحسن. وانقرض اثنان منهم وهما: عمر بن الحسن، وحسين الأثرم، وقد كان اتصل عقبهما إلى أوائل أيام بني العباس ثم انقرض، والباقون درجوا.

والبنات ثمان: فاطمة، وأم عبدالله، وزينب، وأم الحسن، وأم الحسين، وأم سلمة، ورقية، وفاطمة الصغرى. أعقبت منهن أم عبدالله لأم ولد، وكانت عند علي بن الحسين سلام الله عليه فولدت له حسنًا وحسينًا الأكبر ودرجا، ومحمد الباقر، وعبدالله بن علي بن الحسين عليهم السلام.

عمّاله عليه السلام:

عمال أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وكاتبه كاتب أبيه عليه السلام عبدالله بن أبي رافع، والنافذ على مقدمته عند خروجه في حرب معاوية عبيدالله بن العباس، وعقد لقيس بن سعد لوآء وضمه إليه، وقال: لعبيدالله إن أُصبت فقيسٌ على الجيش، وإن أُصيبَ قيس فسعيد بن قيس الهمَداني، والذين أنفذهم لاستنفار الناس معقل بن قيس الرياحي، وشريح بن هانئ الحارثي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى. وخليفته على الكوفة حين خرج عنها لحرب معاوية: المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمره حين خرج باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه.

ذِكْرُ وَفَاتِهِ وَمَبْلَغِ عُمُرِهِ وَمَوْضِعِ قَبْرِهِ سَلَامُ اللّٰهِ عَلَيْهِ:

لما استثقل معاوية حياة الحسن بن علي عليه السلام مع ما كان ينطوي عليه من العدواة الشديدة له عليه السلام احتال في سَمِّه على يدي امرأته أم الحسن جعدة ابنة الأشعث، وبذل لها مائة ألف درهم، ووعدها بزواج يزيد، فسقته عليه السلام فوفى لها دون التزويج بيزيد فزوجت بعده في أولاد طلحة وأولدت أولاداً، فكان أولادها إذا جرى بينهم وبين غيرهم شيء قالوا: يا بني مُسِمَّة الأزواج. ولما احتضر الحسن عليه السلام قال: لقد سُقيت السمَّ ثلاث مرات ما منهن بلَغت مني ما بلغت هذه، لقد تقطعت كبدي.

وروي أنه لما احتضر عليه السلام بكى، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أقدم على سيد لم أره، وأسلك طريقًا لم أسلكها، أخرجوا سريري إلى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السموات والأرض.

وتوفى عليه السلام بالمدينة، وله سبع وأربعون سنة، وقيل: ست، وقيل: خمس. وقيل: سنة اثنتين وخمسين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة تسع وأربعين، اختلفوا في تأريخ موته حسب اختلافهم في مبلغ عمره.

وكان عليه السلام قد أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن يخاف أن يراق محجمة من دم، فلما سمعت عائشة بذلك، ركبت بغلاً واستنفرت بني أمية، وفيها يقول القائل :

فيومًا على بغل ويومًا على جمل

فجمع مروان من هناك من بني أمية وأتباعهم الأوغاد الطغاة، وبلغ ذلك الحسين ابن علي عليهما السلام فجآء هو ومن معه في السلاح ليدفنوا حسنًا في بيت النبي صلى الله عليه وآله، وأقبل مروان وأصحابه وذويه، وهو يقول : يا رُبَّ هيجا هي خير من دعة، أيدفن عثمان في البقيع، ويدفن الحسن بن علي في بيت النبي صلى الله عليه وآله؟ والله لا يكون ذلك وأنا أحمل السيف، فلما كادت الفتنة تستعر والحسين عليه السلام يأبى أن يدفنه إلا مع النبي صلى الله عليه وآله، فكلمه عبدالله بن جعفر، ومسور بن مخرمة؛ ليدفنه في البقيع، وقال له عبدالله بن جعفر: إنه عهد إليَّ أن أدفنه في البقيع، بحقي عليك عزمت ألا تكلِّمني بكلمة فمضى هنالك، واتصل الخبر بمعاوية بن أبي سفيان، فاستحمد مروان على ذلك، فقال مرتين : إيهًا مروان أنت! وحكي عنه أنه قال : إن يك ظني بمروان صادقًا لن يصلوا إلى ذلك أبدًا، فدفن عليه السلام في البقيع، وقبره هنالك ظاهر مشهور، وقال الحسين بن علي عليهما السلام يرثي أخاه الحسن بن علي عليهم السلام :

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي   وخدك معفورٌ وأنت سليبُ
أم استمتع الدنيا بشيء أحبُّه   ألا كلما أدنى إليك حبيبُ
أم أشرب مآء المزن أم غير مائه   وإلا لدمعي في الأنآء غروبُ
فلا زلت أبكي ما تغنَّت حمامةٌ   عليك وما هبَّت صبّا وجنوبُ
وليس حريبًا من أصيب بماله   ولكنَّ من وارى أخاه حريبُ
وما قطرت عين من المآء قطرةً   وما أخضرَّ في دوح الحجاز قضيبُ
بكائي طويلٌ، والدموع غزيرةٌ   وأنت بعيد والمزار قريبُ
ولَمّا مضى عني أخي ذقت حرقةً   له لم يُذقنيها سواه غريبُ

ولما نُعيَ الحسن عليه السلام إلى معاوية، وعبدالله بن العباس بباب معاوية، فحُجب ابن عباس حتى أخذ الناس مجالسهم، ثم أذن له فقال: أعظم الله أجرك ياابن عباس قال: فيمن؟ قال: في الحسن بن علي قال: إذًا لا يزيد موته في عمرك، ولا يدخل عمله عليك في قبرك، فقد فقدنا من هو أعظم منه قدرًا، وأجل منه أمرًا، فأعقب الله عقبى صالحة فخرج ابن عباس وهو يقول:

أصبح اليوم ابن هند شامتًا   ظاهر النخوة أن مات الحسنْ
ولقد كان عليه عمره   مثل رضوى وثبير وحضنْ
فارتع اليوم ابن هند آمنًا   إنما يقمص[1] بالعير السمنْ
واتق الله وأظهر توبةً   إنما كان كشيء لم يكنْ

وروينا عن الزهري من طريق السيد الإمام المرشد بالله يحيى ابن الإمام الموفق بالله أبي عبدالله الحسين بن إسماعيل الحسني الجرجاني عليهم السلام رواه بإسناده مع ما تقدم آنفًا قال: قدم ابن عباس على معاوية فمكث أيامًا لا يؤذن، ثم

(١) القمص: هو أن يرفع رجليه وينكس رأسه .

أُذن له ذات يوم فدخل فإذا معاوية مستبشر ومن يطيف به، فقال : يا ابن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟ فقال: والله لا أدري ما حدث في أهل بيتي غير أني أراك مستبشراً ومن يطيف بك، قال: مات الحسن بن علي . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون يكررها مراراً، ثم قال : أما والله يا معاوية لا يزيد موته في عمرك، ولا تسد حفرتُه حفرتك، ولقد أُصبنا بمن كان أعظم منه رسول الله ﷺ فكفانا الله، ثم خرج من عنده، قال: فمكث أيامًا لا يصل إليه، ثم وصل إليه ذات يوم فقال معاوية: يا ابن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟ قال : وما حدث في أهل بيتي؟ قال: مات أسامة بن زيد. قال ابن عباس : إنا لله وإنا إليه راجعون، رحم الله أسامة بن زيد، ثم خرج من عنده، وقد كان ابن عباس تقشف وكره أن يتزيَّا بزيِّه، فيشهره أهل الشام فيضرُّ به ذلك عند معاوية، فلما رجع إلى منزله قال : يا غلام هات ثيابي فوالله لإن جلست أنا لهذا المنافق ينعي إليَّ أهل بيتي[1] واحداً واحداً إني إذاً أحمق. قال : فقال عليٌّ بالمقطّعات فلبسها، قال: ثم قال: بعمامة له اسمها: تجوبية[2] فلبسها، وكان من أجمل الناس، أمدِّهم جسمًا، وأحسنهم شَعَرًا، وأحسنهم وجهًا، قال : ثم أتى مسجد دمشق فدخل، فلما نظر إليه أهل الشام قالوا : من هذا؟ ما يشبه هذا إلا الملآئكة، ما رأينا مثل هذا! قالوا : هذا ابن عباس، هذا ابن عم رسول الله ﷺ، فجلس إلى سارية، وتقوض إليه الخلق، فما سُئل عن شيء إلا أجابهم به من تفسير من كتاب الله، ولا حلال ولا حرام، ولا وقعة كانت في جاهلية ولا إسلام، ولا شعر كان في جاهلية ولا إسلام إلا أجابهم به. قال: ومعاوية لا يشعر بشيء من هذا، فانتبه فقال للآذن: ائذن لمن بالباب، قال : أو بالباب أحد؟ قال : فأين الناس؟ قال:

---

(١) في (أ): أصحابي.

(٢) نسبة إلى تجوب وهي: قبيلة من حمير. القاموس ص٩٠.

ذهبوا إلى ابن عباس، قال: هاه قد فعلوها! نحن والله أظلم منه، وأقطع للرحم، اذهب يا غلام، وقل له: أجبْ أمير المؤمنين. فأتاه الرسول، قال: فقال ابن عباس: إنا بنو عبد مناف لانقوم عن جليسنا حتى يكون هو الذي يقوم، لكن قد تقاربت الصلاة فإذا صلينا أتينا أمير المؤمنين، قال: فأتاه الرسول فأخبره. فقال: صدق، دعه حتى يصلي، قال: فلمّا صلى جآء ابن عباس حتى دخل عليه، فقال له معاوية: ما حاجتك يا ابن عباس؟ قال: دينٌ عليَّ، قال: قد أداه الله عنك، قال: وما أستعين به على الزمان. قال وذلك لك. أبقيت لك حاجة؟ قال: لا. قال: ادخل بيت المال، فأحمل ما بدا لك، قال: إنا بنو عبدالمطلب لا نأخذ من مال المسلمين إلاما احتجنا إليه، قال: عزمت عليك إلاما فعلت، قال: فدخل ابن عباس بيت المال، فتلفت يمينًا وشمالاً فرأى برنسًا من خزٌ أدكن فتدرّعه ثم خرج به، قال: قد أخذت حاجتك؟ قال: نعم، قال: الحق ببلادك، قال: يا أمير المؤمنين إنك حيث نعيت إليَّ الحسن بن علي آليت على نفسي أن لا أسكن المدينة بعده أبدًا، ولا أجد مكانًا أجل من جوار أمير المؤمنين. قال: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، قال: فبقيت لي حاجة هي أهم الحوائج إلي، وهي لك دوني، قال: فإن حاجة لك هي لنا دونك إنا نخاف أن نسارع إليها. قال: علي بن أبي طالب قدكفاك الله مؤنته، ومضى لسبيله، وقد عرفت منزلته وقرابته فكفَّ عن شتمه على المنابر، قال: هيهات ليس إلى ذلك سبيل يا ابن عباس، هذا موضع دين، إنه غش رسول الله ﷺ، وسمَّ أبا بكر، وذم عمر، وقتل عثمان، فليس إلى الكفِّ عنه سبيل، فقال له ابن عباس: الله حسبك فيما قلت، ثم خرج فلم يلتقيا.

وروينا بالإسناد أنه لما دفن الحسن بن علي عليهما السلام، قام أخوه محمد ابن الحنفية عليه‌السلام على قبره وقال: يرحمك الله أبا محمد، لئن عزّت حياتك لقد

هـدَّت وفـاتك، ولنـعم الـرَّوح رُوحٌ عُمِرَ به جسدُك، وتضـمنه كفنك، وكيف لا يكون كذلك! وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقى، غـذتك كفُّ الإيمان، ورضـعتَ ثدي التـقـوى، فطبت حيًا وطبت ميتًا، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، فإنها غير شاكة بأن الله قد اختار لك، ثم بكى وأبكى من حوله.

وقال النجاشي الحارثي رحمه الله يرثي الحسن بن علي عليهما السلام:

يا جـعـد بكيـه ولا تسـأمي	بكـاء حق ليس بالبـاطل
على ابن بنت الطاهر المصطفى	وابن ابن عم المرسل الفـاضل
كـان إذا شُـبَّت له نارة	يرفـعـهـا[1] بالشـرف القـابل
لكي يراها بائس مـرملٌ	أو فـرد حيٌ ليس بالآهل
يغلي بنيَّ اللحم حتى إذا	أنضج لم يغل على الآكل
لن تغلقي بابًا على مثله	من حافيء يمشي ولا ناعل
أعني فتى أسلمه قومُه	للزمن المستخرج الماحل
نعم فتى الهيجاء يوم الوغى	والسيد القائل والفاعل



(١) في هامش (أ، ج): يوقدها نسخة.

الحُسينُ بنُ عليٍّ عَلَيْهِمَا السلام[1]

هو أبو عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام.

وأمه: فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان بين ولادتها للحسن بن علي وعلوقها بالحسين خمسون ليلة وولد عليه السلام لخمس ليال خلون من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة، وأذّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أذنه عند ولادته بالصلاة، وعقَّ عنه في اليوم السابع، وحلقت أمه عليها السلام رأسه، وتصدقت بوزنه فضةً على المساكين، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسيناً[2].

وروينا عن أم الفضل ابنة الحارث: أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلمًا منكرًا الليلة. قال: وما هو؟ قالت: إنه شديد! قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلامًا فيكون في حجرك [قالت]، فولدت فاطمة الحسين، [و] كان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخلت يومًا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعته في حجره، ثم كانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهريقان بالدموع، فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله مالك؟ قال: أتاني جبريل عليه السلام وأخبر بأن أمتي ستقتل

---

(١) أنظر الإفادة ٤٢، ومقاتل الطالبين ٧٨، ونسب قريش ٥٧، والتاريخ الكبير ٨٤٦، والجرح والتعديل ٣/ ٣٤٩، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٤٧، ومروج الذهب ٣/ ٣٤٨، والمستدرك ٣/ ١٧٦، وجمهرة أنساب العرب ٥٢، والاستيعاب ٣٩٢، وتاريخ بغداد ١/ ١٤١، وتاريخ ابن عساكر ٥/ ٦، وأسد الغابة ٢/ ١٨، والكامل ٤/ ٤٦، وتاريخ الإسلام ٢/ ٣٤٠، والبداية والنهاية ٨/ ١٤٩، وشذرات الذهب ١/ ٦٦، والتحف شرح الزلف ٥٧، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٠، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ٣٦٧، وأعيان الشيعة ١/ ٥٧٨، الأعلام ٢/ ٢٤٣، والمصابيح ٣٥٣، وصفوة الصفوة ١/ ٣٤٣، ومناقب أمير المؤمنين ٣/ ٨٩.

(٢) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ص٤٢، وأبو داوود ٢٨٤١، والنسائي ٧/ ١٦٦، وذخائر العقبى ١١٩، ومجموع الإمام زيد بن علي ٤٦٨.

ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمرآء![1].

وروي أن فاطمة عليها السلام لما ولدت الحسن عليه السلام قالت لعلي عليه السلام: سمِّه، قال علي عليه السلام: وكنت رجلاً محرابًا أحب أن أسميه حربًا، ثم قلت ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجآء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل له: سمِّه. فقال: وما كنت لأسبق باسمه ربي جلَّ وعز، فأوحى الله تعالى إلى جبريل: إنه ولد لمحمد ابن، فاهبط فأقره السلام، وهنِّه وقل له: إن عليًا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمِّه باسم ابن هارون، فهبط جبريل فهنأه من الله تعالى، ثم قال: إن الله يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون، فقال: وما كان اسمه؟ قال: شبَّر. قال: لساني عربي: قال: فسمه الحسن. فسمّاه الحسن.

فلما ولد الحسين أوحى الله إلى جبريل: قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه وهنه وقل له: إن عليًا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمِّه باسم ابن هارون. فلما نزل جبريل وهنّاه وبلّغه الرسالة، قال: وما كان اسم ابن هارون؟ قال: شبير. قال: لساني عربي. قال: فسمه الحسين. قال: فسمّاه الحسين[2].

صفته عليه السلام:

كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله من سرّته إلى قدمه، وروي أنه كان شديد البياض حتى كان يهتدى إلى موضعه في الليل المدلهم؛ لشدة بياض وجهه ونحره[3].

ذكر طرف من مناقبه عليه السلام:

هو عليه السلام ابن محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء، وخامس

(١) المستدرك ٣/١٧٦ رقم ٤٨١٨، في أمالي أبي طالب ٩٠.
(٢) بلفظ مقارب لأمالي أبي طالب ٩٥.
(٣) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٢.

أهل الكساء، الذين شهد بتطهيرهم التنزيل، وأثنى عليهم الملك الجليل، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] [الأحزاب:٣٣] فهم المطهّرون من الأدناس، المفضّلون على جميع الجنّة والناس، ولله القائل:

بأبي خمسة هم جُنِّبوا الرجـ	ـس كرامٌ وطُهِّروا تطهيرا
أحمد المصطفى وفاطم أعني	وعليًّا وشبّرًا وشبيرًا
من تولاهم تولاه ذو العـ	ـرش ولقّاه نضرة وسرورًا
وعلى مبغضيهمُ لعنة اللـ	ـه وأصلاهم المليك سعيرًا

وفي الرواية أن النبي ﷺ حمل الحسن والحسين عليهما السلام ذات يوم على عاتقه، وهو يقول: «نعم المطي مطيكما، ونعم الراكبان أنتما، وأبوكما خيرٌ منكما»[2]، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

أتى حسنًا والحسينَ الرسو	لُ وقد برزا ضحوة يلعبان
فضمّهما وتفدّاهما	وكانا لديه بذاك المكان
ومرّ وتحتهما منكباه	فنعم المطيةُ والراكبان

وروينا عن عبدالله بن عمرو الخزاعي عن هند ابنة الجون قالت: نزل رسول الله ﷺ خيمة أم معبد، ومعه أصحاب له وكان من أمره في الشاة ما قد علمه الناس، فَقَالَ في الخيمة هو وأصحابه حتى أبردوا، وكان يومًا قائظًا شديدًا حرُّه، فلمّا قام من رقدته دعا بماء فغسل يديه فأنقاهما، ثم مضمض فاه ومجّه إلى عوسجة كانت إلى جانب خيمة خالية، فلما كان من الغد أصبحنا وقد غلظت

---

(١) مسلم ج٤/ ص١٨٨٢ رقم الحديث ٢٤٢٤.

(٢) مجمع الزوائد ١٨٢/٩، والمعجم الأوسط ٢٠٥/٤ رقم ٣٩٨٧، وابن عساكر ٢١٦/١٣، وكنز العمال ٦٦٢/١٣ رقم ٣٧٦٨٥، والكبير ٦٥/٣ رقم ٢٦٧٧، وذخائر العقبى ١٣٠.

تلك العوسجة حتى صارت أعظم دوحة عادية رأيتها، وقد شذب الله شوكها، وساخت عروقها واخضرّ ساقها وورقها، ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمر أعظم ما يكون من الكمئة في لون الورس المسحوق، ورائحة العنبر، وطعم الشهد، والله ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روي، ولا سقيم إلا بري، ولا أكل من ورقها بعير ولا ناقة ولا شاة إلا درّ لبنها، ورأينا النما والبركة في أموالنا منذ نزل رسول الله ﷺ، وأخصبت بلادنا وأمرعت، فكنا نسمي تلك الشجرة: المباركة، وكان من ينتابنا من حولنا من البوادي يستشفون بها، ويتزودون من ورقها، ويحملونها معهم[1] في الأرض و[2] القفار، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب، فلم نزل كذلك وعلى ذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها، واصفر ورقها، فحزنا لذلك وفزعنا له فما كان إلا قليلاً حتى جآء نعي رسول الله ﷺ، فإذا هو قد قُبض في ذلك اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر دونه في الطعم[3] والعظَم والرائحة، وأقامت على ذلك ثلاثين سنة، فلما كان ذات يوم أصبحنا فإذا بها قد آشوكت من أولها إلى آخرها، وذهبت نضارة عيدانها، وتساقط جميع ثمرها، فما كان إلا يسيراً حتى وافانا مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فما أثمرت بعد ذلك قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل ومن حولنا نأخذ من ورقها ونداوي به مرضانا، ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك مدة وبرهة طويلة، ثم أصبحنا وإذا بها يومًا قد انبعث من ساقها دم عبيط جار، وورقها ذابل يقطر مآء كمآء اللحم، فعلمنا أن قد حدث حدثٌ عظيم، فبتنا فزعين مهمومين نتوقع الداهية، فأتانا بعد ذلك قتل الحسين بن علي عليهما السلام، ويبست الشجرة

---

(١) في (أ): ساقطة معهم.

(٢) في (ج): بدون واو.

(٣) في (ج): ساقطة الطعم.

وجفت وكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك، فذهبت واندرس أصلها. قال محمد ابن سهل - وهو من رواة الحديث: فلقيت دعبل بن علي الخزاعي بمدينة الرسول ﷺ فحدثته بهذا الحديث، فقال حدثني أبي عن جده عن أمه سُعدى بنت مالك الخزاعية أنها أدركت تلك الشجرة، وأكلت من ثمرها على عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال دعبل: فقلت قصيدتي:

زر خير قبر بالعراق يزار ... واعص الحمار فمن نهاك حمار

لِمَ لا أزورك يا حسين لك الفدا ... نفسي ومن عطفت عليه يزار

ولك المودّة في قلوب ذوي النهى ... وعلى عدوك مقتة ودمار[1]

وروينا عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة كنتَ وولداك على خيل بُلْقٍ، متوّجة بالدر والياقوت، فيأمر الله تعالى بكم إلى الجنة والناس ينظرون»[2].

وروينا عنه ﷺ أنه قال: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط»[3].

وروينا بالإسناد عن عمرو بن مسعدة قال: دخلت على المأمون وبين يديه كتاب ينظر فيه، وعيناه تجريان بالدموع، قال عمرو: فقلت: يا أمير المؤمنين ما في هذا الكتاب الذي أبكاك لا أبكى الله عينك؟ قال: يا عمرو، هذا مقتل أمير المؤمنين علي، والحسين بن علي صلوات الله عليهما. فقلت: يا أمير المؤمنين إن الخاصة والعامة قد كثرت في أمرهما، فما يقول أمير المؤمنين في أهل الكساء؟ قال: فتنفس الصعداء، ثم قال: هيه يا عمرو، هم والله آلُ الله، وعترة المرسل

---

(١) الديوان ١١٥، وأمالي أبي طالب ٣١.

(٢) الجامع الكبير المخطوط ٢/ ٢٠٦، وذخائر العقبى ١٣٥.

(٣) ابن ماجه رقم ١٤٤، والطبراني في الكبير رقم ٢٥٨٩، ورقم ٧٠٢، وصحيح ابن حبان رقم ٦٩٧١، والمستدرك رقم ٤٨٣٠، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١٤٥٩٧.

الأوّاه- يعني إبراهيم ﷺ، وسفينة النجاة، وبدُور[1] ظلام الدجى، وبحور بغاة الندى، وغيث كل الورى، وأشبال ليث الدين، ومبيد المشركين، وقاصم المعتدين، وأمير المؤمنين، وأخي رسول رب العالمين، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، هم والله المعلنو التقى، والمسرُو الهدى، والمعلمو الجدوى، والناكبون عن الرّدى، لا لُحُظ ولاجُحُظ، ولا فُظُظٌ غُلُظ، وفي كل موطن يُقُظ، هامات هامات، وسادات سادات، غيوث جارات، وليوث غابات، أولو الأحساب الوافرة، والوجوه الزاهرة[2] الناضرة، ما في عودهم خَوَرٌ، ولا في زندهم قِصَرٌ، ولا في صفوهم كَدَرٌ، ثم ذكر الحسن والحسين عليهما السلام، فهمل منه دمع العين، في حلبة الخدين، كفيض الغرتين، ونظم السمطين[3]، وهي من القرطين، ثم قال: هما والله كبدري دجى، وشمسي ضحى، وسيفي لقاء، ورمحي لواء، وطودي حجى، وكهفي تقى، وبحري ندى، وهما ريحانتا رسول الله ﷺ، وثمرتا فؤاده، والناصرا دين الله تعالى، ولدا بين التحريم والتحليل، ودرجا بين التأويل والتنزيل، رضيعا لبان الدين والإيمان، والفقه والبرهان، وحكمة الرحمن، سيدا شباب أهل الجنة، ولدتهما البتول الصادقة بنت خير الشباب والكهول، وسمّاهما الجليل، ورباهما الرسول، وناغاهما جبريل، فهل لهؤلاء من عديل؟ بررةٌ أتقياء، ورثة الأنبياء، وخزنة الأوصياء، قتلهم الأدعياء وخذلتهم الأشقياء، ولم تَرْعَوِ الأمة من قتل الأئمة، ولم تحفظ الحرمة، ولم تحذر النقمة، ويل لها ماذا أتت! بسخط من تعرّضت! في رضى مَن سعت! طلبت دنيا قليلٍ عظيمُها، حقيرٍ جسيمُها، ورِدَ المعاد أغفلت، إذا الجنة أزلفت، وإذا الجحيم سعرت، وإذا القبور بعثرت، ولحسابها جمعت، ويل لها ماذا

---

(١) في (أ): وبدر.

(٢) في (ج): ساقطة الزاهرة.

(٣) في (أ): السبطين وأظنه تصحيف.

حُرِمت، عن روح الجنان ونعيمها صُرفت، وعن الولدان والحور غُيِّبت، وإلى الجحيم صُيرت، ومن الضريع والزقوم أُطعمت، ومن المهل والصديد والغسلين سُقيت، ومع الشياطين والمنافقين قُرنت، وفي الأغلال والحديد صُفِّدت، ويل لها ماذا أتت، ثم هملت عيناه، وكثر نحيبه[1] وشهيقه، فقلت: يا أمير المؤمنين يشفيك ما إليه صار القوم، فقال: نعم إنه لشفآء، ولكني أبكي لأشجان وأحزان تحركها الأرحام وقال:

لا تقـــبل التـــوبة من تائب — إلا بـــحـــب ابـــن أبـــي طـــالـــب
حـــبُّ عـــلـــي واجـــبٌ لازم — في عنق الشـــاهد والغـــائب
أخـــو رســـول الله حلْفُ الهدى — والأخ لا يُعـــدل بالصـــاحب
لو جمـعـا في الفضل يومًا لقد — نال أخـــوه رغـــبـــة الراغب
بعسـد علي حبُّ أصـــحـــابه — مـــا أنا بالمزري ولا العـــائب
إن مـــال عنه الناس في جـــانب — ملت إليـــه الدهر في جـــانب
جـــآءت به السنة مـــقـــبـــولة — فلعنة الله على الناصب
حـــبـــهم فـــرض علينا لهم — كـــمـــثـــل حج لازم واجب

وروينا عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه، والبيت غاصٌ بمن فيه قال: ادعوا لي الحسن والحسين قال: فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه، قال: فجعل علي عليه السلام يرفعهما عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ففتح عينيه، فقال: دعهما يتمتعان مني وأتمتع منهما، فإنه سيصيبهما بعدي أثَرَةٌ، ثم قال: أيها الناس، إني خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي، أما إن ذلك لن يفترقا حتى اللقاء على الحوض»[2].

---

(١) في (أ): بزيادة ونشيجه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم برقم ٢٤٠٨، والطبراني في الأوسط ٣/ ٣٧٤ برقم ٣٤٣٨، ومسند =

بيعته عليه السلام ومدة ظهوره وانتصابه بالأمر

خرج عليه السلام من المدينة حين ورد نعي معاوية، وطلب بالبيعة ليزيد، وامتنع من ذلك يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين إلى مكة، ودخلها ليلة الجمعة لثلاث خلون من شعبان، ووردت عليه كتب أهل الكوفة كتاب بعد كتاب - وهو بمكة - بالبيعة في ذي الحجة من هذه السنة، ولما وافته بيعة أهل الكوفة خرج من مكة سائرًا إليها لثمان خلون من ذي الحجة.

وروي أنه لما أراد الخروج إلى العراق خطب أصحابه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هذه الدنيا قد تنكّرت وأدبر معروفها، فلم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يُنهى عنه، لِيَرْغَب المرؤ في لقاء ربه، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا شقاوة. فقام إليه زهير من القين العجلي فقال: قد سمعت مقالتك هديت، ولو كانت الدنيا باقيةً وكنا فيها مخلّدين، وكان في الخروج مواساتك ونصرتك، لاخترنا الخروج منها معك على الإقامة فيها، فجزاه الحسين بن علي عليهما السلام خيرًا ثم قال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقًّا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبورًا، وحارب مجرما
فإن عشت لم أندم، وإن مت لم أُلَمْ ... كفى بك داءً أن تعيش وترغما[1]

فلما نزل بستان بني عامر كتب إلى محمد أخيه وأهل بيته: من الحسين بن

= الإمام زيد ٤٠٤، والشجري ١/ ١٤٣ - ٢٣١، والبيهقي في السنن ٢/ ١٤٨، وابن حنبل ٤/ ٣٧ برقم ١١١٣١، والترمذي ٦٢٢ برقم ٣٧٨٨، وكنز العمال ١/ ٣٨٠ - ٣٨١، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٢ والدارمي ٢/ ٤٣٢.

(١) الطبري في تاريخه ٥/ ٤٠٤، ومجمع الزوائد ٩/ ١٩٣، والطبراني في الكبير ٣/ ١١٤ برقم ٢٨٣٢، وذخائر العقبى ١٤٩، والكامل لابن الأثير ٣/ ٢٨١، وأمالي أبي طالب ص٩١.

علي إلى محمد بن علي وأهل بيته أما بعد :

فإنكم إن لحقتم بي استشهدتم ، وإن تخلفتم عني لم تلحقوا النصر ، والسلام .

فلما وافى زُبالة [1] استقبله الطرمّاح الطائي الشاعر ، فقال له الحسين عليه السلام : من أين خرجت؟ قال : من الكوفة ، قال : كيف وجدت أهل الكوفة ؟ قال : يا ابن رسول الله قلوبهم معك ، وسيوفهم عليك [2] .

فقال له الحسين عليه السلام : صدقت ، الناس عبيد الدنيا ، والدِّينُ لغوٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا امتحنوا بالبلاء قلّ الديّانون .

فلما وافى كربلاء قال : في أي موضع نحن؟ قالوا : بكربلاء ، قال : كربٌ والله وبلاء ، هاهنا مناخ ركابنا ، ومهراق دمائنا ، ثم أقبل في جوف الليل يتمثل ويقول :

يا دهر أفٌّ لك من خليلِ كم لك بالإشراق والأصيلِ

من ميّتٍ وصاحبٍ قتيلِ والدهر لا يقنع بالبديلِ

وكل حيٍّ سالكُ السبيل

فقالت له أخته زينب : لعلك تخبرنا بأنك تغصب نفسك؟ فقال عليه السلام : لو ترك القطا لنام [3] .

وفي بعض أخباره عليه السلام أنه لما بلغ بستان بني عامر لقي الفرزدق بن غالب- الشاعر ، فقال : أين تريد يا ابن رسول الله؟ ما أعجلك عن الموسم؟ وذلك يوم التروية ، فقال : لو لم أعجل لأخذتُ أخذاً ، فأخبرني يا فرزدق الخبر ؟ قال :

---

(١) اسم موضع بالكوفة .

(٢) الطبري في تاريخه ٥/ ٤٠٥ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٨١ وأمالي أبي طالب ٩١ ، ٩٢ .

(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٩١-١٩٢ ، والطبري في تاريخه ٥/ ٤٢٠ ، ومقاتل الطالبين ١١٣ ، والكامل لابن الأثير ٣/ ٢٨٥-٢٨٦ ، وأمالي أبي طالب ٩٢ .

تركت الناس قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية، قال: صدَقني الخبر. ثم مرّ الحسين عليه السلام حتى إذا كان مكانه الذي كان فيه من بستان بني عامر بمرحلة أو مرحلتين لقي عبدالله بن مطيع العدوي، فقال له: أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال: أريد الكوفة فإن أهلها كتبوا إليَّ، قال: فإني أنشدك يا ابن رسول الله بالبيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام أن تعرض نفسك لبني مروان[1]؛ فوالله لئن عرّضت نفسك لهم ليقتلنك، قال: فمضى على وجهه عليه السلام[2].

وروينا عن زيد بن علي عن أبيه عليهم السلام: أن الحسين بن علي عليهما السلام خطب أصحابه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، خُطَّ الموت على بني آدم كخط القلادة على جيد الفتاة، ما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وأخيه، وإنّ لي مصرعًا أنا لاقيه كأني أنظر إلى أوصالي تقطعها وحوش الفلوات غبرًا وعفرًا، قد ملأت مني أكراشها، رضَى الله رضانا أهلَ البيت نصبر على بلائه؛ ليوفينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله حُرْمَتُه وعترتُه، ولن تفارقه أعضاؤه وهي مجموعة في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وتنجز لهم عدته، من كان فينا باذلا مهجته فليرحل فإني راحلٌ غدًا إن شاء الله تعالى، ثم نهض إلى عدوه[3].

وقد كان عليه السلام لما أتته رسل أهل الكوفة، وقالوا: قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم إلينا، فبعث عليه السلام إلى مسلم بن عقيل ابن عمه فقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليَّ فإن كان حقًّا خرجت إليهم، فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين فمرّا به في البريّة فأصابهم عطش

---

(١) هكذا ورد في النُسخ... والأولى لبني أمية؛ لأن الملك ما يزال في البيت السفياني الأموي، وما انتقل إلى البيت المرواني الأموي إلا فيما بعد.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٧٦.

(٣) المصابيح ٣٧٢، وأمالي أبي طالب ١٩٩.

فمات أحد الدليلين، فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام يستعفيه، فكتب إليه الحسين عليه السلام أن امض إلى الكوفة، فخرج حتى قدمها، فنزل على رجل من أهلها يقال له عوسجة، فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دنوا إليه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفًا، فقام رجل ممن يهوى يزيد إلى النعمان، فقال له: إنك لضعيف أو متضعف قد فسّد البلاد، فقال النعمان: أكون ضعيفًا في طاعة الله عز وجل أحبُّ إليَّ من أن أكون قويًا في معصية الله، وما كنت لأهتك سترًا ستره الله عز وجل، فكتب بقوله إلى يزيد بن معاوية، فدعى يزيد مولى له يقال له: سرجون[1]، قد كان يستشيره فأخبره الخبر، فقال له: أكنتَ قابلاً من معاوية لو كان حيًا قال: نعم، قال: فاقبَل مني إنه ليس للكوفة إلا عبيدالله بن زياد فولها إياه[2]، وكان يزيد عليه ساخطًا، وقد كان همَّ بعزله، وكان على البصرة[3] فكتب إليه برضاه[4] وأنه قد ولاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده، فأقبل عبيدالله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة[5] متلثمًا، فلا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم عليهم إلا وقالوا: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله، وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليهما السلام حتى نزل بالقصر، فدعى مولىً له فأعطاه ثلاثة آلاف درهم، فقال له: اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر، وهذا مال فادفعه إليه ليقوى به، فخرج الرجل فلم يزل يتلطف ويرفق حتى دُلّ على شيخ يلي البيعة، فلقيه فأخبره الخبر، فقال له الشيخ: لقد سرّني لقاؤك إياي، ولقد

(١) غلام أبيه معاوية.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٦٤.

(٣) في (أ): ساقطة وكان على البصرة.

(٤) في (ج): ترضاه.

(٥) في (ج): المدينة.

سآءني : فأما ما سرني من ذلك فما هداك الله عز وجل له ، وأما ما سآءني فإن أمرنا لم يستحكم بعد ، فأدخله على مسلم فأخذ منه المال وبايعه ، ورجع إلى عبيدالله فأخبره ، وتحول مسلم بن عقيل حين قدم عبيدالله من الدار التي كان فيها إلى منزل هانئ بن عروة المرادي .

وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين ﷺ يخبره ببيعة اثني عشر ألفًا من أهل الكوفة ويأمره بالقدوم ، قال : وقال عبيدالله لوجوه أهل الكوفة : ما بال هانئ بن عروة لم يأتني فيمن أتاني ؟! قال : فخرج إليه محمد بن الأشعث ، وأناس منهم ، فأتوه وهو على باب داره ، فقال له : إن الأمير قد استبطأك فانطلق إليه ، فلم يزالوا به حتى ركب معهم فدخلوا به على عبيدالله ، وعنده شريح القاضي ، فلما نظر إليه قال لشريح : أتتك بحائن رجلاه[1] ، فلمّا سلم عليه قال له : يا هانئ ، أين مسلم؟ قال : ما أدري ، فأمر عبيدالله صاحب الدراهم فخرج إليه ، فلما رآه قطع به ، قال : أصلح الله الأمير ، والله ما دعوته إلى منزلي ، ولكنه جآء فطرح نفسه علي ، قال : ائتني به ، قال : والله لو كان تحت قدميّ مارفعتهما عنه ، قال : أدنوه إليَّ ، فأدنوه فضربه بالقضيب فشجّه على حاجبه ، وأهوى هانئ إلى سيف شرطي ليستلّه فدُفع عن ذلك ، وقال له : قد أحلّ الله دمك ، وأمر به فحُبس في جانب القصر ، وخرج الخبر إلى مدحج فإذا على باب القصر جَلَبةٌ سمعها عبيدالله ابن زياد ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مدحج ، فقال لشريح : اخرج إليهم فأعلمهم أني إنما حبسته لأسائله ، وبعث عينا إليه من مواليه يسمع ما يقول : فمر شريح بهانئ ، فقال هانئ : يا شريح اتق الله فإنه قاتلي ، فخرج شريح حتى قام على باب القصر فقال : لا بأس عليه ، إنما حبسه الأمير ليسائله ، فقالوا : صدق ليس على صاحبكم بأس ، فتفرّقوا ، وأتى مسلم الخبر فنادى بشعاره ، فاجتمع إليه أربعة الآف من أهل الكوفة ، فقدّم مقدّمه ، وهيّأ ميمنة وميسرة ، وسار في القلب

(١) مثل يقال : للساعي على نفسه بالحين . المستقصى في أمثال العرب ١ / ٣٨ .

إلى عبيدالله، وبعث عبيدالله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلما سار إليه مسلم، فانتهى إلى باب القصر أشرفوا من فوقه على عشائرهم، فجعلوا يكلمونهم ويردونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى أمسى في خمسمائة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضًا، فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده تردّد في الطرق، فأتى بابًا فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني ماء؛ فسقته ثم دخلت فمكثت ما شاء الله ثم خرجت فإذا هو على الباب، قالت: يا عبدالله إن مجلسك مجلس ريبة فقم، فقال: أنا مسلم بن عقيل فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم ادخل، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيدالله فأخبره، فبعث عبيدالله عمرو بن حريث المخزومي صاحب شرطته إليه ومعه محمد، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم فأعطاه محمد الأمان فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيدالله بن زياد فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه وألقى جثته إلى الناس، وأمر بهانئ فسحب إلى الكناسة فصلب هناك، وقال شاعرهم[1]:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ بالسوق وابن عقيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا ... أحاديث من يسعى بكل سبيل
أتركب أسماء الهماليج آمنًا ... وقد طلبته مذحج بقتيل[2]

وأقبل الحسين ﷺ بكتاب مسلم إليه حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحرّ بن يزيد التميمي فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر، قال له: ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه، فهمّ أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير

(١) البداية والنهاية ١٦٥-١٦٦.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ١٦٩، والكامل لابن الأثير ٣/ ٢٧٤-٢٧٥.

في الحياة بعدكم فسار، فلقيه أول خيل عبيدالله بن زياد، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء وأسند ظهره إلى قصب أو خلاف لايقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارسًا، ونحواً من مائة راجل، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيدالله بن زياد وعهد إليه عهداً، فقال: اكفني هذا الرجل، فقال: اعفني، فأبى أن يعفيه، قال: فأنظرني الليلة، فأخّره فنظر في أمره، فلما أصبح غدا عليه راضيًا بما أمره به، فتوجه عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام، فلما أتاه[1]، قال له الحسين عليه السلام: اختر واحدةً من ثلاث: إما أن تَدَعُوني فألحق بالثغور، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت، فقبل ذلك عمر بن سعد، فكتب إلى عبيدالله ابن زياد، فكتب إليه عبيدالله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي، فقال الحسين ابن علي عليهما السلام: لا والله لا يكون ذلك أبداً[2].

أولاده عليه السلام:

علي الأكبر في قول العقيقي، وكثير من الطالبية، وهو الأصغر في قول الكلبي ومصعب بن الزبير، وكثير من أهل النسب. وله العقب، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان. وروى عن جده أمير المؤمنين عليهما السلام. **وعبدالله** بن الحسين. قتل مع أبيه بالطف جاءته نشابة وهو في حجر أبيه فقتلته، وأمهما واحدة. **وعلي الأصغر** في قول العقيقي وكثير من الطالبية لا عقب له، قتل مع أبيه، وهو الأكبر في قول من ذكرنا من أهل النسب، وأمه: ليلى ابنة أبي مرة ابن عروة بن مسعود الثقفية، وأمها: ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب بن أمية بن

---

(١) في (ج): أراه.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٨، والبداية والنهاية ٨/ ١٨٣، وورد بلفظ آخر في الكامل لابن الأثير ٣/ ٢٨٧-٢٨٨، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣١٩. هذه الرواية تناقض شجاعة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه للذل.

عبد شمس، ولهذا ناداه رجل من أهل الشام حين برز للقتال بين يدي أبيه صلوات الله عليه، وقال له: إن لك رحمًا بأمير المؤمنين يعني يزيد، وهو يريد رحم ميمونة ابنة أبي سفيان، فإن شئت آمنّاك! فقال له: ويلكم لَقَرابة رسول الله ﷺ أحق أن ترعى! وقاتل حتى قُتل[1].

وجعفر دَرَجَ صغيرًا، وأمه بلويّة من بلي بن قضاعة، وذكر بعض أهل النسب إبراهيم، ومحمدًا، وليس يعرفهما الطالبيون[2].

والعقب من ولد الحسين عليه السلام لواحد وهو: **علي بن الحسين الأكبر** في قول الطالبية، والأصغر في قول كثير من أهل النسب.

ومن البنات: **فاطمة** وأمها أم إسحاق ابنة طلحة بن عبيدالله عقبها في ولد الحسن بن الحسن عليهما السلام، وفي ولد عبدالله بن عمرو بن عثمان الملقب بالمطرَف[3]، وأمها الجربا، وسميت الجربا؛ لأنه كان لا يجلس معها أحد لجمالها وحسنها فلما تحامى النساء الجلوس معها شُبهت بالناقة الجربا التي يحمي[4] صاحب الإبل إبله عنها، وهي الجربا ابنة قسامة بن رومان من طي.

وسكينة واسمها: آمنة، وأمها: الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس، وسكينة انقرض عقبها إلا من ولد عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى، فإنها ولدت له عثمان الملقب بقرين، وحكيمًا، وربيحة[5].

---

(١) الإفادة في تاريخ الائمة السادة ٤٣٠، ومقاتل الطالبين ٨٠، ٨١.
(٢) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٤.
(٣) المطرَف: لقب به لحسنه.
(٤) في (أ): تمنع.
(٥) الإفادة ٤٤.

مقتله عليه السلام وموضع قبره وما يتصل بذلك

روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يقتل ابني الحسين بظهر الكوفة، الويل لقاتله وخاذله، ومن ترك نصرته» وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «تحشر ابنتي فاطمة ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتعلق بقائمة من قوائم العرش وتقول: يا عدل يا جبار احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال صلى الله عليه وآله فيحكم لابنتي ورب الكعبة»[1].

وروينا من أمالي السيد المرشد بالله أبي عبدالله يحيى بن الحسين الحسني عليه السلام يرفعه إلى عبدالله بن عمرو بن العاص أن معاذ بن جبل أخبره، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله متغير اللون فقال: «أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه فأطيعوني ما دمت بين أظهركم، فإذا ذُهب بي فعليكم بكتاب الله عز وجل أحلُّوا حلاله وحرموا حرامه، أتتكم الموتة، أتتكم الروح والراحة، كتاب من الله سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلما ذهب رَسْلٌ جاء رسل، تناسخت النبوة فصارت مُلْكًا، رحم الله من أخذها بحقها، وخرج منها كما دخلها. أمسك يا معاذ وأحص» قال: فلما بلغت خمسة قال: يزيد لا بارك الله في يزيد، ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وآله، ثم قال: نُعي إليَّ الحسين وأتيت بتربته، وأُخبرتُ بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعًا، ثم قال: واهًا لفراخ آل محمد من خليفة مستخلَف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف»[2] أمسك يا معاذ، فلما بلغت عشرة، قال: الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام، يبوء بدمه رجل

---

(1) مسند علي بن موسى الرضى ص٤٦٠، وأورده السمهودي في جواهر العقدين، وشمس الأخبار ١١٨.

(2) روي في درر الأحاديث النبوية للإمام الهادي ص ٢١: «ويح الفراخ، فراخ آل محمد صلى الله عليه وآله من خليفة مستخلف وعتريف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف»، والمصابيح ٣٥٤.

من أهل بيته، يسأل الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناس فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم قال: بعد العشرين ومائة موتٌ سريع، وقتل ذريع، وفيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل من ولد العباس[1].

وروينا عنه ﷺ أنه قال: «قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل النار، قد شُدَّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار، منكّس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدّة ريح نتنه، وفيها خالدٌ ذائق العذاب الأليم، لا يفتر عنهم ساعة، ويسقى من حميم جهنم، الويل لهم من عذاب الله عز وجل»[2].

وروينا عن عائشة رحمها الله قالت: دخل الحسين بن علي عليهما السلام على رسول الله ﷺ وهو يُوحى إليه، فنزل على رسول الله ﷺ وهو منْكَبٌ ولعب على ظهره، فقال جبريل لرسول الله ﷺ: أتحبُّه يا محمد؟ قال: يا جبريل ومالي لاأحب ابني! قال: فإن أمّتك ستقتُله من بعدك، فمدَّ جبريل يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك، و اسمها الطّفّ، فلما ذهب جبريل ﷺ من عند رسول الله ﷺ، خرج رسول الله ﷺ والتربة في يده وهو يبكي فقال: يا عائشة إن جبريل أخبرني أن الحسين ابني مقتول في أرض الطف، وأن أمتي ستفتتن بعدي، ثم خرج إلى أصحابه ومنهم عليٌّ وأبو بكر، وعمر، وحذيفة، وعمار، وأبو ذر، وهو يبكي فقالوا: ما يُبكيك يا رسول الله؟ قال: أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة، فأخبرني جبريل ﷺ أن فيها مضجعه[3].

---

(١) مجمع الزوائد ٩/ ١٩٠، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٢٠ رقم ٢٨٦١.

(٢) مسند علي بن موسى الرضا ص٤٧٠ بلفظ: من شدة نتنه، وأورده المناوي في فيض القدير وغيره بألفاظ قريبة.

(٣) في البداية والنهاية بلفظ مقارب ٨/ ٢١٦-٢١٧، وذخائر العقبى ١٤٧، وأحمد في مسنده ١٠/ ١٨٠ برقم ٢٦٥٨٦، والطبراني في الكبير ٣/ ١٠٦ برقم ٢٨١٣، ومجمع الزوائد ٩/ ١٨٧.

ولما اضطر عليه السلام إلى محاربة القوم وعبأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين عليه السلام، ورتبهم مراتبهم، وأقام الرايات في مواضعها، وعبأ أصحاب الميمنة والميسرة، وقال لأصحاب القلب: اثبتوا، وأحاطوا بالحسين عليه السلام من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة، فخرج عليه السلام حتى أتى الناس، فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا حتى قال لهم: ويلكم ما عليكم أن تنصتوا لي فتسمعوا قولي؛ فإني إنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المهتدين والمرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاص لأمري، غير مستمع قولي، فقد انجزلت[1] عطياتكم من الحرام، وملئت بطونكم من الحرام، فطُبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تستمعون؟ فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا: أنصتوا له، فأنصتُوا، فقام الحسين عليه السلام فيهم: فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: تبًا لكم أيتها الجماعة وترحا، أفحين استصرختمونا وَلهينَ متحيِّرين، فأصرخناكم موجزين مستعدِّين، سللتم علينا سيفًا في رقابنا! وحششتم علينا نار الفتن، جناها عدوُّكم وعدوُّنا، فأصبحتم إلبًا على أوليائكم، ويدًا عليهم لأعدائكم، لغير عدل أفشوه فيكم، ولا أملٍ أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طعمتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي تفيّل[2]، فهلا لكم الويلات تجهمتمونا والسيف لم يشهر، والجأش طامن، والرأي لم يستخف، ولكن أسرعتم إلينا كطيرة الذباب، وتداعيتم كتداعي الفراش، فقبحًا لكم فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونَبَذَة الكتاب، ونَفثَة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئ السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيانا تحاربون.

---

(١) أي عظمت، المعجم الوسيط ١٢١.

(٢) تفيّل رأيه: أخطأ وضعف. (القاموس ص١٣٥٠).

أجل والله خذلٌ فيكم معروف، وشَجَت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شيء: سخى للناصب، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين، الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، وأنتم والله هم، ألا إن الدعيَّ ابن الدعيُّ قد ركَّز بين اثنتين: بين القتلة والذلّة، وهيهات منَّا أخذ الدنية، أبى اللهُ ذلك ورسولُه والمؤمنون، وجدودٌ طابت، وحجور طَهُرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوس أبية، لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرتُ وأنذرتُ، ألا إني زاحف بهذه الأسرة، على قلة العتاد، وخذلة الأصحاب، ثم أنشأ يقول:

فإن نَهزم فهزّامون قدْمًا وإن نُهزَم فغيرُ مُهزّمينا

ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كريثما تركب الفرس حتى تدور بكم الرحى، عهداً عهده إليَّ أبي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدون جميعًا ولا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دآبة إلاَّ هو آخذ بناصيتها إنَّ ربي على صراط مستقيم. اللهم احبس عنهم قطر السمآء، وابعث عليهم سنين كسنيٍّ يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسًا مرة، فلا يدع فيهم أحداً إلا قتله بقتلة، وضربه بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم؛ فإنهم غرُّونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ثم قال: أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر. فدُعي له، وكان كارهًا لا يحب أن يأتيه، فقال: يا عمر، أنت تقتلني؟ تزعم أن يولِّيك الدعيّ ابن الدعيّ بلادي الرَّي وجرجان، والله لاتتهنأ بذلك أبدًا، عهداً معهوداً، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة تترا ماه الصبيان، ويتخذونه غرضًا بينهم، فاغتاظ عمر بن سعد من كلامه، ثم صرف بوجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنتظرون به، احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة

واحدة [1]. ثم إن الحسين عليه السلام دعا بفرس رسول الله ﷺ المرتجز، فركبه وعبّأ أصحابه، وزحف إليهم عمر بن سعد لعنه الله، ونادى غلامه دريدًا: قدم رايتك، ثم وضع سهمه في كبد قوسه، ثم رمى وقال: اشهدوا لي عند الأمير – يعني عبيدالله بن زياد لعنه الله وإياهم–أني أول من رماه، فرمى أصحابه كلهم بأجمعهم في أثره رشقة واحدة، فما بقي أحد من أصحاب الحسين عليه السلام إلا أصابه من رميهم سهم، ثم قاتل عليه السلام هو وأهل بيته وأصحابه حتى قُتلوا كلُّهم، وفيهم بضعة عشر شابًا من أهل بيته، فقَتَل الحسينَ بنَ علي عليهما السلام سنانُ بن أنس النخعي، وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير. **والعباس** بن علي بن أبي طالب، وأمه: أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد العامري قَتَله زيد بن رقاد الجنبي بسهم، ولما ظفر به الشيعة بالكوفة نصبوه غرضًا ورموه حتى لم يبق قدر الدرهم من جسده إلا وفيه سهم، وحكيم بن طفيل الطائي السُّنبسي، وكلاهما ابتلي في بدنه. **وجعفر** بن علي بن أبي طالب، وأمه أيضًا أم البنين بنت حزام، قتله هانئ بن ثبيت الحضرمي. **وعبدالله** بن علي، وأمه أيضًا أم البنين رماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم، وأجهز عليه رجل من بني تميم بن أبان بن دارم. **ومحمد** بن علي بن أبي طالب الأصغر، قتله رجل من بني أبان بن دارم وليس بقاتل عبدالله بن علي، وأمه أم ولد. **وأبو بكر** بن علي بن أبي طالب، وأمه: ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم التميمي. **وعثمان** بن علي، وأمه أم البنين بنت حزام أخو العباس وجعفر وعلي ابني [2] علي لأمهم. **وعلي** بن الحسين الأكبر، وأمه: ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، وأمها: ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، قتله مرة بن منقذ بن النعمان الكندي، وكان يحمل عليهم ويقول:

---

(١) ابن عساكر ١٤/٢١٨، وأمالي أبي طالب ٩٦.

(٢) في (أ): بن علي.

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

حتى قُتل صلى الله عليه. وعبدالله بن الحسين، وأمه: الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عكيم[1] الكلبي، قتله حرملة بن الكاهن الأسدي الوالبي، وُلدَ والحسين بن علي في الحرب، فأُتيَ به وهو قاعد، فأخذه في حجره ولبَّاه بريقه، وسمّاه عبدالله، فبينا هو كذلك إذ رماه حرملة بن الكاهن بسهم فنحره، فأخذ الحسين دمه فجمعه ورمى به نحو السمآء، فما وقعت منه قطرة إلى الأرض. قال فضيل: وحدثني أبو الورد أنه سمع أبا جعفر يقول: لو وقعت منه إلى الأرض قطرة لنزل العذاب، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

وعند غنيٍّ قطرةٌ من دمآئنا وفي أسد أخرى تُعَدُّ وتذكر

وكان علي بن الحسين عليه السلام عليلاً، وارتُثَّ[2] يومئذ وقد حضر بعض القتال فدفع الله عنه، وأُخذَ مع النسآء هو ومحمد بن عمرو بن الحسن، والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وقتل أبو بكر بن الحسن بن علي، وأمه: أم ولد، قتله عبدالله بن عقبة الغنوي. وعبدالله بن الحسن بن علي، وأمه أم ولد رماه حرملة بن الكاهن الأسدي بسهم فقتله. والقاسم بن الحسن بن علي، وأمه: أم ولد قتله عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي. وعون بن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب، وأمه: جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح الفزاري، قتله عبدالله بن قطنة الطائي النبهاني[3]. ومحمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وأمه: الخوصاء بنت حصفة[4] بن ثقيف بن ربيعة بن عابد بن الحارث بن

---

(١) في (أ): حكيم.

(٢) يقال للرجل إذا ضُرب في الحرب فأُثخن وحُمل وبه رمق، ثم مات: قد ارتُثَّ فلان، وهو افتُعل على المجهول أي: حُمل من المعركة رثيثًا، أيَ: جريحًا، وبه رمق.

(٣) هذا عون الأصغر وقتل يوم الحرة، أما الذي قتل مع الحسين فهو عون الأكبر وأمه زينب بنت علي عليه السلام. مقاتل الطالبين ص١٢٤.

(٤) في (ب): (حفصة) كما في المقاتل ص٩١.

تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل، قتله عامر بن نهشل التميمي[1].

قال: ولما أتى أهلَ المدينة مصابُهم، دخل الناس على عبدالله بن جعفر يعزّونه، فدخل عليه بعض مواليه فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من حسين! قال: فخذفه عبدالله بن جعفر بنعله! وقال: يا ابن اللخنا، أللحسين تقول هذا؟! والله لو شهدته ما فارقته حتى أُقتل معه، والله ما شُحّي بنفسي عنهما، وعزائي عن المصاب إلا أنهما أُصيبا مع أخي، وكبيري، وابن عمي، مواسين له، ومضاربين[2] معه، ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمدلله على كل محبوب ومكروه، أعززْ علي بمصرع أبي عبدالله، ثم أعزز عليَّ أن لا أكون آسيته بنفسي، الحمدلله على كل حال قد آساه وَلَدَيَّ.

وجعفر بن عقيل بن أبي طالب، أمه: أم البنين بنت الشغر بن عامر بن هصان[3] الكلابي، قتله عبدالله بن عروة الخثعمي. **وعبدالرحمن** بن عقيل بن أبي طالب، أمه: أم ولد، قتله عثمان بن خالد بن أسير[4] الجهني، وبشير[5] بن حوط الهمداني القايضي، اشتركا في قتله. **وعبدالله** بن عقيل بن أبي طالب، وأمه: أم ولد، رماه عمرو بن صبيح الصدائي فقتله. **ومسلم** بن عقيل بن أبي طالب قُتل بالكوفة، وأمه: جبلة أم ولد[6]. **وعبدالله** بن مسلم بن عقيل، وأمه: رقية بنت علي بن أبي طالب، وأمها: أم ولد، قتله عمرو بن صبيح الصدائي، ويقال: بل قتله أُسيد بن مالك الحضرمي. **ومحمد** بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي

---

(١) الطبري ٥/ ٤٦٨، ومقاتل الطالبين ٨٤-٩٢، والبداية والنهاية ٨/ ١٩٥.

(٢) في (أ): مصابين.

(٣) في (ج): هيصان. وفي مقاتل الطالبيين ص٦١، الهضاب، وفي وسيلة الدارين في أنصار الحسين ص٢٢٩ «الهصان»، والطبري ٥/ ٤٦٩.

(٤) في (ج): أشتر.

(٥) هكذا في مقاتل الطالبيين ص ٦١، وفي وسيلة الدارين في أنصار الحسين ص٢٣٠ بشر.

(٦) (ويقال لها حلية). مقاتل الطالبين ٨٠.

طالب، وأمه: أم ولد، قتله أبو زهير الأزدي ولقيط بن ياسر الجهني اشتركا فيه، وقُتل سليمان مولى الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، قتله سليمان بن عوف الحضرمي، وقتل مَنْجح مولى الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، قتله حسان بن بكر الحنظلي، وقُتل قارب الدئلي مولى الحسين بن علي عليهما السلام، وقُتل الحارث بن نبهان مولى حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسولهﷺ، وقتل عبدالله بن يقطر رضيع الحسين بن علي عليهما السلام بالكوفة، رُمي به من فوق القصر فتكسّر، فقام إليه عبدالملك بن عمير اللخمي فقتله واحتزّ رأسه، وقُتل من بني أسد بن خزيمة: **حبيب** بن مظاهر، قتله بديل بن صريم العقفاني، وكان يأخذ البيعة للحسين بن علي، **وأنس** بن الحارث، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ، **وقيس** بن مسهّر الصيداوي، **وسليمان** بن ربيعة، **ومسلم** بن عوسجة السعدي من بني سعد بن ثعلبة، قتله مسلم بن عبدالله وعبيدالله بن أبي خشكارة[1]، وقتل من بني غفار: **مسلم** بن مُكَيل بن ضمرة، وعبدالله وعبدالرحمن ابنا قيس بن أبي غرزة، **وجون** مولى لأبي ذر الغفاري، وقُتل من بني تميم: **الحرُّ** بن يزيد، وكان لحق بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام بعد، **وشبيب** بن عبدالله من بني نفيل بن دارم، وقُتل من بني سعد بن بكر: **الحجاج** بن بدر، وقتل من بني تغلب: **قاسط وكردوس** ابنا زهير بن الحارث، **وكنانة** بن عتيق، **والضرغامة** بن مالك، وقُتل من بني قيس بن ثعلبة: **خولي** بن مالك، **وعمرو** بن ضبيعة، وقُتل من بني عبد القيس -من أهل البصرة-: **يزيد** بن بشيط، وابناه **عبدالله وعبيدالله**[2]، **وعامر** بن مسلم، **وسالم** مولاه، **وسيف** بن مالك، **والأدهم** بن أمية، وقُتل من الأنصار: **عمرو** بن

---

(١) ذكر في وسيلة الدارين في أنصار الحسين أن الذي قتله هو مسلم بن عبدالله الضبابي وعبدالرحمن بن أبي خشكاره وعبدالله الضبابي ص١٨٨.

(٢) في (ج): بزيادة (ابنا يزيد).

قرظة، وعبدالرحمن بن عبد رب من بني سالم بن الخزرج، وكان أمير المؤمنين عليه السلام رباه وعلّمه القرآن، ونعيم بن العجلان الأنصاري، وعمران بن كعب الأنصاري، وسعد بن الحارث، وأخوه الحتوف بن الحارث، وكانا من المحكّمة، فلمّا سمعا أصوات النسآء والصبيان من آل رسول الله صلى الله عليه وآله حكما، ثم حملا بأسيافهما، فقاتلا مع الحسين عليه السلام حتى قُتلا، وقد أصابا في أصحاب عمر بن سعد ثلاثة نفر، وقُتل من بني الحارث بن كعب: الضباب بن عامر، وقُتل من خثعم: عبدالله بن بشير[1] الأكلة، وسويد بن عمرو بن أبي المطاوع، قتله هانئ ابن ثبيت الحضرمي، وقُتل بكر بن حي التيمي من بني تيم الله بن ثعلبة، وجابر ابن الحجّاج مولى عامر بن نهشل من بني تيم الله، ومسعود بن الحجاج، وابنه عبدالرحمن بن مسعود، وقُتل من عَيْذُالله[2]: مجمع بن عبدالله، وعائذ بن مجمع، وقتل من طي عمّار بن حسان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام، وأمية ابن سعد، وقُتل من مراد نافع بن هلال الجملي، وكان من أصحاب أميرالمؤمنين صلوت الله عليه، وجنادة بن الحارث السلماني وغلامه ابن واضح الرومي، وقُتل من بني شيبان بن ثعلبة: جبلة بن علي، وقُتل من بني حنيفة: سعيد بن عبيدالله، وقُتل من جوان: جندب بن حجير بن جندب، وقتل من صدآء: عمر بن خالد الصدآئي، وسعد مولاه، وقُتل من كلب: عبدالله بن عمرو بن عياش بن عبد قيس، وأسلم مولى لهم، وقُتل من كندة: الحارث بن امرئ القيس، ويزيد بن بدر بن المهاصر، وزاهر صاحب عمرو بن الحمق، وكان صَحِبَه حين طلبه معاوية، وقتل من قيس بجيلة كثير بن عبدالله الشعبي، ومهاجر بن أوس، وابن عمه سلمان بن مضارب، وقُتل النعمان بن عمرو والجلاس بن عمرو الراسبيين، وقُتل من حرقة جهينة: مجمع بن زياد، وعبّاد بن أبي المهاجر

---

(١) في (ج): بِسر.

(٢) عيْذ الله: حي من اليمن. القاموس ص٤٢٨.

الجهني، وعقبة بن الصلت، وقُتل من الأزد: مسلم بن كثير، والقاسم بن بشر، وزهير بن سليم، ومولى لأهل شنوءة يدعى: رافعًا، وقُتل من همدان: أبو ثُمامة عمر بن عبدالله الصائدي، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، قتله قيس بن عبدالله، ويزيد بن حضير المشرفي، وحنظلة بن أسعد الشبامي، وعبدالرحمن ابن عبدالله الأرحبي، وعمار بن أبي سلامة الدالاني، وعابس بن أبي شبيب الشاكري الدالاني، وهم يسمون: فتيان الصبّاح من وادعة، وشوذب مولى شاكر، كان متقدمًا في الشيعة، وسيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبدالله ابن سريع، وهمام بن سلمة القانصي، وأرتُثَّ من همدان: سوار بن حمير الجابري، فمات لستة أشهر من جراحته، وعمرو بن عبدالله الجندعي مات من جراحة كانت به على رأس سنة، وقتل هانئ بن عروة المرادي بالكوفة، قتله عبيدالله بن زياد، وقتل من حضرموت: بشير بن عمرو.

وخرج الهفهاف بن المهند الراسبي من البصرة حين سمع بخروج الحسين، فسار حتى انتهى إلى العسكر بعد قتله، فدخل عسكر عمر بن سعد، ثم انتضى سيفه، وقال:

يا أيها الجند المجند أنا الهفهاف بن المهند

أبغي عيال محمد

ثم شدَّ فيهم. قال علي بن الحسين: فما رأى الناس منذ بعث الله محمدًا صلى الله عليه وآله فارسًا بعد علي بن أبي طالب عليه السلام مثله قتل بيده ما قتل، فتداعوا عليه فأقبل خمسة نفر فاحتوشوه حتى قتلوه رحمه الله[1].

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه وجد في الحسين بن علي عليهما السلام: ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وأربعون ضربة، ووجد في جبة خزٍّ

(١) تسمية من قتل مع الإمام الحسين للفضيل بن الزبير الكوفي الأسدي ١٥٢-١٥٦، والطبري ٥/ ٤٦٩، ومقاتل الطالبين ٩٤.

دكناء كانت على الحسين عليه السلام: مائة خرق، وبضعة عشر خرقًا ما بين رمية وطعنة وضربة[1]. وعن الشعبي: وجد في ثوب الحسين عليه السلام: مائة خرق، وبضعة عشر خرقًا من الضرب والطعن والرماح والسهام. وروي عن بعضهم أنه قال: لم يُضرب أحدٌ في الإسلام منذ كان أكثر من ضرب الحسين عليه السلام وجد به: مائة وعشرون ضربة بسيف ورمية، وخذف بحجر.

ولما فرغوا من قتله عليه السلام احتزوا رأسه، وكان الذي احتزَّه خولي بن أنس ابن يزيد[2]، وأجروا الخيل بعد ذلك على جثته الكريمة حتى تقطعت، وقال عمر بن سعد: هكذا أمرنا عبيدالله بن زياد أن نصنع به، فانظر إلى عظيم ما أتوه، وفحش ما ارتكبوه، فقاتلهم الله أنى يؤفكون، والبهيمة تَحْرُمُ المثلَة بها عند جميع المسلمين، فكيف بسبط النبوءة وثمر الوصية، وسيد شباب أهل الجنة، سلام الله عليه وصلواته ورضوانه؟!

وأخَذَ سراويل الحسين عليه السلام يحيى بن كعب، فكانتا يداه تقطران دمًا إذا أشتى، وإذا أصاف يَبِسَتَا، وعادتا كأنهما عود يابس. وأخذ قطيفته قيس بن الأشعث بن قيس، وكان يقال له: قيس القطيفة. وأخذ برنسه مالك بن بشير الكندي، وكان من خزٍّ، فأتى به أهله، فقالت امرأته بنت عبدالله بن الحارث: أسَلَبُ الحسين يدخل بيتي؟ أخرجه عني، فلم يزل محتاجًا حتى مات. وأخذ عمامته جابر بن يزيد الأودي، فاعتمَّ بها فصار مجذومًا. وأخذ درعه مالك بن بشر الكندي، فلبسه فصار معتوهًا، وارتفعت غبرةٌ شديدةٌ سوداء فظن القوم أن العذاب قد أتاهم، ثم انجلت عنهم. وأقبل شمر بن ذي الجوشن إلى الخيام، وأمر بسلب كل ما مع النساء، فأخذوا كل ما في الخيمة حتى أخذوا قرطًا في أذن أم

---

(1) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٤، والبداية والنهاية ٨/ ٢٠٥.

(2) المشهور والمعتمد عن أصحاب المقاتل الذي احتز رأسه هو سنان بن أنس النخعي، وقيل: شمر ابن ذي الجوشن، والذي حمله إلى عبيد الله بن زياد خولي بن يزيد. أنظر: مقاتل الطالبين ٧٩.

كلثوم، وخرموا أذنها، وفرغ القوم من القسمة وضربوا فيها بالنار.

وعن ابن قتيبة: انتهب الناس ورسًا من عسكر الحسين عليه السلام يوم قتل، فما طلت به امرأة إلا برصت، وكذلك رواه سيّار. وأرسل عمر بن سعد بالرأس مع رجل يقال له: بشر بن مالك إلى ابن زياد، فوضعه بين يديه، وهو يقول:

أَوْقِرْ ركابي فضة وذهبا ... أنا قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أمًا وأبًا

فغضب ابن زياد فقدّمه وضرب عنقه، وقال: إن كان كما قلت، فلم قتلته؟[1].

ولما جيء برأس الحسين بن علي عليهما السلام إلى ابن زياد جعل يقول: بقضيب في أنفه ما رأيت مثل هذا حُسنًا، فقال أنس: أما إنه كان أشبههم برسول الله. وروي أن ابن زياد أرسل إلى أبي برزة فجرى بينهما كلام، ثم قال عبيدالله ابن زياد: كيف ترى شأني وشأن الحسين يوم القيامة؟ فقال: الله أعلم، وما علمي بذلك! قال: إنما أسألك عن رأيك، قال: إن سألتني عن رأيي فإن حسينًا يشفع له محمد يوم القيامة، ويشفع لك زياد، قال: اخرج فلولا ما فعلت لك لضربت عنقك، حتى إذ بلغ باب الدار قال: ردوه، فقال: لئن لم تغدُ عليَّ وتروح لأضربن عنقك[2].

وروي عن حاجب عبيدالله قال: دخلت القصر خلف عبيدالله بن زياد حين قُتل الحسين عليه السلام، فاضطرم وجهه نارًا! فقال: هكذا بكمّه على وجهه، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم. فأمرني أن أكتم.

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسين الحسيني عليهم السلام بإسناده

---

(١) المصابيح ٣٧٦، الطبراني ٣/ ١١٧ برقم ١٨٥٢، مجمع الزوائد ٩/ ١٩٤، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩.

(٢) البداية والنهاية ٢٠٨-٢٠٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩.

عن خالد بن يزيد عن أم سليم خالة له، قالت: لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام مطرت السماء مطراً كالدم على البيوت والحيطان، فبلغني أنه كان بالبصرة والكوفة والشام وخراسان حتى كنا لا نشك أنه سينزل العذاب[1].

وروى أيضاً عن عمرو بن زياد قال: أصبحت جبّانتنا[2] يوم قتل الحسين عليه السلام ملآنة دماً. وروى أيضاً بإسناده عن محمد بن سيرين قال: لم تُرَ هذه الحمرة في أفق السمآء حتى قتل الحسين عليه السلام![3].

وروى أيضاً بإسناده عن الأسود بن قيس قال: كنت ليالي قتل الحسين بن علي عليهما السلام ابن عشرين سنة، فارتفعت حمرة من قبل المشرق، وحمرة من قبل المغرب، فكانتا تلتقيان في كبد السمآء أشهراً.

ولما فرغ القوم من قتل الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم، ساقوا حرم رسول الله صلى الله عليه وآله كما تساق السبايا حتى بلغوا الكوفة، وخرج الناس يبكون، وجعل علي بن الحسين وهو مريض يقول: هؤلآء يبكون من أجلنا، فمن قَتَلَنا؟! فلما دخلوا على ابن زياد قعدت زينب ناحية، فسأل من هي؟ قيل: زينب بنت علي، فقال ابن زياد: الحمدلله الذي فضحكم، وكذّب أحدوثتكم، فقالت زينب: الحمدلله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق الفاجر، فقال ابن زياد: كيف رأيت صُنْعَ الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، وسيجمع الله بينك وبينهم فتتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذ- هبلتك أمك يا ابن مرجانة. فغضب وهمّ بها، فنهاه عمرو بن حريث وقال: إنها امرأة.

---

(١)ذخائر العقبى ١٤٥، وفي مجمع الزوائد بلفظ مقارب ٩/ ١٩٦-١٩٧ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة مريم ٤/ ٤٧٥، ٥/ ٤٤٩، وابن عساكر ١٤/ ٢٢٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٢.

(٢)في (ج): جنا بنا.

(٣)ابن عساكر ١٤/ ٢٢٨، والبداية والنهاية ٦/ ٢٥٩.

ثم التفت إلى علي بن الحسين فقال: من أنت؟ قال: علي بن الحسين، قال: أو لم يقتل الله عليَّ بنَ الحسين؟ قال ذلك أخي أكبر مني قتلتموه، وإن له منكم مطلبًا يوم القيامة. قال ابن زياد: نحن لم نقتله ولكن الله قتله، فقال علي بن الحسين: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾... الآية [الزمر:٤٢]، ثم أمر ليُنظر هل أدرك؟ فقيل: نعم، فأمر أن تضرب عنقه، فتعلقت به زينب عمتُه، وقالت: يا ابن زياد، لم يبق لنا غيره، فإن كنت تقتله فاقتلنا معه، فقال علي بن الحسين: يا ابن زياد، أبالقتل تهددني؟! أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة؟، ثم قال: أخرجوهم[1]، وخرج إلى المسجد، فخطب وأبلغ في ذم آل أبي طالب، ومدح آل أبي سفيان، وكان من كلامه: الحمدلله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي، فوثب عبدالله بن عفيف الأزدي، وكان من خيار الشيعة، وكانت ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل، والأخرى يوم صفين، وكان يلزم المسجد، فقال: يا ابن مرجانة، إن الكذاب وابن الكذاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله، أتقتل أولاد النبيين، وتتكلم بمثل هذا على منابر المسلمين، تقتل الذرية الطاهرة، وتزعم أنك مسلم؟! واغوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار؟ ألا ينتقمون من اللعين ابن اللعين؟. فغضب ابن زياد، وأمر بأخذه، فتخلصه أشراف الأزد وهرب، ورجع ابن زياد إلى منزله وبعث بجماعة حتى أخذوا عبدالله بن عفيف، وقَتَله[2].

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسين الحسيني بإسناده عن أبي جرثومة العكلي عن أبيه قال: لمّا قُتل الحسين بن علي عليهما السلام، سمعت مناديًا ينادي في الجبانة:

---

(١) الطبري ٥/ ٤٥٧-٤٥٨، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٠-٢١١، ومقاتل الطالبين ١٢٠.

(٢) الطبري ٥/ ٤٥٨-٤٥٩ بلفظ مقارب، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٠.

أيها القوم قاتلون حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السمآء يدعو عليكم من نبيٍّ وملَك ورسول
قد لُعنتم على لسان ابن دا وود وموسى وحامل الإنجيل[1]

وبعث ابن زياد لعنه الله بالحرم والرؤوس مع زحر بن قيس، وشمر بن ذي الجوشن إلى يزيد لعنه الله، فدخلوا عليه، وبلّغوا الكتاب، فأطرق ساعة، ثم قال: لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما والله لو سار إليَّ لعفوت عنه، ولكن قبّح الله ابن مرجانة، وكان عبدالرحمن بن الحكم قاعداً في مجلسه، فجعل يقول:

لَهَامٌ بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغلُ
سميةُ أمسى نسلها عددَ الحصى وبنتُ رسول الله ليس لها نسلُ[2]

وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، فجعل ينظر إليه ويقول:

نُفَلِّقُ هاماً من أناسٍ أعزة علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما[3]

وروي أنه لما جهزهم ابن زياد إلى يزيد، فخرجوا بهم، اجتمع أهل الكوفة ونسآء همدان حين خرج بهم، فجعلوا يبكون، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: هذا أنتم تبكون! فأخبروني من قتلنا؟! فلما أُتي بهم دمشق، وقدموا على يزيد لعنه الله جمع من كان بحضرته من أهل الشام، ثم دخلوا عليه فهنّوه بالفتح، فقام رجل منهم أزرق أحمر، ونظر إلى وصيفة من بناتهم، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن تخرج من دين الله عز وجل، فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كُفَّ[4].

---

(١) الطبري ٥/٤٦٧، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٩ و٨/ ٢١٦، وابن عساكر ١٤/ ٢٤٠.

(٢) الأغاني ١٣/١٧٨.

(٣) الطبري ٥/ ٤٦٠، البداية والنهاية ٨ ٢٠٨-٢٠٩، والمصابيح ٣٧٧، ومقاتل الطالبين ١١٩، ومجمع الزوائد ٩/ ١٩٥.

(٤) مقاتل الطالبين ب١٢٠ بلفظ مقارب، والطبري ٥/ ٤٦١-٤٦٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩-٣١٠.

ولما وضع رأس الحسين بن علي عليهما السلام، في طست جعل ينكت ثناياه بمخصرة في يده وهو يقول :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلّوا واستهلّوا فرحًا ... ثم قالوا : يا يزيد لا تشل
لست من شيخيّ إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[1]

ولما رآه أبو برزة ينكت بالقضيب، قال له : ارفع قضيبك فوالله لربما رأيت فا رسول الله ﷺ على فيه يلثمه[2]. ثم قامت زينب ابنة علي عليهم السلام، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقالت: الحمد الله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، صدق الله العظيم كذلك يقول : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَآءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الروم: ١٠]. أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السمآء، وأصبحنا نساق كما تُساق الأسرى، أنَّ بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة؟! وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمختَ بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسرورًا، حين رأيت الدنيا مستوسقة، والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمآئك، وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا؟! قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههنّ، يحدى بهنّ من بلد إلى بلد، يستشرفهن أهل المنازل، ويتصفح وجوههنّ القريبُ والبعيدُ، والدنيُّ والشريف، وليس معهنّ من رجالهم ولي، ولا من حماتهم حي؟! وكيف يترجى مراقبة من لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدمآء الشهداء؟! وكيف يُستبطى

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٢٢، ومقاتل الطالبين ١٢٠.

(٢) أنظر البداية والنهاية ٨/ ٢٠٩، والمصابيح ٣٧٧، سيرة أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩.

في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالسيف والسنان ، والإحن والأضغان ، ثم يقول غير متأثّم ولا مستعظم :

فـأهلّوا واسـتـهلّوا فـرحًـا   ثم قـالوا : يا يزيد لا شلل

متحيًا على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأتَ القرحة ، واستأصلتَ الشأفة ، بإراقتك دمآء ذرية آل محمد ﷺ ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتهتف بأشياخك زعمت تناديهم ، وَلَتَرِدَنَّ وشيكًا موردهم ، وَلَتَوَدَنَّ أنك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت . اللهم خذ بحقنا ، وانتقم من ظالمنا ، وأحلل غضبك بمن سفك دمآئنا ، وقتل حماتنا ، فوالله ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، وسَتَرِدُ على رسول الله ﷺ بما تحمّلت من سفك دمآء ذريته ، وانتهكت من عترته في حرمته ولحمته ، وليخاصمنك حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ لهم بحقهم ، ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ ﴾ الآية [آل عمران:١٦٩-١٧٠] وحسبك بالله حاكمًا ، ومحمد خصيمًا ، وبجبريل ظهيرًا ، وسيعلم من بَوّأ لك وأمكنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً ، وأنكم شرٌ مكانًا وأضعف جندًا ، ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك ، على أني أستصغر قدرك ، لكن العيون عَبْرى ، والصدور حرَّى . ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النُّجباء بحزب الشيطان الطلقا ، فتلك الأيدي تنطف من دمآئنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعفوها الذئاب ، ولئن اتخذتنا مغنمًا لتجدننا[1] وشيكا مغرمًا ، حيث لا تجد إلاَّ ما قدّمت يداك ، وما ربك بظلام للعبيد ، فإلى الله المشتكى ، وعليه المعوّل ، فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تُميت وحينا ، ولا تدرك أمرنا ، ولا

---

(١)في (أ) : لتجدنا .

ترحض عنك عارنا، وهل رأيك إلا فَنَدٌ، وأيامك إلا عدد، وشَمْلُكَ إلا بَدَدٌ، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين، والحمدلله الذي ختم لأوليائه بالسعادة والمغفرة، وأسأل الله أن يكمّل لهم الثواب، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل[1]. فقال يزيد لعنه الله :

يا صيحة تلعن من صوائح　　　ما أهون الموت على النوائح

وفي الأخبار: أنهم لما أقيموا على باب المسجد بدمشق، فإذا شيخ قال: الحمدلله الذي قتلكم وأراح البلاد من رجالكم، فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن ؟، قال: نعم، قال: هل تعرف هذه الآية: ﴿ قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾؟ [الشورى:٢٣] فنحن القربى يا شيخ، هل قرأت: ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ [الإسراء:٢٦] فنحن ذاك. هل قرأت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾؟ [الأحزاب:٣٣] فنحن أهل البيت الذي خصنا بالطهارة. قال: فبقي الشيخ ساعة ساكتًا، ثم بكى، وقال: اللهم إني أتوب إليك من بغض هؤلاء، اللهم إني أبرأ إليك من بغض عليٍّ ومحمد وآل محمد. وأُدخلوا على يزيد وبين يديه حبرٌ من اليهود، فقال- بعد ما تكلم علي بن الحسين: من هذا؟ قال: هو ابن صاحب هذا الرأس، قال: ومَن صاحب هذا الرأس؟ قال: الحسين بن علي، وأمه فاطمة بنت محمد.

قال الحبر: يا سبحان الله! فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه بهذه السرعة! بئس ما خلفتموه في ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطًا لظننا أنا كنّا نعبده، وأنتم فارقكم نبيكم بالأمس، فوثبتم على ابن بنته فقتلتموه! فأمر يزيد فأُخرج وهرب، فقام وهو يقول: إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني، إني أجد في التوراة: أنه من قتل ذريَّة نبي لا يزال ملعونًا أبدًا ما بقي، فإذا مات يصليه الله نار جهنم، ثم استأذن علي بن الحسين عليهما السلام في الخطبة فأبى، فما زالوا به

---

(١) ذكره في أعيان الشيعة ٧/ ١٣٩، نقلاً عن اللهوف في قتلى الطفوف.

حتى أذن، فصعد المنبر فحمد الله، وأبكى الناس، ثم قال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرِّدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجَّ ولبى، أنا ابن من حُمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أُسري به إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبريل إلى السدرة المنتهى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن عليٍّ المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، فلم يزل يقول حتى ضَجَّ المسجد بالبكاء، وأمر يزيد لعنه الله فأقام المؤذن وقطع عليه، فلمّا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي بن الحسين: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله التفت إلى يزيد وقال: هذا جدي أو جدك؟ فإن زعمت أنه جدك كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته[1]؟!

ثم جهّزهم وحملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بنات عبدالمطلب ناشرةً شعرها، واضعة كمها على رأسها فتلقّتهم وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم:	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي؟ بعد مفتقدي	منهم أُسارى وقتلى ضُرِّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إن نصحت لكم	أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[2]

ورُوينا في الأخبار بالإسناد الصحيح: أنه لما أُخذ رأس الحسين بن علي عليهما السلام، ورؤوس أهل بيته وأصحابه رحمهم الله أقبلت الخيل شماطيط[3] معها الرؤوس، وأقبل رجل من أنضر الناس لونًا، وأحسنهم وجهاً على فرس

(١) مقاتل الطالبين ١٢١ باختلاف يسير.

(٢) مجمع الزوائد ونسبه لزينب بنت عقيل بن ابي طالب ٩/ ١٩٩، تهذيب التهذيب ٢/ ٣١٩-٣٢٠.

(٣) شماطيط: متفرقة أرسالاً. القاموس ص ٨٧٠.

أدهم، قد علّق في لباب فرسه رأس غلام أمرد، كأن وجهه قمر ليلة البدر، فإذا هو قد أطال الخيط الذي فيه الرأس، والفرس تمرح، فإذا رفع رأسه لحق الرأس بحرانه[1]، فإذا طأطأ رأسه صكّ الرأس الأرض، فسألت فقيل: هذا حرملة بن كاهل الأسدي لعنه الله، وهذا رأس العباس بن علي عليهما السلام، فمكث بعد ذلك ما شاء الله، ثم رأيت حرملة ووجهه أسود كأنما أدخل النار ثم أخرج، فقلت له: يا عماه، لقد رأيتك في اليوم الذي جئت فيه برأس العباس وإنك لأنضر العرب وجهًا! فقال: يا ابن أخي، ورأيتني؟ قلت: نعم، قال: فإني والله منذ جئت بذلك الرأس ما من ليلة آوي فيها إلى فراشي إلا وملكان يأتيان فيأخذان بضبعي ثم ينتهيان[2] بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص عنها فتسفعني كما ترى. **قال**: وكانت عنده امرأة من بني تميم، فسألتها عن ذلك[3]، فقالت: أمّا إذا أفشى على نفسه فلا يبعد الله غيره، والله ما يوقظني إلا صياحه كأنه مجنون.

ولما قامت الشيعة بطلب ثأر الحسين عليه السلام مع المختار بن أبي عبيد وأوعبت في قتل من حضر الوقعة، وكان في جملتهم عمرو بن الحجاج الزبيدي، فهرب خوفًا على نفسه، فلما توسط البادية ابتلعته الأرض هو وراحلته.

وروينا عن قرة قال: سمعت أبا رجاء يقول: لا تسبوا عليًا ولا أهل هذا البيت؛ إن جارًا لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة فقال: ألم تروا إلى هذا الفاسق ابن الفاسق، إن الله قد قتله -يعني الحسين بن علي عليهما السلام، فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره. وعن الزهري قال: لما قُتل الحسين بن علي عليهما السلام لم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط[4].

---

(١) حرنت الدابة أي: وقفت بعد الجري، وهو خاص بذات الحافر. القاموس ص١٥٣٤.

(٢) في (ج): يأتيان.

(٣) في (ج): ساقطة (فسألتها عن ذلك).

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٢٠-٣٢١.

وروينا عن قطنة بن العكي[1] قال : كنّا في قرية قريبًا من قبر الحسين بن علي عليهما السلام، فقلنا ما بقي ممن أعان على قتل الحسين أحدٌ إلا قد أصابته بلية، فقال رجل : أنا والله ممن أعان على قتله ما أصابني شيئ، فسوى السراج فأخذت النار في إصبعه فأدخلها في فيه وخرج هاربًا إلى الفرات فطرح نفسه، فجعل يرتمس والنار فوق رأسه فإذا خرج أخذته النار حتى مات[2].

وروينا بالإسناد عن ابن المغازلي الشافعي يرفعه بإسناده عن أبي النضر الحضرمي، قال : رأيت رجلاً سمج العمى، فسألته عن سبب ذهاب بصره؟ فقال: كنت فيمن حضر عسكر عمر بن سعد، فلما جاء الليل رقدت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وبين يديه طست فيها دم، وريشة في الدم، وهو يُؤتى بأصحاب عمر بن سعد فيأخذ الريشة فيخط بها أعينهم، وأُتي بي، فقلت : يا رسول الله: والله[3] ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. فقال: أفلم تُكثر عدونا؟ فأدخل إصبعيه في الدم : السبابة والوسطى وأهوى بها إلى عيني، فأصبحت وقد ذهب بصري[4].

وكان قتل الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء وهو يوم الجمعة من المحرم سنة إحدى وستين، وهو ابن ست وخمسين، وكانت مدة ظهوره وانتصابه للأمر إلى قتله عليه السلام شهرًا واحدًا ويومين، ودفن جسده في كربلاء، ورأسه في الشام، وعليهما مشهدان مزوران[5].

وترك بنوا أمية رأسه عليه السلام في خزائنهم، فأقام فيها إلى أيام سليمان بن عبدالملك، فأمر بإخراجه وتكفينه وتعظيمه، فرأى النبي ﷺ في منامه يبره

---

(١)في (أ): العلا.

(٢)تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٢١.

(٣)في (أ): غير موجودة(والله).

(٤)مناقب الإمام علي لابن المغازلي الشافعي ٣١٩-٣٢٠.

(٥)البداية والنهاية ٨/ ٢١٦، وأسد الغابة ٢/ ٢٧ باب الحسين بن علي.

ويلاطفه، فسأل الحسن «يعني البصري» فقال: لعلك فعلت إلى أهله معروفًا، فأخبره بما كان منه[1].

وروينا عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري، زائري قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم ائتزر بإزار، ثم ارتدى بآخر، ثم فتح صرّة فيها سُعْد[2] فنثره على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى دنا من القبر، قال: ألْمسْنيه فألمسته فخرَّ مغشيًا على القبر، فرششت عليه شيئًا من المآء، فلما أفاق قال: يا حسين، يا حسين، يا حسين، ثلاثًا، ثم قال: حبيبٌ لا يجيب حبيبه، ثم قال: أنى لك بالجواب؟ وقد شَخَبت أوداجك على أشباحك، وفُرّق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد الوصيين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النسآء، وما بالك ألا تكون هكذا؟ وقد غذّتك كف محمد سيد النبيين، ورُبيت في حجور المتقين، وأُرضعت من ثدي الإيمان، وفُطمت بالإسلام، فطبت حيًا وطبت ميتًا، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شآكّة في الخير لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهد أنك مضيت على مامضى عليه يحيى بن زكريا.

قال عطية: ثم جال ببصره حول القبر، ثم قال: السلام عليكم أيتها الأرواح الطيبة التي بفنآء الحسين عليه السلام، وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وعبدتم الله حق عبادته حتى أتاكم اليقين. والذي بعث محمدًا بالحق صلى الله عليه وآله لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه، قال عطية: فقلت لجابر بن عبدالله: وكيف ولم تهبط واديًا، ولم تعل جبلاً، ولم تضرب بسيف؟ والقوم قد فُرق[3] بين رؤوسهم وأبدانهم، فأوتمت

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٢٢.

(٢) السُّعد: طيب. قاموس، مادة: سعد ٣٦٨.

(٣) في (أ): بينهم وبين رؤسهم.

الأولاد، وأُرملت الأزواج، فقال لي: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ قومًا حُشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم»[1] أحدرني نحو أبيات كوفان، قال: فلما صرنا في بعض الطريق، قال لي يا عطية: هل أوصيك وما أظنني بعد هذه السفرة ألاقيك؟ أحبب محبّ آل محمد ﷺ ما أحبّهم، وابغض مبغض آل محمد ﷺ ما أبغضهم، وإن كان صوامًا قوامًا.

وروينا عن هشام بن محمد قال: لما أُجري المآء على قبر الحسين بن علي عليهما السلام، نضب بعد الأربعين يومًا وامتحى أثر القبر، جآء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمه حتى وقع على قبر الحسين عليه السلام فشمه وبكى، وقال: بأبي وأمي ما كان أطيبَك وأطيب تربتك ميتًا! ثم أنشأ وجعل يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عداوة فطيبُ تراب القبر دلَّ على القبر[2]

وكان إجراء المآء على قبر الحسين بن علي عليهما السلام أولاً في أيام بني أمية، ثم أجْرى المآء عليه المتوكل العباسي، وكان السبب في ذلك على ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين: أنه بعث إلى مغنيّة فعُرِّف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام، وبلغها خبره، فأسرعت الرجوع وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: حجّت مولاتي وأخرجتنا معها وكان ذلك في شعبان فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟ فقالت: إلى قبر الحسين عليه السلام، فاستُطير غضبًا، وأمر بمولاتها فحبست واصطفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه كان يهوديًا يقال له: الديزج، فأسلمه إلى قبر الحسين فأمر بكرب قبره ومحوه وإخراب كلما حوله فمضى لذلك وهدم البناء وكرب حوله نحوًا من مائتي جريب، فلما بلغ القبر لم يتقدم إليه، فأحضر قومًا من

---

(١) في (أ): أشرك معهم.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٧.

اليهود فكربوه، وأجروا الماء حوله، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لايزوره زائر إلا أُخذ، ووجه به إليه[1].

قال الشيخ أبو الفرج : فحدثني محمد بن الحسين الأشناني، قال: بَعُدَ عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفًا، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها، فساعدني رجل من العطّارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل، حتى أتينا نواحي الغاضرية[2]، وخرجنا منها نصف الليل فصرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نشمه ونتحرى جهته، حتى أتينا وقد قلع الصندوق الذي كان حوليه وأحرق، وأجرى عليه الماء فانخسف موضع اللبن فصار كالخندق، فزرناه وأكببنا عليه، فشممت منه رائحة ما شممت مثلها لشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي : أي رائحة هذه؟ فقال :[3]والله ما شممت مثلها قط من الطيب، فودعناه، وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع، فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا إلى القبر، فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه[4].

ثم لما قام الداعي إلى الله محمد بن زيد الحسني عليه السلام أمر بعمارة المشهدين : مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، ومشهد الحسين عليهما السلام، وقيل: إنه أنفق في عمارتهما عشرين ألف درهم، وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمهما وعمارتهما والأوقاف عليهما، وكان يزور كل سنة ، ولقد عيرّ بني العباس، ونعى عليهم قبيح أفعالهم في تخريب قبر الحسين بن علي عليهما السلام مولاهم أبو الحسين

---

(١)مقاتل الطالبين ٥٩٨ .

(٢)في (ج) : الغضارية .

(٣)في (ج) : لا والله ما شممت مثلها لشيء من الطيب .

(٤)المقاتل ص٥٩٧ .

علي بن العباس الرومي حيث يقول :

فلم يقنعوا حتى استثارت قبورهم ... كـلابهم منهـا بهيم وديزج

وهي قصيدة طويلة يذكر فيها فضل أهل البيت ومثالب بني العباس ، ونحن نذكرها كاملة إنشاء الله تعالى في آخر هذا الكتاب ، ولسليمان بن قتة يرثي الحسين ابن علي عليهما السلام :

فإنَّ قـتيل الطف من آل هاشم ... أذلَّ رقـابًا من قـريش فـذلَّت
فإن تتبعوه عائذ البيت تصبحوا ... كعـاد تعـمّت عن هداها فـضلّت
مررت على أبيات آل محـمد ... فـألفيتـهـا أمثالهـا حيث حلّت
وكانوا لنا غُنمًا فأمسوا رزية[1] ... لقـد عظمت تلك الرزايا وجلّت
فلا يبـعـد الله الديار وأهلهـا ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها ... وتقـتلنا قـيسٌ إذا النعل زلّت
وعند غني قطرةٌ من دمـائنا ... سنجزيهم يومًا بهـا حيث حلّت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلادُ اقشعرت[2]

ولأبي الأسود الدؤلي :

أقـول وزادني جـزعـًا وغـيظًا ... أزال الـلـه مُـلـك بـنـي زيـاد
وأبعـدهم كما غدروا وخانوا ... كـمـا بَعُـدت ثمـود وقـوم عـاد
ولا رجـعـت ركـابُهم إليـهـم ... إذا قـــــفّـت إلـى يـوم الـتـنـاد

وأنشد عوف بن عبدالله بن الأحمر قصيدة طويلة يُحرِّض فيها الشيعة على القيام على قتلة الحسين بن علي عليهما السلام ويرثيه فيها ، أولها :

صحوت وودّعت الصبا والغوانيا ... وقلت لأصحابي : أجيبوا المناديا
وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى ... وقـتل العـدا : لبيك لبيك داعيـا

---

(١) الرزية : المصيبة والجمع ، المختار ص٢٤٠ .

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٢٣٠ ، سيرة أعلام النبلاء ٣/ ٣١٨ .

وقودوا إلى الأعدآء كل طمرة[1] عيوف وقودوا السابحات المذاكيا

وسيروا إلى القوم المحلين خشبة وهزوا الحراب نحوهم والعواليا

ألسنا بأصحاب الخريبة والأولى قتلنا بها التيمي حران[2] باغيا

ونحن سمونا لابن هند بجحفل كركن دبا ترجى إليه الدواهيا

فلما التقينا بين الضرب أيننا بصفين كان الأضرع المتفاديا

دلفنا فأفلينا صدورهم بها غداة إذ زرقًا ظمآء صواديا

وملنا رجالاً بالسيوف عليهم نشق بها هاماتهم والتراقيا[3]

فذدناهم من كل وجه وجانب وحزناهم حوز الرعاء المتاليا

زويناهم حتى أزلنا صفوفهم فلم نر إلاَّ مستخفًا وكابيا[4]

وحتى ظللت ما أرى من معقل وأصبحت القتلى جميعًا ورائيا

وحتى أعاذوا بالمصاحف واتقوا بها وقعات يختطفن المحاميا

فدع ذكر ذا لا تيأسن من ثوابه وتب واعن للرحمن إن كنت عانيا

ألا وانع خير الناس جدًا ووالدًا حسينًا لأهل الدين إن كنت ناعيا

ليَبْكِ حسينًا كل ما ذرّ شارق وعند غسوق الليل من كان باكيا

ليَبْكِ حسينًا من رعى الدين والتقى وكان لتضعيف المثوبة راجيا

ليَبْكِ حسينًا كل غان ويائس وأرملة لم تعدم الدهر لاحيا

ليَبْكِ حسينًا مملق ذوخصاصة عديم وأيتام تشكى المواليا

لحا الله قومًا أشخصوه وغرروا فلم ير يوم البأس منهم محاميا

ولا موفيًا بالوعد إذ حمّس الوغى ولا زاجرًا عنه المضلين ناهيا

---

(١) الطمر: هو المستفز للوثب والعدو، لسان العرب ٤/ ٥٠٣.

(٢) حرّان: اسم بلد، المختار ١٣٣.

(٣) هو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، المختار ١١٧.

(٤) الكابة: سوء الحال والانكسار من الحزن، القاموس ١٦٤.

ولا قائلاً لا تقتلوه فتسحتوا ... ومن يقتل الزاكين يلقى المخازيا

فلم يك إلا ناكثًا أو مقاتلاً ... وذا فجرة يسعى عليه معاديا

سوى عصبة لم يعظم القتل عندهم ... يُشبِّهُها الرآؤن أسدًا ضواريا

وَقَوْهُ بأيديهم وحرِّ وجوههم ... وباعوا الذي يفني بما كان باقيا

وأضحى حسين للرماح درية ... فغُودر مسلوبًا لدى الطف ثاويا

قتيلاً كأن لم يغن بالناس ليلة ... جزى الله قومًا أسلموه الجوازيا

فيا ليتني إذ ذاك كنت شهدته ... فضاربت عنه الشانئين الأعاديا

ودافعت عنه ما استطعت مجاهدًا ... وأعملت سيفي فيهم وسنانيا

ولكن قعدت في معاشر ثُبِّطوا ... وكان قعودي ضلة من ضلاليا

فما تنسني الأيام من نكباتها ... فإني لن ألفى له الدهر ناسيا

ويا ليتني غودرت فيمن أجابه ... وكنت له من مفظع القتل فاديا

وياليتني أخطرت عنه بأسرتي ... وأهلي وخلاني جميعًا وماليا

سقى الله قبرًا ضمَّن المجد والتقى ... بغربيَّة الطف الغمام الغواديا

فتى حين سيم الخسف لم يقبل التي ... تذل العزيز أو تجرُّ المخازيا

ولكن مضى لم يملأ الموت نحره ... فبورك مهديًا شهيدًا وهاديا

ولو أن صدِّيقًا تزيل وفاته ... حصون البلاد والجبال الرواسيا

لزالت جبال الأرض من عظم فقده ... وأضحى له الحصن المجصص خاويا

وقد كسفت شمس الضحى لمصابه ... وأضحت له الأفاق حمرًا بواديا

فيا أمةً تاهت وضلَّت عن الهدى ... أنيبوا فأرضُوا الواحد المتعاليا

وتوبوا إلى التوّاب من سوء صنعكم ... وإلا تتوبوا تلقوا الله عاتيا

وكونوا شراة بالسيوف وبالقنا ... تفوزوا وقدمًا فاز من كان شاريا

وفتيان صدق دون آل نبيهم ... أصيبوا وهم كانوا الولاة الأدانيا

وإخواننا الأولى إذا الليل جنَّهم ... تلوا طُوَلَ الفرقان ثم المثانيا

أصـابهم أهل الشناءة والعـدى فحتى متى لانبعث الجيش غـازيا

وحـتى مـتى لا أعـتلي بمهنّد قـذال ابن وقـاص وأدرك ثـأريا

وإني زعـيم إن تراخت منيـتي بيـوم لهم منَّا يُشيب النواصـيـا

وذلك أيام التوابين من الشيعة على خذلان الحسين، وهم عشرة الآف رجل تقدموا من البصرة والكوفة والمدائن حتى لقوا جنود بني أمية، وقتلوا منهم ألوفًا كثيرة، وقُتلوا رحمهم الله بعين الوردة. وجميع من أُحصي من القتلى بسبب الحسين بن علي عليهما السلام في الأيام المروانية إلى سبعين ألفًا مع التوابين والمختار وابن الأشعث.

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن العقيقي الحسيني رحمة الله عليه بإسناده عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى نبيه ﷺ فيما أوحى إليه إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفًا، وأني أقتل بدم الحسين بن بنتك سبعين ألفًا وسبعين ألفًا».

وروى بإسناده أيضًا عن بعضهم: أنه سمع جنيّة تنوح على الحسين عليه السلام وهي تقول:

أبكي ابن فـاطمـة الذي من مـوته شـاب الشـعـر

ولقـتـله زلـزلـتم ولقـتله كـسف القـمـر

وكان أهل المدينة يسمعون نوح الجن على الحسين بن علي عليهما السلام حين أصيب، وجنية تقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهدي ومن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقـودهم المنايا إلى متـجـبر في مُلك عـبد

وكان من نوحهم عليه عليه السلام:

مـسح الرسـول جـبـينه فـله بَريقٌ في الخـدود

أبواه من عليـا قـريـ ـش جَـدُّه خـيـر الجـدود

زحفوا إليه بجمعهم وأولئكم شرُّ الجنود
قتلوا تقيّا زاكيا لا أُسكنوا دار الخلود[1]

ومن ذلك قول بعضهم :

ستبكيك نسآء الجن يبكين شجيات
ويخمشن وجوها كالد نانير نقيات
ويلبسن ثياب السو د بعد العصيبات

وللكميت بن زيد من قصيدة، ذكر فيها الحسين عليه السلام فقال :

ومن أعظم الأحداث كانت مصيبة علينا قتيل الأدعيآء الملحّب[2]
قتيلٌ بجنب الطف من آل هاشمٍ فيالك لحمٌ ليس عنه مُذبّبُ
ومنعفر الخدين من آل هاشم ألا حبّذا ذاك الجبين المتربُ
صريعٌ كأن الولّه النُكْدَ حوله يُطفن به شُمّ العرانين[3] رَبْرَبُ[4]

وله من أخرى وذكر فيها الحسين بن علي عليهما السلام وأهله فقال :

وشجو لنفسيَ لم أنسه بمعركة الطف فالمجنب
كأن خدودهم الواضحا ت بين المجرُّ إلى المسحب
صفائح بيض جلتها القيو ن[5] مما تخيرن من يثرب

وله قصائد الهاشميات خمسمائة وبضعة وسبعون بيتًا يذكر فيها الحسين عليه السلام، وقتله، ولم يجسر أحد من شعراء الشيعة يرثيه خيفة من بني أمية

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٧، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٢٢ رقم الحديث ٢٨٦٦.

(٢) المقطع. لسان العرب ١/ ٧٣٦.

(٣) عرنين الأنف: تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم يقال هم شم العرانين، لسان العرب ١٣/ ٢٨٢.

(٤) القصائد الهاشميات ص٤٢.

(٥) القيون: جمع قين وهو الحداد الصانع، لسان العرب ١٣/ ٣٥٠.

إلا الكميت، وأبو ذهيل وهب الجمحي، وكثيِّر بن كثير السهمي، ولأبي طالب محمد بن عبدالله الجعفري :

لي نفس تحبُّ في الله والـلــــ ـــه حــســـــينًا ولا تحبُّ يزيدا

يا ابن أكّـــالة الكبـــود لقـــد انـ ضجت من لابسي الكساء الكبودا

أي هول ركبت عذّبكَ الرحـــ ـمن في ناره عـــذابًا شـــديدًا

لهف نفسي على يزيد وأشيا ع يزيد ضلوا ضـــلالاً بعـــيـــدا

يا أبا عبدالله يا بن رسوب الـ ـله يا أكـــرم البـــرية عـــودا

ليتني كنت يوم كنت فـأمـسي فيك في كـربلا قـتيلاً شـهيـدا

ولمنصور بن سلمة بن الزبرقان النمري :

شـــآء من الناس راتع هامل يعـلـلـون الـناس بـالـبـــــاطل

تـقـــــتـل ذريّة النبي ويـر جـون دخــول الجنان للقـــاتل

ويلك يا قـــاتل الحسين لقـــد بؤت[1] بحـــمل يميل بالحـــامل

أيُّ حِباء[2] حبوت أحمد في حـــفـرته من حـرارة الثـــاكل

بأي وجـــه تلقى النبي وقـــد دخلت في قـــتله مع القـــاتل

تعال فاطلب غداً شفاعته أولا فَـــرِدْ حـــوضــــه مع الناهل

ما الشك عندي في حال قاتله ولا أراني أشك في الخـــــاذل

نفسي فدآء الحسين حين غدا إلى المنايا غُـــــدوّ لا قـــافل

ذلك يوم أنحى بشـــفـــرته على سنام الإســـلام والكاهل

يا عـاذلي إنني أحب بني أحـ ـمدفـــالتـــرب في فم العـــاذل

كم مـيِّت منهـمـو بغـصـتـه مـغـتـرب القـبـر بالعـرا نازل

---

(١) في الأصل : قمت ، والمعنى الصحيح ما ذكرناه.

(٢) الحباء : العطاء. المختار ص١٢١ .

مـا انتـحـبت حـوله قـرابتـه عند مـقـاسـاة يومـه البـاسل

أذكــرتـنّهمْ ومَنْ أصَــابَهـمُ فـيـمنع الصلبُ سلوة الذاهل

مظلـومــة والنبي والدهـا تدير أرجـآء مـقلة حـافل

ألا مـصاليت يغضـبـون لهـا بسلّة البـيض والقنا الذابل

قـد ذقتُ مـا أنتم عليـه فـمـا رجـعتُ من دينكم إلى طائل

من دينكم جـفـوة النبي ومـا الـ ـجـافي لآل النبي كـالواصل

وقال الشريف الرضي محمد بن الحسين الحسيني ﷺ :

ولقد حبست على الديار عصابة مـضـمـومـة الأيدي إلى أكـبـادها

حسرى تجاذب[1] بالبكآء عيونها وتعط[2] بالزفـرات من أبرادها

وقـفـوا بهـا حتى كـأن مطيـهم كـانت قـوائمـهن من أوتادها

هل تطلبـون من النواظر بعدكم شيئًا سـوى عـبـراتهـا وسـهـادها

شَغَلَ العـيونَ عن البكاء بكاؤنا لبكـآء فـاطمـة على أولادها

أترى درت أن الحـسين طريدة لـقـنـا بنـي الـطـرداء عـند ولادهـا

كـانت مـآتم بالعـراق تعـدُّها أمـويةٌ بالشـام من أعـيـادها

ما راقبت غضب النبي وقد غدا زرع النبي مظنّة لحـصـادها

جعلت رسول الله من خصمائها فلبئس مـا ذخـرت ليـوم مـعـادها

نسل النبي على صعاب مطيها ودم النبي على رؤس صـعـادها

وا لهـفـتـاه لعـصـبـة علويّة تبـعت أمـيـة بعـد عـز قـيـادها

---

(١) في (أ) : جادت .

(٢) أي تشق . تاج العروس ١٠/٣٣٨ .

جعلت عران[1] الذل في آنافها | وعلاط[2] وَسْمِ الضيم في أجيادها[3]
استأثرت بالأمر من غُيّابها | وقضت بما شاءت على شُهادها
طلبت تراث الجاهلية عندها | وشفت قديم الغل من أحقادها
زعمت بأن الدين سوّغ قتلها | أوليس هذا الدين عن أجدادها
الله سابقكم إلى أرواحها | وكسبتم الآثام في أجسادها
أخَذَتْ بأطراف الفخار فعاذرٌ | أن يصبح الثقلان من حُسادها
تروي مناقب فضلها أعداؤُها | أبداً وتسنده إلى أضدادها
قف بي ولو لَوْثُ الإزار وإنما | هي مهجة عَلِقَ الهوى[4] بفؤادها
القفر من أوراقها والطير من | طُرّاقها والوحش من عُوّادها
يا عترة الله اغضبي لنبيه | وتزحزحي بالبيض عن أغمادها
بالطف حيث غدا مُراق دمائها | ومناخ أينقها ليوم جلادها
هذا المقال وما بلغت وإنما | هي حَلْبَةٌ خلعوا عذار جوادها
أأقول جادكم الربيع وأنتمُ | في كل منزلة ربيع بلادها
أغنى ضياء الشمس عن أوصافها | بضيائها وحلالها وبعادها

❖ ❖ ❖

---

(١) عود يجعل في أنف البعير.

(٢) حبل يجعل في عنق البعير.

(٣) من هنا سقط في المخطوطة (أ).

(٤) في نسخة: الجوى.

الحسنُ بن الحسن الرضى عليه السلام[1]

هو أبو محمد الحسنْ بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه: خولة بنت منظور بن سيَّار الفزاري، وكان عبدالله بن الزبير عقد للحسن عليه السلام بأمه خولة دون استئمار منظور بن سيَّار[2]؛ لأنه كان أعرابيًا جافيًا ما كمل إسلامه؛ لأنه نكح امرأة أبيه في الإسلام فهمَّ عمر بضرب عنقه، فأقسم ما علم بتحريم ذلك في دين الإسلام؛ فدرأ عنه عمر الحد من القتل، ولما أنكحها ابن الزبير نادى منظور فركز رايته بين فزارة فلم يبق قيسي إلا دخل تحتها، وقال: أمثلي يفتأت[3] عليه في ابنته؟ فردها له الحسن عليه السلام وساربها، فقالت له ابنته: ويلك: الحسن بن علي عليهما السلام، وابن رسول الله صلى الله عليه وآله مثله يُرد؟ فندم ووقف وقال: إن كان له رغبة فهو يلحقنا، فلحقه عليه السلام وردها، وأولَدَت له الحسن عليه السلام[4].

وكان عليه السلام مشهوراً فضله، ظاهرًا نبله، يحكي في أفعاله مناسبُه العالية، وكانت له مواقف عظيمة بين يدي عمّه الحسين بن علي عليهما السلام في كربلاء، وكان فارسًا وله يومئذ عشرون سنة، وَقَتَلَ تسعة عشر من جنود الضلال، وأصابته ثماني عشرة جراحة حتى ارتثَّ ووقع في وسط القتلى، فحمله خاله أسامة بن خارجة الفزاري ورده إلى الكوفة وداوى جراحه وبقي عنده ثلاثة أشهر

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٣١٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٣، نسب قريش لمصعب ٤٦، وتاريخ البخاري ٢/ ٢٨٩، والمعارف ٢١٢، والأعلام ٢/ ١٨٧، والجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول ٥، وتهذيب ابن عساكر ٤/ ١٦٥، وتاريخ الإسلام ٣/ ٣٥٦، والعبر ١/ ١٩٦، والبداية والنهاية ٩/ ١٧٠، والتحف شرح الزلف ٦٢.

(٢) الخبر أورده ابن عساكر في تاريخه ٤/ ١٦٦ نقلاً عن خليفة ابن خياط.

(٣) فتأت برأيه: استبد. القاموس ص٢٠٠.

(٤) أنظر المصابيح ٣٨٣.

حتى عوفي وسلم وانصرف إلى المدينة[1].

وكان السبب في قيامه وبيعته أن عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، ولاَّه الحجاج سجستان، فسار إليه في جيش عظيم حتى اجتمع له ثلاثون ألفًا، فخلع عبدالملك والحجاج، وهمَّ أن يدعو لنفسه، فقال له من معه من علمآء الكوفة والبصرة: هذا أمر لا يلتئم إلا برجل من قريش، فراسلوا علي ابن الحسين زين العابدين، والحسن بن الحسن، فأما علي بن الحسين فامتنع، وأما الحسن بن الحسن فقال: ما بي رغبة عن القيام بأمر الله، ولا زهد في إحيآء دين الله، ولكن لا وفآء لكم تبايعوني ثم تخذلوني، فلم يزالوا به حتى أجابهم، وورد عليه كتاب عبدالرحمن بن محمد بن [الأشعث والذين معه بالبيعة وأيمانهم المغلظة، وأنهم لا يخالفونه، فبايعهم، وخرج إليه منهم عبدالرحمن][2] بن أبي ليلى، وأبو البحتري الطائي، والشعبي، وأبو وائل وشقيق، وعاصم بن ضمرة السلولي، ومن أهل البصرة محمد بن سيرين، وعبدالله بن الشخير، والحسن البصري، وحارثة بن مضرب، وحريش[3] بن قدامة، ولقبوا الحسن بن الحسن بالرضى[4].

وفي بيعته عليه السلام يقول بعضهم:

أبلغ أبا ذُبَّانَ مخلوع الرَّسَن[5] أن قد مضت بيعتنا لابن الحسن

إبن الرسول المصطفى والمؤتمن من خير فتيان قريش ويمن

والحجة القائم في هذا الزمن[6]

---

(1) المصابيح ٣٧٩.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط في (ب).

(3) من هنا انتهى السقط في (أ).

(4) المصابيح ٣٨٠.

(5) الرسن: ما كان من الأزمة على الأنف. لسان العرب ١٣/١٠٨.

(6) المصابيح ٣٨٢.

ثم خرج عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث حتى وافى فارس، وجمع الناس من العرب والعجم والموالي حتى اجتمع إليه مائة ألف، ووافى البصرة، واستقبله الحجاج بن يوسف، واشتد القتال بينهم ثلاث سنين، حتى كان بينهم سبعون وقعة أو خمس وسبعون، كل ذلك على الحجاج سوى وقعتين، وقتل بينهما خلق كثير، وتقوى أمر ابن الأشعث، ودخل الكوفة فاجتمع إليه حمزة بن المغيرة بن شعبة، وقدامة الضبي وابن مصقلة الشيباني في جماعة الفقهاء والقرآء، فقالوا له: أظهر اسم الرجل، فقد بايعناه ورضينا به إمامًا ورضًى، فلما كان يوم الجمعة خطب له عليه السلام، حتى إذا كان يوم الجمعة الثانية أُسقط اسمه من الخطبة[1]. قال: وقدم الحجاج بن يوسف، وكانت حرب الجماجم الملحمة الكبرى التي انهزم فيها ابن الأشعث، ومضى في جماعة أصحابه فثبت عبدالله بن العباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان على خيل ابن الأشعث داعية للحسن ابن الحسن عليهما السلام، وهو حديث السن فقاتل الحجاج حتى هُزِم، ولحق بابن الأشعث بفارس، ثم مضيا جميعًا إلى سجستان، وتوارى الحسن بن الحسن عليهما السلام بأرض الحجاز وتهامة، حتى مات عبد الملك بن مروان[2].

وروى السيد أبو الحسين* يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين ابن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في كتاب نسب آل أبي طالب، بإسناده عن الفضل بن مروان، قال: سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل يغلو فيه: ويحكم أحبونا؛ فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا، فإن الله لو كان نافعًا أحدًا بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله بغير طاعة

(١) انظر المصابيح ٣٨١ .

(٢) المصابيح ٣٨٢ .

* ولد سنة ٢١٤هـ، أول من صنف في أنساب الطالبيين، وله أخبار مكة والمسائل إلى القاسم بن إبراهيم، توفي ٢٧٧هـ. ينظر الأعلام ٨/ ١٤١

لنفع بذلك أباه وأمه، فقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون، ونحن نرضى به منكم.

وكان عليه السلام يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوقاف أمير المؤمنين عليه السلام، فلما مات وليها ابنه عبدالله بن الحسن حتى حازها أبو جعفر المنصور لما حبسه.

وروى السيد رحمه الله أن الحجاج بن يوسف قال له يومًا، وهو يسايره في موكبه بالمدينة -وحجاج يومئذ أميرها: أدخلْ عمَّك عمر بن علي معك في صدقة علي، فإنه عمك وبقية أهلك، قال: لا أُغَيِّر شرط علي، ولاأُدْخل فيها من لم يُدخل، قال: إذاً أدخله معك، فنكص عنه الحسن حين غفل الحجاج، ثم كان وجهه إلى عبدالملك حتى قدم عليه فوقف ببابه يطلب الإذن، فمرَّ به يحيى بن الحكم، فلما رآه عدل إليه وسلم عليه، وسأل عن مقدمه فأخبره، فقال له يحيى: إني سأنفعك عند عبدالملك، فدخل الحسن بن الحسن عليه السلام على عبدالملك فرحب به وأحسن مسألته، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب، فقال له عبدالملك: لقد أسرع إليك الشيب، فقال له يحيى: وما يمنعه يا أمير المؤمنين شيَّبه أماني أهل العراق، كل عام يقدم عليه منه ركب يمنونه الخلافة، فأقبل عليه الحسن بن الحسن عليه السلام: بئس والله الرفد رفدت، وليس كما ذكرت، ولكنا أهل بيت يسرع إلينا الشيب - وعبدالملك يسمع، فأقبل إليه عبدالملك فقال: هَلُمَّ ما قدمت له، فأخبره بقول الحجاج، فقال: ليس له ذلك، اكتب إليه كتابًا لا يجاوزه. ووصله وكتب له[1].

فلما خرج من عنده لقي يحيى بن الحكم وعاتبه على سوء محضره، وقال: ما هذا الذي وعدتني؟، فقال له يحيى: إيهًا عنك والله لا يزال يهابك، ولولا هيبته إياك ما قضى لك حاجة، وما ألَوْتك رِفدًا أي: ما قصَّرت في معاونتك[2].

---

(١) المصابيح ٣٨٤.

(٢) المصابيح ٣٨٤.

ذكر وفاته عليه السلام ومبلغ عمره وموضع قبره

لما ولي الوليد بن عبد الملك اشتد طلبه للحسن بن الحسن عليهما السلام حتى دَسّ إليه من سقاه السم فمات وحُمِلَ إلى المدينة ميتًا على أعناق الرجال، وتوفي وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل: سبع وثلاثين، ودفن عليه السلام بالبقيع. وفي الرواية أن امرأته فاطمة بنت الحسين عليهم السلام ضربت فسطاطًا على قبره، وأقامت سنة، وكانت تقوم الليل، وتصوم النهار، وكانت تُشَبَّه بالحور العين من جمالها، فلما كان رأس السنة قوّضت الفسطاط وقالت لمواليها: اذهبوا حتى يظلم الليل قليلاً، فلما أظلم سمعت صوتًا بالبقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟[1]، فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا[2].

روى ذلك السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني، وفي رواية أخرى: أنها لما قوّضت الفسطاط تمثلت بقول الشاعر:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملا فقد اعتذر

ذكر أولاده عليه السلام

محمد، وبه كان يُكَنّى، وأمه: رملة بنت سعيد بن عمرو بن نفيل، **وعبدالله، وإبراهيم، وحسن، وزينب، وأم كلثوم**، وهؤلاء أمهم: فاطمة بنت الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام، وفي الرواية أن الحسن بن الحسن لما خطب إلى عمه الحسين، وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسين: اختر أحبهما إليك؟ فاستحيى من عمه الحسين عليه السلام ولم يُحر جوابًا، فقال له الحسين عليه السلام: قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبهًا بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فزوّجه إياها[3].

---

(١) في (ج): ما طلبوا.

(٢) المصابيح ٣٨٢.

(٣) المصابيح ٣٨٢.

وكـــان يقــال : إنَّ امـرأة ســكينة من ذولتـهـا[1] لمنقـطعـة الحـسن ، ذكـر ذلك السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني ، وروى بإسناده قال : جآء [منظور بن ريان ابن سيـار ، ويقـال : أبو منظور][2] إلى الحـسن بن الحـسن ، فـقـال : لعلك أحدثت أهلاً ؟ قال : نعم . تزوجت بنت عمي الحسين بن علي ، فقال : بئس ما صنعت ، أما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت ؟ كـان ينبغي لك أن تتزوج في العرب ، قال : فإن الله قد رزقني منها ولداً ، قـال : فأرنيه ؟ قال : فـأخرج إليه عبدالله بن الحسن ، فَسُرَّ به وفرح ، وقال : أنجبت والله ! هذا الليثُ عاديٌ ومعدوٌ عليه ، قال : فإن الله قد رزقني منها ولداً آخر ، قال : فأرنيه ؟ فأخرج إليه الحسن بن الحسن ، فسرَّ به وقال : أنجبت والله وهو دون الأول ، قال : فإن الله قد رزقني منها ثالثًا ، قال : فأرنيه ؟فأراه إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، فقال لا تعد إليها بعد هذا .

ومـن أولاده ﷺ : **جعفر ، وداود ، وفاطمة ، ومُلَيكة ، وأم القاسم** ، أمهم : أم ولد .



(١) في العبارة غموض وقد جاء في أعيان الشيعة ٥/ ٤٤ (يقولون : إن امرأة سكينة مردودتها لمنقطعة القرين في الجمال . . .) والرواية الثانية بسنده(وكان يقال : إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين في الحسن) .

(٢)ما بين الحاصرتين ساقط في (أ) .

الإمام زيد بن علي عليهما السلام[1]

هو : زيد بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد سيد شباب أهل الجنة بن سيد العرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، ودون نسبه فلق الصباح الأنور ، بل شعاع الشمس والقمر ، آباؤه سادةٌ كلهم بنص الرسول ﷺ.

أما أبوه: علي بن الحسين عليهما السلام ، ، فروينا فيه عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ليقم سيد العابدين ، فيقوم علي بن الحسين»[2].

وأما جده الحسين فهو سيد شباب أهل الجنة ، كما ورد به الأثر عن سيد البشر ﷺ.

وأما علي بن أبي طالب عليه السلام ، فهو سيد العرب ؛ لما روينا عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له : يا سيد العرب ، فقال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب»[3]. وهذا هو النسب العالي ، والجوهر الفائق الغالي ، ولبعضهم :

آمُلُ أن يُعطِيَني ربِّيَ أقصى أملي ... بحب زيد بن عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ علي

وأمه : أم ولد اسمها : (جيدا) ، شراها المختار بن أبي عبيد بثلاثين ألف

---

(١) الإفادة ٤٥ ، ومقاتل الطالبين ١٢٧ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٥٧٢ ، وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٩ ، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١/ ٣٥١ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٨١ ، والبداية والنهاية ٩/ ٣٢٩ ، مروج الذهب ٢/ ١٢٩ ، والامام زيد لأبي زهرة ، والأعلام ٣/ ٥٩ ، وتاريخ الكوفة ٣٢٧ ، والجرح والتعديل ٣/ ٥٦٨ ، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٤ ، وشذرات الذهب ١/ ١٥٨ ، وطبقات الزيدية (خ) ، والشافي ١/ ١٨٨ ، وكتاب الفتوح ٨/ ١١٠ .

(٢) أخرجه في شمس الأخبار ١/ ١١٨ .

(٣) الحاكم ٣/ ١٢٤ ، والطبراني في الأوسط ٢/ ١٢٧ رقم ١٤٦٨ ، وكنز العمال ١٣/ ١٤٣ رقم ٣٦٤٤٨ بأكثر من رواية .

درهم، فقال: ما أرى أحداً أحق بك من علي بن الحسين عليهما السلام، فبعث بها إليه، فلما وصلت إليه عرضها على بعض ولده، وكان إذا ترعرع أحدٌ منهم شرى لهم الجواري، فلما أحسّت بذلك قالت : أريد الشيخ، فاستخلصها عليه السلام لنفسه . وفي الرواية عنه عليه السلام أنه أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلتي هذه فأخذ بيدي فأدخلني الجنة فزوجني حوراء فواقعتها فعلقت، فصاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي: سَمِّ المولود منها زيداً، فما قمنا حتى أرسل المختار بأم زيد شراؤها ثلاثون ألفاً.

وروي أن علي بن الحسين عليهما السلام كان إذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس، فجآؤوه يوم ولد زيد، فَبُشِّر به بعد صلاة الفجر، قال : فالتفتَ إلى أصحابه، فقال: أي شيء ترون أن أسميّ هذا المولود ؟ قال : فقال كلٌ منهم: سَمِّه كذا، سمه كذا، فقال : يا غلام عليَّ بالمصحف، قال: فجآؤوا بالمصحف فوضعه في حجره، ثم فتحه فنظر إلى أول حرف في الورقه، فإذا فيه ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٥]، ثم أطبقه، ثم فتحه ثانية فنظر في أول الورقة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾[التوبة:١١١] قال: هو والله زيدٌ فسُمِّيَ : زيداً. . . وكانت ولادته عليه السلام سنة خمس وسبعين.

صفته عليه السلام :

قال السيد أبو طالب[1] : كان عليه السلام أبيضَ اللون، أعْيَنَ، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كثّ اللحية، عريض الصدر، أقنى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلاَّ أن الشيب خالطه في عارضيه .

---

(١) الإفادة ٤٥ .

وكان يُشبَّه بأمير المؤمنين عليه السلام في الفصاحة والبلاغة والبراعة، ويعرف في المدينة بحليف القرآن. قال خالد بن صفوان: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي عليهما السلام، لقد شهدته عند هشام بن عبد الملك وهو يخاطبه، وقد تضايق به مجلسه.

وروينا عن بعض أصحاب زيد بن علي قال: كنت إذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه. ووصفه بعضهم فقال: كان وسيمًا جميلاً أديبًا، وكان قد أثَّر السجود في جبينه.

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

نشأ عليه السلام على العلم والعبادة والفضل والزهادة، وكان يعرف بالمدينة بحليف القرآن، وكان يسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه.

وقد وردت فيه آثار كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله. فمن ذلك ما رويناه بالإسناد الموثوق به إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: لما أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين بن علي وصلب ابنه زيد بن علي عليهم السلام، قلت: يا رسول الله، أترضى أن يقتل ولدك؟ قال: يا علي أرضى بحكم الله فيَّ وفي ولدي، ولي دعوتان: أما دعوةٌ فاليوم، وأما الثانية فإذا عرضوا على الله عز وجل وعرضت عليَّ أعمالهم، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: يا علي أمِّن على دعائي: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بَدَدًا، وسلط بعضهم على بعض، وامنعهم الشرب من حوضي ومرافقتي، قال: فأتاني جبريل عليه السلام وأنا أدعو عليهم وأنت تؤمِّن، فقال: «قد أجيبت دعوتكما».

وبالإسناد إلى يحيى بن ميمون يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: «يصلب رجل من أهل بيتي بالكوفة عريان، لا ينظر أحدٌ إلى عورته متعمدًا إلا أعماه الله عز وجل يوم القيامة»[1].

---

(١) بلفظ مقارب في مسند شمس الأخبار ١/ ١١٨، ومقاتل الطالبين ١٣٠.

وبالإسناد إلى أبي ذر الغفاري قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو يبكي فبكيت لبكائه، فقلت: فداك أبي وأمي قد قطعت أنياط قلبي ببكائك، قال: لا قطع الله أنياط قلبك، يا أبا ذر، إن ابني الحسين يولد له ابن يُسمى عليًا، أخبرني حبيبي جبريل عليه السلام أنه يعرف في السمآء بأنه سيد العابدين، وأنه يولد له ابنٌ يقال له: زيدٌ، وأن شيعة زيد هم فرسان الله في الأرض، وأن فرسان الله في السمآء هم الملائكة، وأن الخلق يوم القيامة يحاسبون، وأن شيعة زيد في أرض بيضاء كالفضة أو كلون الفضة يأكلون ويشربون ويتمتعون، ويقول بعضهم لبعض: امضوا إلى مولاكم أمير المؤمنين حتى ننظر إليه كيف يسقي شيعته، قال: فيركبون على نجائب من الياقوت والزبرجد مكللة بالجوهر، أزمتها اللؤلؤ الرطب، رحالها من السندس والإستبرق، قال: فبينما هم يركبون إذ يقول بعضهم لبعض: والله إنا لنرى أقوامًا ما كانوا معنا في المعركة، قال: فيسمع زيد عليه السلام فيقول: والله لقد شارككم هؤلآء في ما كنتم من الدنيا، كما شارك أقوامٌ أتوا من بعد وقعة صفين، وإنهم لإخوانكم اليوم وشركاؤكم.

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ أنه قال: «خير الأولين والآخرين المقتول في الله، المصلوب في أمتي (المظلوم من أهل بيتي سَمي هذا، ثم ضم زيد بن حارثة إليه، ثم قال: يا زيد لقد زادك اسمك عندي حبًا، سمي الحبيب من أهل بيتي»)[1].

وروينا عنه ﷺ أنه قال: «يقتل رجل من ولدي يُدعى: زيد بموضع يعرف بالكناسة، يدعو إلى الحق يتبعه كل مؤمن»[2].

---

(١) رواه ابن عساكر ج١٩ص٤٥٨، وشمس الأخبار ١/ ١١٩، وروى معناه في مقاتل الطالبيين ١٣١، وكنز العمال ١٣/ ٣٩٧ رقم ٣٧٠٦٨.

(٢) شمس الأخبار ١/ ١٢٠، ومقاتل الطالبين ١٣١.

وروينا عن حيّة العرني قال : كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام أنا والأصبغ بن نباتة في الكناسة في موضع الجزارين والمسجد والحناطين، وهي يومئذ صحراء فما زال يلتفت إلى ذلك الموضع، ويبكي بكاءً شديداً، ويقول : بأبي وأمي، فقال الأصبغ : يا أمير المؤمنين لقد بكيتَ والتَفَتَّ حتى بكت قلوبنا وأعيننا، والتفتُّ فلم أر أحداً، قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنه يولد لي مولودٌ، ما ولد أبوه بعد يلقى الله غضباناً وراضياً له على الحق حقًّا على دين جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليهم، وأنه يُمثل به في هذا الموضع مثالاً ما مثل بأحد قبله، ولا يمثَّل بأحد بعده صلوات الله على روحه، وعلى الأرواح التي تتوفى معه»[1].

وروينا عن ابن عباس قال : بينما علي عليه السلام بين أصحابه، إذ بكى بكاءً شديداً حتى لثقت[2] لحيته، فقال له الحسن عليه السلام : يا أبت ما لك تبكي ؟ قال : يا بني لأمور خفيت عنك أنبأني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال : وما أنبأك به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : يا بني لولا أنك سألتني ما أخبرتك؛ لئلا تحزن ويطول همّك، أنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثًا طويلاً قال فيه : يا علي كيف أنت إذا وليها الأحول الذميم، الكافر اللئيم، فيخرج عليه خير أهل الأرض من طولها والعرض، قلت : يا رسول الله من هو ؟ قال : يا علي رجل أيده الله بالإيمان، وألبسه الله قميص البر والإحسان، فيخرج في عصابة يدعون إلى الرحمن، أعوانه من خير أعوان، فيقتله الأحول ذو الشنآن، ثم يصلبه على جذع رمان، ثم يحرقه بالنيران، ثم يضربه بالعسبان حتى يكون رماداً كرماد النيران، ثم تصير إلى الله عز وجل روحه وأوراح شيعته إلى الجنان[3].

---

(١) مسند شمس الأخبار ١٢٠.

(٢) معناها اللثق : البَلَلُ، اللسان ١٠/٣٢٦.

(٣) مسند شمس الأخبار ١/ ١٢٠.

وروينا بالإسناد إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام : أن عليًا أمير المؤمنين صلوات الله عليه خطب خطبة على منبر الكوفة ، فذكر أشياء وفتنا حتى ذكر أنه قال : ثم يملك هشام تسعة عشر سنة ، وتواريه أرض رصافة رصفت عليه النار ، مالي ولهشام جبار عنيد ، قاتل ولدي الطيّب المطيّب ، لا تأخذه رأفة ولا رحمة ، يصلب ولدي بالكناسة من الكوفة ، زيد في الذروة الكبرى من الدرجات العلى ، فإن يُقتل زيد فعلى سنة أبيه .

ثم الوليد فرعون خبيث شقي غير سعيد ، ياله من مخلوع قتيل ، فاسقها وليد ، وكافرها يزيد ، وطاغوتها أزيرق ، متقدمها ابن آكلة الأكباد ، ذَرْهُ يأكل ويتمتع ويلهه الأمل ، فسوف يعلم غدًا من الكذاب الأشر .

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : يخرج مني بظهر الكوفة رجل يقال له : زيد في أبهة سلطان ، والأبهة : الملك ، لم يسبقه الأولون ، ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل ما عمله ، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير[1] ، ثم يخطوا أعناق الخلائق قال : فتلقاهم الملآئكة فيقولون : هؤلاء خلف الخلف ، ودعاة الحق ، ويستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول : قد عملتم بما أُمرتم ، ادخلوا الجنة بغير حساب[2] .

وروينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : الشهيد من ذريتي والقائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان ، إمام المجاهدين ، وقائد الغر المحجلين ، يأتي يوم القيامة هو وأصحابه تتلقاهم الملآئكة المقربون ، ينادونهم : ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون .

وروينا عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أُريت في منامي رجلاً من أهل بيتي دعا إلى الله وعمل صالحًا ، غيّر المنكر وأنكر الجور ،

---

(١) الطوامير : الصحائف . القاموس ٥٥٤ .

(٢) مقاتل الطالبين ١٣١ ، ومسند شمس الأخبار ٢/ ١٢١ .

فقُتل فعلى قاتله لعنة الله »وفي خبر آخر: «فعلى صالبه لعنة الله»[1].

وروينا عن أبي غسان الأزدى قال : قدم علينا زيد بن علي إلى الشام أيام هشام بن عبدالملك ، فما رأيت رجلاً كان أعلم بكتاب الله منه ، ولقد حبسه هشام خمسة أشهر يقص علينا ونحن معه في الحبس بتفسير الحمد وسورة البقرة يهذو ذلك هذًا ، وذكر الكتاب قال فيه : واعلموا رحمكم الله أن القرآن والعمل به يهدي للتي هي أقوم ؛ لأن الله شرفه وكرمه ورفعه وعظمه وسمَّاه : روحاً ، ورحمةً ، وهدىً ، وشفاءً ، ونوراً ، وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين ، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ، وجعله متلواً لا يُمل ، ومسموعًالا تمجه الأذان ، وغضًا لا يخلق عن كثرة الرد ، وعجيبًا لا تنقضي عجائبه ، ومفيدًا لا تنفد فوائده ، والقرآن على أربعة أوجه : حلال وحرام لا يسع الناس جهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وعربيةٌ يعرفها العرب ، وتأويل لا يعلمه إلا الله ، وهو ما يكون مما لم يكن .

واعلموا رحمكم الله أن للقرآن : ظهراً ، وبطنًا ، وحداً ، ومطلعًا ، فظهره : تنزيله ، وبطنه : تأويله ، وحده : فرائضه وأحكامه ، ومطلعه : ثوابه وعقابه .

وروينا بالإسناد الموثوق به أيضًا أن زيد بن علي عليهما السلام سأل محمد ابن علي الباقر عليهما السلام كتابًا كان لأبيه قال : فقال له محمد بن علي : نعم ، ثم نسي فلم يبعث به إليه فمكث سنة ثم ذكر ، فلقي زيداً فقال : أي أخي ألم تسأل كتاب أبيك؟ قال : بلى ، قال : والله ما منعني أن أبعث به إلا النسيان . قال : فقال له زيد : قد استغنيت عنه ، قال : تستغني عن كتاب أبيك؟ قال : نعم ، استغنيت عنه بكتاب الله ، قال : فأسلك عمَّا فيه؟ قال له زيد : نعم ، قال : فبعث محمد إلى الكتاب ثم أقبل يسأله عن حرف حرف ، وأقبل زيد يجيبه حتى فرغ من آخر الكتاب ، فقال له محمد : والله ما حُرمتَ منه حرفًا واحداً .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٩/ ٤٨٠ .

وروينا عن بشر بن عبدالله[1] قال: صحبت علي بن الحسين، وأبا جعفر، وزيد بن علي، وعبدالله بن الحسن، وجعفر بن محمد، فما رأيت منهم أحداً كان أحضر جوابًا من زيد بن علي عليهما السلام. وروينا عن سعيد بن خثيم قال: كان زيد بن علي عليهما السلام إذا كلَّمه الرجل أو ناظره، لم يعجله عن كلامه حتى يأتي على آخره، ثم يرجع عليه فيجيبه عن كلمة كلمة حتى يستوفي عليه الحجة.

وروينا عن أبي السدير قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فأصبنا منه خلوة، فقلنا اليوم نسأله عن حوائجنا كما نريد، فبينا نحن كذلك إذ دخل زيد بن علي عليهما السلام، وقد لثقت عليه ثيابه، فقال له أبو جعفر بنفسي أنت، ادخل فأفضْ عليك من المآء ثم اخرج إلينا، قال: فخرج إلينا متفضلاً، فأقبل أبو جعفر يسأله، وأقبل زيد يخبره بما يحتج عليه والذي يحتج به، قال: فنظروا إلى وجه أبي جعفر يتهلل، قال: ثم التفت إلينا أبو جعفر فقال: يا أبا السدير هذا والله سيد بني هاشم، إن دعاكم فأجيبوه، وإن استنصركم فانصروه.

وبالإسناد الموثوق به إلى أبي الجارود أن زيد بن علي عليهما السلام خطب أصحابه حين ظهر فقال: الحمدلله الذي منَّ علينا بالبصيرة، وجعل لنا قلوبًا عاقلة، وأسماعًا واعية، وقد أفلح من جعل الخير شعاره، والحق دثاره، وصلى الله على خير خلقه الذي جآء بالصدق من عند ربه وصدق به، الصادق محمد ﷺ، وعلى الطاهرين من عترته وأسرته، والمنتجبين من أهل بيته وأهل ولايته. أيها الناس: العجل العجل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، فورآءكم طالبٌ لا يفوته هارب، إلا هارب هرب منه إليه، ففروا إلى الله بطاعته، واستجيروا بثوابه من عقابه، فقد أسمعكم وبصَّركم، ودعاكم إليه وأنذركم، وأنتم اليوم حجة

---

(١) في (أ): وروينا بالإسناد إلى.

على من بعدكم، إن الله تعالى يقول: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

عباد الله إنَّا ندعوكم إلى كلمة سوآء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، إن الله دمر قومًا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

عباد الله كأنَّ الدنيا إذا انقطعت وتقضَّت لم تكن، وكأنَّ ما هو كآئنٌ قد نزل، وكأنَّ ما هو زائل عنَّا قد رحل، فسارعوا في الخير، واكتسبوا المعروف تكونوا من الله بسبيل؛ فإنه من سارع في الشر، واكتسب المنكر ليس من الله في شيء، أنا اليوم أتكلَّم وتسمعون ولا تبصرون، وغدًا بين أظهركم هامةٌ فتندمون، ولكن الله ينصرني إذا ردَّني إليه، وهو الحاكم بيننا وبين قومنا بالحق، فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفرقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا، وأناب إلى سبيلنا، وجاهد بنفسه نفسه، ومن يليه من أهل الباطل ودعائم النفاق، فله مالنا وعليه ما علينا، ومن ردَّ علينا دعوتنا وأبى إجابتنا، واختار الدنيا الزائلة الآفلة على الآخرة الباقية، فالله من أولئك بريء، وهو يحكم بيننا وبينهم.

إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلئن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بالبصرة والشام: لا تتبعوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا بابًا مغلقًا، والله على ما أقول وكيل.

عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزآء يجزي به على حق. إنه من قتل نفسًا يشك في ضلالتها كمن قتل نفسًا بغير حق. عباد الله البصيرةَ البصيرةَ.

قال أبو الجارود فقلت له : يا ابن رسول الله ، يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟ قال : نعم ، إن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا ، فالطمع أرداهم إلا القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا ، ولا لها يسعون ؛ فأولئك مني وأنا منهم .

وروينا بالإسناد عن عمر بن صالح العجلي قال : سمعت زيد بن علي عليهما السلام يقول في خطبته : الحمد لله مذعناً له بالاستكانة ، مقراً له بالوحدانية ، وأتوكل عليه توكُّل من لجأ إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، الأمين على وحيه ، المأمون على خلقه ، المؤدي إليهم ما استرعاه من حقه حتى قبضه إليه ﷺ وآله .

أيها الناس : أوصيكم بتقوى الله ؛ فإن الموصي بتقوى الله لم يدَّخر نصيحة ، ولم يقصر عن إبلاغ عظَة ، فاتقوا الله في الأمر الذي لا يصل إلى الله تعالى إن أطعتموه ، ولا ينتقص من ملكه شيئًا إن عصيتموه ، ولا تستعينوا بنعمته على معصيته ، وأجملوا في طلب مباغي أموركم ، وتفكروا وانظروا .

وروينا عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : كان لعمي زيد بن علي عليهما السلام ابنٌ فتُوفي ، فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه ، فلما قرأ الكتاب قلبه وكتب على ظهره ، أما بعد : فإنا أمواتٌ ، أبناء أموات ، آباء أموات ، فيا عجبًا من ميِّت يعزي ميتاً عن ميت ، والسلام .

وبالإسناد الموثوق به عن بعضهم قال : أخبرني أبو خالد الواسطي ، وأبو حمزة الثمالي قالا : حبَّرنا رسالةً ردّاً على الناس ، ثم إنا خرجنا إلى المدينة ، فدخلنا على محمد بن علي فقلنا له : جُعلنا لك الفدا ، إنَّا حبَّرنا رسالة ردّاً على الناس فانظر إليها قال : فاقرؤها ، قال : فقرأناها ، فقال : لقد أجدتم واجتهدتم ، فهل أقرأتموها زيداً؟ قلنا : لا . قال : فأقرؤُوها زيداً ، وانظروا ما يرد عليكم .

قال فدخلنا على زيد فقلنا له: جُعلنا لك الفدا، رسالةٌ حبرناها ردًّا على الناس جئناك بها، قال: إقرؤها، فقرأناها عليه حتى إذا فرغنا منها، قال: يا أبا حمزة وأنت يا أبا خالد لقد اجتهدتم، ولكنها تكسر عليكم: أما الحرف الأول فالرد فيه كذا، فما زال يرددها حتى فرغ من آخرها حرفًا حرفًا، فوالله ما ندري من أي شيء نعجب من حفظه لها أو من كسرها؟ ثم أعطانا جملةً من الكلام نعرف به الردّ على الناس، قال: :فرجعنا إلى محمد بن علي فأخبرناه ما كان من زيد، قال: يا أبا خالد، وأنت ياأبا حمزة، إن أبي دعا زيداً، فاستقرأه القرآن فقرأ، وسأله عن المعضلات فأجاب، ثم دعا له وقبَّل بين عينيه، ثم قال: يا أبا خالد، وأنت يا أبا حمزة، إن زيداً أُعطي من العلم علينا بسطةً.

وروينا عن خالد بن صفوان اليمامي قال: أتينا زيد بن علي وهو يومئذ بالرصافة؛ رصافة هشام بن عبد الملك، فدخلنا عليه في نفر من أهل الشام وعلمائهم، وجآؤا معهم برجل قد انقاد له أهل الشام في البلاغة والبصر بالحجج، وكلمنا زيد بن علي في الجماعة، وقلنا: إن الله مع الجماعة، وإن أهل الجماعة حجة الله على خلقه، وإن أهل القلة هم أهل البدعة والضلالة.

قال: فحمد الله زيد بن علي وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ، ثم تكلم بكلام ما سمعت قرشيًا ولا عربيًا أبلغ في موعظة، ولا أظهر حجةً، ولا أفصح لهجة منه، قال: ثم أخرج إلينا كتابًا قاله في الجماعة والقلة، ذكره من كتاب الله فلم يذكر كثيراً إلا ذمَّه، ولم يذكر قليلاً إلا مدحه، والقليل في الطاعة هم أهل الجماعة، والكثير في المعصية هم أهل البدع.

قال خالد بن صفوان: فيئس الشامي فما أحْلَى ولا أمَرّ، وسكت الشاميون فما يجيبون بقليلٍ ولا كثير، ثم قاموا من عنده فخرجوا، وقالوا لصاحبهم: فعل الله بك وفعل غررتنا وفعلت وزعمت أنك لا تدع له حجةً إلا كسرتها، فخرست فلم تنطق، فقال لهم: ويلكم كيف أكلم رجلاً إنما حاجني بكتاب الله؟

أفأستطيع أن أردَّ كلام الله ، فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك : ما رأيت في الدنيا رجلاً قرشيًا ولا عربيًا يزيد في العقل والحجج على زيد بن علي عليهما السلام .

وروينا عن عبدالله بن محمد بن الحنفية قال : لو نزل عيسى بن مريم لأخبركم أن زيد بن علي خير من وطيء على عفر التراب ، ولقد علم زيد بن علي القرآن من حيث لم يعلمه أبو جعفر قال قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأن أبا جعفر أخذه من أفواه الرجال ، وإنَّ زيد بن علي أُعطي فهمه .

مناقبه عليه السلام :

أكثر من أن نأتي عليها في مثل هذا الموضع ، ومن شعره عليه السلام قوله :

يقولون زيدًا لا يزكي بماله	وكيف يزكي المال من هو باذله
إذا حال حولٌ لم يكن في ديارنا	من المال إلا رسمه وفضائله

وقال عليه السلام :

السيف يعرف عزمي عند هبّته	والرمح بي خَبِرٌ والله لي وَزَرُ
إنّا لنأمل ما كانت أوائلنا	من قبل تأمله إن ساعد القدر

وله عليه السلام يخاطب ابنه يحيى ويوصيه :

أبُنَيَّ إما أهلكَنّ فلا تكن	دنس الفعال مبيض الأثواب
واحذر مصاحبة اللئيم فإنما	شَيْنُ الكريم فسولة الأصحاب
ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم	وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرّب قاطعاً	وإذا المودة أقرب الأنساب

وله عليه السلام في ندبة أخيه الباقر محمد بن علي عليهم السلام :

يا موت أنت سلبتني إلْفًا	قدَّمته وتركتني خلفًا
واحسرتا لا نلتقي أبدًا	حتى نقوم لربنا صفًّا

ذكر بيعته عليه السلام ومدة ظهوره[1] :

كان أول أمره عليه السلام أن خالد بن عبدالله القسري، ادعى مالاً قِبَلَ زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبدالله بن العباس، وسعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، وأيوب بن سلمة بن عبدالله ابن الوليد بن المغيرة المخزومي، فكتب فيهم يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم عامل هشام على العراق إلى هشام. وزيد بن علي ومحمد بن عمر يومئذ بالرصافة، فلما قدمت كتب يوسف على هشام بعث إليهم فذكر ما كتب به يوسف فانكروا، فقال لهم هشام: فإنا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه، فقال زيد: أنشدك الله وبالرحم أن تبعث بنا إلى يوسف، قال له هشام: وما الذي تخاف من يوسف؟ قال: أخاف أن يتعدّى علينا، فدعا هشام كاتبه، فكتب إلى يوسف أما بعد: فإذا قدم عليك زيد وفلان وفلان فاجمع بينهم وبينه، فإن هم أقرُّوا بما ادّعي عليهم فسرِّح بهم إليَّ، وإن هم أنكروا فاسأله البينة فإن لم يقمها فاستحلفهم بعد صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم وديعة، ولا له قبلَهم شيء، ثم خلِّ سبيلهم، فقالوا لهشام: إنا نخاف أن يتعدّى كتابك، قال: كلا أنا باعث معكم رجلاً من الحرس يأخذه بذلك حتى يفرغ ويعجل، قالوا: جزاك الله عن الرحم خيراً، فسرح بهم إلى يوسف وهو يومئذ بالحيرة فاجتنبوا أيوب بن سلمة لخئولته من هشام ولم يؤخذ بشيء من ذلك، فلما قدموا على يوسف دخلوا عليه فسلموا، فأجلس زيداً قريباً منه وألطفه في المسألة، ثم سألهم عن المال فأنكروا، فأخرجه يوسف إليهم، وقال هذا زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي اللذان ادَّعيت قبلهما ما ادَّعيت قال: ما لي قبَلَهُما قليل ولا كثير، قال له يوسف: أبي كنت تهزأ وبأمير المؤمنين؟ فعذَّبه عذاباً ظن أنه قد قتله، ثم

---

(1) ينظر مقاتل الطالبين ١٣٣ وما بعدها، والإفادة ٤٥-٤٧، والمصابيح ٣٨٩ .

أخرج زيداً وأصحابه بعد صلاة العصر إلى المسجد فاستحلفوا، فكتب يوسف إلى هشام يعلمه بذلك، فكتب إليه هشام خل سبيلهم، فخلّى يوسف سبيلهم[1]، فأقام زيد بعد خروجه من عند يوسف بالكوفة أيامًا، وجعل يوسف يستحثه بالخروج فيعتل عليه بالشغل، وبأشياء يبتاعها، فألح عليه حتى خرج فأتى القادسية.

ثم إن الشيعة التقوا به فقالوا: أين تخرج عنَّا رحمك الله ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بها بني أمية دونك، وليس قِبَلَنا من أهل الشام إلاَّ عدة يسيرة؟ فأبى عليهم، فلم يزالوا يناشدونه حتى رجع بعد أن أعطوه العهود والمواثيق، فقال له محمد بن عمر بن علي: أذكرك الله يا أبا الحسين لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك؛ فإنهم لا يفون لك، أليسوا أصحاب جدك الحسين بن علي؟ قال: أجل، وأبى أن يرجع، وأقبلت الشيعة وغيرهم تختلف إليه يبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان، وأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً، وأرسل دعاته إلى الآفاق والكور يدعون الناس إلى بيعته، وأرسل الفضيل بن الزبير إلى أبي حنيفة، قال فضيل: فأتيته فأبلغته رسالة زيد، فخرس لا يدري ما يرد عليَّ، ثم قال: ويحك ما تقول أنت؟ قلت: لو نصرته فالجهاد معه حق. قال: فمن يأتيه في هذا الباب من فقهاء الناس؟ قلت: سلمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وأبو هاشم الرماني، وحجاج بن دينار وغيرهم، فعرفهم فقال لي: اذهب اليوم فإذا كان الغد فأتني ولا تكلمني بكلمة إلا أن تجيء فتجلس في ناحية، فإني سأقوم معك فإذا قمت فاقفُ أثري، فأتيته من الغد فلما رآني قام فتبعته فقال: اقره مني السلام وقل له أمَّا الخروج معك فلست أقوى عليه. وذكر

---

(1) في (آ): سقطت: فخلّى يوسف سبيلهم.

مرضًا كان به. ولكن لك عندي معونةوقوة على جهاد عدوُك فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح، وبعث بها إلى زيد فقوّى بها أصحابه، ويقال: إنه كان ثلاثين ألف درهم، ويقال: دينار.

قال السيد أبو العباس رحمه الله تعالى وبايعه ابن شبرمة، ومسعرة بن كدام، والأعمش، والحسن بن عمارة، وأبو حصين، وقيس بن الربيع.

وحضر معه من أهله الوقعة: محمد بن عبدالله بن الحسن الحسن (النفس الزكية)، وعبدالله بن علي بن الحسين عليهم السلام، وابنه يحيى بن زيد، والعباس بن ربيعة من بني عبدالمطلب.

ولما دنا خروج زيد بن علي عليهما السلام أمر أصحابه بالاستعداد والتهيئ، فجعل من يريد أن يفي يستعد وشاع ذلك، وانطلق سراقة البارقي إلى يوسف بن عمر فأخبره خبر زيد ﷺ، فبعث يوسف فطلب زيداً ليلاً فلم يوجد عند الرجلين الذي سعى إليه أنه عندهما، فأتى بهما يوسف فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه، وأمر بهما يوسف فضربت أعناقهما، وبلغ الخبر زيداً وأصحابه فتخوَّف أن تؤخذ عليه الطريق؛ فتعجل الخروج قبل الأجل الذي ضرب بينه وبين أهل الأمصار، واستتبَّ لزيد خروجه، وكان قد وعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة، فخرج قبل الأجل، وبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الحكم بن الصلت يأمره أن يجمع أهل الكوفة إلى المسجد الأعظم يحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلوهم المسجد، ثم نادى مناديه: أيما رجل من العرب والموالي أدركناه في رحلة الليلة فقد برئت منه الذمة، إئتوا المسجد الأعظم، فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد، وطلبوا زيدًا في دار معاوية بن إسحاق، فخرج ليلاً، وذلك ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرم في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحاق، فرفعوا الهراديّ فيها النيران، فنادوا بشعارهم شعار رسول الله ﷺ:

(يا منصور أمت)، فما زالوا كذلك حتى أصبحوا، فلما أصبحوا بعث زيدٌ القاسمَ ابن فلان التبعي ورجلاً آخر يناديان بشعارهما، وقال يحيى بن صالح ابن يحيى بن عزيز بن عمر بن مالك بن خزيمة التبعي، وسمى الآخر وذكر أنه صدام، قال سعيد: ولقيني أيضًا وكنت رجلاصيتاً أنادي بشعاره قال ورفع بن الجارود زياد بن المنذر الهمداني هردياً من مئذنتهم ونادى بشعار زيد، فلما كانوا في صحاري عبد القيس لقيهما جعفر بن العباس الكندي فشد عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم وارتث القاسم، فأُتي به الحكم بن الصلت، فكلمه فلم يرد عليه، وضربت عنقه على باب القصر، فكان أول قتيل منهم، وقالت بنته تبكيه:

عين جودي لقاسم بن كثير ... بِدَرور من الدموع غزير

أدركته سيوف قوم لئام ... من أولي الشرك والردى والثبور

سوف أبكيك ما تغنَّى حمامٌ ... فوق غصن من الغصون نضير

وقال يوسف بن عمر وهو بالحيرة: من يأتي الكوفة فيقرب من هؤلآء القوم فيأتينا بخبرهم؟ فقال عبدالله بن عياش المنتوف الهمداني[1]: أنا آتيك بخبرهم، فركب في خمسين فارسًا، ثم أقبل حتى أتى جبانة سالم فاستخبر، ثم رجع إلى يوسف فأخبره، فلما أصبح يوسف خرج إلى تل قريب من الحيرة، فنزل معه قريش وأشراف الناس، وأمير شرطته يومئذ العباس بن سعد المزني.

قال: وبعث الريان بن سلمة البلوي في نحو من ألفي فارس وثلاث مائة من القيقانية رجالة ناشبة، و أصبح زيد بن علي وجميع من وافاه تلك الليلة مائتان وثمانية عشر رجالة، فقال زيد بن علي: سبحان الله! فأين الناس؟ قيل: هم محصورون في المسجد. قال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر. قال: وأقبل نصر ابن خزيمة إلى زيد فتلقاه عمر بن عبدالرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيل من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيمة في الطريق الذي يخرج إلى

---

(١) في (ج): بدون: الهمداني.

مسجد بني عدي، فقال: يا منصور أمت، فلم يرد عليه عُمر شيئًا، فشد نصر عليه وعلى أصحابه فقتله وانهزم من كان معه، وأقبل زيد حتى انتهى إلى جبانة الصائديين وبها خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم زيد في أصحابه فهزمهم، ثم مضى حتى انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام فهزمهم، ثم شلهم حتى ظهر[1] إلى المقبرة ويوسف بن عمر على التل ينظر إلى زيد وأصحابه وهم يكردون الناس ولو شاء زيد أن يقتل يوسف لقتله، ثم إن زيداً أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبدالله حتى دخل الكوفة.

فقال بعض أصحابه لبعض: ألا ننطلق إلى جبانة كندة، قال وما زاد الرجل أن تكلم بهذا إذ طلع أهل الشام عليهم، فلما رأوهم دخلوا زقاقًا ضيقًا، فمضوا فيه وتخلف[2] رجل منهم فدخل المسجد فصلى ركعتين، ثم خرج إليهم فضاربهم بسيفه وجعلوا يضربونه بأسيافهم، ثم نادى رجل منهم فارس مقنع في الحديد: اكشفوا المغفر عن رأسه واضربوا رأسه بالعمود، ففعلوا فقتل الرجل، وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه، واقتطع أهل الشام رجلاً منهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل على عبدالله بن عوف بن الأحمر، فأسروه وذهبوا به إلى يوسف بن عمر فقتله، وأقبل زيد بن علي على نصر، فقال: يا نصر بن خزيمة أتخاف على أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية؟ قال: جعلني الله فداك أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت، ثم خرج بهم زيد بن علي عليهما السلام يقودهم نحو المسجد فخرج إليه عبيدالله بن العباس الكندي في أهل الشام فالتقوا على باب عمر بن سعد، فانهزم عبيدالله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل، وجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب، ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا، وجعل نصر بن خزيمة يناديهم: يا أهل الكوفة اخرجوا

---

(١) في (ج): انتهى.

(٢) في (أ): ودخل.

من الذل إلى العز ، وإلى الدين والدنيا ، قال : وجعل أهل الشام يرمونهم من فوق المسجد بالحجارة ، وكانت يومئذ مناوشة بالكوفة ونواحيها ، وقيل : في جبانة سالم .

وبعث يوسفُ بنُ عمر الريانَ بن سلمة في خيل إلى دار الرزق فقاتلوا زيداً قتالاً شديداً ، وجرح من أهل الشام جرحى كثير ، وشلهم أصحاب زيد من دار الرزق حتى انتهوا إلى المسجد الأعظم ، فرجع أهل الشام مسآء يوم الأربعاء وهم أسوأ شيء ظنًا .

فلما كان غداة يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة فأفَّفَ به فقال له : أف لك من صاحب خيل ، ودعا العباس بن سعد المزني صاحب شرطته فبعثه إلى أهلِ الشام ، فسار بهم حتى انتهوا إلى زيد بن علي عليه السلام في دار الرزق ، وخرج إليه زيد بن علي وعلى ميمنته نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق ، فلما رآهم العباس نادى : يا أهل الشام (الأرض) فنزل ناس كثير واقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة ، وكان من أهل الشام رجل من بني عبس يقال له : نائل بن فروة قال ليوسف : والله لئن ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني ، فقال له يوسف : خذ هذا السيف فدفع إليه سيفًا لا يمر بشيء إلا قطعه ، قال : فلما التقى أصحاب العباس بن سعد وأصحاب زيد أبصر نائلٌ نصرَ بن خزيمة فضربه فقطع فخذه ، وضربه نصر فقتله ، ومات نصر رحمه الله .

ثم إن زيداً عليه السلام هزمهم ، وانصرفوا يومئذ بشر حال ، ولما كان العشي عبَّأهم يوسف ، ثم سرَّحهم نحو زيد ، فأقبلوا حتى التقوا فحمل عليهم زيد عليه السلام ، فكشفهم ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة ثم شد عليهم حتى أخرجهم من بني سليم ، ثم أخذوا على المسنَّات ، ثم ظهر بهم زيد عليه السلام فيما بين بارق وبني رواس وقاتلهم قتالاً شديداً ، وصاحب لوآئه رجل من بني سعد بن بكر يقال له : عبدالصمد . قال سعيد بن خثيم فكنا مع زيد بن علي في خمسمائة ، وأهل الشام

اثـنا عشر ألفًا، وقد كان بايع زيدًا عليه السلام أكثر من اثني عشر ألفًا فغدروا به - إذ فصَلَ رجل من أهل الشام من كلب على فرس له رائع فلم يألُ شتمًا لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل زيد عليه السلام يبكي حتى لثقت لحيته، وجعل يقول: أما أحـدٌ يغضب لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أما أحد يغضب لرسول الله صلى الله عليه وآله، أما أحد يغضب لله تعالى، قال: ثم تحول الشامي عن فرسه فركب بغلة، قال: وكان الناس فرقتين[1] نظارة ومقاتلة، قال سعيد: فجئت إلى مولى لي فأخذت منه مشتملاً كان معي، ثم استترت من خلف نظارة حتى إذا صرت من ورائه ضربت عنقه، وأنا مستمكن منه للمشمل فوقع رأسه بين يدي بغلته، ثم رميت جيفته من السرج، وشد أصحابه عليَّ حتى كادوا يرهقوني فكبّر[2] أصحاب زيد، وحملوا عليهم فاستنقذوني، فأتيت زيدًا عليه السلام وجعل يقبل بين عيني، ويقول: أدركت والله ثأرنا، أدركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرهما، اذهب بالبغلة فقد نفلتكها، قال: وجَعَلَتْ خيل الشام لا تثبت لخيل زيد عليه السلام فبعث العباس بن سعد إلى يوسف يعلمه ما يلقى من الزيدية ويسأله أن يبعث إليه بالناشبة، فبعث إليه سليمان بن كيسان في القيقانية وهم بخارية، وكانوا رماة فجعلوا يرمون أصحاب زيد، وقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري يومئذ قتالاً شديدًا فقتل بين يدي زيد عليه السلام وثبت زيد في أصحابه حتى إذا كان عند جنح الليل رُمِي زيد بسهم فأصاب جبهته اليسرى فنزا السهم في الدماغ، فرجع ورجع أصحابه ولا نظن أهل الشام رجعوا إلا للمساء والليل .

أولاده عليه السلام :

ذكر السيد أبو طالب عليه السلام[3] **يحيى بن زيد**، أمه: رايطة، ويقال: ريطة بنت

---

(١) في (أ): فريقين.

(٢) في (ج): فكثر.

(٣) الافادة ٤٨ .

أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية لا عقب له، وعيسى، ومحمد، والحسين، أمهم واحدة وهي: أم ولد أعقب هؤلاء الثلاثة من ولده عليه السلام.

مقتله ومبلغ عمره عليه السلام[1]:

رماه داود بن كيسان من أصحاب يوسف بن عمر بنشابة فأصاب جبينه، فأمر للطبيب فعرفه أنه إن نزعها مات من ساعته، فقال عليه السلام: الموت أهون عليّ مما أنا فيه، فعهد عليه السلام عهده وأوصى وصيته، وكان من وصيته إلى ابنه يحيى عليه السلام أن قال: يا بني جاهدهم فوالله إنك لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل، وإن قتلاك لفي الجنة وإن قتلاهم لفي النار، ثم نُزعت النشابة منه فقضى من حينه سلام الله عليه، وكان ذلك في عشية الجمعة لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وعشرين ومائة على أصح الروايات، وقيل: بسنة إحدى وعشرين، وهو الذي ذكره العقيقي، حكى ذلك كله السيد أبو طالب عليه السلام[2].

فلما توفي عليه السلام اختلف أصحابه في دفنه، ثم اتفقوا على أن عدلوا نهراً عن مجراه، ثم حفروا له ودفنوه وأجروا المآء على ذلك الموضع، وكان معهم في تلك الحال غلام سندي، فلما أصبح نادى منادي يوسف بن عمر من دلّ على قبر زيد ابن علي كان له من المال كذا وكذا، فدلهم عليه ذلك الغلام فاستخرجوه عليه السلام من قبره ثم احتزوا رأسه فوجهوا به إلى هشام بن عبدالملك وصلبوا جثته بالكناسة.

وكان له في صلبه من الكرامات ما يدل على علو منزلته عند الله عز وجل فمن ذلك ما رُوي أن العنكبوت كانت تنسج على عورته ليلاً، فكانوا لعنهم الله إذا أصبحوا يهتكون نسجها بالرماح. ومنها أن امرأةً مؤمنة مرّت فطرحت عليه خمارها فالتاث بمشيئة الله عز وجل فصعدوا فحلوه، فاسترخت سرته حتى غطت

---

(١) الإفادة ٤٩.

(٢) الإفادة ص٦٥.

عورته، ومرَّ به رجل فأشار إليه بأصبعه وهو يقول : هذا الفاسق ابن الفاسق فغابت إصبعه في كفه. ومنها ما روي أن طائرين أبيضين جآءا فوقع أحدهما على قصر والثاني على قصر آخر، فقال أحدهما للآخر :

تنعى زيداً أو أنعاه ❖ قاتل زيد لانجاه

فأجابه الآخر : يا ويحه باع آخرته بدنياه. وروي أن رجلين من بني ضبة أقبلا ويد كل واحد في يد صاحبه حتى قاما بحذاء خشبة زيد بن علي عليهما السلام، فضرب أحدهما بيده على الخشبة وهو يقول : ﴿ إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ ﴾[المائدة:٣٣]. قال : فذهب ليحني يده فانتثرت بالأكلة، ووقع شقه فمات إلى النار.

ولما وجه برأس زيد بن علي عليهما السلام إلى هشام بن عبدالملك بعث به إلى مدينة الرسول ﷺ إلى إبراهيم بن هاشم المخزومي، فنصب رأسه فتكلم أناس من أهل المدينةوقالوا لإبراهيم : لا تنصب رأسه فأبى، وضجت المدينة بالبكاء من دور بني هاشم كيوم الحسين عليه السلام فلما نظر كثير بن كثير بن المطلب السهمي إلى رأس زيد بن علي عليهما السلام بكى وقال : نضر الله وجهك أبا الحسين وفعل بقاتلك، فبلغ ذلك إبراهيم بن هشام، وكانت أم المطلب أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب، وكان كثير الميل إلى بني هاشم، فقال له إبراهيم بلغني عنك كذا وكذا فقال : هو ما بلغك، فحبسه وكتب إلى هشام فقال وهو محبوس :

إن امرءًا كانت مساويَهُ ❖ حبُّ النبي لَغَيرُ ذي ذنب

وكذا بني حسن فوالدهم ❖ من طاب في الأرحام والصلب

ويرون ذَنْبًا أن أحبهم ❖ بل حبكم كفارة الذنب

فكتب فيه إبراهيم إلى هشام فكتب إليه هشام : أن أقمه على المنبر حتى يلعن

عليًّا وزيدًا فإن فعل وإلا فاضربه مائة سوط على مائة، فأمره أن يلعن عليًا فصعد المنبر فقال:

لعن الله من يسب عليًّا ... وبنيه من سوقة وإمام

تأمن الطير والحمام ولا يأ ... من آل النبي عند المقام

طبت بيتًا وطاب أهلك أهلاً ... أهل بيت النبي والإسلام

مرحبًا بالمطيبين من النا ... س وأهل الإحلال والإحرام

رحمة الله والسلام عليكم ... كلما قام قائم بسلام

ورُوينا عن عيسى بن سوادة قال: كنت بالمدينة عند القبر عند رأس النبي ﷺ وقد جيء برأس زيد بن علي عليهما السلام في رهط من أصحابه فنصب في مؤخر المسجد على الرمح ونودي في أهل المدينة: برئت الذمة من رجل بلغ الحلم لم يحضر المسجد، فحشر الناس الغرباء وغيرهم، فلبثنا سبعة أيام يخرج الوالي محمد بن هشام المخزومي فيقوم الخطباء الذين قاموا بالرؤس فيخطبون فيلعنون عليًا والحسين وزيدًا وأشياعهم، فإذا فرغ قام القبائل عربيهم وعجميهم وكان بنوعثمان أول من قام فيلعنون، ثم بطون قريش والأنصار وسائر الناس حتى إذا صلى الظهر انصرف ثم عاد في الغد مثلها سبعة أيام، فقام رجل من قريش في بعض تلك الأيام وهو محمد بن صفوان الجمحي وهو أبو هذا القاضي قاضي أبي جعفر فقال له محمد بن هشام: اقعد، ثم عاد فقام من غير أن يدعى، فقال له محمد بن هشام: اقعد، فقال: إن هذا مقام لا يقدر عليه كل ساعة، قال: فتكلم، فأخذ في خطبته، ثم تناول يلعن عليًا ﷺ وأهل بيته والحسين بن علي وزيد بن علي عليهم جميعًا السلام ومن كان يحبهم، فبينا هو إذ وضع يده على رأسه، ووقع على الأرض، فظننت أن خطبته قد انقضت فلم أعلم حتى إذا كان من الليل انتشر خبره، فرماه الله عز وجل في رأسه بصداع لا يتمالك من الصداع حتى ذهب بصره في تلك الساعة، وكان رجل مستند إلى القبر فضرب بيده إليَّ

فزعًا! قلت: ما رأيت[1]؟ قال: رأيت القبر انشق فخرج منه رجل عليه ثياب بيض فاستقبل المنبر فقال: كذبت لعنك الله.

وعن شبيب بن غرقد قال: قدمنا حجاجًا من مكة فدخلنا الكناسة ليلاً، فلما أن كنَّا بالقرب من خشبة زيد[بن علي عليهما السلام أضاء لنا الليل، فلم نزل نسير قريبًا من خشبته فنفحت][2] رائحة المسك قال: فقلت لصاحبي: هكذا توجد رائحة المصلبين؟! قال: فهتف بي هاتف وهو يقول: هكذا توجد رائحة أولاد النبيين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

وروينا عن حفص بن عاصم السلولي قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل بن اليسع العامري، وكان في دار اللؤلؤ قال: رأيت عرزمة أخا كناسة الأسدي، وكان من أبهى الرجال وأحسنهم عينًا، وكان في كل يوم ينطلق إلى الكناسة فيقعد عند الذين يحرسون خشبة زيد بن علي عليهما السلام، وكان هناك مجمع الأسديين فكان يلتقط في طريقه سبع حصيات، ثم يجئ فيجلس في القوم، ثم يقول: هاكم في عينه فيخذف زيد بن علي عليهما السلام بتلك السبع الحصيات[3] في كل يوم، قال إسماعيل بن اليسع: فوالذي لا إله غيره ما مات حتى رأيت عينيه مرفودتين كأنهما زجاجتان خضراوان.

ثم أقام زيد بن علي عليهما السلام مصلوبًا على الخشبة سنة وأشهرا، وقيل: أيامًا وقيل: سنتين، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[4].

وروينا من طريق المرشد بالله عليه السلام يرفعه إلى رجاله: أنه مكث مصلوبًا إلى أيام الوليد بن يزيد، فلما ظهر يحيى بن زيد كتب الوليد إلى يوسف أما بعد:

فإذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فاحرقه وانسفه في اليم نسفًا،

---

(١) في (أ): سقط: قلت: ما رأيت؟ قال: رأيت انشق القمر.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في (أ).

(٣) في (ج): السبع حصيات، في (أ): بتلك الحصيات.

(٤) الإفادة ص٦٦.

فأمر به يوسف عند ذلك : خراش بن حوشب فأنزله من جذعه فأحرقه بالنار ، ثم جعله في قواصر ، ثم حمله في سفينة ، ثم ذراه في الفرات ، سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين . وروت الشيعة أن رماده اجتمع في الفرات حتى صار مثل هالة القمر يضيئ ضياء شديداً وموضع ذلك معروف يستشفى به .

وكان هشام لعنه الله لما أتي إليه برأسه ألقاه بين الدجاج ، فقال بعض أهل الشام : اطردوا الديك عن ذؤابة زيد ، فلقد كان لا تطأه الدجاج ، وافتخر شاعر بني أميه بقتله وصلبه فقال :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة | ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

ولقد مكن الله تعالى وزير آل محمد أبا حفص الخلاّل السبيعي من صلب هشام بن عبدالملك وضربه وتحريقه ، وذلك أنه لما مات طلوه بالصبر لئلا يبلى ، فوجدته الشيعة لما نبشته مثلما دفن ، فقال بعض شعراء أهل العصر في كلمة يمدح فيها الإمام المنصور بالله عليه السلام :

وكم صون جسم كان فيه هلاكه | كما ضُرَّ بالتَّصْبِيرِ جِسمُ هشام

ولأبي ثميلة الأنباري يرثي زيد بن علي عليهما السلام :

يا أبا الحسين أعار فقدك لوعة | من يلق ما لاقيت منها يكمد
فعر[1] السهاد[2] ولو سواك رمت به | الأقدار حيث رمت به لم يَشهد
فصعرت[3] بعدك كالسليم وتارة | أحكى إذا أمسيت فعل الأرمد
ونقول : لا تبعد ، وبعدك داؤنا | وكذاك من يلقى المنية يبعد
كنت المؤمل للعظائم والنهى | ترجى لأمر الأمة المتأود[4]
فقتلت حين نضلت كل مناضل | وصعدت في العلياء كل مُصَعَّد

(١)في المقاتل : فغدا .

(٢)السهاد : نقيض الرقاد . لسان العرب ٣/ ٢٢٤ .

(٣)في (ج) : فعثرت .

(٤)أن تأوده : الأمر تؤده ، وتأداه : أي ثقل عليه . تاج العروس ٤/٣٣٩ .

وطلبت غاية سابقين فنلتها		بالله في سَنن كريم المورد
وأبى إلهك أن تموت ولم تَسر		فيهم بسيرة صادق مستنجد
والقتل في ذات الإله سجيةٌ		منكم وأخذٌ بالفعال الأمجد
والوَحْشُ آمنةٌ وآلُ محمد		من بين مقتول وبين مطرد
نُصبًا إذا ألقى الظلام ستوره		رقد الحمام، وليله لم يرقد
يا ليت شعري والخطوب كثيرة		أسباب موردها وما لم تورد
ما حجة المستبشرين بقتله		بالأمس أو ما عذر أهل المسجد[1]

وروى السيد المرشد بالله أبو الحسين يحيى بن الحسين الجرجاني الحسيني عليه السلام للفضل بن عبدالرحمن بن العباس يرثي زيد بن علي عليهما السلام:

ألا يا عين فاحتفلي وجودي		بدمعك ليس ذا حين الجمود
ولا حين التجلُّد فاستهلي		وكيف بقآء دمعك بعد زَيْد
أبعد ابن النبي أبي حسين		صليب بالكناسة فوق عود
يظل على عمودهم ويُمسي		بنفسي أعظمًا فوق العمود
تعدى الكافر الجبار فيه		فأخرجه من القبر اللحيد
فظلوا ينبشون أبا حسين		خضيبًا بينهم بدم جسيد
فطال تلعبهم عتوا		وما قدروا على الروح الصعيد
فجاور في الجنان بني أبيه		وأجدادًا هم خير الجدود
وكائن من أب لأبي حسين		من الشهدآء أو عم شهيد
ومن أبنآء أعمام سيلقى		هُمُ أولى به عند الورود
ورود الحوض يوم يذب عنه		فيمنعه من الطاغي الجحود
ويصرف حزبه معه جميعًا		ظمآء يبعثون إلى الصديد
دعاه معشرٌ نكثوا أباه		حسينًا بعد توكيد العهود

---

(١) مقاتل الطالبين ١٥٠ .

فسار إليهم حتى أتاهم ... فما التفتوا على تلك العقود
وغرُّوه كما غروا أباه ... وكانوا فيهما شبه اليهود
كما هلكوا به من أمر عيسى ... وأصحاب العقيرة من ثمود
فكيف تضن بالعبرات عيني ... وتطمع في الغموض مع الرقود
ألا لا غمض في عيني ولما ... تسير الخيل تضبح بالأسود[١]
بجمع في قبائل من معد ... وقحطان كتائب في الحديد
كتائب كلما أفنت قتيلاً ... تنادت أنْ على الأعداء عودي
بأيديهم صفائح مرهفات ... صوارم أخلصت من عهد هود
بها نشفي النفوس إذا التقينا ... ونقتل كل جبار عنيد
ونقضي حاجة في آل حرب ... وفي آل الدَّعي بني عبيد
عبيد بني علاج قتلونا ... بأمر الفاسق الطاغي يزيد
ونحكم في بني حَكَم المواضي ... ونجعلهم بها مثل الحصيد
ونقتل في بني مروان حتى ... تبيدهم الأسود بنو الأسود
وننزل بالمعيطيين حربًا ... عمارة فيهم وبني الوليد
ونترك آل قنطورا هشيمًا ... بني الرومي أولاد العبيد
ونتركهم ببغيهم علينا ... وهم من بين قتلى أو شريد
فإن تمكن صروف الدهر منكم ... وما يأتي من الملك الجديد
نحاريكم بما أبليتمونا[٢] ... قصاصًا أو نزيد على المزيد
ونترككم بأرض الشام صرعى ... كأمثال الذبائح يوم عيد
تنوبهم خوامعها[٣] وطلس[٤] ... وكل الطير من بُقْع وسود
ونقتل حزبهم من كل حي ... ونسقيهم أمرَّ من الهبيد[٥]

---

(١) تضبح: أي تنحم، وهو أصوات أنفاسها إذا عدون، وقيل: هو السير. لسان العرب ٢/ ٥٢٣.

(٢) في (ج): أنكثتمونا.

(٣) الخوامع: الضباع اسم لازم لها لأنها تَجمع: خماعًا وخمعانًا وخموعًا. لسان العرب ٨/ ٧٩.

(٤) الطلس: جمع أطلس، وهو الذئب الذي في لونه غبرة.

(٥) الهبيد: الحنظل. لسان العرب ٣/ ٤٣١.

أثقلتنا وتحبسنا عقوقًا ... وتجعلنا أمية في القيود
وتطمع في مسودتنا ألا لا ... فما منَّا أمية من ودود
وقالوا : لا نصدقهم بقول ... وما قبلوا النصيحة من رشيد
وساوى بعضهم فيه لبعض ... فريق القوم في ذات الوقود
فنحن كمن مضى منا وأنتم ... كشيعتكم من أصحاب الخدود
فقد منع الرقاد مصاب زيد ... وأذهب فقده طعم الهجود[1]
فقد لهجوا بقتل بني عليٍّ ... ولجوا في ضلالهم البعيد
وكائن من شهيد يوم ذاكم ... عليه يا أمية من شهود
من انفسكم إذا تطقت بحق ... من الأسماع منكم والجلود
ولَست بآيس من أن تصيروا ... خنازيراً وفي صُوَرِ القرود[2]

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد نفعه الله بصالح عمله :

بدا من الشيب في رأسي تفاريق ... وحان للهو تمحيض وتطليقُ
هذا فلا لهو مع همّ يعوقني ... بيوم زيد وبعض الهمِّ تعويقُ
لمَّا رأى أن حق الدين مطرح ... وقد تقسمه نهب وتمحيقُ
وأن أمر هشام في تفرعنه ... يزداد شراً وأن الرجس زنديقُ
قام الإمام بحق الله تنهضه ... محبة الدين إن الدين مومُوقُ
يدعو إلى ما دعا آباؤه زمنًا ... إليه وهو بعين الله مرموقُ
لما تردت حراراتي عليه ولم ... فليس يعسره في الخلق مخلوق[3]
ابن النبي نعم وابن الوصي نَعَمْ ... وابن الشهيد نعم والقول تحقيق
لم يشفهم قتله حتى تعاوره ... قتلٌ وصلبٌ وإحراقٌ وتغريقُ

❖ ❖ ❖

---

(١) الهجود المصلي بالليل. لسان العرب ٣/٤٣١ .

(٢) مقاتل الطالبين ١٤٩ .

(٣) في (أ) : ساقط هذا البيت .

الإمام يحيى بن زيد عليهما السلام(1)

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو طالب يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، وأمه: ريطة بنت عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

صفته عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام كتب يوسف بن عمر إلى عامله نصر بن سيّار على خراسان يطلبه، فذكر له حليته، وقال: (هو قطط الشَّعَر، حسن اللحية حين استوت لحيته) وكان عليه السلام مثل أبيه صلوات الله عليه في الشجاعة وقوة القلب في مبارزة الأبطال، وله مقامات مشهورة بخراسان أيام ظهوره بها في حروبه من قتل الشجعان الذين بارزوه والنكاية على الأعدآء الذين قاتلوه(2).

مدة ظهوره عليه السلام وذكر بيعته:

لما استشهد أبوه عليه السلام خرج من الكوفة متنكرًا مستترًا مع نفر من أصحابه، فدخل خراسان، وانتهى إلى (بلخ) ونزل على الحريش بن عبدالرحمن الشيباني. وكتب يوسف بن عمر يطلبه إلى نصر بن سيار فكتب نصر إلى عامله عقيل بن معقل الليثي عامله على بلخ يطلبه، فذكر له أنه في دار الحريش، فطالبه بتسليمه منه، فأنكر أن يكون عارفًا بمكانه، فضُرِبَ ستمائة سوط فلم يعترف، فقال: والله لا أرفع الضرب عنك إلا أن تسلمه أو تموت، فقال له حريش رحمه الله: (**والله لو كان تحت قدمي هاتين ما رفعتهما، فاصنع ما بدا لك**)!! فلما خشي ابن

---

(1) الافادة ٥١، ومقاتل الطالبين ١٥٢، ومروج الذهب ٢/ ١٣٣، وتاريخ الطبري ٢٩٩١٨، والكامل لابن الاثير ٥/ ٩٩، وطبقات ابن سعد ٢٣٩، والأعلام ٨/ ١٤٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٥، وجمهرة أنساب العرب ٢٠١، وابن خلدون ٣/ ١٠٤، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٨١، والفتوح لابن أعثم ٨/ ١٢٨، والفلك الدوار ٢٦، وأنساب العرب الاشراف ٢٦١، وعمدة الطالب ٢٨٩، والزيدية لمحمود صبحي ص٧٢.

(2) الإفادة ٥١.

الحريش على أبيه دس إليه بأنه يدل عليه إن أفرج عن أبيه، فدل عليه، وأخذ وحمله إلى نصر بن سيار فقيَّدَه وحبَسَه، وكتب بخبره إلى يوسف بن عمر، فكتب يوسف إلى الوليد بن يزيد بذلك، فكتب إليه الوليد يأمره بالإفراج عنه، وترك التعرض له ولأصحابه، فكتب يوسف إلى نصر بما أمره به، فدعاه نصر وحلَّ قيده، فقال له : لا تثر الفتنة فقال له عليه السلام : وهل فتنة في أمة محمد صلى الله عليه وآله أعظم من فتنتكم التي أنتم فيها من سفك الدمآء والشروع فيما لستم له بأهل، فسكت نصر وخلى سبيله، فخرج من عنده وجآء إلى (بيهق) وأظهر الدعوة هناك وبايعه فيها سبعون رجلاً واجتمع إليه نفر، فكتب نصر إلى عمرو بن زرارة بقتاله، وكتب إلى قيس بن عباد عامل(سرخس)، وإلى الحسن بن زيد عامل (طوس) بالانضمام إليه، فاجتمعوا وبلغ القوم زُهاء عشرة آلآف، وخرج يحيى بن زيد عليهما السلام فقاتلهم وهزمهم، وقتل عمرو بن زرارة واستباح عسكره وأصاب منهم دوابَّ كثيرة[1].

وروي عن بعض أصحاب يحيى عليه السلام قال: كنَّا مع يحيى بن زيد عليهما السلام والرضوان بخراسان قال: فقدمنا سبعون أو ثمانون رجلاً يوم لقي عمرو ابن زرارة قال: وكان لقيه بخراسان في مقدمته ونحن سبعة عشر فارسًا أو ثمانية عشر قال: فلقينا عمرو بن زرارة في أربعة آلآف أو خمسة آلآف قال: فتلقانا حرب بن محرية أو نصر بن حرب، قال: فكأني أنظر إلى شيخ ضخم قد جآء براية فركزها، ثم نادى: يا أيها الناس، إن فريق عمرو بن زرارة يدعوكم إلى الأمان، وهذه راية الأمان فمن جآءه فهو آمن، قال: فكنت في آخرهم فاضرط[2] به الذي كان بين أيدينا قال: فوالله ما أعلم إلا أني قد سمعتها، قال: ثم لحقنا يحيى بن زيد عليهما السلام، وأرسل إلى عمرو بن زرارة: انصرف عني فإني لست أريدك ولا أريد شيئًا من عملك، وإنما أريد بلخ وناحيتها، ولا أريد (مرو) فتنح

(١)أنظر المصابيح ٤١٥-٤١٨، ومقاتل الطالبين ١٥٤ .

(٢)وأضرط به: عمل بغية الضراط وهزئ به. القاموس ٨٧٢ .

عني، قال: فقال عمرو بن زرارة: والله لا يكون ذلك أبداً إلا أن تعطني بيدك وتدخل في الأمان وإلا قاتلتك، قال: فكأني أنظر إلى يحيى بن زيد عليهما السلام، وأسمع صوته من خلفي وهو ينادي الجنة الجنة يا معشر المسلمين، الحقوا بسلفكم الشهدآء المرزوقين رحمكم الله، قال: ثم حمل عليهم حملة رجل واحد فانكشفوا، قال: واستقبلنا عمرو بن زرارة يصيح بأصحابه، قال: فما كانت إلا إياها حتى قتل عمرو بن زرارة، وانكشف أصحابه وأخذوا الطريق حتى أتى يحيى ابن زيد عليهما السلام (الجوزجان)، قال: ثم لحق بعد قوم من الزيدية بيحيى بن زيدعليه السلام قال: وكانوا قريبًا من خمسين ومائة رجل، ونزل عليه السلام قرية من قرى الجوزجان يقال لها: (أرعوى) ولحق به جماعة من عساكر خراسان وبايعوه، وبقي أمره مديدة يسيرة[1].

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني رحمة الله عليه بإسناده إلى يعقوب بن عدي، قال: خرج رجل من أهل الشام فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل من أصحاب يحيى فقتله، ثم خرج إليه آخر فقتله، ثم خرج إليه يحيى فقال: يابن اللخناء إنك لشديد المجاحشة عن سلطان بني أمية، فضربه يحيى فقتله.

وروى بإسناده أيضًا عن بعضهم قال: رأيت يحيى بن زيد عليهما السلام حمل على رجل من أهل الشام فضربه على فخذه فقطع درعه وفخذه البتة[2] حتى وصل إلى جنب الدابة. وكان من كلامه عليه السلام لأصحابه في بعض مواقفه أن قال: يا عباد الله، إن الأجل محضره الموت، وإن الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب، ولا يعجزه المقيم، فاقدموا رحمكم الله إلى عدوكم، والحقوا بسلفكم الجنة الجنة، أقدموا ولا تتكلوا، فإنه لا شرف أشرف من الشهادة، فإن أشرف الموت قتيل في سبيل الجنة، فَلْتَقَرّ بالشهادة أعينكم، وَلْتنشرح للقآء الله

---

(١) المصابيح ٤١٨-٤١٩، ومقاتل الطالبين ١٥٧.

(٢)في (ج): مصحفة: إليه، والصواب: ما أثبتناه كما في هامش (ج).

صدوركم. قال الراوي: ثم نهد، فكان والله أرغب أصحابه في القتل في سبيل الله جل ثناؤه[1]. ومن شعره عليه السلام:

خليليَّ عنَّا بالمدينة بلغا ... بني هاشم أهل النهى والتجارب
فحتى متى مروان يقتل منكم ... سراتكم والدهر فيه العجائب
لكل قتيل معشرٌ يطلبونه ... وليس لزيدٍ في العراقين طالب[2]

وقال عليه السلام يخاطب نفسه:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد: ... من أحب الحياة عاش ذليلاً؟
كن كزيد فأنت مهجة زيد ... تتخذ في الجنان ظلا ظليلاً[3]

أراد عليه السلام بقوله: أليس قد قال زيد: ما روي أن زيد بن علي عليهما السلام قال: لما خرج من عند هشام بن عبدالملك «من أحب البقاء استدثر الذل إلى الفناء».

أولاده عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام: الذي أجمع عليه أصحاب الأنساب من الطالبيين وغيرهم أنه وَلَدَ: أم الحسن، وهي حسنة، وأمها: محبّة بنت عمر بن علي بن الحسين، وقال غيرهم: له أحمد، والحسن، والحسين، درجوا وهم صغار[4]، وأم الحسين درجت صغيرة، وأجمعوا على أن لابقية ليحيى عليه السلام وأن ولده انقرضوا[5].

ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام:

اجتمع على حربه عليه السلام الجيوش الذين أنفذهم نصر بن سيار بالجوزجان، فقاتلهم عليه السلام ثلاثة أيام بلياليها أشد قتال، حتى قُتِل أصحابه وأتته نشابة

---

(١) المصابيح ٤٢١.
(٢) الإفادة ٥٣.
(٣) الإفادة ٥٣.
(٤) في (أ): درجوا صغاراً.
(٥) الإفادة للسيد أبي طالب ٥٣.

في جبهته، رماه رجل من موالي عنزة يقال له: عيسى، ووجده سورة بن محمد الكندي، فحزّ رأسه وحمل رأسه إلى مروان الحمار[1].

وكان قتله في شهر رمضان عشية الجمعة بعد الصلاة سنة ست وعشرين ومائة، وقيل: سنة خمس، وصلب بدنه على باب مدينة الجوزجان[2].

وكان له يوم قتل ثمان وعشرون سنة، وعرض عليه أن يتزوج فكان يقول: هيهات وأبو الحسين مصلوب بكناسة الكوفة ولم أطلب بثأره، ولم يزل مصلوبًا إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني[3]، فأنزله وغسّله وكفّنه، ودُفن (بأنبير) ومشهده معروف بالجوزجان مزور.

وتتبع أبو مسلم قتلته فقيل له: إن أردت ذلك فعليك بالديوان فدعى أبو مسلم بالجرائد، فنظر من شهد قتل يحيى عليه السلام، فلم يدع أحدًا منهم إلا قتله، وأخذ الرجلين اللذين رماه أحدهما وأخذ الآخر رأسه، فقطع أيديهما وأرجلهما وصلبهما وأمر بتسويد الثياب، وأن يناح عليه سبعة أيام، وروي أن في تلك السنة لم يولد مولود ذكر في خراسان إلا سمي بيحيى إعظامًا له عليه السلام. ذكر ذلك كله السيد أبو طالب عليه السلام[4].

وروى الإمام المنصور بالله عليه السلام أن قاتل يحيى عليه السلام كان قد رأى في منامه قبل قتله ليحيى عليه السلام: أنه رمى نبيًا فقتله، فلما أصبح أخبر من أخبر بذلك من أصحابه، ثم غل يده إلى عنقه، وأقام كذلك مدة من الزمان حتى خرج يحيى عليه السلام، واجتمعت الجنود الظالمة لحربه، فقال له بعضهم: قد قام هذا الخارجي ولا غناء لنا عن رميك فاخرج معنا فإذا انقضت الحرب عدت لحالك، فخرج فكان هو القاتل ليحيى بن زيد عليهما السلام.

---

(١) المصابيح ٤٢٢ ومقاتل الطالبين ١٥٨.

(٢) انظر المصابيح ٤٢٢، والإفادة ٥٤.

(٣) في (ج): بخراسان.

(٤) الإفادة ص٥٤.

الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية عليه السلام[1]

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو القاسم محمد بن عبدالله الكامل بن الحسن الرضى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكان أبوه عبدالله يسمى: الكامل، كان يقال: مَنْ أجمل الناس؟ من أفضل الناس؟ من كذا؟ من كذا؟ فيقال: عبدالله بن الحسن فسُمِّي الكامل لذلك.

وروي أنه صلى الفجر بوضوء المغرب والعشاء الآخرة ستين سنة، فإذا كان آخر الليل سجد سجدة يقول فيها: سبحانك لم أعبدك حق عبادتك، غير أني لم أشرك بك شيئًا. وأما الحسن الرضى فقد كان من أفاضل العترة عليهم السلام، وكان قد قام للجهاد في سبيل الله، وجرت بينه وبين الحجاج وقعات كثيرة كان في أكثرها له عليه السلام الظفر على ما تقدم ذكره. وأما الحسن السبط فهو سيد شباب أهل الجنة. وأما أمير المؤمنين عليه السلام فناهيك به شرفًا وفضلاً وهو سيد العرب كما تقدم.

أولئك قومٌ بارك الله فيهم ... فما صاعهم من مجدهم بطفيف

ولله القائل:

أضآءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وكان عليه السلام يسمَّى المهدي، ويسمى صريح قريش؛ لأنه لم يكن في آبآئه من أمه أم ولد إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك جداته من قبل أمه، وكان يسمى: النفس الزكية؛ لورود الأثر أن النفس الزكية يقتل فيسيل دمه إلى أحجار الزيت، وقدكان كذلك عليه السلام.

---

(1) الإفادة ٥٥، ومقاتل الطالبين ٢٣٢، والشافي ١٩٢، وطبقات الزيدية «خ» وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٥٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ١٢١، وشذرات الذهب ١/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٠، والأعلام ٢٢٠، وطبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٨، والمصابيح ٤٢٤، وشرح النهج لابن ابي الحديد ١/ ٣٢٣، ومروج الذهب ٢/ ١٦٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٨٢، وأخبار فخ فهارس ٣٧١، وابن خلدون ٣/ ١٩٠، وجمهرة الأنساب ٤٠.

وأمه: هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وحملت به أمه عليه السلام أربع سنين، قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وولد في سنة مائة في بعض الروايات، قال وروي غير ذلك.

صفته عليه السلام:

كان عليه السلام آدم[2] شديد الأدْمَة، قد خالطه الشيب في عارضيه، وكانت له شامة في كتفه تشبه شامة رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام وفيه يقول الشاعر:

إن الذي تروي الرواة لبينٌ	إذا ما ابن عبدالله فيهم تجردا
له خاتم لم يعطه الله غيره	وفيه علامات من البر والهدى

قال السيد أبو طالب عليه السلام: وكان شجاعًا فارسًا خطيبًا بارعًا في الخطبة على تمتمة كانت تعتريه إذا تكلم، فإذا عرضت له ضرب بيده صدره فينفتح لسانه، وهو أول من ظهر من آل رسول الله صلى الله عليه وآله فخوطب بأمير المؤمنين، وبعده محمد بن جعفر بن محمد عليهم السلام[3].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام غزير العلم، وافر الفهم، قد سمع من آبائه عليهم السلام الحديث، وسمع من نافع وابن طاووس، وله كتاب «السير» المشهور، قال السيد أبو طالب عليه السلام: وسمعت جماعة من فقهاء أصحاب أبي حنيفة وغيرهم يقولون: إن محمد بن الحسن نقل أكثر مسائل السير من هذا الكتاب، وفيه من غرائب الفقه ما يدل على علو منزلته، ويكشف عن عالي مرتبته.

---

(١) الإفادة ص٧٣.

(٢) في (أ): ساقطة: آدم. والأدمة: في الناس شربة من سواد. لسان العرب ١٢/ ١١.

(٣) الإفادة ٥٥.

وروى الشيخ أبو الفرج : في مقاتل الطالبية[1] بأسانيده عن عيسى بن زيد عليهما السلام، قال : لو أنزل الله سبحانه على محمد ﷺ : أنه باعث نبيًا بعده لكان ذلك النبي محمد بن عبدالله بن الحسن.

فهذا كلام عيسى بن زيد عليهما السلام وهو من أقمار الهدى، وممن لا يتمارى في فضله، ولا يشك في شدة ورعه و نبله، وهو الذي يُعرف بمؤتم الأشبال، وذلك أنه عليه السلام لما انصرف من وقعة باخمرا، وقد شهدها مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام؛ خرجت لبوةٌ مع أشبالها فعرضت في الطريق وجعلت تحمل على الناس، فنزل عيسى بن زيد عليهما السلام، فأخذ سيفه وترسه ثم برز إليها فقتلها، فقال له مولى له : أيتمت أشبالها يا سيدي، قال : فضحك وقال نعم أنا مؤتم الأشبال، قال : فلزمه هذا الاسم، فكان بعد ذلك إذا أراد أصحابه أن يذكروه كنوا عنه، فقالوا : قال : مؤتم الأشبال كذا، وفعل مؤتم الأشبال كذا، فيخفى أمره وذلك؛ لأنه عليه السلام لحقه من المحنة بالاستتار من أعدآء الله المارقين ما عظمت عليه بسببه البلوى.

وقد روى الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية[2] عن محمد بن منصور المرادي قال : قال يحيى بن الحسين بن زيد : قلت لأبي : يا أبه، إني أشتهي أن أرى عمي عيسى، فإنه يقبح بمثلي أن لا يلقى مثله من أشياخه، فدافعني عن ذلك مدة، وقال : إن هذا أمرٌ يثقل عليه، وأخشى أن ينتقل عن منزله كراهة للقائك إياه فتزعجه، فلم أزل به أداريه وألطف به حتى طابت نفسه لي بذلك، فجهزني إلى الكوفة، ثم قال لي : إذا صرت إليها فاسأل عن دور بني حي، فإذا دللت عليها فاقصده في السكة الفلانية، وسترى في وسط السكة داراً لها باب صفته كذا وكذا، فاعرفه واجلس بعيداً منه في أول السكة، فإنه سيقبل عليك أول المغرب

(١) مقاتل الطالبين ٢٥٣.

(٢) مقاتل الطالبين ٤٠٨.

كهل طوَال مصفر مستور الوجه، قد أثر السجود في جبهته، عليه جبة صوف يستقي الماء على جمل، وقد انصرف يسوق الجمل، لا يضع قدمًا ولا يرفعها إلا ذكر الله عز وجل ودموعه تنحدر، فقم فسلم عليه وعانقه، فإنه سيذعر منك، فعرِّفه بنفسك، وانتسب له، فإنه يسكن إليك ويحدثك طويلاً، ويسألك عنا جميعًا، ويخبرك بشأنه ولا تضجر من جلوسك معه، فلا تطل ودعه فإنه سوف يستعفيك من العودة إليه، فافعل ما يأمرك به من ذلك، فإنك إن عدت إليه توارى منك واستوحش وانتقل من موضعه، وعليه في ذلك مشقة. فقلت له: أفعل كلما أمرتني به، ثم جهزني إلى الكوفة وودعته وخرجت، ولما وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر، فجلست خارجها بعد أن تعرفت الباب الذي نعته لي، فلما غربت الشمس إذا أنا به يسوق الجمل، وهو كما وصف لي أبي، لا يرفع قدمًا ولا يضعها إلا وحرَّك شفتيه بذكر الله[1]، ودموعه ترقرق من عينيه، وتذرف أحيانًا، فقمت فعانقته، فذعر مني كما يذعر الوحش من الإنس، فقلت: يا عم أنا يحيى بن الحسين بن زيد بن أخيك، فضمني إليه وبكى حتى قلت: قد جاءت نفسه، فأناخ جَمَله وجلس معي، وجعل يسألني عن أهله رجلاً رجلاً، وامرأة امرأة، وصبيًا صبيًا، وأنا أشرح له أخبارهم وهو يبكي، ثم قال: يا بني أنا أستقي على هذا الجمل الماء، فأصرف مما اكتسبته أجرة الجمل إلى صاحبه، وأتقوت بباقيه، وربما عاقني عائق عن استقاء الماء، فأخرج إلى البريّة -يعني بظهر الكوفة- فألقط ما يرمي الناس به من البقول وأتقوته، وقد تزوجت إلى هذا الرجل ابنته، فهي لا تعلم من أنا إلى وقتي هذا، فولدت مني بنتًا، فنشأت وبلغت وهي أيضًا لا تعرفني ولا تدري من أنا، فقالت لي أمها: زوج ابنتك بابن فلان السقاء لرجل من جيراننا يستقي الماء فإنه أيسر منها وقد خطبها، وألحت عليّ، فلم أقدر على إخبارها أن ذلك غير جائز، ولا هو بكفء لها فيشيع

(١) في (أ): إلا ذاكر الله.

خبري، فجعلت تلح عليَّ فلم أزل استكفي الله أمرها، حتى ماتت بعد أيام، فما أجدني آسى على شيء من الدنيا آسيَ على أنها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله ﷺ»، قال: ثم أقسم عليَّ أن أنصرف فودعني، فلما كان بعد ذلك صرت إلى الموضع الذي انتظرته فيه لأره فلم أره، وكان آخر عهدي به.

هذا ما حكاه الشيخ أبو الفرج، وإنما حكينا من قصة عيسى بن زيد عليهما السلام ذلك؛ لأنه تمهيد لما قاله في محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام؛ ليعرف المنصف أنه إذا قال فيه ما حكيناه على علمه وفضله وورعه وثقته كان صادقًا في قيله فتظهر الحال وتنجلي في محمد بن عبدالله عليهما السلام وإن كان ظاهرًا جليًا غير أن ذلك زيادة في اليقين.

وروى الشيخ أبو الفرج[1]: أيضًا بإسناده إلى حيث انتهى قال: سمعت عبدالله بن حفص العامري يقول في حديث حدَّث به عن محمد: حدثني من لم تر عيني والله ممن خلق الله خيرًا منه ولا أراه أبدًا، محمد بن عبدالله عليهما السلام، فقال له ابنه: إنما أفلتَّ من يد أبي جعفر أمس في ضرب عنقك، وهذا ابنه فقال: يا بني [هذا] والله [أمر] لا يبالي أبوك لو ضربت [عليه] عنقه.

وروينا بالإسناد الموثوق به عن عمير بن الفضل الخثعمي قال: رأيت أبا جعفر الذي لقب من بعد بالمنصور يومًا، وذلك في زمان بني أمية، وقد خرج محمد بن عبدالله من دار أبيه وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بركابه حتى ركب، ثم سوى عليه ثيابه على السرج، ومضى محمد فقلت له - وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمدًا -: مَن هذا الذي عظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟ فقال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، مهدينا أهل

---

(١) المقاتل ٢٥٠.

البيت[1]. وانظر إلى أبي جعفر الملقب بالمنصور في صنيعه لمحمد بن عبدالله عليهما السلام وإقراره بفضله وما انتهى إليه حاله بعد ذلك من سفك دمه في حرم رسول الله ﷺ الذي حَرَّم فيه عَضْدَ شجره؛ فكيف ببعض من أبعاضه[2] فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وروينا عن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام: أنه سئل عن أخيه محمد عليه السلام أهو المهدي الذي يذكر؟ فقال: المهدي عِدَةٌ من الله تعالى لنبيِّه ﷺ وَعَدَه أن يجعل من أهله مهديًا لم يسمه بعينه ولم يوقِّت زمانه، وقد قام أخي بفريضته عليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أراد الله أن يجعله المهدي الذي يذكر فهو فضل الله يمن به على من يشآء من عباده، وإلا فلم يترك أخي فريضة الله عليه لانتظار ميعاد لم يؤمر بانتظاره.

وروينا عن أبي خالد الواسطي قال: لقيت محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام قبل ظهوره بمدين فقلت: يا سيدي، متى يكون هذا الأمر؟ فقال لي: وما يسرك منه يا أبا خالد؟ فقلت: يا سيدي، وكيف لا أسر بأمر يخزي الله به أعدآءه، وينصر به أولياءه؛ فقال: يا أبا خالد أنا خارج وأنا والله مقتول، والله ما يسرني أن الدنيا بأسرها لي عوض عن جهادهم، يا أبا خالد إن امرءًا مؤمنًا لا يصبح حزينًا ويمسى حزينًا مما يعاين من أعمالهم إنه لمغبون مفتون. قال: قلت: يا سيدي والله إن المؤمن لكذلك، ولكن كيف بنا ونحن مقهورون مستضعفون خائفون لا نستطيع لهم تغييرًا فقال: يا أبا خالد إذا كنتم كذلك فلا تكونوا لهم جمعًا وانفذوا من أرضهم.

وروى الشيخ أبوالفرج[3]: بإسناده عن سعيد بن عقبة قال: كنَّا مع عبدالله

---

(1) المقاتل ص٢٣٩.

(2) في (ج): فكيف بغصن من أغصانه.

(3) المقاتل ٢٥١.

ابن الحسن بسويقة وبين يديه صخرة، فقام محمد يعالجها ليرفعها، فأقلّها حتى بلغ ركبتيه، فنهاه أبوه فانتهى، فلما دخل عبدالله عاد إليها فاستقلّها حتى طلع بها على منكبيه ثم ألقاها فحُزِرَت[1] ألف رطل. قال وحدثنا: موسى بن عبدالله عن أبيه عن سعيد بن عقبة بهذا، قال أبو زيد: ووقف موسى على الصخرة بسويقة، وذكر لي أنه ورجل من أصحابه عالجها وهي على حرفها فكان جهدهما أنهما حركاها. وله عليه السلام:

متى نرى للعدل نوراً وقد | أسلمني ظلمٌ إلى ظلم
أمنية طال عذابي بها | كأنني فيها أخو حُلْمِ

وخطب عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ اعوج، ولن ننحوا إلا أثره، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيدٌ إمام الأئمة، وأولى من دعا إلى الله بعد الحسين بن علي عليهما السلام.

ذكر بيعته ومدة ظهوره عليه السلام[2]:

كان ظهوره عليه السلام بالمدينة بعد أن أقام مستتراً مدة طويلة، واشتد الطلب عليه من أبي جعفر الملقب بالمنصور فلم يقف له على خبر، وكتب كتاب الدعوة إلى الناس وأمر بإذاعته، وهو هذا على اختصار: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإن الله جل ثناؤه جعل في كل زمان خيرة، وجعل من كل خيرة منتجبًا، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فلم تزل الخيرة من خلقه تناسخ أحوالاً بعد أحوال، حتى كان منها صفوة الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المرسلين وخاتم النبيين، اختصه بكرامته، وأخرجه من خير خلقه قرنا فقرنا، وحالا بعد حال، محفوظًا مُجَنّبًا سوء

---

(١) في (ج): فحسبت.

(٢) أنظر مقاتل الطالبين ٢٥٧، وما بعدها والإفادة ٥٦.

الولادات، متسقًا بأكرم الآباء والأمهات، فلو أن أحدنا في مثل منزلته، وعند الله في مثل حاله؛ لاصطفاه ولأخرجه من مخرجه تبارك وتعالى، ولكن نظر إليه برحمته، واختاره لرسالته، واستحفظه مكنون حكمته، وأرسله بشيرًا ونذيرًا، وقائدًا إليه وسراجًا منيرًا، ثم قبضه الله إليه حميدًا ﷺ، فخلّف كتابه الذي كان به هدى واهتدى، وأمر بالعمل بما فيه، وقد نجم الجور، وخولف الكتاب الذي به هدى واهتدى، وأميتت السنة، وأحييت البدعة، ونحن ندعوكم أيها الناس إلى الحكم بكتاب الله وإلى العمل بمافيه، وإلى إنكار المنكر، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونستعينكم على ما أمر به في كتابه من المعاونة على البر والتقوى.

واعلموا أيها الناس أنكم غير مصيبي الرشد بخلافكم لذريته ﷺ، ووضع الأمر في غير محله، ففارت أجُدُكم بعد جُمَاحها[1]، و تفرقت جماعتكم بعد اتساقها، وشركتم الظالمين في أوزارها لترككم التغيير على أمرائها، ودفع الحق من الأمر إلى أوليائه، فلا سهمنا أوفيناه، ولا تراثنا أعطيناه، وما زال يولد مولودنا في الخوف، وينشأ ناشئنا في القهر والغلبة، ويموت ميتنا بالذل والقتل، بمنزلة بني إسرائيل يُذبح أبناؤهم ويُستحيى نساؤهم، ويولد مولودهم في المخافة، وينشأ ناشئهم في العبودية، وإنما فخرت قريش على سائر الأحياء بمحمد ﷺ، ودانت العجم للعرب بادعائها لحقنا بأبينا ﷺ، ثم مُنِعْنَا حقه، ودُفِعْنَا عن مقامه، أما والله لو رجوا التمكين في البلاد، والظهور على الأديان، وتناول الملك بخلاف إظهار التوحيد، وبخلاف الدعوة إلى محمد ﷺ والإذعان منهم بالقرآن، لتخذوا أساطير مختلفة بأهوائهم، ولعبدوا الأوثان بأرائهم، ولتخذوا من أنفسهم زعيمًا، فاتقوا الله عباد الله، وأجيبوا إلى الحق، وكونوا عليه أعوانًا لمن

---

(١) في (أ): فغارت أحلامكم بعد جماحها. والأجد: الناقة القوية الموثقة الخلق. لسان العرب ٣/ ٧٠. والجماح: المهزومون من الحرب. لسان العرب ٢/ ٤٢٧.

دعاكم إليه، ولا تأخذوا بسنة بني إسرائيل إذ كذّبوا أنبياءهم، وقتلوا ذريتهم، على أنها سنة لسنة ترتكبونها، وعروة بعد عروة تنكثونها، وقد قال الله جل ثناؤه في كتابه: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق:١٩] فاعرفوا فضل ما هداكم به، وتمسكوا بوثائقه، واعتصموا بعروته، من قبل هرج الأهواء، واختلاف الأحزاب، وتنكب الصواب، فإن كتابي حجة على من بلغه، ورحمة على من قبله، والسلام.

وكتب ﷺ كتابًا إلى خواص أصحابه، وأمر بقراءته عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإن الله جل ثناؤه بعظمته ألزم نفسه علم الغيوب عن خلقه؛ لعلمه أنها لا تصلح إلا له، ثم أنشأ خلقه بلا عون، ودبرّ أمره بلا ظهير، تدأ ما أنشأ على غير مثال من معبود كان قبله، ثم اختار لتفضيله بعلمه من ملآئكته ورسله من أئمنه على أسرار غيوبه، لم يلاحظه في الملكوت عين ناظرة، ولا يدٌ لامسة، متفرد بما دبّر، ذلكم الله رب العالمين إلى أن أخرج محمداً ﷺ من خير نسل ذوي العزم من الرسل، تناسخه دوارج الأصلاب، إلى مطهرات الأرحام، حتى استخرجه خير جنين، وأصحبه خير قرين، أرسله بنور الضياء إلى أهل الظلم والكفر، قد نسكوا وذبحوا للأصنام، واستقسموا بالأزلام، مترددين في حيرة الضلالة، كلما ازدادوا في عبادتهم جهلا ازدادوا من الله بها بعداً، حتى تصرمت عنهم مدة البلاء بقيام محمد ﷺ فيهم يدعوهم إلى النجاة، ويضمن لهم الظفر في الدنيا، وحسن المثوبة في الآخرة، ويخبرهم عن القرون الماضية، كيف نجى من نجى منهم بالاستجابة لرسلهم، وكيف بعث العذاب على من تولّى منهم وأمثالهم، وانظر إلى آثارهم وديارهم خاوية على عروشها كيف تركوهاومافيها، فقال: يا قوم احذروا مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود، فأبوا إلا التكذيب بالتوحيد، واستعظموا أن يجعلوا الآلهة إلهًا واحدًا، فلما أُمر أن يجاهد بمن أطاعه من عصاه، كبر عليه مجاهدة الكثير من المشركين بالقليل من المسلمين،

ضمن الله له عاقبة الأمر والظفر، وشدَّ له أزره وأعانه بابن عمه وابن صنو أبيه، وشريكه في نسبه، ومؤنسه في وحدته، من الشجرة المباركة، استجاب له على ضراعة من سنّه، حتى سيط الإسلام بلحمه ودمه، لم يخشع بين يدي آلهتهم وعُزَّاهم، إذ هي تدعى وغيره خاشع لها، عاكف عليها هي له منسك، إلى أن اشتد على الضرع الصغير على التوحيد عظمه، وعظمت في اتخاذ الخير هممه إليه يستريح رسول الله ﷺ بأسراره، فكان هو عليه السلام الصديق الأكبر، والفارس المشهر، سابق العرب إلى الغاية، ليس أمامه فيها إلا الرسول ﷺ المرسل، بالكتاب المنزل، يصلي بصلاته، ويتلو معه آياته، تفتح لعملهما أبواب السموات السبع، تهوى جبهته مع نبيه ﷺ إلى القبلة المجهولة عند قومه، ليست إصبع يمدها متوسلاً إلى الله جل ثناؤه غير إصبعه، ولا ظهر يحنو لله في طاعته قبل ظهره، إن ساماهم بشرفه في أوليته سبق عليهم بفارع غصون مجده، وعواطف شرف من قام عنه من أمهاته، ثم نشأ في حجر من نشأ، يؤدبه بالكتاب، إذ غيره يباكر عبادة اللات والعزى، شهد له القلم الجاري بعلمه في حال الفردانيه، إذ هو يسارق الصلوات أهله، إذ لا قلم جار، ولا شهيد على مطيع ولا عاصٍ غيره، يكاثف النبي ﷺ في مواطنه، ويستريح إليه بأسراره، ويستعديه بهممه، إذا النبي ﷺ هو المستوحش من جماعتهم، والخائف على دمه منهم، أين زال النبي ﷺ زال معه، وإن غال النبي ﷺ أمرٌ وقاه بنفسه، فمن يساويه وهذه حاله صلوات الله عليه؟، والحال هذه حال القوم في كفرهم بربهم، وإنكارهم رسوله، واختيارهم عبادة أوثانهم، وعلي بن أبي طالب عليه السلام يُعظّم ما صغّروا، ويكرم ما أهانوا، حتى دخل من دخل في دين الله رغبة ورهبة، فلما طال على رسول الله ﷺ تكذيب قومه إياه استشار عليّاً صلوات الله عليه فقال: ما ترى؟ قال: يا رسول الله: ها سيفي، وكان بالضرب به دونه جواداً، قال رسول الله ﷺ: إني لم أؤمر بالسيف فنم على فراشي،

وق بنفسك نفسي حتى أخرج فإني قد أُمرت بذلك، فنام على فراشه ووقاه بنفسه باذلاً لمهجته، واثقًا بأن الله تعالى غير خاذله، ومن يدعي الفضل له عليه: إما راصدٌ لرسول الله ﷺ أو معين عليه، أو جالس عنهُ همُّهم في ذبائح الغنم على الأصنام، والإستقسام بالأزلام، وأقلام الملآئكة عليهم السلام تصعد بعمل رسول الله ﷺ، فلما استقرت به الدار، وحل في الأنصار، أمره الله جل ثناؤه أن يشهر سيف التوحيد، وضمن له التأييد، فجآءت حال المنابذة، وتدانت الزحوف، أيده الله جل ثناؤه بعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقام إليهم وله خطرات بسيفه ذي الفقار، فسألوه عن النسبة، فانتهى إلى محل اليفاع[1] الذي لا لأحد عنهم مرغب، وأوجل الله قلوبهم من مخافته حتى اجتنبوا ناحيته، فما زالت تلك المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى سَمَتْه رجال قريش، وحتى تشاغلت نسآؤهم بالمآتم، فكم من باكية أو داعية، أو موتور قد احتشى غلته بفقدانه أباه أو أخاه أو عمه أو خاله أو حميمه، يخوض مهاول الغمرات بين أسنة الرماح، لا يثنيه عن نصرة رسول الله ﷺ بنوة حداثة، ولا ظنٌ بمهجته، حتى استولى على الفضل في الجهاد في سبيل الله، وكان أحب الأعمال إلى الله، وزرعَ إبليس عدو الله بغضه في قلوبهم، فلاحظوه بالنظر الشزر، وكسروا دونه حواجبهم، وراسوا بالقول فيه، والطعن عليه، فلم يزده الله بقولهم فيه إلا ارتفاعًا كما نالوا منه، نزل القرآن بجميل الثناء عليه في آي كثير من كتاب الله، قد غمنهم مكانه في المصاحف، ومن قبل ما أثبته الله جل ثناؤه في وحي الزبور: أنه وصي الأوصياء، وأول من فتح بعمله أبواب السمآء.

فلما قبض رسول الله ﷺ كان أولاهم بمقامه، ليس لأحد مثله في نصرته لرسول الله ﷺ، وأخ ليس لهم مثله له جناحان يطير بهما في

---

(١) معجم البلدان ٤٣٩/٥ : اليفاع: المشرف من الأرض والجبل، وقيل: هو قطعة منها فيها غلظ، لسان العرب ٤١٤/٨ .

الجنة، وعمٌّ له سيد الشهدآء في جميع الأمم، وابنان هما سيدا شباب أهل الجنة، وله سيدة نسآء العالمين، ثم قبض. ولما قبض رسول الله ﷺ أخذ أهله في جهازه إلى ربه، واختلفوا فيمن يلي الأمر من بعده، فقالت الأنصار: نحن الذين آوينا ونصرنا، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر وهو بباب رسول الله ﷺ ينتظر جهازهم له والصلاة عليه، فقال له: إنك لغافل عما أسست الأنصار وأجمعوا عليه من الصفقة على يد سعد بن عبادة، ثم تناول يده عمر فجذبه فأقامه حتى انتهى إلى سعد، وقد عكفوا عليه وازدحموا حوله، وتكلّم أبو بكر فقال: يا معشر الأنصار، أنتم الجيران والإخوان، وقد سمعتم قول رسول الله ﷺ: «إن هذا الأمر لا يصلح إلا في قريش»[1]، وقد علمت العرب أني أوسطها دارًا، وأصبحها وجهًا، وأبسطها لسانًا، وأن العرب لا تستقيم إلا علينا، فقال عمر: هات يدك يا أبا بكر أبايعك، فمدَّ يده أبو بكر فضرب عليها بشير بن سعد، ثم ثلث أبو عبيدة بن الجراح، ثم تتابعت الأنصار، فبلغ ذلك عليًا عليه السلام فشغله المصاب برسول الله ﷺ عن القول لهم في ذلك، واغتنموا تشاغله برسول الله ﷺ، فنظر علي عليه السلام لدين الله قبل نَظَره لنفسه فوجد حقه لا ينال إلا بالسيف المشهور، وتذكّر ما هُم به من حديث عهد بجاهلية فكره أن يضرب بعضهم ببعض فيكون في ذلك ترك الألفة، فأوصى بها أبو بكر إلى عمر من غير شورى، فقام بها عمر وعمل على الولاية بغير عمل صاحبه، ليس بها عهد من رسول الله ﷺ، ولا تأول من كتاب الله إلا رأي توخاه هو فيه مفارق لرأي صاحبه، جعلها بين ستة نفر، وضع عليهم أمنآء أمرَهم إن اختلفوا أن يقتلوا الأقل من الفئتين[2]، فصغّروا ما عظم الله وصاروا ولاة السوء، سُدت عليهم أبواب التوبة، واشتملت عليهم النار بما فيها والله جل ثناؤه بالمرصاد ولا حول ولا قوة

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٤٢-١٤٣، ومسند ابن حنبل ٦ رقم ١٦٨٥٢، فتح الباري ١٣/ ١١٤، وكنز العمال ٣٣٧٩٩.

(2) في هامش(ج): فصفروا -بالفاء- وهو من هاهنا للمصنف أمر المصنف أن يروى عنه إلى قوله: ثم انتشرت دعوته.

إلا بالله العلي العظيم .

ثم انتشرت دعوته عليه السلام، فلما بلغت إلى أهل الفضل والدين تلقوها بالقبول والإجابة لمعرفتهم بفضله وزهده وعلمه، وانتشرت في الآفاق، وظهرت بخراسان، وبايعه الجمهور من أهلها، واضطرب أهل خراسان على أبي الدوانيق اضطرابًا شديدًا، حتى همّوا بطرد ولاته ودعاته، فقتل محمد بن عبدالله بن عمرو ابن عثمان، وأمه: فاطمة بنت الحسين، وأمر برأسه مع عدة من الناس يحلفون لأهل خراسان أن هذا رأس محمد بن عبدالله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فسكتوا بعد أن كانوا هموا بخلع أبي الدوانيق، وصار أبو جعفر شديد[1] الشغل به؛ لما يعرف من شهامته وفضله وعلمه، وجرت بينه عليه السلام وبين أبي جعفر الدوانيقي مكاتبات كان ابتداؤها من أبي جعفر كتب إليه أولاً من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله ﴿إِنَّمَا جَزَآؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ الآية[المائدة:٣٣] ولك عهد الله وميثاقه، وذمته وذمة رسول الله إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أني أومنك وجميع ولدك وإخوانك وأهل بيتك على دمائهم وأموالهم، وأستودعكم ما أصبتم من دم وأموال، وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج، وأنزلك من البلاد بحيث شئت، وأخلي من في محبسي من أهل بيتك، وأومن كل من آواك أو بايعك ودخل في شيء من أمرك ثم لا أتبع أحدًا منهم بشيء كان منهم أبدًا، وإن أحببت أن توثق لنفسك فوجه إلي من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق وما تثق به وتطمئن إليه إن شاء الله، والسلام.

فكتب إليه النفس الزكية: من عبدالله محمد بن عبدالله أمير المؤمنين

---

(١) في (أ): كثير.

إلى عبدالله بن محمد ﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[القصص: ١-٦] وأنا أعرض عليك من الأمان ما عرضت علي، وأنت تعلم أن الحق حقنا، وأنكم ادعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم بشيعتنا، وأن أبانا عليًا كان الإمام فكيف ورثتم ولايته دون ولده؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرف أبينا، وأنا لسنا من أبناء الطلقاء، ولا العتقاء، ولا اللعناء، ولا الطرداء، وأنه لا يمت أحد من بني هاشم بمثل ما نمت به من القرابة والسابقة والفضل، فإنا بنو أم رسول الله ﷺ في الجاهلية، وفي الإسلام بنو ابنته دونكم، وأن الله اختارنا واختار لنا، فولدنا من النبيين أفضلهم محمد ﷺ، ومن السلف أولهم إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن الأزواج أفضلهن خديجة أول من صلى القبلة- رحمة الله عليها، ومن البنات فاطمة سيدة نسآء العالمين- رحمة الله عليها، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن هاشمًا ولد عليًا مرتين، وأن عبدالمطلب ولده مرتين، وأن النبي ﷺ ولدني مرتين وإني من أوسط هاشم نسبًا، وأصرحهم أمًا وأبًا، وأنه لم يعرف في سجحم[1]، ولم يتنازع فيَّ أمهات الأولاد، وما زال الله تعالى يختار لي الأبآء والأمهات في الجاهلية والإسلام، حتى اختار لي في النار[2]، فأنا ابن أرفع الناس درجةً في الجنة، وأنا ابن أهون الناس عذابًا، وأنا ابن خير الأخيار، وابن خير أهل الجنة والنار[3]، ولك إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أؤمنك

---

(١) أي: عجمة.

(٢) في (أ): غير منقطوة، ونظنها: في النار.

(٣) هذه العبارة تشير إلى كفر أبي طالب، وهي تصادم رأي أهل البيت في إسلامه، ثم إن الافتخار بأهل النار لا يليق بإمام بحجم النفس الزكية! فما أراها إلا مقحمة من صنع خيال النساخ، فمن دخل النار فلا خير فيه. ومن فضائل المذهب الزيدي أنه يعرض النصوص على العقل والقرآن ليرد ما صادمهما ... والله أعلم.

على نفسك ومالك ودمك وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله، أو حقًّا لمسلم أو معاهد، وقد علمت ما يلزمك في ذلك ومن ذلك، وأنا أولى بالأمر منك، وأوفى بالعهد والعقد؛ لأنك تعطيني من عهدك ما أعطيته رجالاً من قبلي، فأي أمانك تعطيني: أمان ابن هبيرة؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي؟ أم أمان أبي مسلم؟ والسلام.

فأجابه أبو جعفر: من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله أما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، فجلُّ فخرك بقرابة النسآء، ولم يجعل الله النسآء كالعمومة والأبآء، ولا كالعصبة والأولياء؛ لأن الله تعالى جعل العم أبًا، وبدأ به على الولد الأدنى، ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن لكانت آمنة أقربهن رحمًا، وأعظمهن حقًّا، وأول من يدخل الجنة غداً، ولكن اختار الله لخلقه على قدر علمه الماضي منهم، فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي النبي ﷺ(واله) وولادتها فإن الله لم يرزق من ولدها ذكراً ولا أنثى الإسلام، ولو كان أحد من ولدها رزق الإسلام بالقرابة لكان عبدالله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة، ولكن الأمر إلى الله يختار لدينه من يشآء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦] ولقد بعث الله نبيه محمداً وله عمومة أربعة، وأنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] فدعاهم فأنذرهم، فأجابه اثنان: أحدهما أبي، وأبى اثنان: أحدهما أبوك، فقطع الله ولايتهما، ولم يجعل بينه وبينهما إلاً ولا ذمة ولا ميراثًا، وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابًا، وابن خير الأشرار، وليس في الكفر بالله صغير، ولا في عذاب الله خفيف ولا قليل، ولا في الشر خيار، ولا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالشر، وسترد فتعلم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] وأما ما فخرت به من أن فاطمة أم علي، وأن

هاشمًا ولده مرتين، وأن عبدالمطلب ولده مرتين، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ لم يلده هاشم إلا مرة، ولا عبدالمطلب إلا مرة، وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسبًا، وأصرحهم أمًا وأبًا إلى آخر ما ذكره.

فأجابه محمد بن عبدالله عليه السلام بهذه الرسالة وهي التي يقال لها: الدامغة.

قال مؤلف كتاب المصابيح: وهو الذي روينا منه هذه الكتب وما قبلها من كتبه عليه السلام بعد سماعنا له، وأنا أريد أن أختصر منها، فإني لو أثبته على الوجه لطال الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه:٩٨-١٠١] أما بعد: فإنك ذكرت أن فخري بالنسآء، فرأيت أن أوضّح من أمرهن ما جهلته، ومن حق العم لأب وأم خلاف ما وهمته، أو ليس قرابتهن أقرب القرابة؟، أوليس قد ذكر الله الأمهات، والأخوات، والبنات، ولم يجعل بينهن وبين الأبآء والقرابة فرقًا؟ فقال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾[النساء:٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَآءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ... الآية﴾[1] [النساء:١٢٧] فقد ذكر الأمهات والأخوات والبنات، ولم يذكر العم، ثم فرض على عباده البر بالنسآء والرِّجال إذ قال: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف:١٥] ثم ذكر فضل الأم على الأب فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف:١٥] وكذلك في ثواب ما عنده إذ يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

---

(١) وردت في النسخ: ﴿يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة﴾، وهو جمع بين آيتين.

إلى قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾ [النور:٦١] وقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف:١٠٠] وإنما كانت خالته، وقال النبي ﷺ وآله: «الخالة والدة، والخال والد يرث ماله ويفك عانيه».

وأما قولك: لو كان الله اختار لهن لكانت آمنة أم النبي ﷺ وآله أقربهن رحمًا، فهل أنبأتك أن الله اختار لهن أو لأحد من خلقه ذكرًا أو أنثى على قرابته فتحتجَّ عليَّ به؟ ما اختار الله أحدًا من خلقه، ولا اختار له إلا على السابقة والطاعة، وكانت هذه حالة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمي فاطمة بنت محمد، لم تكفر بالله قط؛ ولذلك قال لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..﴾ [البقرة:١٢٤] إلى آخره، وأما فاطمة بنت عمرو[1] أم أبي طالب وعبدالله والزبير وولادتها إياي، فكيف أنكرت ذلك وأنت تحتج بالعصبة والعمومة ولم يجعل الله للعباس من قرابة العمومة شيئًا لم يجعله لأبي طالب.

وأما قولك: إنكم حزتم بأبيكم وراثة[2] رسول الله ﷺ وآله دوننا فأخبرني أي الميراث حازه العباس لكم دوننا؟ الخلافة دون المال! أوالمال دون الخلافة! أو الخلافة والمال معًا، فإن قلت: الخلافة دون المال! فيجب على القياس أن تقسم الخلافة على قسم المواريث للذكر مثل حظ الأنثيين، فالولد[3] أحق بها من العم، والأخ أولى من العم، فإن جاز ذلك فلم ورثتها دون عمومتك، وهم أولى بالكبر منك ومن أخيك، ولم ورثت أخاك دون ولده إلى كلام طويل.

وذكر في آخر هذا الجواب: ولست أراه يسعني إلا مجاهدتك، فإن

---

(١) في (أ): عمر.

(٢) في (ج): ورثة.

(٣) في (أ): فالوالد.

موعدك الساعة والساعة أدهى وأمرّ، وأنا على بصيرة من أمري، وماض على ما مضى عليه سلفي وأشياعهم الذين ذكرهم الله تعالى، فقال: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] إلى آخره، وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

ولما عقدت البيعة له في أعناق أهل الفضل، وانتشر ذكره في الآفاق، اضطر عليه السلام إلى الخروج قبل أوانه، وكان سبب ذلك أن أبا جعفر لما حبس أباه عبدالله بن الحسن وإخوته عليهم السلام، وشدّد عليهم بسبب محمد بن عبدالله، وأمر بضرب موسى بن عبدالله فضرب ستمائة سوط، ثم أمره أبو جعفر بزعمه ليكون له عينًا، فتقدم موسى بن عبدالله عليهما السلام على أنه يكون عينًا له على محمد بن عبدالله عليهما السلام، فأقام مدة بالمدينة حتى أمر واليها إلى أبي جعفر: إنك بعثت موسى ليكون لك عينًا على محمد بن عبدالله وإنه عين لهم علينا، فأمر أبو جعفر بإحضار موسى إليه فلما خرجوا بموسى بن عبدالله عليه السلام خشي محمد بن عبدالله عليهما السلام القتل على أخيه فشهر نفسه في الحال.

وكان ظهوره عليه السلام: لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة، وروي في غرة رجب، وخرج وعليه قلنسوة صفراء وعمامة فوقها متوشحًا سيفًا، وانضاف إليه في تلك الحال مائتان وخمسون رجلاً، فتقدم حتى وقف على سجن المدينة وأرسل من فيه، ودخل المسجد قبل الفجر فخطب الناس، وقال في خطبته بعد حمد الله والثناء عليه:

أما بعد: يا أهل المدينة فإني والله ما خرجت فيكم وبين أظهركم لأتعزز بكم، ولَغيرُكم كان أعزّ لي منكم ولكني حبوتكم بنفسي، مع أنه لم يبق مصر من الأمصار يعبد الله فيه إلا وقد أُخذَت لي فيه البيعة، وما بقي أحد من شرق ولا غرب إلا وقد أتتني بيعته، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الأمر لأبناء المهاجرين والأنصار، مع ما قد علمتم من سوء مذهب هذا الطاغية الذي قد بلغ في عتوّه

وطغيانه أن اتخذ لنفسه بيتًا وبوّبه بالذهب - يعني: أبا الدوانيق، ثم بالغ في ذمّه، ولما حضرت الصلاة صلى وبايعه الناس طوعًا إلا شرذمة، وهرب رباح بن عثمان المري عامل أبي جعفر على المدينة وصعد سطح دار مروان، وأمر بهدم الدرجة، فصعد إليه من أخذه من هناك، فسأله عن موسى عليه السلام، فقال: قد أنفذته إلى أبي جعفر، فبعث جماعة من الفرسان خلفه حتى ردوه، ثم خرج عليه السلام إلى مكة فبويع هناك، ووجّه أخاه إبراهيم عليه السلام إلى البصرة، وعاد من مكة إلى المدينة، وكان شعاره: أحدٌ أحدٌ.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وروي عن حسين بن زيد بن علي عليهم السلام، قال: شهد مع محمد بن عبدالله من ولد الحسين أربعة: أنا وأخي عيسى وموسى وعبدالله ابنا جعفر بن محمد الباقر.

وروى أن أوّل قتيل من المسودة اشترك في قتله بين يديه عليه السلام موسى وعبدالله ابنا جعفر بن محمد عليه السلام، وكانا حاضرين معه في جميع جهاده، حتى قُتل وأعطياه بيعتهما مختارَين متقربَين إلى الله تبارك وتعالى بذلك، واستأذنه أبو عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام؛ لسنّه وضعفه في الرجوع إلى منزله بعد أن خرج معه فأذن له، وكانت رايته مع الأفطس الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وخرج معه المنذر بن محمد بن المنذر ابن عبدالله بن الزبير، وابن أبي ذؤيب، وابن عجلان، وخرج معه مصعب بن عبدالله بن الزبير، وابنه عبدالله بن مصعب، وأبو بكر بن أبي سبرة - الفقيه الذي يروي عنه الواقدي، وقد كان عمرو بن عبيد ونفر من أعيان المتكلمين من معتزلة البصرة اختبروه ووقفوا على غزارة علمه ودعآئه إلى القول بالعدل فبايعوه، ومن الناس من أنكر أن يكون عمرو بايعه والصحيح هو الأول، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[2].

---

(١) الإفادة: ٥٤.

(٢) الإفادة ٥٨. والأصفهاني في المقاتل ٢٩٣ - ٢٩٤.

واستفتي مالك بن أنس في بيعته، فأمر الناس بذلك، فقيل: إن في أعناقنا بيعة أبي جعفر، فقال: إنكم بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين[1].

وذكر الشيخ أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني[2] في تسمية من خرج مع النفس الزكية عليه السلام من الفقهاء: عبدالواحد بن أبي عون، ومحمد بن عجلان، وعبدالله بن عامر الأسلمي، وعبدالعزيز بن محمد الدراوردي، وإسحاق بن إبراهيم بن دينار، وعبدالحميد بن جعفر، وعبدالله بن عطاء مولى ابن سباع، وبنوه وهم: إبراهيم، وإسحاق، وربيعة، وجبير، وعبدالله، وعطاء، ويعقوب، وعثمان، وعبدالعزيز، بنو عبدالله.

وروى بإسناده عن بعضهم أن أبا جعفر كان يقول: العجب لعبدالله بن عطاء إنه بالأمس على بساطي ثم يضربني بعشرة أسياف، ثم تَغَيَّب عبدالله بن عطاء حتى مات في إمارة جعفر بن سليمان الأول فخرج به بنوه ليدفنوه، فأخبر جعفر ابن سليمان، فأمر به فأنزل من نعشه ثم صلب، وعبدالله بن عطا من ثقات أهل الحديث، قد روى عن أبي جعفر محمد بن علي وعن عبدالله بن بريدة وغيرهما من وجوه التابعين.

وروى عنه الثقات مثل: مالك بن أنس ونظرآئه، وعبدالله بن عامر الذي ذكرناه هو: الأسلمي القاري ويكنى أبا عامر وهو ثقة روى عنه وكيع وأبو نعيم وعبيدالله بن موسى وأبو ضمرة، وروى هو عن الزهري ونافع، ووثقه يحيى بن معين ورووه في الحديث، وإياه يعني: إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بقوله:

أبو عامر فيها رئيسٌ كأنها كراديس تغشى حجرة المتكبر[3]

قال: وخرج إبراهيم[4] بن هرم مع محمد في محفة، وقال: ما فيَّ قتال ولكن

---

(١) الافادة ٥٩. والمقاتل ٢٨٣.

(٢) المقاتل ٢٨٦.

(٣)المقاتل ص٢٩٧.

(٤)إبراهيم ساقط من الأصل.

أحببت أن تتأسّى بي الناس، وخرج معه من المنظورين المعروفين بالزهد والعلم والعمل مطر الورّاق رحمة الله عليه، ولما قتل إبراهيم عليه السلام أُسر مطر رحمه الله وقدم على المنصور وقال له: يامطر، أنت القائل: إن في قلبي لحر لا يطفئه إلا بردُ عدل أو حرُّ سنان، قال: أنا القائل ذلك، فقال أبو جعفر: لأذيقنك اليوم حرَّ سنان يشيب منه رأسك، قال مطر: إذًا لأصبرن صبرًا يذل الله فيه سلطانك، فأمر بقطع يديه فمدوا يديه فقبضهما، فقال: يا مطر هذا خلاف ما وعدت، فقال: كلا ولكن لا أعينك على معصيتك، فقطعوا يديه فما قطب، ثم قتل رحمة الله عليه.

أولاده عليه السلام :

قال السيد أبو طالب عليه السلام [1] عبدالله الأشتر قتل (بكابل) وله عقب، وعلي أخذ (بمصر) فمات في حبس محمد بن أبي جعفر الملقب بالمهدي، والحسن قتل (بفخ) ولم يذكر الطالبيون غير هؤلاء، وذكر غيرهم حسينًا. وأجمعوا أنه وَلَد ابنتين: فاطمة، وزينب درجتا، وأمهم جميعًا: أم سلمة بنت محمد بن الحسن الثاني بن الحسن بن علي عليهم السلام [2].

وروينا عن بعضهم أنه عليه السلام كان في بعض الجبال وقد اشتد به الطلب، ومعه ولد صغير من أم ولد فسقط الولد فمات فأنشأ عليه السلام يقول:

منخرق الخفين يشكو الوجا ... تنكبه أطراف مرو حداد
شرّده الخوف وأزرى به ... كذاك من يكره حرَّ الجلاد
قد كان في الموت له راحةٌ ... والموت حتمٌ في رقاب العباد

عمّاله عليه السلام :

أنفذ قبل ظهوره إبراهيم بن عبدالله عليهما السلام على خلافة البصرة،

---

(١) الإفادة : ٥٩ .

(٢) الإفادة ص٧٨ .

وولي قضاء المدينة عبدالعزيز بن المطلب المخزومي، وكان على أبواب العطاء عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور بن مخرمة، وعلى شرطته عبدالحميد ابن جعفر، ثم وجهه في وجْه، فولاّها عمرو بن محمد بن خالد بن الزبير ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[1].

ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام[2]:

لما اشتهر أمره عليه السلام في المدينة وغيرها، جهز أبو جعفر إليه الجنود يقودهم عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس في أربعة الآف رجل وقال: إنك سترد على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وجيران قبره فإن قتل محمد أو أخذ أسيراً فلا تقتل أحداً وارفع السيف، فإن طلب محمد الأمان فأعطه، وإن فاتك فاستمل عليه أهل المدينة، فاقتل من ظفرت به منهم، فلما بلغ محمداً مسيره خندق على المدينة خندقًا على أفواه السكك، فقاتلهم عيسى بن زيد بن علي عليهم السلام، ومحمد جالسٌ على المصلى ثم جآء هو فباشرهم القتال بنفسه، فلما اقتتلوا ساعة انهزم أصحاب محمد وتفرقوا عنه فلما رأى ذلك رجع إلى دار مروان فصلى الظهر واغتسل وتحنط، وذكر الشيخ أبو الفرج أن القتال كان يوم الاثنين للنصف من شهر رمضان[3].

وروى بإسناده عن أبي الحجاج قال: رأيت محمداً وإن أشبه ما خلق الله به لَمَا ذُكرَ من حمزة بن عبدالمطلب يهذُّ الناس بسيفه ما يقاربه أحد إلا قتله، لا والله ما يلَيق[4] شيئًا، حتى رماه إنسان كأني أنظر إليه أحمر أزرق بسهم، ودهمتنا الخيل فوقف إلى ناحية جدار وتحاماه الناس.

---

(1) الإفادة ٥٩.

(2) أنظر المقاتل ٢٧٥، والإفادة ٥٩، والمصابيح ٤٤٣.

(3) المقاتل ص٢٧٥.

(4) أي لم يَلقَ شيئًا إلا قطعه حُسامه. لسان العرب ١٠/ ٣٣٤. ومن ذلك قول أبي العيال:
خصم لم يلقَ شيئًا . . . كأن حسامه اللهبُ.

وروى أنه قتل يوم ذاك اثني عشر رجلاً من جنود الظالمين، ثم كان انهزام عسكره ﷺ، على ما رواه الإمام المنصور بالله ﷺ بحيلة امرأة عباسية كانت في المدينة، وذاك أنها أمرت خادمًا بقناع أسود رفعه في منارة مسجد رسول الله ﷺ، وأمرت خدامًا لها آخرين صاحوا في العسكر: الهزيمة الهزيمة، إن المسودة قد جآؤا من خلفكم فدخلوا المدينة، فالتفت الناس فأبصروا الراية السوداء على المنارة فلم يشكوا في ذلك، فانهزم الناس وبقي وحده ﷺ يقاتل حتى عرض له رجل فضربه على ذقنه فسقطت لحيته على صدره فرفعها بيده وشدّها، ثم رُمي بنشابة في صدره، فحملوا عليه من كل جانب فقتل، وكان الذي تولى الإجهاز عليه حميد بن قحطبة، وفي بعض أخباره ﷺ أنه لما حمي الوطيس خرج في قباء طاق وهو يقول:

قاتل فما بك إن حبست بدومة	في ظل غرفتها إذا لم تخلد
إنَّ امرءًا يرضى بأهون سعيه	قصرت مروؤته إذا لم يزدد

وروى أبو الفرج بإسناده عن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن حسن قال: لما كان اليوم الذي قتل فيه محمد قال لأخته: إني في هذا اليوم على قتال هؤلآء فإن زالت الشمس ومطرت السمآء فإني مقتول، وإن زالت الشمس ولم تمطر السمآء وهبت الريح فإني أظفر بالقوم، فإن زالت الشمس فأجّجي التنانير وهيِّئي هذه الكتب، فإن زالت الشمس ومطرت السماء، فاطرحي هذه الكتب في التنانير، فإن قدرتم على بدني فخذوه، ولن تقدروا على رأسي، فأتوا به ظلة بني نُبَيْه على مقدار أربعة أذرع أو خمسة، فاحفروا لي حفرةً فادفنوني فيها، فلما مطرت السمآء فعلوا ما أمرهم به، وقالوا: آيةُ قتل النفس الزكية أن يسيل الدم حتى يدخل بيت عاتكة قال: فكانوا يعجبون كيف يسيل الدم حتى يدخل بيت عاتكة، فكان يومًا مطيرًا، فسال الدم حتى دخل بيت عاتكة، قال: وأخذ جسده فحفروا له حفيرة فوقعوا على صخرة، فدلوا الحبال فأخرجوها فإذا

فيها مكتوب، هذا قبر الحسن بن علي بن أبي طالب، فقالت زينب: رحم الله أخي كان والله أعلم حيث أوصى أن يدفن في هذا الموضع[1]!! .

وقد ورد الأثر في النفس الزكية: «أنه يقتل فيسيل دمه إلى أحجار الزيت، لقاتله ثلث عذاب أهل جهنم»، رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام.

وروى أبو الفرج بإسناده[2]: أن زينب بنت عبدالله، وفاطمة بنت محمد بن عبدالله بعثتا إلى عيسى: إنكم قد قتلتم هذا الرجل وقضيتم منه حوائجكم فلو أذنتم لنا لواريناه. فأرسل إليهما: أما ما ذكرتما يا بنتَي عمي أني نلت منه، فوالله ما أمرت ولا علمت فوارياه راشدتين، فبعثتا إليه فاحتمل، فقيل: إنه حُشِيَ في مقطع عنقه عديلة من قطن.

وروى بإسناده عن أم سلمة بنت محمد بن طلحة قالت: سمعت زينب بنت عبدالله تقول: كان أخي رجل آدم، فلما أدخل وجدته قد تغير لونه وحال حتى رأيت بقية من لحيته فعرفتها، فأمرت بفراش فجعل تحته، وقد أقام في مصرعه يومه وليلته وإلى غد، فسال دمه حتى استنقع تحت الفراش فأمرت بفراش ثان، فسال دمه حتى وقع بالأرض، فحولت تحته فراشًا ثالثًا فسال دمه وخلص من فوقها جميعًا.

وحُمِل رأسه إلى أبي جعفر مع ابن أبي الكرام الجعفري، وكان قتله بعد العصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، ذكره أبو الفرج من سنة خمس وأربعين ومائة، وقيل: سنة ست، وقيل: إنه قتل عن اثنتين وخمسين سنة.

---

(1) المقاتل ص٢٧١.

(2) المقاتل ٢٧٥.

قال السيد أبو طالب عليه السلام - وقد ذكر ذلك -: وهذا كله مخالف لما ذكرناه من تأريخ مولده ويجب أن يكون أحدهما غير صحيح والله أعلم بالحقيقة.

وكانت مدة قيامه عليه السلام بالأمر وانتصابه: شهرين تزيد أيامًا.

ولما قتل عليه السلام ودخل الجند الظالم لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف حميد ابن قحطبة على الباب ولم يدخل، فقال له[1] بعضهم: ما رأيت أعجب من أمرك يا حميد يضرب الناس آباط الإبل لزيارة قبر رسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتصل إلى باب مسجده ثم لا تزوره! فقال: والله إني لأستحيي منه، الآن قتلت ولده ثم أدخل لزيارته، فقال عيسى بن موسى: اسكت.

ولإبراهيم بن عبدالله يرثي أخاه النفس الزكية عليهما السلام:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإنَّ بها ما يدرك الطالب الوترَا

وإنا أناسٌ لا تفيض دموعُنا ... على هالك منَّا وإن قصم الظَّهرا

ولست كمن يبكي أخاه بعبرةٍ ... يعصِّرها مِن جَفْنِ مقلته عصرا

ولكنني أشفي فؤادي بغارةٍ ... تلهِّب في قطري كتائبها[2] الجمرا

وقال غالب بن عثمان الهمداني من آل ذي المشعار:

يا دار هيَّجت البكآء فأعولي ... حـييت منزلة دثرت ودارا

بالجزْع من كنفي سويقة أصبحت ... كالبرد بعد بني النبي قفارا

الحَاملين إذا الحمالة أعجزت ... والأكرمين أرومة ونجارا

والمطرين إذا المحول تتابعت ... درراً تداولها المحول غزارا

والذائدين إذا المخافة أبرزت ... سوق الكواعب يبتدرن حضارا

وثبت نتيلة[3] وثبة بعلوجها ... كانت على سلفي نتيلة عارا

---

(1) المقاتل ص٢٧٦.

(2) في (أ): جوانبها.

(3) نتيلة: هي أم العباس بن عبدالمطلب وهي بنت حبان بن كلب من الخزرج.

فـتـثلمت سـاداتهـا وتنهكت حـرمًا مـحـصَّنة الحـدود[1] كـبارا

ولغت دمآء بني النبي فأصبحت خضبت بهـا الأشـداق والأظفـارا

لا تسـقني بيـديك إن لم أنبـعث لبني نتـيلة جـحـفـلاً جـرارا

لجبًا يضـيق به الفـضاء عـرمرمًا يغـشي الدَّكـادك قـسطلاً مـدرارا

فـيـه بنيَّـات الصـريح ولاحق قبٌّ تغـادر في الخليف مـهـارا

يخرجن من حلل الغبار عوابسًا يورين في خـضـب الأمـاعـز نارا

فننـال في سلفي نتـيلة ثأرنا فـيـمـا ننال وندرك الأوتارا

وقال أبو الحجاج الجهني :

بكَر النعيُّ بخير من وطئ الحصى ذي المكرمـات وذي الندا والسـؤدد

بالخـاشع البـرِّ الذي من هاشم أمـسى قـتـيـلاً في بقـيع الغـرقـد

ظلت سـيـوف بني أبيـه تنوشـه إذ[2] قـام مُـجْـتـهـداً بدين مـحـمـد

وقال عبدالله بن مصعب :

سالت دموعك ضَلّةً قد هجت ترحًـا ووجـدًا يبـعث الأحـزانا

هلاً على المهدي وابني مُصْعب أذريت دمـعك سـاكبًـا تَهْـتَـانا

والله مـا ولد الحـواضنُ مثلهم أمـضى وأرفع مَـحْـتـداً ومكانا

وأشـدَّ ناهضـة وأقـول للتي تبـغي مـصـادر عـدلهـا العـدوانا

رزءٌ لعـمـرك لو يصـاب بمثله مـيطان[3] صـدّع رزءُه مـيطانا

ولبعضهم :

رحـم الـلـه شـبـابًا قُـتـلوا يوم الـثـنيـه

قـاتـلوا عنـه بنيّـا ت وأحـسـاب نقـيـه

(١)في (أ) : مخضبة الخدود.

(٢)في (أ) : أن.

(٣)ميطان : كميزان من جبال المدينة (القاموس) ٨٨٩.

فــــــرَّ عنه الـنـاس طُرّاً غــيـــــر خــيـل أســديَّه
قـــتل الرحـــمن عــيــسى قـــاتل النفس الزكـــيَّــــة

روى ذلك كله الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبيين[1].

إبراهيم بن عبدالله عليه السلام[2]

هو: أبو الحسن، إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكل إبراهيم في آل أبي طالب فإن كنيته: أبو الحسن؛ ولهذا قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في ولده إبراهيم:

أبا حـــسن وإبراهيـم يُكْنَى أبا حـسن بقـومك أجـمـعـينا

صفته عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام: روي أنه كان سائل الخدين، خفيف العارضين، أقنى الأنف، حسن الوجه، قد أثَّر السجود في جبهته[3].

ذِكْرُ طَرَفٍ من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام قد نشأ على الديانة والعفاف والعلم والعمل حتى بلغ أشرف خطة وأسنى درجة.

روينا أن إبراهيم بن أبي يحيى المدني: سُئل فقيل: قد رأيت محمداً وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن عليهم السلام، فأيهما كان أفضل؟ قال:

---

(١) المقاتل ٣٠٤ - ٣٠٩.

(٢) أنظر الإفادة ٦١، ومقاتل الطالبين ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٨، الأعلام ١/ ٤٨، البدء والتاريخ ٢/ ٨٤، والشافي ١/ ٢٣٧، وطبقات الزيدية «خ» وعمدة الطالب في أنساب أبي طالب ١٢٩، ودول الإسلام للذهبي ١/ ٧٤، والمصابيح ٤٤٥، ومروج الذهب ٣/ ٣٠٦، الطبري، والكامل والبداية والنهاية في حوادث سنة ١٤٥هـ.

(٣) الإفادة ص٦١، ومقاتل الطالبين ٤٥٠.

إبراهيم بن أبي يحيى: والله لقد كانا فاضلين، شريفين، كريمين، عابدين، عالمين، زاهدين، وقد كان إبراهيم يقدم أخاه محمداً عليه السلام ويفضله، وكان محمد عليه السلام يعرف لإبراهيم فضله، وقد مضيا شهيدين صلوات الله عليهما[1].

وروينا عن عمرو بن النضر قال: لَمَّا قتل إبراهيم بن عبدالله وأنا بالكوفة فأتيت الأعمش بعد قتله فقال[2]: ها هنا أحد تنكرونه؟ قلنا: لا، قال: أما والله لو أصبح أهل الكوفة على مثل رأيي لسرنا حتى ننزل بعَقْوَته- يعني أبا جعفر - فإذا قال لي: ما جآء بك يا أعمش؟ قلت: جئت لأبيد خضراءك أو تبيد خضرائي بما فعلت بابن رسول الله صلى الله عليه وآله[3].

وروينا أن إبراهيم عليه السلام كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فسأل عن رجل من أصحابه؟ فقال له بعض من حضر: هو عليل، والساعة تركته يريد أن يموت، فضحك القوم منه، فقال إبراهيم بن عبدالله عليهما السلام: لقد ضحكتم منها وهي عربية، قال الله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف:٧٧] بمعنى: يكادُ أن ينقض، قال: فوثب أبو عمرو بن العلاء فقبل رأسه وقال: لا نزال بخير ما كان مثلك فينا[4].

وروينا عن المفضل الضبي قال: كان إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام متوارياً عندي بالبصرة، قال: إنك تخرج وتتركني ويضيق صدري فأخرج إليَّ شيئًا من كتبك، فأخرجت إليه شيئًا من الشعر، فاختار منه سبعين قصيدة، ثم أتبعتها أنا بسائر اختياري، فالسبعون من أول الاختيارات اختياره والباقي اختياري[5].

---

(١) المصابيح ٤٤٧.

(٢) في (أ): وأنا بالكوفة، فقال الأعمش: هاهنا.

(٣) مقاتل الطالبين ٣٨٣.

(٤) المقاتل ص٣٣٨.

(٥) أنظر الإفادة ٦٢، ومقاتل الطالبين ٣٣٨.

وروى الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية بإسناده: أن محمداً وإبراهيم كانا عند أبيهما، فوردت إبل محمد فيها ناقة شرود لا يُرد رأسها، فجعل إبراهيم يحد النظر إليها، فقال له محمد: كأن نفسك تحدثك بأنك رادّها، قال: فإن فعلت؟ قال: فهي لك، فقال إبراهيم: فجعل ينظر إليها ويستتر بالإبل حتى إذا أمكنته جاءها وأخذ بذنبها فاحتملته وأدبرت تمحص حتى[1] غابت عن عين أبيه، فأقبل على محمد وقال له: عرّضت أخاك، فمكث هونًا ثم أقبل مشتملاً بإزاره حتى وقف عليهما فقال له محمد: كيف رأيت؟ زعمت أنك حابسها؟ قال: فألقى ذنبها وقد انقطع في يده، وقال: ما أعذر من جآء بهذا[2].

وروى له في مقاتل الطالبية يذكر أباه وأهله وحملهم وحبسهم عليهم السلام من المدينة إلى أبي جعفر الملقب بالمنصور:

ما ذكرُكَ الدِّمنةَ القفار وأهـ	ـل الدار إمّا ناؤوك أو قَرِبُوا
إلا سفاها وقد تفرعك الـ	ـشيب بلون كأنه العُطُبُ
ومرّ خمسون من سنيك كما عدْ	دَ لك الحاسبون إذْ[3] حسبوا
فَعَدْ ذكر الشباب لست له	ولا إليك الشباب ينقلب
إني عرتني الهموم واحتضر الهم	وسادي فالقلب منشعب
واستمرح الناس للشقاء وخلفـ	ـتُ لدهر بظهره حدب
أعرج يستعذب اللئام به	ويحتويه الكرام إن شربوا
نفسي فدت شيبة هناك وظنبو	بًا به من قيودهم نُدب
والسادة الغر من بنيه فما	روقب فيهم إلٌّ ولا نسب
يا حلَقَ القيد ما تضمنت من	حلم وبرٍّ يزينه حَسَب

(١) في (أ): حتى إذا.

(٢) مقاتل الطالبين ٣١٦.

(٣) في (أ): أو.

وأمهات من الفواطم أخلصـ ... ـنك بيض عقائلٌ عُرُبُ
كيف اعتذاري عند الإله ولم ... تُشهَر[1] فيك المأثورة القُضُبُ
ولم أقُدْ غارة ململمةً ... فيها بنات الصريح تنتجب
والسابقات الجياد والأسل الـ ... ـسمر وفيها أسنَّةٌ ذُرُبُ
حتى تُوَفَّى بني نتيلة بالقسـ ... ـط بكيل الصاع الذي اجتلبوا
بالقتل قتلاً وبالأسير الذي ... في القيد أسرى مصفودة سلب
أصبح آلُ الرسول أحمدَ في النا ... س كذي عِرَّةٍ به جَرَبُ
بؤساً لهم ما جَنَتْ أكفهم ... وأي حبل من أمة نصبوا
وأي عهد خانوا المليك به ... شد بميثاق عقده الكرب[2]

وروي له أيضًا في مقاتل الطالبية قوله في زوجته :

ألم تعلمي يا بنت بكر تشوُّقي ... إليك وأنت الشخص ينعم صاحبُه
وعُلِّقتُ ما لو نيط بالصخر من جوىً ... لهدَّ من الصخر المنيف ذوائبُه
رأت رجلاً بين الركاب ضجيعه ... سلاح ويَعْبُوبٌ فباتت تُجَانبُه
تصدُّ وتستحيي وتعلم أنه ... كريمٌ فتدنو نحوه وتلاعبُه
فسلانا عنها ولم نَقْلِ قُربَهَا ... ولم يقلنا خطبٌ شديدٌ تَكَالُبُه
عجاريف فيها عن هوى النفس زاجرٌ ... إذا اشتبكت أنيابُه ومخالبُه[3]

بيعته عليه السلام ومدة انتصابه للأمر :

كان عليه السلام في البصرة قد خرج إليها داعيًا إلى أخيه النفس الزكية عليهما السلام ، فأقام متواريًا فيها حتى ظهرت دعوة أخيه بالمدينة فأظهر هو الدعاء إليه ،

---

(١) في (أ) : تشتهر .
(٢) المقاتل ص٢٢٨ .
(٣) المقاتل ٣١٦ .

وذلك ليلة الإثنين غرة شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، وأخذ البيعة لأخيه واستولى على البصرة، وقام بالأمر هناك على خلافته حتى ورد عليه نعيه أول يوم من شوال سنة خمس وأربعين ومائة، وهو يريد أن يصلي بالناس صلاة العيد فصلى بهم ثم رقى المنبر واختطب ونعى إلى الناس أخاه محمداً ﷺ، ثم أنشأ يقول متمثلاً :

أبا المُنازل يا خير الفوارس مَنْ ... يفجع بمثلك في الدنيا فقد فُجعا

الله يعلم أني لو خشيتهم ... أو أوجس القلب من خوف لهم جزعا

لم يقتلوه ولم أُسْلِمْ أخي لَهُمْ ... حتى نموت جميعًا أو نعيش معا[1]

وكان من كلامه ﷺ على المنبر أن قال: اللهم إن كنت تعلم أن محمداً إنما خرج غضبًا لدينك، ونفيًا لهذه النكتة السوداء، و إيثاراً لحقك، فارحمه واغفر له، واجعل الآخرة خيراً مرداً ومنقلبا في الدنيا، ثم جَرِضَ بريقه وتردد الكلام في فيه فانتحب باكيًا وبكى الناس[2].

ولَمَّا نزل بايعه علماء البصرة وعبادها وزهادها، واختصت المعتزلة به مع الزيدية ولازموا مجلسه، وتولوا أعماله، فاستولى على واسط وأعمالها، والأهواز وكورها، وعلى أعمال فارس، وكان أبو حنيفة يدعو إليه سراً ويكاتبه، وكتب إليه: إذا أظفرك الله بآل عيسى بن موسى وأصحابه فلا تسر فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل فإنه لم يقتل المدبر ولم يجهز على الجريح ولم يغنم الأموال؛ لأن القوم لم تكن لهم فئة، ولكن سِرْ فيهم سيرته يوم صفين، فإنه ذفف على الجريح وقسم الغنيمة؛ لأن أهل الشام كان لهم فئة. فظفر أبو جعفر بكتابه، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى وهو على الكوفة يأمره بحمل أبي حنيفة إلى بغداد، قال أبو نُعيم : وهو راوي هذه القصة فغدوت إليه أريده ولقيتُه راكبًا يريد

---

(١) الإفادة ٦٢ ، ومقاتل الطالبين ٣٤٢.

(٢)المقاتل ص٣٤٢ ، والإفادة ٦٣ .

وداع عيسى بن موسى، فقدم بغداد فسُقي بها شربة فمات وهو ابن سبعين سنة وكان مولده سنة ثمانين[1].

وروينا أن قومًا جآؤا إلى شعبة فسألوه عن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، فقال شعبة: تسألونني عن إبراهيم وعن القيام معه، وتسألونني عن أمر قام به إبراهيم بن رسول الله ﷺ والله لهو عندي بدرٌ الصغرى[2]، وروي عنه أيضًا رحمه الله: أنه لما جآءه قتل إبراهيم عليه السلام قال: لقد بكى أهل السمآء على قتل إبراهيم بن عبدالله عليهما السلام؛ إن كان من الدين لبمكان[3].

وروينا عن إبراهيم بن سويد الحنفي قال: سألت أبا حنيفة- وكان لي مُكرِمًا أيام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام - فقلت: أيهما أحب إليك بعد حجة الإسلام: الخروج إلى هذا الرجل، أو الحج؟ فقال غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة[4].

وروي أنه عليه السلام: أخذ عاملاً لأبي جعفر فقال له بعض أصحابه: سلمه إليَّ، قال له: وما تصنع به؟ قال: أعذبه ليخرج المال الذي عنده، فقال: لا حاجة لي في مال لا يستخرج إلا بالعذاب[5].

وكان يقول: متى أراد أن ينزل عن المنبر: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١]، وقال يومًا وهو على المنبر بعد ما خطب: «اللهم إن ذكرت اليوم أبنآء بآبائهم وأبآء بأبنائهم، فاذكرنا عندك بمحمد ﷺ يا حافظ الأبآء في الأبناء والأبنآء في

---

(١) الإفادة ٦٣.

(٢) المصابيح ٤٥٣.

(٣) المصابيح ٤٥٣.

(٤) مقاتل الطالبين ٣٧٨.

(٥) الإفادة ٦٦، ومقاتل الطالبين ٣٣٤.

الأبآء، احفظ ذرية نبيك، فارتج المصلي بالبكاء[1].

وكان محمد بن عطية مولى باهلة وَلِي بعض أعمال فارس لأبي جعفر؛ فظفر به أصحابه ﷺ وحملوه إليه، فقال له: هل عندك مال؟ قال: لا، قال: آلله، قال: آلله، فقال: خلوا سبيله؛ فخرج ابن عطية وهو يقول بالفارسية: ليس هذا من رجال أبي جعفر يعني أنه كان ينبغي أن لا يقتصر منه على اليمين وأن يستخرج منه المال، وأن المحق الذي يراعي أمر الدين لا يقاوم المبطل الذي لا يبالي بما يقدم عليه[2].

وأتاه قوم من أصحاب الضياع فقالوا: يا ابن رسول الله إنا قوم من غير العرب، وليس لأحد علينا عقد ولا ولآء، وقد أتيناك بمال فاستعن به، فقال: من كان عنده مال فَلْيُعِنْ أخاه فأما أن آخذه فلا! وكان يقول: إن هي إلا سيرة علي أو النار[3].

وخطب يومًا على المنبر فقال: أيها الناس إني وجدت جميع ما يطلب العباد من جسيم الخير عندالله في ثلاث: في المنطق، والنظر، والسكوت، فكل منطق ليس فيه ذكرٌ فهو لغو، وكل سكوت ليس فيه فكر فهو سهوٌ، وكل نظر ليس فيه اعتبار فهو غفلة، فطوبى لمن كان منطقه ذكراً، ونظره اعتباراً، وسكوته تفكراً، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وسَلِم المسلمون منه، فعجب الناس من كلامه[4].

وروي أنه أرسل إلى عبد الحميد بن لاحق بأنه بلغني أن عندك مالاً لهؤلآء الظلمة، فقال: ما لهم عندي مال، قال: آلله، قال: آلله فخلوا سبيله، وقال: إن ظهر أن لهم عندك مالاً عددتك كذابًا[5].

---

(١) الإفادة ٦٧، ومقاتل الطالبين ٣٣٧.

(٢) الإفادة ٦٧، ومقاتل الطالبين ٣٣٢.

(٣) الإفادة ٦٧، ومقاتل الطالبين ٣٣٣.

(٤) الإفادة ٦٨، ومقاتل الطالبين ٣٣٦.

(٥) الإفادة ٦٧، ومقاتل الطالبين ٣٣٣.

وحكى شيبة كاتب مسعود المرزباني أن جماعة من الزيدية دخلوا عليه فنالوا منه، وقالوا: هات ما عندك من مال الظلمة، وأدخلوني إلى إبراهيم فرأيت الكراهة في وجهه، فاستحلفني فحلفت فخلى سبيلي فكنت أسال عنه بعد ذلك وأدعو له حتى نهاني مسعود عن ذلك[1].

وروي أنه خطب عليه السلام الناس، ونعى على أبي جعفر أفعاله وقتله آل الرسول صلى الله عليهم، وظلمه الناس وأخذه الأموال ووضعها في غير مواضعها، فأبلغ في القول حتى أبكى الناس، ورقت لكلامه قلوبهم فاتبعه عباد بن العوام، ويزيد بن هارون، وهشيم بن بشير، وشعبة بن الحجاج وبايعوه.

قال أبو إسحاق الفزاري: جئت إلى أبي حنيفة فقلت له: ما اتقيت الله حيث أفتيت أخي في الخروج مع إبراهيم بن عبدالله بن حسن حتى قُتل! فقال لي: قَتلُ أخيك حيث قُتل يعادل قتله لو قتل يوم بدر، وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة! قلت: فما منعك أنت من ذلك؟ قال: ودائع كانت للناس عندي[2].

و كان الأعمش يدعو إليه ويقول: ما يُقعدك؟ أما إني لو كنت بصيراً لخرجت[3]. وخرج معه عليه السلام نفر كثير من أهل العلم، ونقلة الأحاديث، ونحن نذكر منهم بعض من ذكره الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبيين[4] فمنهم: هارون ابن سعد، وكان قد ولاّه واسطًا، ومنهم: معاذ بن معاذ بن نصر العنبري، ومنهم: مسلم بن سعيد، والأصبغ بن زيد، ومنهم: العوام بن حوشب. قال: رميت في هؤلاء القوم - يعني: المسودة- بثمانية عشر سهمًا ما سرني أني رميت بها أهل بدر مكانهم! وأسامة بن زيد البجلي، ومنهم: هشيم، قال بعضهم: رأيت هشيمًا

(١) الإفادة ٦٧-٦٨، ومقاتل الطالبين ٣٣٤.

(٢) الإفادة ٦٦، ومقاتل الطالبين ٣٦٤.

(٣) مقاتل الطالبين ٣٦٦.

(٤) مقاتل الطالبين ٣٥٤.

واقفًا موقفًا في وقعة واقعناها القوم لا والله ما وقفه قط إلا شجاع مجتمع القلب، ومنهم: الحجاج أخو هشيم، وابنه معاوية وقتلا في المعركة.

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن بعضهم قال: سمعت أبا حنيفة وهو قائم على درجته ورَجُلَان يستفتيانه في الخروج مع إبراهيم، فقال: اخرجا[1].

وروى أيضًا بإسناده عن زُفر بن الهذيل قال: كان أبو حنيفة يجهر في أمر إبراهيم جهرًا شديدًا، فقلت له: والله ما أنت بمنته حتى نؤتى فتوضع في أعناقنا الحبال.

ومنهم: عباد بن منصور واستقضاه إبراهيم على البصرة، **ومنهم**: أبو العوام القطان واسمه: عمران من أصحاب الحسن البصري.

وروي عن بعضهم قال: قلت لعثمان الطويل خرج هذا الرجل وقعدتم عنه، فقال: وهل أخرجه غيرنا؟ فلما قتل إبراهيم قال لي: يا أبا صالح أحب أن لاتفشي عليَّ ذلك الحديث، **ومنهم**: أبو داود الطهوي، وفطر بن خليفة، وعيسى ابن يونس بن أبي إسحاق الهمداني، وابن جنادة، وابن سويد قوَّده[2] على ثلاثمائة وشهد معه باخمرا[3]، وشهد معه من أصحاب زيد بن علي عليهما السلام ثلاثة: سلم الحذاء، وحمزة بن عطاء التركي، وخليفة بن حسان، وكان حمزة من أفرس الناس، وقد روى عن زيد بن علي وجعفر بن محمد، وهو أحد الرواة عن أهل البيت عليهم السلام، وكذلك سلم الحذاء، وخليفة بن حسان، **ومنهم**: بريدة الأسدي، **ومنهم**: عبدالله بن جعفر المديني، ومن أصحاب سفيان: مؤمل بن إسماعيل، وحنبص، وكان حنبص هذا جليل القدر، وفيه يقول الشاعر:

يا ليت قومي كلهم حنابصة[4]

فهؤلاء من وجوه أهل العلم ونقلة الحديث الذين شهروا بذلك، وقد ذكر

---

(١) مقاتل الطالبين ٣٦٥.

(٢) أي جعله قائدًا.

(٣) با خمرا: موضع بين الكوفة وواسط بينهما ١٧ فرسخًا. معجم البلدان ص٣١٦.

(٤) مقاتل الطالبين ٣٨٢-٣٨٣.

سواهم أيضًا. وروي أن ديوانه انطوى من البصرة على مائة ألف.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] قال: بعث أبو جعفر إلى البصرة المعروف بأبي سيف مولى الجعفري ليتحسس له ويعرِّفه أحوال إبراهيم عليه السلام، فلما رجع إليه قال له أبو جعفر: كيف رأيت بشير الرَّحال، ومَطَرَ الورّاق؟ فقال: رأيتهما يدخلان إلى إبراهيم وعليهما السلاح. فقال ما كنت أرى أن الصوم أبقى منهما ما يُحمَل به السلاح.

وروي أنه وجد في بيت مال البصرة ألف ألف درهم، ففرق ذلك في عسكره، فأصاب كل رجل منهم خمسين درهمًا، فكانوا إذا قال لهم أصحاب أبي جعفر: عطآؤنا ألفان وعطآؤكم خمسون درهمًا فكانوا يقولون: خمسون والجنة[2].

عمَّاله عليه السلام:

ولَّى قضاء البصرة عباد بن منصور، وبيت المال سفيان بن أبي واصل، وولى هارون بن سعد واسطًا وأعمالها، وولَّى المغيرة بن الفزع الأهواز، فخرج إليها وطرد أصحاب أبي جعفر عنها وتمكن منها. وأنفذ أبو جعفر بخازم بن خزيمة مع أربعة الآف رجل فحاربه المغيرة وهزمه ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[3].

مقتله وموضع قبره عليه السلام:

لما انتظم أمره وقويت شوكته وعلا في الآفاق صيته، جهّز أبو جعفر عيسى ابن موسى وغيره من القواد في[4] العساكر الكثيفة الظالمة، فلما بلغ إبراهيم عليه السلام انفصالهم أجمع للمسير إليهم، فأشار عليه بعض أصحابه بالوقوف في البصرة،

---

(١) الإفادة ٦٤.

(٢) الإفادة ٦٨، ومقاتل الطالبين ٣٢٤.

(٣) الإفادة ٦٩.

(٤) في (أ): والعساكر.

فأبي وسار نحوهم، واستخلف على البصرة: ابنه الحسن بن إبراهيم عليهما السلام، فالتقوا بباخمرا وجآء إلى إبراهيم عليه السلام بعض قوّاده، فقال جَرِّدْ لنا عسكراً لنُبيِّتَ أبا جعفر فنقتله في خلف عسكره ونقض هذه الجموع، فقال: إني أكره البيات، فخرج بعضهم وهو يقول: تريد الملك وتكره البيات.

وقال بعض شعرائه يخاطب أبا جعفر:

أُبرز فقد لاقيته زكيا ❖ أبيض يدعو جده عليا ❖ وجدّه من أمه النبيا

ورتّب عليه السلام بباخمرا عسكره فجعل على ميمنته عيسى بن زيد بن علي عليهم السلام وعلى ميسرته لبيد بن برد اليشكري، وكان حمائل سيفه من ليف تشبهًا بعمار بن ياسر رحمه الله، وكان تحته فرس أبلق، فقال إبراهيم عليه السلام يمازحه:

أما القتال فلا أراك مقاتلاً ولئن هربت ليعرفن الأبلق

وهو عليه السلام في القلب في الفقهاء والعلماء وأهل البصائر، وكان جملة عسكره عليه السلام أحد عشر ألف راجل وسبعمائة فارس، فوقع القتال فكانت الهزيمة أوّلاً في أصحاب أبي جعفر حتى بلغه العلم فقرّب نجائبه للهرب وحمل امرأتيه على النجائب وما بقي دون الفتح طائل، وانهزم حميد بن قحطبة فيمن انهزم، فمرَّ بابني سليمان من كبارالقوّاد وقد نزلا عن فرسيهما مستسلمين للموت، فقالا: ليس هذا من عاداتك يا حميد، فقال: انجوا ما بقي قتال، فلما رأى إبراهيم عليه السلام ما نزل بهم من القتل؛ أمر بردِّ الرايات، فلما رأوا أعلام الميمنة رافعة ظنوها هزيمة، فعطفوا عليها وحققوا فكانت الهزيمة، فانهزمت الميمنة ونجى عيسى بن زيد عليهما السلام لما أفرده الناس، وثبت إبراهيم عليه السلام في القلب وثبتت الميسرة، واشتد القتال حتى إذا كان آخر النهار؛ رفع عليه السلام المغفر من شدة الحرِّ فجآء سهم فوقع في رأسه، فاعتنق فرسه واحتوشته الزيدية وأنزلوه، وأخذه بشير الرحال إلى حجره وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨]، وأحاط به أصحابه

حتى كانوا سوراً مثل سور الحديد، فقال عيسى: ويحكم على ما هؤلاء؟ وجمعوا الجيش وصدموهم به صدمةً واحدة ففضوهم وإذا هو في أوساطهم فحزوا رأسه وقتلوا عنده بشير الرّحال رحمه الله، واحتزوا رأسه وأمروا به إلى أبي جعفر، ودفن بدنه بباخمرا.

وروى الشيخ أبو الفرج: قال صَبَرَ مع إبراهيم أربعمائة، فجعلوا يضاربون دونه حتى قتل، فجعلوا يقولون أردنا أن نجعلك مَلِكًا فأبى الله إلا أن جعلك شهيدًا حتى قتلوا معه.

وروي أيضًا عن بعضهم لما سئل: كيف فعل إبراهيم؟ فقال: إني لأنظر إليه واقفًا على دآبة محمد بن يزيد ينظر إلى أصحاب عيسى، وقد وَلّوه ومنحوه أكتافهم، ونكص عيسى برايته القَهْقَرى وأصحابه يقتلونهم، وعلى إبراهيم عليه السلام قباء زَرَد، فأتاه الحين؛ فحلَّ أزرار القباء فسال الزَرَد حتى صار[1] على ثدييه، وحسّر عن لبته، فأتته نشابة عائرة، فأصيب في لبّته، فرأيته اعتنق فرسه وكرّ راجعًا فأطافت به الزيدية[2].

وروينا في خبر عن المفضل الضبي قال: لما كان يوم خروجه يعني: إبراهيم عليه السلام خرجت معه فأتى دار جعفر بن سليمان فأمّنهم وخرج إليه صبيان من صبيانهم فقال: هؤلاء منّا وإلينا غير أن آباءهم قطعوا أرحامنا وابتزوا أمرنا، وسفكوا بغير حق دمآءنا، ثم أنشد:

مهلاً بني عمِّنا ظلامتنا	إنَّ بنا سَوْرَةً من العَلَق
لمثلكم تحمل السيوف ولا	تُغْمَزُ أنسابنا من الرّنق[3]
إني لأُنمى إذا انتَمَيتُ إلى	عزٍّ عزيز ومعشر صُدُق
بيض سباط كأن أعينهم	تكحل يوم الهياج بالزرق

(١) في (ج): سال.

(٢) المقاتل ص٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) الرنق: تراب في الماد من القذى ونحوه. لسان العرب ١٠/١٢٦.

فقلت: يابن رسول الله، ما أفحل هذه الأبيات وأحسنها! فمن قائلها؟ قال: هذه الأبيات قالها ضرار بن الخطاب الفهري يوم الخندق، وتمثّل بها علي عليه السلام أيام صفين، والحسين يوم الطف، وزيد يوم السبخة، ويحيى بن زيد يوم الجوزجان، ونحن اليوم، قال: فتطيّرت له من تمثُّله بأبيات ما تمثل بها إلا قتيل[1].

وفي أخباره عليه السلام أنه لما انتهى بالقرب من باخمرا أنشأ يقول متمثلاً[2]:

نُبِّئتُ أن بني ربيعة أزمعوا أمرًا كلالهم لنقتل خالدا

إن يقتلوني لا تُصبْ أرماحُهم ثأري ويسعى القوم سعيًا جاهدا

أرمي الطريق وإن رصدت بضيقه وأنازل البطل الكميَّ الحاردا

قال المفضل الضبي راوي الحديث: فقلت له: جعلني الله فداك، لمن هذه الأبيات؟ قال: للأحوص بن كلاب، تمثل بها يوم شعب جبلة، وهو اليوم الذي لَقيَتْ فيه قيسٌ تميمًا.

قال المفضل: وأقبلت عساكر أبي جعفر، فقتل من أصحابه وقتل من القوم، وكاد أن يكون له الظفر، وكشفت ميمنته والقلب فتمثل:

أبى كلُّ ذي وتر يبيت بوتره[3] وتمنع منه النوم إذ أنت نائم

أقول لفتيان كرام تروحوا على الْجُرد في أفواههنّ الشكائم:

قفوا وقفة من يَحْيَ لا خزي بعدها ومن يُختَرَم لا تتبعه اللوائمُ

قال: ثم كرّ، فطعن رجلاً وطعنه آخر، فقلت له: جعلت فداك-تباشر الحرب بنفسك والعسكر منوطٌ بك! فقال لي: إليك عني يا أخا بني ضبة، كأن عويقًا أخا بني فزارة ينظر في يومنا هذا، فأنشد:

ألمّتْ سعادُ وإلمامُها أحاديثُ نفس وأسقامُها

---

(1) المقاتل ص٣٧٣.

(2) ينظر المصابيح ٤٤٨-٤٥٠.

(3) في (أ): لوتره.

يمانيــــة من بني مـــالك | تطاول في المجـد أعـمـامـهـا
نردُّ الكتـيـبـة مـفلولة | بهـا أفنهـا وبهـا ذامُـهـا
وإنّ لنا أصلَ جـرثومـة | ترد الحـوادثَ أيامُـهـا

قال: وجاءه سهم عائر فشغله عني.

وروى المفضل أيضًا، قال: كنت مع إبراهيم عليه السلام واقفًا يوم قتل، فقال لي: حركني بشيء، فأنشدته:

ألا أيها الناهي فزارة بعدما | أجدت بسير إنما أنت حالم
أبى كل ذي وتر يبيت بوتره | وتمنع منه النوم إذ أنت نائم
[أقول لفتيان كرام تروّحوا | على الجرد في أفواههن الشكائم]
قفوا وقفة من يحيى لا خزي بعده | ومن يُخترم لا تتبعه اللوائم

قال: فقال لي: أعدْه، فانتبهت وندمت على إنشادي إياها، فقلت: أو غير ذلك؟ فقال: لا. بل أعد، فأعدت، فكان آخر العهد به صلوات الله عليه.

وروينا عن جعفر بن ابراهيم الجعفري قال: كان إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام يقاتل الطغاة (بباخمرا) فسمع رجلاً من الزيدية - وقد ضرب رجلاً من القوم على رأسه، وقال: خذها إليك وأنا الغلام الحداد، فقال له إبراهيم عليه السلام: لم قلت: أنا الغلام الحداد؟ قل: أنا الغلام العلوي، فإن [نبي الله] إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [ابراهيم:٣٦]، فأنتم منا ونحن منكم، لكم ما لنا وعليكم ما علينا[1].

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن أبي الكرام الجعفري أنه شهد الأقطع مولى عيسى بن موسى وقد أتاه، فقال: هذا وحياتك رأس إبراهيم في مخلاتي. فقال له: اذهب فانظر فإن كان رأسه فاحلف لي بالطلاق حتى أصدقك، وإن لم

---

(١) أمالي أبي طالب ص١٢٢.

يكن رأسه فاسكت، فأتيته فقلت: أرنيه، فأخرجه يختلج خده، فقلت: ويلك كيف وصلت إليه؟ قال أتته نشابة فأصابته فصُرع، فأكبَّ عليه أصحابه يقبلون يديه ورجليه، فعلمت أنه هو فعلمت مكانه، وجعل أصحابه يُقْتلون حوله لا يبالون، فلما قتلوا أتيته فاحتززت رأسه، قال: فأتيت عيسى فأخبرته فنادى بالأمان، ثم أمر برأسه عليه السلام إلى أبي جعفر الدوانيقي، ولما وضع رأسه بين يدي أبي جعفر تمثل:

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينًا بالإياب المسافر[1]

وروى أبو الفرج أيضًا عن الحسن بن حفص قال: كنت بالكوفة فرأيت فلّ عيسى بن موسى وقد دخل نهارًا، فلماكان الليل رأيت فيما يرى النائم كأنَّ نعشًا يحمله رجال يصعدونه إلى السمآء ويقولون: من لنا من بعدك يا إبراهيم؟ قال: وأيقظني أخي من نومي فقلت: مالك؟فقال: اسمع التكبير على باب أبي جعفر، فلا والله ما كبروا باطلاً، وإذا الخبر قد جاء بقتل إبراهيم[2].

وروى أيضًا بإسناده قال: خرج إبراهيم عليه السلام في رمضان سنة خمس وأربعين ومائة فكانوا رمضان وشوال وذا القعدة وقتل في ذي الحجة، وكان شعارهم: (أَحَدٌ . . . أَحَدٌ)[3].

وروي عن أبي نعيم قال: قتل إبراهيم يوم الاثنين ارتفاع النهار لخمس بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة، وأُتي أبو جعفر برأسه ليلة الثلاثاء، وبينه وبين مقتله ثمانية عشر ميلاً، فلما أصبح من يوم الثلاثاء أمر برأس إبراهيم فنُصب في السوق فرأيته منصوبًا مخضوبًا بالحناء[4].

---

(١) المقاتل ص٣٥٣.

(٢) المقاتل ص٣٥٣.

(٣) المقاتل ص٣٤٩.

(٤) ينظر الإفادة ٦٩ ومقاتل الطالبين ٣٤٩.

وروينا بالإسناد أن أبا جعفر المنصور لما قتل محمداً وإبراهيم عليهما السلام وجه شيبة بن عقال إلى الموسم لينال من آل أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن علي بن أبي طالب شقّ عصى المسلمين وخالف أمير المؤمنين، وأراد هذا الأمر لنفسه فَحَرَمَهُ الله أمنيته، وأماته بغصّته[1]، ثم هؤلاء ولده يقتلون، وبالدمآء يخضبون، فقام إليه رجل فقال: نحمد الله رب العالمين، ونصلي على محمد وأنبيائه المرسلين، أما ما قلت من خير فنحن أهله، وأما ما قلت من شر فأنت به أولى وصاحبك به أحرى، يا من ركب غير راحلته، وأكل غير زاده، ارجع مأزوراً. ثم أقبل على الناس فقال: أخبركم بأبخس من ذلك ميزاناً، وأبين منه خسراناً، من باع آخرته بدنيا غيره وهو: هذا ثم جلس، فقال الناس: من هذا؟ فقيل: هذا جعفر بن محمد عليهما السلام.

ومما رُثي به محمد وإبراهيم عليهما السلام: قول غالب بن عثمان الهمداني المشعاري الناعطي:

كيف بعد المهدي أوبعد إبرا	هيم نومي على الفراش الوثير
وهم الذائدون عن حرم الإسـ	ـلام والجابرون عظم[2] الكسير
حاكموهم لما تولّوا إلى اللـ	ـه بمصقولة الشّفار الذكور
وأشاحوا للموت مُحتَسبي الأنـ	ـفس لله ذي الجلال الكبير
أفردوني أمشي بأعضب مجبو	بًا سنامي والحربُ ذاتُ زفير
غيْلَ فيها فوارسي ورجالي	بعد عزٍّ وذلّ فيها نصيري
ليتني كنت قبل[3] وقعة باخمـ	ـرا توفّيتُ عدّتي وشهوري
وليالي من سنيّ البواقي	وتكمّلت عدّة التعمير
كنت فيمن ثوى ثويت تعود الطـ	ـير لحمي مبيّن التعفير

(١) في (آ): بغيضه.

(٢) في (آ): العظم.

(٣) في (آ): بعد.

ومجالُ الخيلين[1] منا ومنهم ... وأكفٌ تطير كل مطير

حول مستبسل يرى الموت في اللـ ... ـه رباحًا رئبال غاب عقير

قد تلبّثتُ بالمقادير عنهم ... لَبثَ الرائحين عن ذي البكور

إذ هُمُ يعثرون في علق الأو ... داج حولي في قسْطلٍ مستدير[2]

وقال أيضًا في إبراهيم عليه السلام :

وقتيلُ باخمرا الذي ... نادى فاسمع كل شاهد

قاد الجنود إلى الجنو ... د تَزَحُّفَ الأُسْد الحوارد

بالمرهفات وبالقنا ... والمُبْرقسات وبالرّواعد

فدعا لدين محمّد ... ودعوا إلى دين ابن صائد

فرماهم بَلَبان أبـ ... ـلق سابقٌ للخيل قائد

بالسيف يفري مُصْلتا ... هاماتهم بأشدٌ ساعد

فأتيح سهمٌ قاصدٌ ... لفؤاده بيمين جاحد

فهوى صريعاً للجبـ ... ـين وليس مخلوقٌ بخالد

وتبدّدت أنصاره ... وثوى بأكرم دار واحد

نفسي فداؤك من صريـ ... ـع غير مَمْهود الوسائد

وفدتك نفسي من غريـ ... ـب الدّار في القوم الأباعد

أي امرئٍ ظفرت به ... أبناء أبناء الولائد

فأولئك الشّهداء والصّـ ... ـبُر الكرام لدى الشدائد

ونجار يشرب والأبا ... طح حيث معتلجُ العقائد

أقوَت منازل ذي طوى ... فبطاح مكة فالمشاهد

فالخَيفُ منهم فالجِمَا ... ر فموقف الطّعن الرواشد

---

(١) في (أ) : الخيل .

(٢) المقاتل ص٣٨٥ .

فحياض زمزم فالمقا م فصادر عنها ووارد

فسويقتان فينبعٌ فبقيع يشرب ذي اللحائد

أمست بلاقع من بني حسن بن فاطمة الأراشد[1]

وكان هذا الشاعر من الرئاسة والعلم بموضع ليس أحد بمثله، وجدَّ به الطلب بعد قتل محمد وإبراهيم عليهما السلام حتى ظفر به أبو الدوانيق فلم يقله العثرة، فلمّا قُدِّم للقتل رحمه الله تعالى قال:

هل كان يرتحل البراق أبوكم أم كان جبريل عليه يُنَزَّلُ؟

أم من يقول الله إذ يختاره للوحي قم: يآ أيها المزمّلُ

بدأ المؤذن في الصلاة بذكره مع ذكره لله حين يهللُ

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب نسب آل أبي طالب لعبد الله بن مصعب يرثي إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام:

يا صاحبيَّ دعا الملامةَ واعلما أن لست في هذا بألومَ منكما

وقفا بقبر ابن النبي وسلّما لا بأس أن تقفا به وتسلّما

قبرٌ تضمّن خير أهل زمانه حسبًا وطيب سجيّة وتكرُّما

رجلاً نفى بالعدل جور بلادنا وعفى عظيمات الذنوب وأنعما

لم يجتنب قصد السبيل ولم يحد عنه ولم يفتح بفاحشة فما

لو عظّم الحدثان شيئًا قبله بعد النبي إذًا لكان معظّما

أوْ لو تمنّع بالسلامة قبله أحدٌ لكان قصاره أن يسلما

ولقد أُصيب كزيده وحسينه رزءٌ أذل المسلمين وأرغما

ضحّوا بإبراهيم خير ضحية فتصرّمت أيامه وتصرما

بطلٌ يخوض بنفسه غمراتها لا طائشًا رَعشًا ولا مستسلما

---

(١) المقاتل ص٣٨٤.

حتى مضت فيه السيوف وربما كانت حتوفهم السيوف وربما

أضحت بنو حسن أُبيح حريمها فيها وأصبح نهبها متقسّما

إن ابن فاطمة المنوّه باسمه عزّ الرواحل والخيول السوّما

عَظُمت مصيبته وعمَّ هلاكُه بالذلُّ من سَكَن النجود وأتْهَما

يا قبح يشرب بعد عزُّ تهامة وفناء مكة والحطيم وزمزما

والله لو شهد النبي محمد -صلى الإله على النبي وسلما-

إشراعَ أمته الأسنةَ لابنه حتى كسوه من حديدته دما

حقًّا لأيقن أنهم قد ضيعوا تلك القرابة واستحلُّوا المُحرما

الحسين بن علي الفَخِّي عليهما السلام[1]

هو أبو عبدالله الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . وأمه : زينب بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، وأمها هند بنت أبي عبيدة، وكان يعرف أبوه وأمه : بالزوج الصالح لصلاحهما وفضلهما، وكان أبوه أيضًا يسمى : عليّ الخير، وعلي الأغرّ، وهو الذي كان في جملة المحبوسين في حبس أبي الدوانيق لا يعرفون أوقات الصلوات إلا بتلاوته للقرآن، ووظائف عبادته التي كان قد وظّفها؛ لأن أبا الدوانيق حبسهم في موضع لا يُميِّزون فيه بين ليل ونهار، فكانوا لا يهتدون لأوقات الصلاة إلا بتلاوته لأجزاء القرآن التي كان قد اعتادها قبل الحبس[2].

وروى بعض من صنّف أخبارهم : أنه قال له عمه عبدالله بن الحسن عليهما السلام : يا بني قد ترى ما نحن فيه فادع الله تعالى أن يخفّف عنّا، فقال له : يا عم

---

(١) انظر الإفادة ٧٠، ومقاتل الطالبين ٤٣١، والطبري ٦/ ٤١٠، وابن الأثير ٥/ ٧٤، ومروج الذهب ٢/ ١٨٣، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٨٨، والشافي ١/ ٢١٣، وأخبار فخ ١٣١، والأعلام ٢/ ٢٤٤، وابن خلدون ٣/ ٢١٥، وخلاصة الوفاء ٣٩٦، والتحف شرح الزلف ١٠٨، والمصابيح ٤٦٣.

(٢) أنظر الإفادة ٧٠ ومقاتل الطالبين ٤٣١.

إن لأبي الدوانيق منزلة في النار لا ينالها إلا بما فعل بنا، وإن لنا منزلة في الجنة لا ننالها إلا بالصبر على ما نحن فيه، فإن شئت أن أدعو الله أن يخفف عن أبي جعفر ويقصِّر بنا عن منزلتنا فعلت؟. فقال له عمه عليه السلام: بل نصبر، وكانت حلَق أقيادهم قد اتسعت فكانوا يُحلُّونها فإذا أحسوا بالحرس ردُّوها وامتنع هو عن مثل ذلك، فقال له بعضهم في هذا، فقال: لا أحله حتى أحضر أنا وأبو جعفر بين يدي الله تعالى فيسأله فيم قيدني؟ إلى غير ذلك من طرائقه الشريفة. وكل آبائه عليهم السلام نُجَبَاء بررة أزكياء، فروع شجرة طيبة مباركة.

صفته عليه السلام:

ذكر السيد أبو طالب عليه السلام أنه كان أسود الرأس واللحية لم يخالطه الشيب، وكان بطلاً شجاعًا، سخيًا لا يكترث بالأموال[1].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

كان عليه السلام قد نشأ على السداد وطرق الرشاد، جامعًا بين العلم والعمل حتى اعتلى ذروة الشرف، جاريًا على طريقة آبائه الأخيار السادة الأبرار عليهم السلام.

وقد روى العلماء فيه من الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقضي بفضله، فمن ذلك ما رواه الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية[٤٣٦] بإسناده عن زيد بن علي عليهما السلام قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع فَخّ فصلى بأصحابه صلاة الجنائز، ثم قال: «يقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، يُنزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم إلى الجنة قبل أجسادهم»[2].

وروى أيضًا بإسناده عن محمد بن علي قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وآله بفخ فنزل

---

(١) الإفادة ص٩٢.

(٢) المصابيح ٤٦٤.

فصلى ركعة فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناسُ النبي ﷺ يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: رأيناك تبكي فبكينا يا رسول الله، قال ﷺ: نزل عليَّ جبريل لما صليت الركعة الأولى فقال لي: (يا محمد إن رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان وأجر الشهيد معه أجر شهيدين)[1].

وكان قد اشتهر من الكرم والجود بما لم يشتهر به عربي ولا عجمي في عصره، والروايات في هذا المعنى كثيرة إلا أنا نذكر راوية تجمع.

روى الشيخ أبو الفرج[2] رحمه الله بإسناده، قال: ركب الحسين صاحب فخ دينٌ كثير، فقال لغرمائه: الحقوني إلى باب المهدي، وخرج فخرجوا إلى باب المهدي فقال لآذنه: قل له: هذا ابن عمك الينبعي على الباب، قال: وكان على جمل فقال له: ويلك أدخله على جمله فأدخله حتى أناخه في وسط الدار، فوثب المهدي فسلم عليه وعانقه وأجلسه إلى جنبه وجعل يسأله عن أهله، ثم قال له: يا ابن عم ما جآء بك؟، قال: ما جئتك وورآئي أحد يعطيني درهمًا، قال: أفلا كتبت إلينا؟ قال أحببت أن أُحْدثَ بك عهدًا، فدعى المهدي ببدرة من دنانير، وبدرة من دراهم، وتخت من ثياب حتى دعا له بعشر بدر دنانير، وعشر بدر دراهم، وعشرة تخوت فدفعها إليه، وخرج فطرحت في دار ببغداد، وجآءه غرمآؤه، فكان يقول للواحد: كم لك علينا؟ فيقول: كذا وكذا، فيزن له، ثم يدخل يده في بيت الدنانير والدراهم فيقول: هذا صلة منا لك فلم يزل حتى لم يبق من ذلك المال إلا شيءٌ يسير، ثم انحدر إلى الكوفة يريد المدينة فنزل قصر ابن هبيرة في خان، فقيل لصاحب الخان: هذا رجل من ولد رسول الله ﷺ، فأخذ له سمكًا فشوآه وجآء به ومعه رقاق، وقال له: لم أعرفك يا ابن رسول الله، قال لغلامه: ما بقي معك من ذلك المال؟ قال: شيئ يسير، والطريق بعيد،

---

(١) المقاتل ص٤٣٦.

(٢) المقاتل ٤٤٣-٤٥٠.

قال: ادفعه إليه[1].

وروينا عن الإمام القاسم بن إبراهيم عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: عوتب الحسين بن علي عليهما السلام صاحب فَخّ فيما كان يعطي، وكان من أسخى العرب والعجم فقال: والله ما أظن أن لي فيما أُعطي أجراً، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] والله ما هو عندي وهذه الحصاة إلا بمنزلة؛ يعني المال.

والحكايات في هذا المعنى كثيرة، وما أقمنه بقول القائل:

وما مُزبدٌ من خليج البحو	ر يعلو الآكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده	فيعطي المئين ويعطي البدورا

بيعته عليه السلام والسبب في قيامه:

روى الشيخ أبو الفرج[2] أن موسى الملقب بالهادي، ولى على المدينة إسحاق ابن عيسى فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبدالله فحمل على الطالبيين وأساء إليهم وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض في كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قريبه ونسيبه، فضمن الحسين بن علي، ويحيى بن عبدالله بن الحسن، والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن، ووافى أوائل الحاج، وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً فنزلوا في دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها، وغلَّظ العُمَري أمر العرض، وولَّى على عرض الطالبيين رجلاً يعرف بأبي بكر بن عيسى بن الحائك مولى للأنصار، فعرضهم يوم جمعة فلم يأذن لهم في الانصراف حتى بدأ أوائل[3] الناس يجيئون إلى المسجد، ثم أذن لهم، فكان قصارى أحدهم أن تغدّى وتوضأ للصلاة وراح إلى المسجد فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر ثم

---

(١) المقاتل ص٤٤٠.

(٢) المقاتل ٤٤٣ – ٤٥٠.

(٣) في (ج): أول.

عرضهم فدعا باسم حسن بن محمد فلم يحضر ، فقال ليحيى بن عبدالله ، والحسين بن علي : لتأتياني به أو لأحبسنكما ؛ فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ، ولقد خرج أو تغيّب ، فرادّه بعض المرادّة ، وشتمه يحيى فخرج ، ومضى ابن الحائك هذا ودخل على العُمَري فأخبره ، فدعا بهما فوبخهما وتهدّدهما ، فتضاحك حسين في وجهه ، وقال : أنت مغضب يا أباحفص ، فقال له العمري : أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي؟ فقال له : قد كان أبو بكر وعمر وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنيةوتريد المخاطبة بالولاية ، فقال له : آخر قولك شرٌّ من أوله ، فقال معاذ الله : يأبى الله لي ذلك ومن[1] أنا منه ، فقال له : أفإنما أدخلتك لتفاخرني وتؤذيني! فغضب يحيى بن عبدالله وقال له : فما تريد منا؟ فقال : أريد أن تأتيا بحسن بن محمد ، فقال : لانقدر عليه وهو في بعض ما يكون فيه الناس ، فابعث إلى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا ، ثم اعرضهم رجلاً رجلاً فإن لم تجد فيهم من غاب أكثر من غيبة حسن عنك فقد أنصفتنا ، فحلف على الحسين بطلاق امرأته وحرية مماليكه أنه لايخلي عنه أو يجيء به في باقي يومه وليلته ، وأنه إن لم يجيء به ليركبَنّ إلى سويقه فيخربها ويحرّقها ، وليضربن الحسن ألف سوط ، وحلف بهذه اليمين أنّ عينه إن وقعت على حسن بن محمد ليقتلنه من ساعته ، فوثب يحيى مغضبًا فقال له : أنا أعطي الله عهدًا ، وكل مملوك لي حر إن ذقت الليلة نومًا حتى آتيك بحسن أو لا أجده ، فأضرب عليك بابك حتى تعلم أني قد جئتك ، وخرجا من عنده وهما مُغْضَبان ، وهو مُغْضَب ، فقال حسين ليحيى : بئس لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتينه به ، وأين تجد حسنًا؟ قال : لم أرد أن آتيه بحسن والله وإلاّ فأنا نفيٌّ من رسول الله ﷺ ومن علي عليه السلام إن دخل عيني نوم حتى أضرب عليه بابه ومعي السيف ، إن قدرت عليه قتلته ، فقال له حسين : بئس ما تصنع ، تكسر علينا أمرنا؟ قال له يحيى : وكيف أكسر عليك أمرك ، وإنما بينك وبين ذلك عشرة أيام حتى تسير إلى

---

(١) في (أ) : وما أنا منه .

مكة؟ فوجّه الحسين إلى حسن بن محمد فقال له: يا ابن عم، قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق، فامض حيث أحببت، فقال له الحسن: لا والله يا ابن عم، بل أجيئ معك الساعة حتى أضع يدي في يده، فقال الحسين: ما كان الله ليطلع عليّ وأنا جاءٍ إلى محمد ﷺ وهو خصيمي وحجيجي في دمك، ولكني أقيك بنفسي لعلّ الله أن يقيَني من النار.

فجاءه يحيى وسليمان وإدريس بنو عبدالله بن الحسن، وعبدالله بن الحسن الأفطس، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن، وعبدالله بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ووجّهوا إلى فتيان من فتيانهم ومواليهم، فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي عليه السلام وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي، فلما أذّن المؤذن الصبح دخلوا المسجد ثم نادوا (أحدٌ... أحدٌ). وصعد عبدالله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبي ﷺ عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذّنْ (حي على خير العمل) فلما نظر السيف في يده أذّن بها، وسمعه العُمَري فأحس بالشر ودهش، وصاح: أغلقوا[1] البغلة بالباب، وأطعموني حبتيَ مآء، قال علي بن إبراهيم في حديثه[2]: فَوَلَدُه إلى الآن يعرفون ببني حبتي مآء. قالوا: ثم اقتحم إلى دار عمر بن الخطاب، وخرج في الزقاق المعروف بزقاق عاصم بن عمر[3]، ثم مضى هاربًا على وجهه يسعى حتى نجا، وصلى الحسين بالناس الصبح، ودعا بالشهود العدول الذين كان العمري أشهدهم عليه أن يأتي بالحسن إليه، ودعا بالحسن وقال للشهود: هذا حسن قد جئت به فهاتوا العمري وإلا قد خرجت من يميني وما عليّ.

---

(١)في (أ): غلقوا.

(٢)في (أ): لا توجد: في حديثه.

(٣)في (أ): بدون: بن عمر.

ولم يتخلف عنه أحد من الطالبيين إلا الحسن بن جعفر بن حسن بن حسن[1] فإنه استعفى فلم يكره. وموسى بن جعفر، وكان من حديث موسى أنه[2] قال للحسين : إنك مقتول فأجدَّ الضراب فإن القوم فسّاق يظهرون إيمانًا ويُضمرون شركًا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبكم من عصبة.[3]

وخطب الحسين بن علي عليهما السلام بعد فراغه من الصلاة فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أنا ابن رسول الله، على منبر رسول الله ﷺ في حرم رسول الله، أدعوكم إلى سنة رسول الله ﷺ.

أيها الناس: أتطلبون آثار رسول الله في الحَجَر والعود وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه؟![4] وأقبل خالد البربري[5]– وكان مسلحة للسلطان بالمدينة– في السلاح ومعه أصحابه حتى وافوا باب المسجد الذي يقال له: باب جبريل، قال الراوي: فنظرت إلى يحيى بن عبدالله قد قصده في يده السيف، فأراد خالد أن ينزل فبدره يحيى فضربه على جبينه، وعليه البيضة والمِغْفَر والقلنسوة، فقطع ذلك كله وأطار قحف رأسه وسقط عن دابته، وحمل على أصحابه فتفرقوا وانهزموا.

ثم استخلف الحسين بن علي عليهما السلام درياس الخزاعي، وخرج قاصداً إلى مكة معه من تبعه من أهله ومواليه وهم زهاء ثلاثمائة، فلما قربوا من مكة وصاروا (بفخّ وبَلْدَح) تلقتهم الجيوش، فعرض العباس بن محمد على الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الإباء.

ولَمّا لقي الحسين عليه السلام المسودة أقعد رجلاً على جمل معه سيف يلوّح،

---

(١) في (أ): ساقطة: حسن.

(٢) في (أ): أن قال.

(٣) المقاتل ص٤٤٦-٤٤٧.

(٤) مقاتل الطالبين ٤٤٨.

(٥) في (ج): البريري.

والحسين يملي عليه حرفاً حرفاً ويقول: ناد، فنادى: يا معشر الناس، يا معشر المسودة، هذا حسين ابن رسول الله وابن عمه يدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله[1].

وروينا عن أبي العرجاء جمّال موسى بن عيسى، قال: لما وصلنا بستان بني عامر فنزل فقال: اذهب إلى عسكر الحسين حتى تراه وتخبرني بكلما رأيت، قال: فمضيت فدرت فما رأيت خللاً ولا فللاً، ولا رأيت إلا مصليًا أو مبتهلاً، أو ناظراً في مصحف، أو معداً لسلاح، قال: فجئته فقلت: ما أظن القوم إلا منصورين. فقال: كيف ذلك يا ابن الفاعلة؟ فأخبرته فضرب يداً على يد وبكى حتى ظننت أنه سينصرف، ثم قال: هم والله أكرم عند الله، وأحق بما في أيدينا منا، ولكن الملك عقيم، ولو أن صاحب القبر- يعني: النبي صلى الله عليه وآله نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف، يا غلام، اضرب بطبلك ثم سار إليهم، فوالله ما انثنى عن قتلهم[2] حتى قتلهم[3].

ذكر مقتله عليه السلام وموضع قبره[4]:

لما انتهى عليه عليه السلام إلى فخ وبَلْدَح لقيتهم الجنود الظالمة وكان قوّادهم العباس بن محمد، وموسى بن عيسى، وجعفر ومحمد ابنا سليمان، ومبارك التركي وغيرهم، فالتقوا يوم التروية وقت صلاة الصبح، فأمر موسى بن عيسى بالتعبئة، فصار محمد بن سليمان في الميمنة، وموسى في الميسرة، وسليمان بن أبي جعفر والعباس بن محمد في القلب، فكان أول من بدأهم موسى فحملوا عليه فاستطرد لهم شيئا حتى انحدروا في الوادي، وحمل عليهم محمد بن سليمان من

---

(١)ينظر مقاتل الطالبين ٤٤٤ - ٤٤٩، وأخبار فخ ١٣٢ وما بعدها، والمصابيح ٤٧٢ - ٤٨٦.

(٢)في (ج): بسقط: عن قتلهم.

(٣)المقاتل ص٤٥٢ - ٤٥٣.

(٤)ينظر مقاتل الطالبين ٤٥٠ وما بعدها، وأخبار فخ ١٥٠ - ١٦٢.

خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين وجعلت المسودة تصيح بالحسين:[1] يا حسين لك الأمان فيقول: الأمانَ أريد! ويحمل عليهم، فقتل معه سليمان بن عبدالله بن حسن، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن، وأصابت الحسن بن محمد بن عبدالله نشابة في عينه فتركها في عينه[2] وجعل يقاتل أشد القتال، فناداه محمد بن سليمان: يا ابن خال اتق الله في نفسك، لك الأمان، فقال: والله ما لك أمان ولكني أقبل منك، ثم كسر سيفًا هنديًا كان في يده ودخل إليهم، فصاح العباس بن محمد بابنه: قتلك الله إن لم تقتله، أبعد تسع جراحات ينظر هذا! فقال له موسى بن عيسى: إي والله عاجلوه، فحمل عليه عبيدالله فطعنه، وضرب محمد بن العباس عنقه بيده صبراً، وتنشبت[3] الحرب بين العباس بن محمد ومحمد بن سليمان، وقال: أمّنتُ خالي فقتلتموه! قالوا: نحن نعطيك رجلا من العشيرة فتقتله مكانه.

وروي أن موسى بن عيسى هو الذي ضرب عنق الحسن بن محمد.

ورويناً بالإسناد عن الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام قال: حدثني أبي قال: بايعنا الحسين بن علي الفخي عليهما السلام على أنه هو الإمام، قال: وأصابته جراحة والدم لا يرقأ، فقلنا له: أنت في هذه الحال، لو تنحيت. فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليبغض العبد يستأسر إلا من جراحة مثخنة».

ورويناً أنه تأخر جماعة ممن بايع الحسين بن علي الفخي[4] عليهما السلام فلما فقدهم عند المعركة أنشأ يقول:

وإني لأنوي الخير سراً وجهرة ... وأعرف معروفًا وأُنكر منكرًا

ويعجبني المرؤ الكريمُ نِجَارُه ... ومَنْ حين أدعوه إلى الخير شمّرا

---

(١) في (أ): بحسين.

(٢) في (أ): لا توجد: في عينه.

(٣) في (أ): وتسبب.

(٤) في (ج): بحذف: الفخي.

يعين على الأمر الجميل وإن يرى فواحش لا يَصْبِرْ عليها وغيّرا

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن القاسم بن إبراهيم عليهما السلام عمن ذكره قال: رأيت الحسين صاحب فخ، وقد دفن شيئًا فظننت أنه شيء له مقدار، فلما كان من أمره ما كان نظرنا فإذا هو قطعة[1] من جانب وجهه قد قطع فدفنه ثم عاد فكَرّ عليهم. وروى أيضًا أن حماداً التركي وكان ممن حضر وقعة فخ، فقال للقوم: أروني حسينًا فأروه إياه، فرماه بسهم فقتله، فوهب له محمد بن سليمان مائة ألف درهم ومائة ثوب[2]، وقتل أكثر أصحابه عليه السلام.

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن نصر الخفاف قال: أصابتني ضربة وأنا مع الحسين صاحب فخ فَبَرَت اللحم والعظم، فبتُّ ليلتي أعوي منها، وأنا أخاف أن يجيئوني فيأخذوني إذا سمعوا الصوت، فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وقد جاء، فأخذ عظمًا فوضعه على عضدي فأصبحت وما أجد من الوجع قليلاً ولا كثيراً[3]!.

ولما قتل عليه السلام أخذ رأسه وحمل إلى موسى الملقب بالهادي، ودفن بدنه (بفخ) ومشهده مشهور مزور، ولا عقب له عليه السلام.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[4]: وكان له يوم قُتل إحدى وأربعون سنة، ولما قتلوه نفذوا إلى المدينة، فلما دخلوها وجلس موسى بن عيسى وأقبل الناس إليه، وأقبل موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام على أثر ذلك وعليه مدرعة صوف غليظ، وفي رجليه نعلان من جلود الإبل فقعد في طرف، فقال السري بن عبدالله: يا موسى كيف رأيت مصارع البغي الذي لا تَدَعُونه لبني عمّنا المنعمين عليكم؟ فقال موسى أقول في ذلك:

---

(١) في (ج): بقطعه.

(٢) المقاتل ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٣) المقاتل ص ٤٥٧.

(٤) الإفادة ٧٣.

بني عـمِّنا ردوا فـضـول دمـآئنا　　يَنَمْ لَيْلُكُمْ أولا يَلُمْنَ اللوائم

فـإنا وإياكم ومـا كـان بيننا　　كذي الدّين يقضي دينه وهو راغم

فقال السري : والله ما يزيدكم البغي إلا ذلّة ، ولو كنتم مثل بنيَ عمكم يعني موسى بن جعفر- فقد عرف حق بني عمه وفضلهم عليه فهو لا يطلب ما ليس له ، فقال موسى بن عبدالله عليه السلام :

فإنّ الأولى تُثني عليهم بقيتي[1]　　أولاك بنو عـمّي وعـمُّـهمُ أبي

فـإنك إن تمدحـهمُ بمديحـة　　تُصـدّق وإن تمدح أباك تُكذّب

وروي أن محـمد بن سليمان لما حضرته الوفاة كانوا يلقنونه الشهادة وهو يقول :

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكنْ　　شهدتُ حسينًا يوم فخٍّ ولا الحسنْ

ولبعضهم يرثي الحسين بن علي عليهما السلام :

يا عينَ بكّي بدمع منك منهتن　　فـقـد رأيت الذي لاقى بنو حسن

صرعى بفخٍّ تجرُّ الريح فوقـهم　　أذيالهـا وغـوادي الدلّح[2] المزن

حتى عفت[3] أعظمٌ لو كان شاهدها　　مـحـمد ذبّ عنهـا ثم لم يهن

مـاذا يقـولون إذ قـال النبي لهم :　　مـاذا فعلتم بنا في سالف الزمن؟

لا الناس من مُضَر حاموا ولا عصموا　　ولا ربيـعـة والأذواء من يمن

يا ويحهم كيف لم يرعوا لهم حُرمًا　　وقد رأى الفيل حق البيت ذي الركن

ولبعضهم يرثيه أيضًا :

فـلأبكين على الحـسين　　بعـولة وعلى الحـسن

وعلى ابن عـاتكة الذي　　أثووه ليس بذي كـفن

---

(١)في المصادر : تعيبني ، وأظنه تصحيف .

(٢)الدلّح : كثير الماء . القاموس ص٢٧٧ .

(٣)في (أ) : غدت .

نزلوا بفخ غدوة ... في غير منزلة الوطن
كانوا كرامًا فانقضوا ... لا طائشين ولا جُبن
غسلوا المذلّة عنهم ... غسل الثياب من الدّرن
هُديَ العباد بجدّهم ... فلهم على الناس المنَنْ

رواه الشيخ أبو الفرج لعيسى بن عبدالله[1].

وروى عن بعضهم قال: رأيت في النوم رجلاً يسألني أن أنشده هذه الأبيات، فأنشدته إياه، فقال لي: زد فيها:

قومٌ كرامٌ سادةٌ ... مَنْ هُمْ ومَنْ هُمْ ثم مَنْ

وروى بإسناده قال: سُمِع على مياه غطفان كلها ليلة قتل الحسين صاحب فخ هاتفًا يهتف ويقول:

ألا يا لقوم للسواد المصبّح ... ومقتل أولاد النبي بِبَلْدح
لبيك حسينًا كل كهل وأمردِ ... من الجن إذ لم يبك للإنس مترح
فإني لجني وإن معرّسي ... لبَا لبُرْقة السوداء من دون رَحْرَح

فسمعها الناس فلا يدرون ما الخبر حتى أتاهم قتل الحسين عليه السلام.

وروي أن عدة الجيش الظالم كانت أربعين ألفًا.

وروى الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام عن عمه سليمان بن القاسم بن يحيى بن حمزة بن أبي هاشم أن الجيش الذين حضروا لقتال الحسين بن علي الفخي عليهما السلام اسودت وجوههم قاطبة فكانوا يعرفون من بين الناس، فيقال: هذا من الجيش الذين قتلوا الفخي.

وقبره بفخ عند بستان الديلمي في الزاهر. أمر الإمام المنصور بالله عبدالله ابن حمزة عليه السلام إلى السيد أبي الحسن قتادة بن إدريس بعمارته فعمر عليه، وعلى الحسن بن محمد قبّة حسنة سنة إحدى وستمائة.

---

(١) المقاتل ص٤٥٨.

الإمام يحيى بن عبدالله عليهما السلام[1]

هو: أبو الحسين وقيل: أبو عبدالله يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه: قُرَيْبة ابنة عبدالله ويعرف بربيح بن أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهي ابنة أخ هند أم محمد وإبراهيم وموسى أولاد عبدالله عليهم السلام[2].

صفته عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام[3]: كان عليه السلام آدم، حسن الوجه إلى القِصَر، ما هو عظيم البطن، فارسًا شجاعًا، وكانت له مقامات مشهورة في مبارزة الأعدآء، وقتل الأبطال مع الإمام الحسين بن علي صاحب فخ عليهما السلام.

وفي كتاب مقاتل الطالبية[٤٦٥] رواه بالإسناد عن بعضهم: كان قصيراً آدم، حسن الوجه والجسم، تعرف سلالة الأنبيآء في وجهه.

ذكر طرف من أخباره وبيعته عليه السلام:

كان عليه السلام من عيون العترة عليهم السلام وفُضَلائها، قد نشأ على طريقة آبائه الأطهار السادة الأبرار سلام الله عليهم أجمعين، جامعًا بين العلم والعمل، قد روى الحديث عن أهله وغيرهم من الرواة، قال الشيخ أبو الفرج[4]: وأكثر

---

(١) أنظر الإفادة ٧٤، ومقاتل الطالبين ٤٦٣، والطبري ٦/ ٤٤٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣، مروج الذهب ٣/ ٣٥٣، الاستقصاء ١/ ٦٧، ابن الأثير ٦/ ٧٤، ابن ابي الحديد ٤/ ٣٥٢، الفخري ١٧٤، التحف شرح الزلف ١١٢، الشافي ١/ ٢٢٤، الأعلام ٨/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٠/ ٥٤، ابن خلدون ٣/ ٣١٥، عمدة الطالب ١٧٦، المصابيح ٤٩٠.

(٢) المصابيح ٤٩٠، والإفادة ٧٤، ومقاتل الطالبين ٤٦٣.

(٣) الافادة ص٧٦.

(٤) مقاتل الطالبين ص٤٦٣.

الرواية عن جعفر بن محمد، وروى عن أبيه وأخيه محمد، وعن أبان بن تغلب، وروى عنه مُخوَّل بن إبراهيم، وبكار بن زياد، ويحيى بن مُساور، وعمرو[1] بن حماد، وكان قد حضر عليه السلام القتال مع الحسين بن علي الفخي عليهم السلام، وقاتل قتالاً عظيماً، وأُصيب بنشاب كثير، قال الراوي: حتى صار كالقنفذ لكثرة لزومه فيه. ولما انفصلوا من الوقعة أقام مستتراً مدة طويلة يطوف في الآفاق خوفاً على نفسه، ووصل صنعاء وأقام بها شهوراً، وأخذ علماء صنعاء عنه علماً كثيراً مثل يحيى بن زكرياء الصنعاني، ويحيى بن إبراهيم، ثم دخل بلاد الحبشة وخرج منها، وصار إلى بلاد الترك فتلقاه ملكها بالإكرام، وقدم له التحف العظيمة، ودعاه إلى الإسلام فأسلم على يديه سراً[2].

وبث يحيى عليه السلام دعاته في الآفاق فجاءته كتبهم ببيعة مائة ألف فيهم العلماء والفقهاء، فقال يحيى عليه السلام: لا بد من الخروج إلى دار الإسلام، فنهاه ملك الترك عن ذلك، وقال: إنهم يخدعونك فلا تغترّن، فقال يحيى: لا أستخير فيما بيني وبين الله تعالى أن أقيم في بلاد الشرك ومعي مائة ألف مقاتل من المسلمين فخرج إلى بلاد الديلم وقال: إن للديلم معنا خرجة وأرجو أن تكون معي فلم تكن معه عليه السلام، وإنما كانت مع الناصر للحق عليه السلام. فلما استقرّ يحيى عليه السلام في بلاد الديلم وأتاه سبعون رجلاً ممن كان قد استجاب له، وبلغ الخبر إلى هارون المسمّى بالرشيد فتبلبل باله، وتغيّرت أحواله، وقَطَعَ الخمر، ولبس الصوف، وافترش اللّبود، وتحلى بغير ما يعتاده من العبادة والصلاح لما علا صيت يحيى عليه السلام في الآفاق، وانتشر ذكره. وكان في الذين بايعوه من عيون[3] أهل العلم المشهورين: عبد ربه ابن علقمة، ومحمد بن إدريس الشافعي، ومحمد بن عامر، ومخول بن إبراهيم،

---

(١) في النسخ: عمر.

(٢) الإفادة ٧٦، وأخبار فخ ١٩٠.

(٣) في (أ): ساقطة: عيون.

والحسن بن الحسن العُرني، وإبراهيم بن إسحاق، وسليمان بن جرير، وعبدالعزيز ابن يحيى الكناني، وبشر بن المعتمر، وفُلَيت بن إسماعيل، ومحمد بن أبي نعيم، ويونس بن إبراهيم، ويونس البجلي، وسعيد بن خثيم. وجَرَت على الشافعي رحمه الله نوبة، وذلك أن الرشيد لَمّا بلغه أنه يدعو ليحيى بن عبدالله عليهما السلام أنفذ إليه من أتى به على حمار مُقيّدًا مكشوف الرأس، فأُدخل بغداد على تلك الهيئة[1].

وذكر بعض من صنف في أخباره عليه السلام أن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الذي يقال له: أستاذ محمد بن إدريس الشافعي كان من دعاة يحيى عليه السلام، ومن أجلّة أصحابه وأهل زمانه، فكتب إلى أبي محمد الحضرمي كتابًا وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، سلامٌ عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى المستوجبين الصلاة من أهله أما بعد:

فقد بلغني حبك أهل بيت نبيك عامة، ويحيى بن عبدالله خاصة؛ لمكان النبي صلى الله عليه وآله منهم، ولموضعهم الذي فضلهم الله به من بيننا، فلقد وفِّقت لرشدك بمودتك لهم؛ لأنهم أحق الناس بذلك منك ومن الأمة، وأقمنهم أن يُقَرِّبك حبهم إلى ربك؛ لأنهم أهل بيت الرحمة، وموضع العصمة، وقرار الرسالة، وإليهم كان مختلف الملائكة، وأهل رسول الله وعترته، فهم معدن العلم وغاية الحكم[2]، فتمسك بصاحبك، واستظل بظله، وأعنه على أمره، وارض به محلا، ولا تبغ به بدلاً، فإنه من شجرة باسقة الفرع، طيبة النبع، ثابتة الأصل، دائمة الأكل، قد ساخت عروقها فهي طيبة الثرى، واهتزت غصونها فهي تنطف الندى، وأورقت مُنضرة، ونوّرت مزهرة، وأثمرت مُورقة، لا يُنقص ثمارها

---

(١) الإفادة ٦٧.

(٢) في (أ): الحلم.

الجناة، ولا ينتزعها[1] السقاة، فمن نزل بها وأوى إليها ورد حياضًا تفيض، ورعى رياضًا لا تغيض، وشرب شربًا رويًا هنيئًا مريئًا متلألأ غريضًا فضيضًا، فروّى وارتوى من رواء بدلاء ملأى، مبذولة غير ممنوعة، معروضة غير مقطوعة، فاستمسك بالعروة الوثقى من معرفة حق الله عليك في نصرة يحيى، وتحريم حرمته، واستغنم الظفر بما يلزمك من حفظه لمكان النبي ﷺ ومكان الوصي بعده الإمام، ومكان أهله منه، وحفظ دين الله خاصة، وفي أهل البيت عامة، وأحببهم جميعًا حبًا نافعًا، واجعل حبك إياهم حبًا دائمًا بغير تقصير ولا إفراط، ولا احتراف ولا اختلاف، تجمعهم إذا تفرقوا، ولا تفرق بينهم إذا اجتمعوا، ولا تُصدِّق عليهم أهل الفرية من الرافضية الغلاة، فإنهم العداة للقائمين بالحق من عترة الرسول، وسيِّئوا النية فيهم والجرأة على الله بالإفك والشنآن، وهم أهل الخلابة وقلة المهابة للعواقب، واعلم أن من اعتقد ترك ما نهى عنه في السر الباطن، وأظهر الحق في المواطن، ولزم التقوى وحفظ حق ذي القربى، وتجنب في حبهم الجور والحزونة، وسلك الطريقة الوسطى، وسار فيهم بالقصد والسهولة، وأقرّ بالفضل لأهله، وفضّل ذا الفضل بفضله، ودعا إلى الله تعالى وإلى كتابه وسنة نبيه، ولم ير الإغماض في دينه، ولم ينقض مبرما، ولم يستحل محرمًا، فمن كانت هذه صفته لحق بالصالحين من سلفه وبخير آبائه الطاهرين، فتدبر ما وصفت لك، وميزه بقلبك، فإن كنتَ كذلك لحقتَ بأهل الولاية الباطنة والمودة الراتبة، التي لم تغيرها فتنة ولم تصبها أبنة[2]، فَاسْكُنْ خير دار عند أكرم جار بأهنأ راحة وأفضل قرار، في مكان لا يشوبه المكاره والغل، ولايعاب أهله بسوء الأخوة والبخل، يتلاقون بأحسن تحية، بصدق برية، وأخلاق سنية، لا تمازجها الريبة، ولا تنساغ فيها الغيبة، قد وصلهم الله بحبله

---

(١)في (أ): ولا شرعها .

(٢)الأبنة: العيب . القاموس ص١٥١٥ .

فاتصلوا به، وجمعهم في جواره فاستبشروا به، فعلى ذلك يتواخون وبه يتواصلون، يتحابون بالولاية، ويتوادون بحسن الرعاية، فهم كما قال الله: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ ﴾ الآية [الفتح:٢٩]، فهم كمثل من خلا من قبلهم، مستهم البأسآء والضرآء ونالهم المكروه واللأوآء، والشدة والأذى، امتحنوا بعظيم المحن والبلوى، فصبروا لله على ما امتحنهم به، وأخلصوا لله ما أرادوا منه، فحباهم[1] على ما أسلفوا، وكافأهم بجميل ما اكتسبوا، وأحبهم لعظيم ما صبروا، والله يحب الصابرين. رزقنا الله تراحم الأبرار وتواصل الأخيار الذين لهم عقبى الدار، وفتح لنا ولك أبواب الحكمة، وعصمنا وإياك بحبل العصمة، وشملنا بجميل النعمة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ولما علم هارون المسمى بالرشيد بكثرة من استجاب ليحيى عليه السلام، وكونه في الديلم عند جُسْتان وحيث لا طاقة له في أخذه قهراً أعمل الحيلة في ذلك، فوجّه الفضل بن يحيى بن خالد في خمسين ألف مقاتل، وألزمه التوصل إلى استخراج يحيى عليه السلام بما يمكن من الحيل فتشدد الفضل في ذلك إزالة للتهمة عن نفسه، فقد كان سُعيَ به إلى هارون وقيل: إنه يعرف مكان يحيى عليه السلام، وإنه كتب له منشوراً يعرضه على أصحاب المسالح حتى لا يعترضوا له بحال. فلما جهز الفضل بن يحيى بالجند والأموال الجليلة أمره أن يبذل لجستان ما يحبه من الأموال، وأوصاه أن يعرض على يحيى عليه السلام كل أمر يوافق خاطره، وأن يعظم القطائع الجليلة على احترامه واحترام شيعته، وأن يسكّن حيث أحب من البلاد. وشيع هارون الجيش إلى النهروان، فلما عُرضوا عليه رأى ما أعجبه من كراع وسلاح ورجال، وكان ذلك سنة ست وسبعين ومائة، ونهض الفضل بن يحيى يطوي البلاد حتى حط بطالقان الري، فكاتب ملك الديلم وبذل له ألف ألف درهم على خروج يحيى عليه السلام، فامتنع ملك الديلم من ذلك، فأرسل إليه الفضل بالأموال، وأنواع التحف

---

(١) في (أ): فحاياهم.

والهدايا فلم يؤثر فيه ذلك بل استمر على الامتناع. وقد كان هارون أودع الفضل كتابًا إلى يحيى عليه السلام إن امتنع ملك الديلم فيه الأمان والوثائق، وأن يبذل له من المال ألف ألف وألف ألف وألف ألف وما أحب من القطائع، وينزله من البلاد حيث شاء[1]. فكتب يحيى عليه السلام إلى هارون جواب كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فقد فهمت كتابك، وما عرضت عليَّ فيه من الأمان على أن تبذل لي أموال المسلمين، وتقطعني ضياعهم التي جعلها الله لهم دوني ودونك، ولم يجعل لنا فيها نقيراً ولا فتيلاً، فاستعظمتُ الاستماع له فضلاً عن الركون إليه، واستوحشتُ منه تنزهًا عن قبوله، فاحبس عني أيها الإنسان مالك وإقطاعك وقضاك حوائجي، فقد أدبتني إذاً خالف ناقصاً[2]، وولدتني عاقًا قاطعًا، فوالله لو أن من قَتلتَه من أهلي تُرْكٌ ودَيَالمٌ على بعد أنسابهم مني وانقطاع رحمهم عني لوجَبَت عليَّ نصرتهم، والطلب بدمآئهم، إذ كان منكم قتلهم ظلمًا وعدوانًا، والله لكم بالمرصاد لما ارتكبتم من ذلك، وعلى الميعاد لما سبق فيه من قوله ووعيده، وكفى بالله جازيًا ومعاقبًا، وناصراً لأوليائه ومنتقمًا من أعدائه، وكيف لا أطلب بدمآئهم وأنام عن ثأرهم، والمقتول بالجوع والعطش والنكال، وضيق المحابس وثقل الأغلال، وعَدْو العذاب وترادف الأثقال - أبي عبدالله بن الحسن ذو الشيبة الزكية، والهمة السنية، والديانة المرضية، والخشية والتقية، شيخ الفواطم، وسيد أبنآء هاشم طرًا، وأرفع أهل عصره قدراً، وأكرم أهل بلاد الله فعلاً، ثم يتلوه إخوته وبنو أبيه، ثم إخوتي وبنو عمومتي نجوم السمآء، وأوتاد الدنيا، وزينة الأرض، وأمان الخلق ومعدن الحكمة، وينبوع العلم، وكهف المظلوم، ومأوى الملهوف، ما منهم أحد إلا من لو أقسم على الله لبرّ قسمه،

---

(١) مقاتل الطالبين ٤٦٥، والإفادة ٧٦.

(٢) في (أ): ناقصًا.

فما أنسَ من الأشيآء فلا أنسى مصارعهم، وما حلَّ بهم من سوء مقدرتكم، ولؤم ظفركم، وعظيم إقدامكم، وقسوة قلوبكم، إذ جاوزتم قتلة من كفر بالله إفراطًا، وعذاب من عاند الله إسرافًا، ومُثلة من جحد الله عتوًا. وكيف أنساه؟ وما أذكره ليلاً إلا أقضّ عليَّ مضجعي وأقلقني عن موضعي، ولا نهارًا إلا أمَرَّ عليَّ عيشي، وقصّر إليَّ نفسي حتى لوددت أني أجد السبيل إلى الاستعانة بالسباع عليكم فضلاً عن الناس، وآخذ منكم حق الله الذي أوجب عليكم، وأنتصف من ظالمكم، وأشفي غليل صدر قد كثرت بلابله، وأسكّن قلبًا جمًا وساوسُه من المؤمنين، وأذهب غيظ قلوبهم ولو يومًا واحدًا، ثم يقضي الله فيَّ ما أحب، وإن أعش فمدركٌ ثأري داعيًا إلى الله سبحانه على سبيل الرشاد أنا ومن اتبعني نسلك قصد من سلف من آبآئي وإخواني وإخوتي القائمين بالقسط الدعاة إلى الحق، وإن أمت فعلى سَنَن ما ماتوا غير راهب لمصرعهم، ولا راغب عن مذهبهم، فلي بهم أسوة حسنة، وقدوة هادية؛ فأول قدوتي منهم أمير المؤمنين رضوان الله عليه؛ إذ كان ما زال قائمًا وقت القيام مع الإمكان حتمًا، والنهوض لمجاهدة الجبارين فرضًا، فاعترض عليه من كان كالظلف مع الخف، ونازعه من كان كالظلمة مع الشمس، فوجدوا لعمر الله من حزب الشيطان مثل من وجدت، وظاهرهم من أعدآء الله مثل من ظاهرك، وهم لمكان الحق عارفون، وبمواضع الرشد عالمون، فباعوا عظيم أجر الآخرة بحقير عاجل الدنيا، ولذيذ الصدق بغليظ مرارة الإفك، ولو شآء أمير المؤمنين لهدأتْ له، وركنت إليه بمحاباة الناكثين، واتخاذ المضلين، وموالاة المارقين، ولكن أبى الله أن يكون للخائنين متخذًا، وللظالمين مواليًا، ولم يكن أمره عندهم مشكلاً، فبدلوا نعمة الله كفرًا، واتخذوا آيات الله هزوًا، وجحدوا كرامة الله، وأنكروا فضيلة الله، فقال رابعهم: أنَّى تكون لهم الخلافة والنبوة، حسدًا وبغيًا، فقديمًا حُسدَ النبيئون وأبنآء النبيين الذين اختصهم الله بمثل ما اختصنا، فأخبر عنهم تبارك وتعالى فقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى

﴿مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤]، فجمع لهم المكارم والفضائل، والكتاب والحكمة والنبوة والملك العظيم، فلما أبوا إلا تماديًا في الغي وإصرارًا على الضلال، جاهدهم أمير المؤمنين حتى لقيَ الله شهيدًا رضوان الله عليه. ثم تلاه الحسن سليل رسول الله ﷺ وآله وشبيهه، وسيد شباب أهل الجنة، إذ كل أهلها سادة فكيف بسيد السادة، فجاهد من كان أمير المؤمنين جاهده، وسكن إليه من المسلمين من كان شايعه من ذوي السابقة وأهل المأثرة، فكان ممن نقض ما عقد له ونكث عما عاهده عمك عبيدُالله بن العباس حين اطمأن إليه، وظن أن سريرته لله مثل علانيته، وجّهه على مقدمته في نحو عشرين ألف مقاتل من المسلمين، فلما نزل مَسْكنًا من سواد العراق باع دينه وأمانته من ابن آكلة الأكباد بمائة ألف درهم وفارق عسكره ليلاً ولحق بمعاوية، فدلّه على عورات عسكر ابن رسول الله، وأطمعه في مبارزته بعد أن كانت نفسه قد أُحيط بها وضاق عليه مورده ومصدره، وظنّ أن لا مطمع له حين استدرج وأمهل له فارتحل الحسن بنفسه باذلاً لها في ذات الله ومحتسبًا ثواب الله، حتى إذا كان بالمدائن وثب عليه أخو أسد، فوجأه في فخذه فسقط لما به، وأيس الناس من إفاقته، فتبددوا شيَعًا، وتفرقوا قطعًا، فلما قصرت طاقته، وعجزت قوته، وخذله أعوانه سالم هو وأخوه معذورين مظلومين موتورين، فاستثقل اللعين ابن اللعين حياتهما، واستطال مدتهما، فاحتال بالاغتيال لابن رسول الله ﷺ وآله حتى نال مراده وظفر بقتله، فمضى مسمومًا شهيدًا، مغمومًا فقيدًا. وغبر شقيقه وأخوه وابن أمه وأبيه شريكه في فضله، ونظيره في سؤدده، على مثل ما انقرض عليه أبوه وأخوه، حتى إذا ظن أن قد أمكنته محنة الله من بوارهم، ونصرة الله من اخترامهم، دافعه عنها أبناء الدنيا، واستدرج بها أبناء الطلقاء، فبعدًا للقوم الظالمين، وسحقًا لمن آثر على سليل النبيين وبقية المهتدين الخبيث ابن الخبيثين، والخائن ابن الخائنين، فقتلوه ومنعوه ماء

الفرات، وهو مبذول لسائر السباع، وأعطشوه وأعطشوا أهله وقتلوهم ظمأ، يناشدونهم فلا يجابون، ويستعطفونهم فلا يرحمون، ثم تهادوا رأسه إلى يزيد الخمور والفجور تقربًا إليه، فبعدًا للقوم الظالمين!!.

ثم توجهت جماعة من أهل العلم والفضل إلى سجستان في جيش، فتذاكروا ما حل بهم من ابن مروان فخلعوه وبايعوا الحسن بن الحسن ورأسوا عليهم ابن الأشعث إلى أن يأتيهم أمره، وكان رأسهم غير طائل ولا رشيد، نصب العدواة للحسن قبل موافاته، فتفرقت عند ذلك كلمتهم وفلَّ حدهم، فمزقوا كل ممزَّق، فلما هُزِم جيش الطواويس احتالوا بجدي الحسن بن الحسن فمضى مسمومًا يتحسَّى الحسرة، ويتجرّع الغيظ رضوان الله عليه، حتى إذا ظهر الفساد في البر والبحر شرى زيد بن علي عليهما السلام لله نفسه، فما لبث أن قُتل ثم صُلب ثم أحرق فأكرم بمصرعه مصرعًا. ثم ما كان إلا طلوع ابنه يحيى عليه السلام ثائرًا بخراسان فقضى نحبه وقد أعذر رضوان الله عليهما، وقد كان أخي محمد بن عبدالله دعا قبل زيد وابنه عليهما السلام فكان أول من أجابه وسارع إليه جدك محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس وإخوته وأولاده، فخرج ابن عمه يقوم بدعوته، حتى خدع بالدعاء إليه طوائف، ومعلوم عند الأمة أنكم كنتم لنا تدعون، وإلينا ترجعون، وقد أخذ الله عليكم منكم ميثاقًا لنا، وأخذنا عليكم ميثاقًا لمهدينا محمد بن عبدالله النفس الزكية الخائفة التقية المرضية، فنكثتم عند ذلك، وادعيتم من إرث الخلافة ما لم تكونوا تدّعونه قديمًا ولا حديثًا، ولا ادّعاه أحدٌ لكم من الأمة إلا تقوُّلاً كاذبًا، فها أنتم الآن تبغون دين الله عوجا، وذرية رسول الله ﷺ قتلاً واجتياحًا، والآمرين بالمعروف صَلْبًا واستباحًا، فمتى ترجعون، وأنى تؤفكون؟ أو لم يكن لكم خاصة وللأمة عامة في محمد بن عبدالله فضلاً، إذ لا فضل يعدل فضله في الناس، ولا زهد يشبه زهده، حتى ما يتراجع فيه اثنان، ولا يترادُّ فيه

مؤمنان، ولقد أجمع عليه أهل الأمصار من أهل الفقه والعلم في كل البلاد لا يتخالجهم فيه الشك، ولا تقفهم عنه الظنون، فما ذكر عند خاصة ولا عامة إلا اعتقدوا محبته، وأوجبوا طاعته، وأقروا بفضله وسارعوا إلى دعوته، إلا من كان من عتاة أهل الإلحاد الذين غلبت عليهم الشقوة، فغمصوا النعمة، وتوقعوا النقمة من شيع أعدآء الدين وأفئدة المضلين وجنود الضالين، وقادة الفاسقين، وأعوان الظالمين، وحزب الخائنين، وقد كان الدعاء إليه منكم ظاهراً، والطلب له قاهراً، بإعلان اسمه وكتاب إمامته على أعلامكم: محمدنا منصور، يُعرف ذلك ولا يُنكر، ويسمع ولا يجهل، حتى صرفتموها إليكم وهي تخطب عليه، وكفحتموها عنه وهي مقبلة إليه، حين حضرتم وغاب، وشهدتم إبرامها، ورأى قلةَ رغبة ممن حضر، وعظيم جرأة ممن اعترض، حتى إذا حصلت لكم بدعوتنا، وهدأت لكم بخطبتنا، وقرَّت لكم بنسبتنا، قالت لكم إجرامكم إلينا، وجنايتكم علينا: إنها لا توطأ لكم إلا بإبادة خضرائنا، ولا تطمئن لكم دون استئصالنا، فأغري بنا جدك المتفرعن فقتلنا، ولا يخفى أثره فينا عند المسلمين، لؤم مقدرة، وضراعة مملكة، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، قبل بلوغ شفآء قلبه من فنآئنا، وهيهات أن يدرك الناس ذلك، ولله فينا خبيئة لا بدّ من إظهارها، وإرادة لا بد من بلوغها، فالويل له، فكم من عين طالما غمضت عن محارم الله، وسهرت متهجدة لله، وبكت في ظلم الليل خوفًا من الله، قد أسحّها بالعبرات باكية، وسمّرها بالمسامير المحماة، وألصقها بالجدرات المرصوفة قائمة، وكم من وجه طالما ناجى الله مجتهداً، وعنى لله متخشعًا، مشوهًا بالعمد مغلولاً مقتولاً، ممثولاً به معنوقًا، وبالله أن لو لم يلق الله إلا بقتل النفس الزكية أخي محمد بن عبدالله رحمه الله للقيه بإثم عظيم وخطب كبير، فكيف وقد قتل أبا[1] النفس

---

(١) في (ج): قبل.

الزكية التقية، أبي عبدالله بن الحسن وإخوته وبني أخيه، ومنعهم روح الحياة في مطَابقه، وحال بينهم وبين خروج النفس في مطاميره، لا يعرفون الليل من النهار، ولا مواقيت الصلاة إلا بقرآءة أجزآء القرآن تجزئة قد عرفوه لما غابوا في أنآء الليل والنهار حين الشتآء والصيف حال أوقات الصلاة، قرمًا منه إلى قتلهم، وقطعًا منه لأرحامهم، وترة لرسول الله ﷺ فيهم، فولغ فيهم ولغان الكلاب، وضري بقتل صغيرهم وكبيرهم ضراوة الذئاب، ونهم بهم نهم الخنزير، واللهُ له ولمن عمل بعمله بالمرصاد. فلما أهلكه الله قابلتنا أنت وأخوك الجبار الفظ الغليظ العنيد، بأضعاف فتنته، واحتذاء سيرته، قتلاً وعذابًا وتشريدًا وتطريدًا، فأكلتمانا أكل الربا، حتى لفظتنا الأرض خوفًا منكما، وتأبّدنا في الفلوات هربًا عنكما، فأنست بنا الوحوش وأنسنا بها، وألفتنا البهائم وألفناها، ولو لم يجترم أخوك إلا قتل الحسين بن علي وأسرته بفخ لكفى بذلك عند الله وزرًا عظيمًا وسيعلم وقد علم ما اقترف، والله مجازيه وهو المنتقم لأوليائه من أعدآئه. ثم امتحننا الله بك من بعده، فحَرصت على قتلنا، وظلمت الأول والآخر منا، لا يؤمّنك منهم بُعْد دار، ولا نأي جار، تتبعهم حيلك وكيدك حيث ستروا من بلاد الترك والديلم، لا تسكن نفسك ولا يطمأن قلبك دون أن تأتي على آخرنا، ولا تدع صغيرنا، ولا ترثى لكبيرنا؛ لئلا يبقى داع إلى حق، ولا قائل بصدق، ولا أحد من أهله، حتى أخرجك الطغيان، وحملك الشنآن أن أظهرت بغضة أمير المؤمنين، وأعلنت بنقصه، وقربت مبغضيه، وآويت شانيئه، حتى أربيت على بني أمية في عداوته، وأشفيت غلتهم في تناوله، وأمرت بكرب قبر الحسين بن علي صلوات الله عليه، وتعمية موضعه، وقتل زوّاره، واستئصال محبيه، وأوعدت فيه وأرعدت وأبرقت على ذكره، فوالله لقد كانت بنو أمية الذين وضعنا آثارهم مثلاً لكم، وعددنا مساويهم احتجاجًا عليكم على بعد أرحامهم أرأف بنا منكم، وأعطف

علينا قلوبًا من جميعكم، وأحسن استيفاءً لنا ورعاية من قرابتكم، فوالله ما بأمركم خفاء، ولا بشأنكم امترآء، ولم لا تُجَاهَدُ؟ وأنت معتكف على معاصي الله صباحًا ومساء، مغترًا بالمهلة، آمنًا من النقمة، واثقًا بالسلامة، تارة تغري بين البهائم بمناطحة كبش، أو مناقرة ديك، أو مخارشة كلب، وتارة تفترش الخصيان، وتأتي الذُّكْرَانَ، وتترك الصلاة صاحيًا وسكران، ثم لا يشغلك ذلك عن قتل أوليآء الله، وانتهاك محارم الله، فسبحان الله ما أعظم حلمه، وأكثر أناته عنك وعن أمثالك، ولكنه تبارك وتعالى لا يعجل بالعقوبة، وكيف يعجل وهو لا يخاف الفوت وهو شديد العقاب. فأما ما دعوتني إليه من الأمان، وبذلت لي من الأموال، فمثلي لاتثني الرغائب عزمته، ولا تَنْحَلُّ لخطير همتُه، ولا تبطلُ سعيًا باقيًا على الأيام أثره، ولايترك جزيلاً عندالله أجْرُه بمال فان، وعار باق، هذه صفقة خاسرة، وتجارة بائرة، وأستعصم الله منها، وأسأله أن يجيرني من مثلها بمنه وطوله. أفأبيع المسلمين وقد سمت إليَّ أبصارهم، وانبسطت نحوي آمالهم بدعوتي، واشرأبّت أعناقهم نحوي؟ إني إذًا لدنيّ الهمة، لئيم الرغبة، ضيق العطن، هذا والأحكام مهملة، والحدود معطلة، والمعاصي مستعملة، والمحارم منتهكة، ودين الله محقور، وبصيرتي مشحوذة، وحجّة الله قائمة في إنكار المنكر. أفأبيع خطيري بمالكم، وشرف موقفي بدراهمكم، وألبس العار والشنار بمقامكم؟! لقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين، والله ما أكلي إلا الجشب، ولا لباسي إلا الخشن، ولا شعاري إلا الدرع، ولا صاحبي إلا السيف، ولا فراشي إلا الأرض، ولا شهوتي من الدنيا إلا لقآؤكم، والرغبة في مجاهدتكم، ولو موقفًا واحدًا لانتظار إحدى الحسنيين في ذلك كله في ظفر أو شهادة. وبعد فإن لنا على الله وعدًا لا يخلفه، وضمانًا سوف ننجزه حيث يقول:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[النور:٥٥] وهو الذي يقول عز قائلاً : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ﴾ [القصص:٥][1].

فلما ورد جواب يحيى عليه السلام على هارون أثناء وساده، وشاور أهل الرأي من خاصته فاستبهم عليهم الأمر، فقال أبو البختري وهْب بن وهْب، وكان من قدنـاته بل جعله قاضي القضاة: يا أمير المؤمنين عليَّ أن أحتال لك حتى تَسَلَّمَ يحيى من جستان، فقال : وكيف ويحك تعمل؟ قال: أجمع من وجوه أهل قزوين وزنجان والري وأبهر وهمذان وعلمائها من قدرت عليه، ويشهدون عند جستان أني قاضي القضاة، وأشهد أن يحيى لك عبدٌ، ويشهدون وأنا لك بالخلافة، فانجلى كرب هارون وأمر لأبي البختري بجائزة ثلاثمائة ألف، ووجّه من فوره إلى الفضل بن يحيى، وأمره أنّ من امتنع من الشهادة ضُربت عنقه، واصطُفي ماله، ومن شهد أكرم وأسقط عنه الخراج؛ فجمع من العلماء من أهل الجهات والنواحي التي سميناها ممن يعرفهم جستان ألف رجل وثلاثمائة رجل، ثم تقدموا إلى جستان فشهدوا بأن أبا البختري قاضي القضاة، وشهدوا لجستان بأن يحيى عبدٌ لهارون، وليس بابن بنت النبي صلى الله عليه وآله. وقد كان الفضل عرف أن امرأة جستان غالبةٌ عليه فطمع فيه من جهتها، فأنفذ إليها من الألطاف والجواهر والطيب والثياب حتى أرضاها، فأشارت على جستان بتسليمه إليهم[2]، فلما اجتمع هذان السببان، قال جستان ليحيى عليه السلام: يا يحيى ما وجدت أحدًا تخدعه بدعوتك غيري؟ فقال له عليه السلام : أيها الرجل إنّ لك عقلاً فاجعله حكمًا دون هواك، لو أني كنت كما قالوا ما وجهوا إليك بهذا المال، ولا وجهوا هذا الجند العظيم وأنفقوا

(١)أنظر الشافي ١/ ٢٢٥ وما بعدها.

(٢)الإفادة ٤٩٤.

هذا المال الجسيم لأجل عبد هرب، ولا جمعوا من وجوه هذه الأمصار من ترى؟ ليشهدوا عندك بالزور، فابعث من تثق به يسأل عني في هذه الأمصار وفي غيرها من أنا حتى تكون على يقين من أمرك، فقال جستان وكانت نيته قد فسدت بهذه الأسباب: هذا يطول، ما كان هؤلاء ليشهدوا عندي بالزور، فقال: إنهم مكرهون على الشهادة، وإنّ من أبى منهم قُتل، فاجمع بيني وبينهم، فقال: أفعل هذا، فلما اجتمعوا عليه قام فقال: الحمدلله على ما أولانا من نعمة وأبلانا من محنة، وأكرمنا بولادة نبيه ﷺ محمد، وعلى جزيل ما أولى، وجميل ما ابتلى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله انتخبه واصطفاه، واختاره واجتباه صلوات الله عليه وآله أجمعين أما بعد: معاشر العرب فإنكم كنتم من الدنيا بشر دار، وضنك قرار، ماؤكم أجاج، وأكلكم لماج[1]، من العلهز[2] والهبيد[3]، الأعاجم لكم قاهرة، وجنودهم عليكم ظاهرة، لم يمنعهم من تحويلكم من بلدكم إلا قلة خير بلدكم، أنتم مع الدنيا بمنزلة السقب[4] مع الناب الصعبة الضروس متى دنا إليها لينال من درها منعته، إن أتاها من أمامها خبطته، أو من ورائها رمحته، أو من عرضها عضته، فما عسى أن يصيب منها هذا على تفرق شملكم، واختلاف كلمتكم، لا تُحلُّون حلالاً، ولا تحرمون حرامًا، ولا تخافون آثامًا، قد رانَ الباطل على قلوبكم فلا تعقلون، وغطت الحيرة على أبصاركم فما تبصرون، وأسكّت الغفلة على أسماعكم فما تسمعون، على أن عودكم نضار، وأنتم ذو الأخطار، ثم منَّ الله عليكم وخصكم دون غيركم، فبعث فيكم محمداً ﷺ منكم خاصة، وأرسله للناس كافة، وجعله بين أظهركم ليميز به بينكم، وهو تعالى أعلم بكم منكم بأنفسكم،

---

(١) اللّمج: الأكل بأطراف الفم. القاموس ص٢٦١.

(٢) العلهز: طعام من الدوم والوبَر. القاموس ص٦٦٦.

(٣) الهَبيد: الحنظل. القاموس ص٤١٨.

(٤) السَقْب: ولد الناقة. القاموس ص١٢٤.

فاستنقذكم من ظلمة الضلال إلى نور الهدى، وجلا غشاوة العمى عن أبصاركم بضيآء مصابيح الحق، واستخرجكم من عمى بحور الكفر إلى جدد أرض الإيمان، وجَمَلَ برِفْقه[1] ما انفتق من رتقكم، ورأبَ بيُمْنه ما انصدع من شعبكم، ولمّ بإصلاحه ما فرقت الأحقاد والجهل من قلوبكم، ثم اقتضب برمحه لكم الدنيا الصعبة، فذلّت بعد عَنَت، وأبّسها فأرزمت[2]، وتفاجّت واجترت بعد ضرس، ودرت ضرعها بيمين كفه، فأحفلت أخلافها، وانبعثت أحاليبها، فرأمتكم كما ترأم الناب المقلاة طلاها، فشربتم عَللاً بعد نَهَل، وملأتم أسقيتكم فضلاً بعد التظاظ[3]، وتركها ﷺ تدور حولكم وتلوذ بكم كما تلوذ الزحور بسقبها.

فلما أقام أوَد قناتكم بثقاف الحق، ورحض بظهور الإسلام عن أبدانكم درن الشرك، ولحب لكم الطريق، وسن لكم السنن، وشرع لكم الشرائع خافضًا في ذلك جناحه، يشاوركم في أمره ويواسيكم[4] بنفسه، ولم يبغ منكم على ما جاءكم به أجرًا إلا أن تودّوه في قرباه، وما فعل ﷺ ذلك حتى أنزل الله فيه قرآنا، فقال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى:٢٣] فلما بلغ رسالة ربه، وأنجز له ما وعده من طاعة العباد والتمكن في البلاد، دُعِيَ ﷺ فأجاب، فصار إلى جوار ربه وكرامته، وقدم على البهجة والسرور، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فوعده الشفاعة عنده، والمقام المحمود لديه، فخلّف بين أظهركم ذريته، فأخرتموهم وقدمتم عليهم غيرهم، ووليتم أموركم سواهم، ثم لم يلبث إلا يسيرًا حتى جعلتم مال ولده حوزًا، وظلمت ابنته فدُفنت ليلاً، وقُتل فيكم وصيه وأخوه وابن

---

(١) في (أ): برتقه.

(٢) حقرها فاشتدت.

(٣) في (أ): اكتظاظ.

(٤) في (أ): ويساويكم.

عمه وزوج ابنته، ثم خُذل وجُرح وسُمَّ سبطه الأكبر أبو محمد، ثم قُتل سبطه الأصغر أبو عبدالله مع ثمانية عشر من أهل بيته الأدنَيْنَ في مقام واحد، ثم على أثر ذلك نبش وصلب وأحرق بالنار ولد ولده[1]، ثم هُم بعد ذلك يُقتَّلون ويُطَرَّدون ويشردون في البلاد إلى هذه الغاية، قُتل كبارهم، وأوتم صغارُهم، وأرملت نسآؤهم، سبحان الله! ما لقي عدوٌ من عدوِّه ما لقي أهل بيت نبيكم منكم من القتل والخوف والصلب، وليس فيكم من يغضب لهم إلا هزؤًا بالقول، وإن غضبتم زعمتم وقمتم معهم كي تنصروهم لم تلبثوا إلا يسيراً حتى تخذلوهم وتفرقوا عنهم، فلو كان محمد ﷺ من السودان البعيدة أنسابهم، المنقطعة أسبابهم إلا أنه قد جاوركم لوجب عليكم حفظه في ذريته، فكيف وأنتم شجرة هو أصلها، وأغصان هو فرعها، تفخرون على العجم، وتصولون على سائر الأمم، وقد عاقدتموه وعاهدتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون من أنفسكم وذراريكم، فَسَوءةٌ لكم ثم سوءة، بأي وجه تلقونه غدًا، وبأي عذر تعتذرون إليه؟ أبقلة؟ فما أنتم بقليل، أفتجحدون؟ فذلك يوم لا ينفع جحد، ذلك يوم تبلى فيه السرائر، أم تقولون: قتلناهم فمصدقون، فيأخذكم الجليل أخذ عزيز مقتدر، لقد هدمتم ما شيّد الله من بنيانكم، وأطفأتم ما أنار من ذكركم، فلو فعلت السمآء ما فعلتم لتطأطات إذلالاً، أو الجبال لصارت دكًا، أو الأرض لمارت مَوراً، إني لأعجب من أحدكم يقتل نفسه في معصية الله ولا ينهزم، يقول بزعمه لا تتحدثنَّ نسآء العرب بأني فررت، وقد تحدثت نسآء العرب بأنكم خفرتم أماناتكم ونقضتم عهودكم، ونكصتم على أعقابكم، وفررتم بأجمعكم عن أهل بيت نبيكم، فلا أنتم تنصرونهم للديانة وما افترض الله عليكم، ولا من طريق العصبية والحمية، ولا لقرب جوارهم وتلاصق دارهم منكم، ولا أنتم تعزلونهم فلا

---

(١) في (أ): ولده وولد ولده.

تنصرونهم ولا تنصرون عليهم عدوهم، بل صيرتموهم لُحمة لسيوفكم، ونُهزًا لتشفي غيظكم من قتلهم واستئصالهم وطلبهم في مظانهم ودارهم وفي غير دارهم، فصرنا طريدة لكم من دار إلى دار، ومن جبل إلى جبل، ومن شاهق إلى شاهق، ثم لم يقنعكم ذلك حتى أخرجتمونا من دار الإسلام إلى دار الشرك، ثم لم ترضوا بذلك من حالنا حتى تداعيتم علينا معشر العرب خاصة من دون العجم من جميع الأمصار والمدائن والبلدان، فخرجتم إلى دار الشرك، طلبًا لدمائنا دون دمآء أهل الشرك تلذذًا منكم بقتلنا، وتقربا إلى ربكم باجتياحنا، زعمتم أن لا يبقى بين أظهركم من ذرية نبيكم عين تطرف ولا نفس تعرف، ثم لم يقم بذلك منكم إلا أعلامكم، ووجوهكم، وعلماؤكم، وفقهاؤكم، والله المستعان[1].

قال الراوي: فلما سمعنا كلامه وخطبته بكينا حتى كادت أنفسنا أن تخرج، قال: فقمنا وتشاورنا فقلنا: هل بقي لكم حجة أو علّة لو قتلتم عن آخركم، وسبيت ذراريكم، واصطفيت أموالكم كان خيرًا لكم من أن تشهدوا على ابن بنت نبيكم بالعبودية، وتنفونه عن نسبه، قال: فعزمنا على أن لا نشهد، قال: فقال البختري إن هذا يحيى قد دخل بلاد الديلم، ويريد أن يقاتل بأهل الشرك أهل الإسلام، ويخرج به من طاعة أمير المؤمنين، وقد جآءت الرخصة في الكذب، والخديعة في الحرب، وقد رأينا أنه عبد لأمير المؤمنين نطلب بذلك الثواب عند الله تعالى لترجع ألفة المسلمين، وتسكن الثائرة[2]، ولا غنى بكم عن حسن جزآء أمير المؤمنين، وهذا كتابه، فقرأه عليهم بما فيه من الإيعاد لمن امتنع، والأطماع لمن أجاب، وكان معه سليمان بن قليح فشفع كلامه، قال: وصاح بنا أبو البختري: ما تنتظرون؟ خدعكم فانخدعتم، وملتم معه على أمير المؤمنين، والله لئن امتنعتم من الشهادة عليه لتُقتَلُنَّ عن آخركم، ولتُسبينّ ذراريكم، ولتؤخذنّ أموالكم؛

---

(١) الشافي ١/ ٢٢٩ وما بعدها.

(٢) في (أ): النائرة.

فتقدموا فشهدوا بأجمعهم أنه عبد لهارون وليس بابن بنت النبي ﷺ وكانوا من أهل قزوين، وزنجان وأبهر وشهر برد[1] وهمَذان والري ودنباوند والرؤايان تسعمائة رجل، ومن أهل طبرستان أربعمائة. وكل هؤلاء من أهل الشرف والقدر والعرب المتمكنين في البلاد، ليس فيهم وضيع إلا اليسير، وكان أكثر أولئك الشهود؛ لأنهم من العلماء قد بايع[2] ليحيى عليه السلام[3]، قال جستان: هل بقيت لك علة تعتل بها؟ قال يحيى عليه السلام: بكاؤهم وترددهم، إنهم مكرهون، فإن أبيت إلا غدراً فأنظرني آخذ لي ولأصحابي الأمان على نسخة أنسخها وأوجه بها إلى هارون حتى أكتب إقراره بخطه وجميع الفقهاء والمعدلين من بني هاشم ففعل، وكتب إلى الفضل بذلك، وكتب الفضل إلى الرشيد فأمتلأ الرشيد سروراً وفرحاً، وأجاب إلى العقد ليحيى عليه السلام، وأشهد على نفسه من ذكره يحيى من العلماء والهاشميين، وأتى كتاب هارون وخطه بيده[4].

ثم انفصل يحيى عليه السلام من ملك الديلم، فلمّا دنا من الفضل بن يحيى تلقاه - وترجّل له وقبّل ركابه، وذلك بمرأى من جستان، فندم جستان وحينئذ أخذ ينتف لحيته ويحثوا التراب على رأسه تلهفًا وتحسراً، وعلم أنه قد خُدع، وإن كان قد وضح له الحال لكنه مال إلى الطمع ومساعدة زوجته الكافرة، فوثب عليه بنو عمه فقتلوه وملكوا سواه.

وكان قد أسلم على يدي يحيى عليه السلام جماعة من الديلم وبنوا مسجداً، وقدم يحيى عليه السلام مع الفضل بن يحيى بغداد فتلقاه الرشيد بكل ما أحب وأمر له بأربعمائة ألف دينار، وأجرى له الرواتب السنية وأنزله منزلاً سنيًا بعد أن أقام في منزل يحيى بن خالد أيامًا، وكان يتولى أمره بنفسه تعظيمًا له، وأمر الناس بإتيانه

---

(١)في (ج): وسهر برد.

(٢)في (أ): بايعوا.

(٣)في (أ): بزيادة: بن عبدالله.

(٤)الإفادة ٧٧، ومقاتل الطالبين ٤٦٩، والمصابيح ٤٩٤.

بعد انتقاله من منزل يحيى والسلام عليه، فأقام يحيى عليه السلام في بغداد مدة، ثم استأذن هارون في النهوض إلى المدينة فأذن له فوصلها فقضى ديون الإمام الحسين ابن علي الفخي عليهما السلام، ووصلَ فقرآء آل أبي طالب عليهم السلام وأشياعهم وعامة المسلمين، وأقام عليه السلام على ذلك مديدة ثم أزعجه هارون من المدينة إلى بغداد[1].

أولاده عليه السلام :

محمد، وله العقب من أولاده جماعة بالمغرب، أمه : خديجة بنت إبراهيم ابن محمد بن طلحة. وعيسى مئناث، وإبراهيم دَرَج، وعبدالله دَرَج، وصالحٌ دَرَج، وقُريبة. ذكره السيد أبو طالب عليه السلام.[2]

ذكر مقتله عليه السلام والسبب فيه :

روى الشيخ أبو الفرج رحمه الله في مقاتل الطالبية [٤٧٢] في أخبار يحيى بن عبدالله عليه السلام أن نفراً من أهل الحجاز تحالفوا على السِّعاية بيحيى والشهادة عليه، وأنه يدعو إلى نفسه، وأن أمانه منتقض، فوافق ذلك ما كان في نفس الرشيد، وهم: عبدالله بن مصعب الزبيري، وأبو البختري وهب بن وهب، ورجل من بني زهرة، ورجل من بني مخزوم، وافوا الرشيد بذلك، واحتالوا إلى أن أمكنهم ذكره له، فأشخصه الرشيد إليه وحبسه عند مسرور الكبير في سرداب، فكان في أكثر الأيام يدعوه فيناظره.

وروى أيضًا بإسناده [٤٧٣] أنه دعا يحيى عليه السلام يومًا فجعل يذكر له ما رفع[3] إليه في أمره، وهو يخرج كتبًا كانت في يده حججًا فيقرأها الرشيد وأطراف الكتب في يد يحيى، فتمثل بعض من حضر :

---

(١) الإفادة ٧٩، ومقاتل الطالبين ٤٧١ .

(٢)الإفادة ٧٦ .

(٣)في (أ) : ما وقع .

أنى أُتيحَ له حرباء تنضبه[1] لا يرسل الساقَ إلا ممسكاً ساقا

فغضب الرشيد من ذلك وقال للمتمثل : أتؤيده وتنصره؟ قال: لا والله، ولكني شبهته في مناظرته واحتجاجه بقول هذا الشاعر، ثم أقبل عليه قال: دعني منْ هذا يا يحيى، أيُّنا أحسن وجهًا أنا أو أنت؟ قال: بل أنت يا أمير المؤمنين إنك لأنصع لونًا وأحسن وجهًا، قال: فأينا أسخى أنا أو أنت؟ قال: وما هذا يا أمير المؤمنين مما تسألني عنه؟ أنت تجبى لك خزائن الأرض وكنوزها، وأنا أمحل معاشي من سنة إلى سنة. فأينا أقرب من رسول الله ﷺ؟ قال: قد أجبتك عن خصلتين فاعفني من هذه، قال: لا والله، قال: بلى فاعفني، فحلف بالطلاق والعتاق أن لا يعفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، لو عاش رسول الله ﷺ فخطب إليك ابنتك أكنت تزوجُه؟ قال: إي والله، قال: فلو عاش فخطب إليَّ أكان يحل لي أن أزوجه؟ قال: لا، قال: فهذا جواب ما سألت. فغضب الرشيد وقام من مجلسه، وخرج الفضل بن الربيع وهو يقول: والله لوددت أني فديت هذا المجلس بشطر ما أملكه، قالوا: ثم رده إلى محبسه في يومه ذلك[2].

ثم دعا به وجمع بينه وبين عبدالله بن مصعب الزبيري؛ ليناظره فيما رفع إليه فجبهه ابن مصعب بحضرة الرشيد، وقال: نعم يا أمير المؤمنين إن هذا دعاني إلى بيعته، فقال له يحيى عليه السلام يا أمير المؤمنين: أتصدق هذا علي وتستنصحه وهو ابن عبدالله بن الزبير الذي أدخل أباك وولده الشعب وأضرم عليهم بالنار حتى تَخَلَّصَهُ أبو عبدالله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب منه، وهو الذي بقي أربعين جمعة لا يصلي على النبي ﷺ في خطبته حتى التاث عليه الناس، فقال: إن له أهلَ بيت سوء، إذا ذكرته اشرأبت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك، فلا أحب أن أُقرَّ

---

(١) في اللسان: «قال أبو عبيده ومن الأشجار التنضب، واحدتها تنضبه، شجرة ضخمة تقطع منها العمد».

(٢) مقاتل الطالبين ٤٧٣، والمصابيح ٤٩٥، وابن ابي الحديد ٤/ ٣٥٢.

أعينهم بذكره، وهو الذي فعل بعبدالله بن عباس ما لا خفاء به عليك، حتى لقد ذبحت له يومًا بقرة فوجدت كبدها قد تفتتت، فقال له ابنه علي بن عبدالله : يا أبه ما ترى كبد هذه البقرة؟ قال : يا بني هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف، فلما حضرته الوفاة قال لعلي ابنه: يا بني الحق بقومك من بني عبد مناف بالشام، فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبدالله بن الزبير، ووالله إن عدواة هذا لنا جميعًا بمنزلة سوآء لكنه قَوِيَ عليَّ بك وضعف عنك، فتقرب بي إليك ليظفر منك فيَّ بما يريد؛ إذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك أن تسوِّغه ذلك فيَّ، فإن معاوية بن أبي سفيان وهو أبعد نسبًا منك إلينا ذَكَرَ يومًا الحسن بن علي فَسَفَّهَهُ فساعده عبدالله بن الزبير على ذلك فزجره معاوية، فقال : إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين، فقال: إن الحسن لحمي آكُلُهُ ولا أُوكِلُهُ، فقال عبدالله بن مصعب: إن عبدالله بن الزبير طلب أمرًا فأدْرَكَهُ، وإن الحسن باع الخلافة بالدراهم، أتقول هذا في عبدالله بن الزبير وهو ابن صفية بنت عبدالمطلب؟ فقال يحيى: يا أمير المؤمنين ما أنصفنا إذ يفخر علينا بامرأة من نسائنا وامرأة منا، هلاَّ فخر بهذا على قومه من التويبات والأسامات والحميدات، فقال عبدالله بن مصعب : ما تَدَعُونَ بَغْيَكُم علينا وتوثبكم في سلطاننا؟ فرفع يحيى عليه السلام رأسه إليه ولم يكن يكلمه قبل ذلك إنما كان يخاطب الرشيد بجوابه لكلام عبدالله، فقال له: أَتَوَثُّبَنَا في سلطانكم؟ ومن أنتم أصلحك الله؟ عَرِّفْني فلستُ أعرفكم، فرفع الرشيد رأسه إلى السقف يجيله فيه ليستر ما عراه من الضحك، ثم غلبه الضحك ساعة وخجل ابن مصعب، ثم التفت يحيى فقال : يا أمير المؤمنين، ومع هذا فهو الخارج مع أخي على أبيك والقائل له :

إن الحمامةَ يوم الشعب من دَثَنٍ … هاجت فؤاد محبٍّ دائم الحَزَنِ

إنَّا لنأمل أن ترتَدَّ أُلفتنا … بعد التدابر والبغضاء والإحَنِ

حتى يثابَ على الإحسان محسننا … ويأمنَ الخائف المأخوذ بالدِّمَنِ

وتنقضي دولةٌ أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وَثَنِ
فطال ما قدْ بَرَوا بالجور أعظمنا بَرْيَ الصنّاعِ قداح النبع بالسَّفَنِ
قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حَسَنِ
لاعزَّ ركنا نزار عند سطوتها إن أسلمتك ولا رُكنا ذوي يَمَنِ
ألستَ أكرمَها عوداً إذا نسبوا يومًا وأطهرَهم ثوبًا من الدَّرَنِ
وأعظمَ الناسِ عند الناس منزلةً وأبعدَ الناس من عيب ومن وَهَنِ

قال فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو وبأيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له، فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما قال هذا الشعر غيره، وما حلفت كاذبًا ولا صادقًا بالله قبل هذا، وإن الله إذا مجده العبد في يمينه بقوله الرحمن الرحيم الطالب الغالب استحيى أن يعاقبه فدعني أحلِّفْهُ بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبًا إلا عُوجل، قال : حلّفه، قال : قل برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولي وقوتي، وتقلّدت الحول والقوة من دون الله استكبارًا على الله واستغناءً عنه، واستعلاءً عليه إن كنتُ قلتُ هذا الشعر، فامتنع عبدالله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد وقال : للفضل ابن الربيع : يا عباسي ما له لا يحلف إن كان صادقًا؟ هذا طليساني عليّ، وهذه ثيابي لو حلّفني أنها لي لحلفت، فرفس الفضلُ عبدالله بن مصعب برجله وصاح به : احلف ويحك - وكان له هوى - فحلف باليمين ووجهه متغير وهو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه، ثم قال : يا ابن مصعب قطعتَ والله عمرك، والله لاتفلح بعدها، فما برح من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات من اليوم الثالث، فحضر الفضل جنازته ومشى معها ومشى الناس معه، فلما جاءوا به إلى القبر ووضعوه في لحده، وجُعِلَ اللَّبِنُ فوقه انخسف القبر فهوى به حتى غاب عن أعين الناس فلم يروا قرار القبر وخرجت منه غبرةٌ عظيمة فصاح الفضل : التراب التراب، فجعل يطرح التراب وهو يهوي، ودعا باحمال شوك فطرحها فهوت فأمر

حينئذ بالقبر فسقف بخشب وأصلحه وانصرف منكسراً. وكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل: رأيتَ يا عباسي ما أسرع ما أديل يحيى من ابن مصعب[1]. وفيه يقول أبو فراس الحارث بن سعيد:

يا جاهداً في مساويهم لتكتمها   غَدْرُ الرشيد ليحيى كيف ينكتمُ
ذاق الزبيري غِبَّ الحنْث وانكشفت   عن ابن فاطمةَ الأقوالُ والتهمُ

قال السيد أبو طالب عليه السلام [الإفادة: ٨١]: وكان يحيى عليه السلام [إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة سجد سجدة إلى قرب السحر ثم يقوم فيصلي وكان هارون يطلع عليه من قصره فقال ليلة ليحيى بن خالد وهو عنده: انظر هل ترى في ذلك الصحن شيئًا؟ وأشار إلى الموضع الذي كان يسجد فيه، فقام ونظر وقال: أرى بياضًا، ثم قال له: قرب طلوع الفجر انظر هل ترى ذلك البياض؟ فنظر، فقال: لست أراه. فقال: ذلك يحيى بن عبدالله إذا فرغ من صلاة العتمة سجد سجدة يبقى فيها إلى آخر الليل، قال يحيى: فقلت في نفسي انظر ويلك أن لا تكون المبتلى به، ثم سلمه إلى يحيى بن خالد.

قال الشيخ أبو الفرج[2]: ثم جمع الرشيد الفقهاء وفيهم محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأبو البختري وهب بن وهب، فجمعوا في مجلس، فخرج إليهم مسرور الكبير بالأمان، فبدأ محمد بن الحسن فنظر فيه فقال: هذا أمان مؤكد لا حيلة في نقضه، وكان يحيى قد عرضه بالمدينة على مالك وابن الدراوردي وغيرهم فعرّفوه أنه مؤكد لا علة به، فصاح عليه مسرور وقال: هاته، فدفعه إلى الحسن بن زياد، فقال: بصوت ضعيف هو أمان.

وروى غير الشيخ أبو الفرج من علمائنا رحمهم الله تعالى: أن محمد بن الحسن قال: فمن نقضه فعليه لعنة الله، فسمعه الرشيد فأخذ الدواة فرماه بها

---

(١) مقاتل الطالبين ٧٥ وما بعدها.

(٢) المقاتل ٤٧٩.

فشجّه، فانصرف إلى منزله وهو يبكي فقال له صاحبه: أتبكي من شجة في سبيل الله؟قال: لا والله ولكني أخاف أن أكون قصّرت في أمر يحيى فأكون قد شركت في دمه.

رجعنا إلى رواية الشيخ أبو الفرج قال رحمه الله[1]: واستلبّه أبو البَخْتري وهب بن وهب فقال: هذا باطل منتقض، قد شق العصا، وسفك الدم، فاقتله ودمه في عنقي فدخل مسرور إلى الرشيد فأخبره، فقال له: اذهب فقل له: خرِّقه إن كان باطلاً بيدك، فجآءه مسرور، فقال له ذلك، فقال: شقه يا أبا هاشم، فقال له مسرور: بل شقه إن كان منتقضًا، فأخذ سكينًا فجعل يشقه ويده ترعد حتى صيره سيورًا، فأدخله مسرور على الرشيد فوثب فأخذه من يده وهو فرح وهو يقول له: يا مبارك يا مبارك، ووَهَبَ لأبي البَخْتري ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، وولاه قضاء القضاة، وصرف الآخرين، ومنع محمد بن الحسن من الفتيا مدة طويلة، وأجمع على إنفاذ ما أراده في يحيى عليه السلام.

وقد اختُلف في قتله كيف كان، فروى بإسناده[2] عن رجل كان مع يحيى في المطبق قال: كنت قريبًا منه، وكان في أضيق البيوت وأظلمها، فبينما نحن ذات ليلة كذلك إذ سمعنا صوت الأقفال وقد مضت من الليل هجعة فإذا هارون قد أقبل على برذون له، ثم وقف فقال: أين هذا؟ يعني يحيى بن عبدالله، قالوا: في هذا البيت، قال عليَّ به، فأدني إليه فجعل هارون يكلمه بشيء لم أفهمه، فقال: خذوه، فأخذه فضربه مائة عصى، ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله ﷺ ويقول: بقرابتي منك، فيقول: ما بيني وبينك قرابة.

ثم حُمل فردّ إلى موضعه، فقال: كم أجريتم عليه؟ فقالوا: أربعة أرغفة، وثمانية أرطال مآء، قال اجعلوه على النصف من ذلك، ثم خرج فمكثنا ليالي،

---

(١) المقاتل ٤٨٠.

(٢) مقاتل الطالبين ٤٨٢.

ثم سمعنا وقعًا فإذا نحن به حتى دخل فوقف موقفه، فقال عليَّ به، فأُخرج ففعل به مثل فعله ذلك، وضربه مائة عصى أخرى، ويحيى يناشده الله، فقال : كم أجريتم عليه؟ فقالوا : رغيفين وأربعة أرطال ماء، قال اجعلوه على النصف. ثم خرج وعاد الثالثة وقد مرض يحيى عليه السلام وثقل، فلما دخل قال : عليَّ به، قالوا : هو عليل مدنف لما به، قال : كم أجريتم عليه؟ قالوا : رغيفًا ورطلين، قال فاجعلوه على النصف، ثم خرج، فلم يلبث يحيى أن مات فأخرج للناس ودفن.

وقال ابن عمار في روايته وإبراهيم بن رباح أنه بني عليه اسطوانة بالرافقة وهو حي. وذكر غيره من علمائنا أنه كان للرشيد بركة فيها أسود يرمي فيها من سخط عليه فتنشط لحمه، فجوَّعها ثم رمى بيحيى عليه السلام إليها فتلقته وبصبصت له وماضرته وأطلع منهن. وذكر الشيخ أبو الفرج بإسناده عن عبدالرحمن بن عبدالله ابن عمر بن حفص العمري قال : دعينا لمناظرة يحيى بحضرة الرشيد، فجعل يقول له : يا يحيى اتق الله وعرِّفني أصحابك السبعين لئلا ينتقض أمانك، وأقبل علينا فقال : إنَّ هذا لم يسمِّ أصحابه فكلما أردت أخذ إنسانًا يبلغني عنه شيء أكرهه ذكر أنه ممن أمنته، فقال يحيى : يا أمير المؤمنين أنا رجل من السبعين فما الذي نفعني من الأمان؟ أفتريد أن أدفع إليك قومًا تقتلهم معي؟ لا يحل لي هذا. قال : ثم خرجنا ذلك اليوم ودعانا يومًا آخر فرأيته أصفر الوجه متغير اللون، فجعل الرشيد يكلمه فلا يجيبه، فقال : ألا ترون إليه لا يجيبني، فأخرج للرشيد لسانه وقد صار أسود مثل الحممة يرينا أنه لا يقدر على الكلام، فتغيَّظ الرشيد وقال : إنه يريكم أني سقيته السم، ووالله لو رأيت عليه القتل لضربت عنقه صبراً، قال : ثم خرجنا من عنده فلما صرنا في وسط الدار فخرَّ على وجهه لآخر ما به.

وروي أنه عليه السلام دفع إلى يحيى بن خالد ورقة ثم أمره بأن يسلِّمها إلى هارون بعد وفاته، وحرَّج عليه ألا يسلمها إلا بعد ذلك فدفعها إلى هارون ففتحتها فإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا هارون المستعدي قد تقدم، والخصم على الأثر، والحاكم لا يحتاج إلى بينة، فقال هارون : ما منعك أن تدفعها إليَّ في حياته، قال : إنه حرَّج عليَّ في ذلك[1].

ولبعضهم يرثي يحيى عليه السلام :

يا بقعةً مات بها سيِّدٌ	ما مثلُهُ في الأرض من سيدِ
مات السدى من بعده والندى	وسُمِّيَ الموت به معتدي
لا زال غيث الله يا قبره	عليك منه رائحٌ المغتدي
فكم حياءً حزت من وجهه	وكم ندى يحيى به المجتدي
كان لنا غيثًا به نرتوي	وكان كالنجم به نهتدي
فإن رمانا الدهرُ عن قوسه	وخاننا في منتهى السؤددِ
فعن قريب نبتغي ثأره	بالحسني الثائر المهتدي
إنَّ ابن عبدالله يحيى ثوى	والمجدُ والسؤددُ في مُلْحدِ[2]

❖ ❖ ❖

(١) الإفادة ٨٢ .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٨٦ .

الإمام إدريس بن عبدالله عليهما السلام[1]

هو إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وأمه عاتكة بنت الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عليه السلام قد نشأ على طريقة أهله الغرّ الميامين السادة الأكرمين فأحرز قصبات السبق في ميدان الشرف، وأحسن خلافة من غبر من السلف، وجمع خصال الإمامة، وكان قد صار إلى الغرب فعرفه جماعة من أهل الناحية كانوا قد حجُّوا في السنة التي قُتل فيها الحسين بن علي الفخي عليهما السلام وشاهدوه يقاتل، وقد اصطبغ قميصه دماً[2].

فلما شهر نفسه في نواحي الغرب[3] ودعا إلى الله والجهاد في سبيله كتب دعوته عليه السلام وهي هذه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عَنَدَ عنه، ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية، الدّال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته ولطيف تدبيره، الذي لا يُدْرَك إلا بأعلامه وبيناته، سبحانه منزهًا عن ظلم العباد، وعن السوء والفحشاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وصلى الله وسلم على محمد عبده ورسوله وخيرته من خلقه، انتجبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين.

أمَّا بعد: فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السنة

---

(١) أنظر مقاتل الطالبين ٤٨٧، والطبري ٦/ ٤١٦، وأخبار فخ ١٨١، وانظر الفهرسة ٣٥٨، والأعلام ١/ ٢٧٩ والاستقصاء ١/ ٦٧، وابن خلدون ٤/ ١٢، وأعيان الشعية ٣/ ٢٣٠، ونسب قريش ٥٥ والفلك الدوار ٣١ والشافي ١/ ٢٣٧.

(٢) مقاتل الطالبين ٤٨٧، وأخبار فخ ١٨١.

(٣) غرب أفريقيا.

وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب والسنة على القريب والبعيد، واذكروا الله في ملوك تجبّروا، وفي الأمانات خفروا، وعهود الله وميثاقه نقضوا، وولد نبيه ﷺ قتلوا، وأذكركم الله في أرامل افتقرت، ويتامى ضُيِّعَتْ، وحدود عطلت، وفي دمآء بغير حق سفكت، فقد نبذ الكتاب والإسلام، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله سبحانه على أهل طاعته المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد واللسان، فباللسان الدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة والنصيحة والتذكرة والحضّ على طاعة الله تعالى، والتوبة عن الذنوب، والإنابة والإقلاع والنزوع عما يكره الله، والتواصي بالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصي الله كلها، والتعليم والتقويم لمن استجاب لله ولرسوله حتى تنفذ بصائرهم، وتكمل نحلتهم، وتجتمع كلمتهم وتنتظم ألفتهم، فإذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعًا، وللظالمين مقاومًا وعلى البغي والعدوان قاهرًا، أظهروا دعوتهم، وندبوا العباد إلى طاعة ربهم، ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حرم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها، فإن في معصية الله تلفًا لمن ارتكبها، وهلاكًا لمن عمل بها، ولا يثنيكم من علو الحق وإظهاره قلة أنصاره، فإن فيما بدئ به من وَحدَة النبي ﷺ والأنبياء الداعين إلى الله قبله، وتكثيره إياهم بعد القلة، وإعزازهم بعد الذلة، دليل بيِّن وبرهان واضح، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠] فنصر الله نبيه ﷺ وكثّر جنده، وأظهر حزبه. وأنجز وعده، جزآء من الله سبحانه، وثوابًا لفعله وصبره وإيثاره طاعة ربه، ورأفته بعباده ورحمته، وحسن قيامه بالعدل والقسط في بريّته، ومجاهدة أعدآئه وزهده فيما زهّده فيه، ورغبته فيما ندبه إليه، ومواساته أصحابه، وسعة أخلاقه، كما أدبه الله وأمره، وأمر العباد باتباعه وسلوك سبيله والاقتدآء بهديه وإقتفآء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم

ما وعدهم كما قال عز وجل: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النحل:٩٠] وكما مدحهم وأثنى عليهم إذ يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، وفرض الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان والإقرار بمعرفته، وأمر بالجهاد عليه والدعاء إليه، قال عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾[التوبة:٢٩] وفرض قتال المعاندين عن الحق والباغين عليه ممن آمن به وصدّق بكتابه حتى يعود إليه ويفيء، كما فرض قتال من كفر به وصدّ عنه، حتى يؤمن بالله ويعترف بدينه وشرائعه، فقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات:٩] فهذا عهد الله إليكم وميثاقه عليكم بالتعاون على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضًا من الله واجبًا وحكمًا لازمًا، فأين عن الله تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ وقد جابت الجبابرة في الآفاق شرقًا وغربًا، وأظهروا الفساد وامتلأت الأرض ظلمًا وجورًا، فليس للناس ملجأ، ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء، فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للجور والظلم، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيئين وآل النبيئين، فكونوا رحمكم الله عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصر مع النبيئين، واعلموا معاشر البربر أنكم آويتم. وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد، الخائف الموتور، الذي كثر واتروه، وقلّ ناصره، وقُتل

إخوته وأبوه وجده وأهلوه، فأجيبوا داعي الله فقد دعاكم إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأحقاف:٣٢] أعاذنا الله وإياكم من الضلال، وهدانا وإياكم إلى سبيل الرشاد.

وأنا إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. رسولُ الله ﷺ وعليٌ بن أبي طالب عليه السلام جدَّاي، وحمزة سيد الشهدآء وجعفر الطيار في الجنة عمَّاي، وخديجة الصديقة وفاطمة ابنة أسد الشّفيقة برسول الله ﷺ جدّتاي، وفاطمة ابنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليهما سيدة نسآء العالمين وفاطمة ابنة الحسين سيدة بنات ذراري النبيئين أمّاي، والحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ أبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبدالله المهدي والزاكي إخواني، فهذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله ما لي وعليه ما عليَّ، ومن أبى فحظه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك له دمًا، ولا استحللت له محرمًا ولا مالاً، واستشهدك يا أكبر الشاهدين شهادة، واستشهد جبريل وميكائيل أني أول من أجاب وأناب، فلبيك اللهم لبيك مزجي السحاب وهازم الأحزاب، مصير الجبال سرابًا بعد أن كانت صمًا صلابًا، أسألك النصر لولد نبيك إنك على ذلك قادر[1].

فهذه دعوته عليه السلام وقد أجابه خلق كثير عندها، وكانت له مواقف كثيرة ومحاربات جمّة ظهر فيها على الجنود العباسية وكذلك الخوراج، وروى محمد ابن جرير أن هارون لما بلغه من عامله بأفريقية ظهور إدريس عليه السلام وقوة جانبه قلق حتى هابته حاشيته، واجتنبوا كلامه خوفًا من سطوته، فجآء يحيى بن خالد فأخبروه فجلس من تلقآء رأسه فقال: يا أمير المؤمنين مالي أراك كئيبًا؟ فإن كان ذلك لحدث أو فتق فلم يزل ذلك يقع على الملوك ثم تؤول الأمور إلى المحبوب،

---

(١) ينظر أخبار فخ ١٧٥-١٨١.

وإن كان لأمر تفديك فيه نفوسنا وأموالنا فهي لك الفداء، وإن كان لأمر لا تكفي فيه نفوسنا وأموالنا فنسأل الله كفايته، فقال: إن عاملي بأفريقية ألطف إليَّ في كتابه - وقصّ قصة إدريس عليه السلام - وقد علمت ما بيننا وبين الطالبية، والله ما هو إلا ظهورهم وكان الفناء، فقال: ليطب عيش أمير المؤمنين فإني أكفيه أمر إدريس ولا يعرف هلاكه إلا مني فطابت نفس هارون، واستعمل سمًا وأمر به قيل: مع سليمان بن جرير، وقيل: مع رجل أمره أن يتزيّا بزي اليهود إذا صار في المغرب، وقيل: مع المزين، وعلى اختلاف الروايات قد صح سمُّه عليه السلام.

وقال بعض الشعراء من الموالين لبني العباس:

أتظن يا إدريس أنك مفلتٌ	كيد الخليفة أو يقيك فرارُ
فليُدركنْك أو تحل ببلدة	لا يهتدي فيها إليك نهارُ
إن السيوف إذا انتضاها شخصه	طالت وتقصر دونها الأعمارُ
مَلكٌ كأن الموت يتبع أمره	حتى يقال تطيعه الأقدارُ[1]

وَوَلَدَ إدريس عليه السلام إدريس بن إدريس، وكان من سادات العترة عليهم السلام، وولده إدريس المثلث عليه السلام، وله عقبٌ بالمغرب.



(١) مقاتل الطالبين ٤٩٠ والمصابيح ٥١١.

الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام(1)

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. مَنَاسِبٌ ضياؤها يطفي ضياء الكواكب، فأمَّا أبوه إبراهيم عليه السلام فكان يلقب (طباطبا) ويلقب (بالغَمْر) لجوده، وكان قد حبسه الملقب بالمهدي حتى توفى، ثم أقام في حبس موسى وهارون، وقيل: إنه مات في الحبس، وأما إسماعيل فهو الملقب بالديباج، وكان من جملة المسجونين في حبس أبي جعفر، قال بعض من صنف أخبارهم: كان فينا غلام مثل سبيكة الذهب كلما اشتد الوقيد عليها ازدادت حسنًا، وهو إسماعيل بن إبراهيم، وذكر عالم الشيعة محمد بن منصور أنه أتي له من مصر بألفي دينار، ورزمتي ثياب مصرية فسايره رجل من المسجد إلى البيت، فقال: ألك حاجة؟ قال: لا، إنما أحببت أن أصل جناحك فأمر له بأحد الرزمتين وبعض المال.

وأبوه إبراهيم بن الحسن يعرف بالشَّبَه؛ لأنه كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانوا إذا وصل المدينة من أمواله المعروفة بالفرش خرجت العواتق من البيوت لبصره، وأبوه الحسن الرضى وأبوه الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأما أمه فهي: أم الزبير بنت عبدالله بن أبي بكر بن عياش بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم.

---

(1) الإفادة ٨٣، ومقاتل الطالبين ٥١٨، والطبري ٧/ ١١٧، ومروج الذهب ٤/ ٦، وابن الأثير ٥/ ١٧٤، والأعلام ٥/ ٢٩٣، والشافي ١/ ٢٤٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٤، وبلوغ المرام ٣١، وابن خلدون ٣/ ٢٤٢، والتحف ١٤٤، وطبقات الزيدية «خ»، وعمدة الطالب ١٩٩، والمصابيح ٥١٤، والفلك الدوار ٢٧.

ذكر طرف من مناقبه عليه السلام:

كان عليه السلام من العيون الذين انتهى إليهم الفضل من العترة عليهم السلام مشهوراً بالفضل الظاهر، فائزاً بالقدح القامر، قد جمع إلى الأحساب السامية محاسن الأفعال الزاكية. روى الشيخ أبو الفرج رحمه الله في مقاتل الطالبية [٥٢٤] عن بعضهم قال: سمعت زيد بن علي عليهما السلام يقول: يبايع لرجل منّا عند قصر الضرتين بالكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في عشر من جمادى الأولى، يباهي الله به الملائكة. قال حسن بن حسين فحدثت به محمد بن إبراهيم فبكى.

وروى أيضاً بإسناده [٥٢٤] عن أبي جعفر محمد بن علي، قال يخطب على أعوادكم يا أهل الكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في جمادى الأولى رجل منّا أهل البيت يباهي الله به الملائكة، فكان عليه السلام هو المختص بهذه المنقبة الشريفة، والفائز بهذه الرتبة الزليفة. وما ظنك بإمامٍ القاسمُ بن إبراهيم الذي انتهت إليه السيادة والشرف في عصره أحد دعاته وأتباعه، وكان محمد بن إبراهيم من أشجع أهل عصره.

أولاده عليه السلام: إسماعيل، وجعفر، وعبدالله، وفاطمة. أمهم: أم جعفر بنت إسحاق بن إبراهيم بن جعفر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة. ولهم عقب ذكره السيد أبو طالب عليه السلام [١].

بيعته عليه السلام والسبب فيها ونُبَذٍ من سيرته:

روى الشيخ أبو الفرج [٢]: أن نصر بن شبيب كان قدم حاجًا وكان متشيعًا حسن المذهب وكان ينزل الجزيرة فلما ورد المدينة سأل عن بقايا أهل البيت ومن له

---

(١) الإفادة ٨٣.

(٢) المقاتل: ٥١٩.

ذكر منهم، فذُكِرَ له علي بن عبيدالله بن الحسن بن علي بن الحسين، وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، فأما علي بن عبيدالله فإنه كان مشغولاً بالعبادة لا يصل إليه أحد ولا يأذن له.

وأما عبدالله بن موسى فكان خائفًا مطلوبًا لا يلقاه أحد، وأما محمد بن إبراهيم فإنه كان يقارب الناس ويكلِّمهم في هذا الشأن فأتاه نصر بن شبيب فدخل إليه، وذاكره مقتل أهل بيته وغصب الناس إياهم حقوقهم، وقال: حتى متى توطَّؤن بالخسف وتهتضم شيعتكم وينزى على حقكم؟ فأكثر من القول في هذا المعنى إلى أن أجابه محمد بن إبراهيم وأوعده لقآءه بالجزيرة وانصرف الحاج، ثم خرج محمد بن إبراهيم إلى الجزيرة ومعه نفر من أصحابه وشيعته حتى قدم على نصر بن شبيب للموعد فجمع نصر إليه أهله وعشيرته وعرض عليهم ذلك، فأجابه بعضهم وامتنع عليه بعض، وكثر القول فيهم والاختلاف حتى تواثبوا وتضاربوا بالنعال والعصي، وانصرفوا على ذلك، ثم خلا بنصر بعض بني عمه وأهله فقالوا له: ماذا صنعت بنفسك وأهلك؟ أتراك إذا فعلت هذا الأمر ونابذت السلطان يدعك وما تريد؟ لا والله بل يصرف همه إليك وكيده فإن ظفر بك فلا بقاء بعدها، وإن ظفر صاحبك وكان عادلاً كنت عنده بمنزلة رجل من أفناء أصحابه، وإن كان على غير ذلك فما حاجتك إلى تعريض نفسك وأهلك وأهل بلدك لما لا قوام لهم به، وأخرى إن أهل هذا البلد جميعًا أعدآء لآل أبي طالب فإن أجابوك الآن طائعين فَرُّوا عنك غدًا منهزمين إذا احتجت إلى نصرتهم على أنك إلى خلافهم أقرب منك إلى إجابتهم ثم تمثل:

وأبذل لابن العم نصحي ورأفتي   إذا كان لي بالجهر في الناس مُكرما
فإن راغ عن نصحي وخالف مذهبي   قلبت له ظهر المجن ليندما

فثنى نصر عن رأيه وفتّر نيته وعاد على محمد بن إبراهيم معتذراً بما كان من خلاف الناس عليه ورغبتهم عن أهل هذا البيت، وأنه لو ظن ذلك بهم لم يعده نصرهم، وأومى له إلى أن يحمل إليه مالاً ويقويه بخمسة آلآف دينار فانصرف محمد عنه مغضبًا وأنشأ يقول والشعر له :

سنغنى بحمدالله عنك بعصبة ... يهشون للداعي إلى واضح الحق

طلبنا[1] لك الحسنى فقصّرت دونها ... فأصبحت مذمومًا وفاز ذوو الصدق

جروا فلهم سبق وصرت مقصراً ... ذميمًا بما قصرت عن غاية السبق

وما كل شيء سابق أو مقصر ... يؤل به التقصير إلا إلى العرق

ثم مضى محمد بن إبراهيم عليه السلام راجعًا إلى الحجاز فلقي في طريقه أبا السرايا السَّرِيّ بن منصور أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان[2]، وكان قد خالف السلطان ونابذه وعاث في نواحي السواد، ثم صار إلى تلك الناحية فأقام بها خوفًا على نفسه ومعه غلمان له فيهم أبو الشوك ويسار وأبو الهرماس غلمانه، وكان علوي الرأي ذا مذهب في التشيع، فدعاه إلى نفسه فأجابه وسُرّ بذلك، وقال له : انحدر في الفرات حتى أوافي على الظهر وموعدك الكوفة ففعل ذلك.

ووافى محمد بن إبراهيم الكوفة يسأل عن أخبار الناس ويتجسسها ويتأهب لأمره ويدعو من يثق به إلى ما يريده حتى اجتمع له بشر كثير، وهم في ذلك ينتظرون أبا السرايا وموافاته، فبينا هو في بعض الأيام يمشي في بعض طرق الكوفة إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب فتلقط ما سقط منها فتجمعه في كساء عليها رثّ، فسألها عما تصنع بذلك؟ فقالت : إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ولي بُنيّات لا يعدن على أنفسهن بشيء، فأنا أتبع مثل هذا من الطريق فأتقوّته أنا وولدي

---

(١) في المقاتل ٥٢٠ :

طلبت لك الحسنى فقصرت دونها ❁ فأصبحت مذموماً وزلت عن الصدق.

(٢) ينظر الإفادة ٨٣ .

فبكى بكآءً شديداً وقال: أنت والله وأشباهك يخرجوني غداً حتى يسفك دمي ونفذت بصيرته في الخروج.

وأقبل أبو السرايا لموعده على طريق البر حتى ورد عين التمر في فوارس معه جريدة لا راجل فيهم، وأخذ النهرين حتى ورد نينوى، فجآء إلى قبر الحسين صلوات الله عليه، قال نصر بن مزاحم: فحدثني رجل من أهل المدائن، قال: إني لعند قبر الحسين بن علي عليهما السلام في تلك الليلة، وكانت ليلة ذات ريح ورعد ومطر إذا بفرسان قد أقبلوا فترجّلوا ودخلوا إلى القبر فسلّموا وأطال رجل منهم الزيارة ثم جعل يتمثل بأبيات منصور النمري:

نفسي فدآء الحسين يوم غَدَا	إلى المنايا غدو لا قافلِ
ذلك يوم أنحى بشفرته	على سنام الإسلام والكاهل
كأنما أنت تعجبين ألا	ينزل بالقوم نقمة العاجل
لا يعجل الله إن عجلت وما	ربك عمّا ترين بالغافل
مظلومة والنبي والدها	تدير أرجآء مقلة حافل
ألا مساعيرَ يغضبون لها	بسلّة البيض والقنا الذابلِ

قال: ثم أقبل عليَّ وقال: ممن الرجل؟ قال: قلت رجل من الدّهاقين من أهل المدائن، فقال: سبحان الله! يحن الولي إلى وليه كما تحن الناقة إلى حوارها، يا شيخ أما إنّ هذا موقف يكثر لك عند الله شكره ويعظم أجره، ثم وثب فقال: من كان ها هنا من الزيدية فليقم إليَّ، فوثبت إليه جماعات من الناس فدنوا منه، فخطبهم خطبة طويلة ذكر فيها أهل البيت وفضلهم وما خصوا به، وذكر فعل الأمة وظلمها لهم، وذكر الحسين عليه السلام فقال: أيها الناس هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروه، فما يقعدكم عمن أدركتموه ولحقتموه، وهو غداً خارج طالب بثأره وحقه وتراث آبآئه وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته وموازرته، إني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة، والقيام بأمر الله والذب عن دينه والنصر لأهل

بيت نبيكم ﷺ، فمن كانت له نية في ذلك فليلحق بي، ثم مضى من فوره عامداً للكوفة ومعه أصحابه.

قالوا: وخرج محمد بن إبراهيم في اليوم الذي واعد فيه أبا السرايا للاجتماع بالكوفة، وأظهر نفسه وبرز إلى ظهر الكوفة ومعه علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن حسين وأهل الكوفة منبثون مثل الجراد إلا أنهم على غير نظام، وغير قوة ولا سلاح إلا العصي والسكاكين والآجر، ولم يزل محمد ومن معه ينتظرون أبا السرايا ويتوقعونه فلا يرون له أثراً حتى يئسوا منه وشتمه بعضهم ولاموا محمد بن إبراهيم على الإستعانة به، واغتم محمد بتأخره فبينما هم كذلك إذْ طلع عليهم من نحو الجوف علَمَان أصفران وخيل، فتنادى الناس بالبشارة وكبروا وتبصروا فإذا هو أبو السرايا ومن معه، فلما أبصر محمد بن إبراهيم ترجل فأقبل إليه فأكبّ عليه واعتنقه محمد، ثم قال له: يا ابن رسول الله: ما يقيمك ها هنا؟ ادخل البلد فما يمنعك منه أحد، فدخله فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة على الرضى من آل محمد والدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسيرة بحكم الكتاب، فبايعه الناس جميعًا حتى تكابسوا وازدحموا عليه وذلك في موضع بالكوفة يعرف بقصر الضرتين.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وبعث الدعاة في سائر النواحي، وأنفذ أخاه القاسم بن إبراهيم عليه السلام إلى مصر للدعاء إليه وأخذ البيعة له، والقاسم عليه السلام ابن سبع أو ست وعشرين سنة، وبايعه من الأشراف محمد بن محمد بن زيد، ومحمد بن جعفر بن محمد، وعلي بن عبيدالله وغيرهم ممن يطول ذكرهم، ومن الفقهاء يحيى بن آدم، وكان محمد بن إبراهيم عليه السلام يشرط عليه شرائط البيعة وهو يقول: ما استطعت ما استطعت فقال له محمد بن إبراهيم عليه السلام: هذا قد استثناه

(١) الإفادة ص٨٤.

لك القرآن قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وأبو بكر، وعثمان ابنا أبي شيبة، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبدالله بن علقمة.

قال أبو الفرج[١]: ووجه محمد بن إبراهيم إلى الفضل بن العباس بن عيسى ابن موسى رسولاً يدعوه إلى بيعته ويستعين به في سلاح وقوة، فوجد الفضل بن العباس قد خرج عن البلد، وخندق حول داره وأقام مواليه في السلاح للحرب، فأخبر الرسول محمداً بذلك وأنفذ محمد أبا السرايا إليهم، وأمره أن يدعوهم ولا يبدأهم بقتال، فلما صار إليهم تبعه أهل الكوفة كالجراد المنتشر، فدعاهم فلم يصغوا إلى قوله، ولم يجيبوا إلى دعوته، ورموا بالنشاب من خلف الستور فقُتل رجل من أصحابه أو جرح، فوجه به إلى محمد بن إبراهيم فأمره بقتالهم فقاتلهم، وكان على السور خادم أسود واقف بين شرفتين يرمي لا يسقط له سهم، فأمر أبو السرايا غلامه أن يرميه فرماه بسهم فأثبته بين عينيه فسقط الخادم على أم رأسه، إلى أسفل وفرّ موالي الفضل بن العباس كلهم فلم يبق منهم أحد وفُتح الباب فدخل أصحاب أبي السرايا ينتهبونها ويخرجون خير المتاع منها، فلما رأى ذلك أبو السرايا حضره ومنع أحدا من الخروج أو يأخذ ما معه ويفتشه، فأمسك الناس عن النهب قال: فسمعت أعرابيًا يرتجز ومعه تخت فيه ثياب ويقول[٢]:

ما كان إلا رَيْثَ زَجْرِ الزّاجرة حتى انتضيناها سيوفًا باتره

حتى علونا في القصور القاهرة ثم انقلبنا بالثياب الفاخرة

قالوا: ومضى الفضل بن العباس، فدخل على[٣] الحسن بن سهل فشكا إليه ما انتهك منه فوعده النصرة والغرم والخلف، ثم دعا بزهير بن المسيب فضم إليه الرجال، وأمدّه بالأموال، وندبه إلى المسير نحو أبي السرايا، وأن يودعه من وقته

---

(١) المقاتل: ٥٢٤.

(٢) في (ج): وهو يقول.

(٣) في (أ): حتى دخل.

ويمضي لوجهه ولا ينزل إلا بالكوفة، وكان محمد عليلاً علّته التي مات فيها[1]، وكان الحسن بن سهل لانتحاله النجوم ونظره فيها ينظر في نجم محمد فيراه محترقًا، فيبادر في طلبه ويحرِّض على ترويحه، ويشغله ذلك عن النظر في أمر عسكره. فسار زهير بن المسيب حتى ورد قصر ابن هبيرة فأقام به، ووجه ابنه أزهر بن زهير على مقدمته فنزل سوق أسد.

وسار أبو السرايا من الكوفة وقت العصر وأغذ السير حتى أتى معسكر أزهر ابن زهير بسوق أسد وهم قَارُّون وبيَّته فطحن العسكر وأكثر القتل فيهم، وغنم دوابهم وأسلحتهم وتقطع الباقون في الليل منهزمين حتى وافوا زهيراً بالقصر فتغيظ من ذلك.

ورجع أبو السرايا إلى الكوفة فزحف زهير حتى نزل ووافت خريطة من الحسن بن سهل فأمره أن لا ينزل إلا الكوفة، فمضى حتى نزل عند القنطرة، ونادى أبو السرايا في الناس بالخروج، فخرجوا حتى صافُّوا زهيراً على قنطرة الكوفة في عشية صردة باردة فهم يوقدون النار يستدفئون بها ويذكرون الله ويقرأون القرآن، وأبو السرايا يسكن منهم ويحثهم. وأقبل أهل بغداد يصيحون: يا أهل الكوفة زينوا نساءكم وأخواتكم وبناتكم للفجور، والله لنفعلن بهن كذا وكذا. لا يكنُّون، وأبو السرايا يقول لهم: اذكروا الله وتوبوا إليه واستغفروه واستعينوه، فلم يزل الناس في تلك الليلة يتحارسون طول ليلتهم حتى إذا أصبح نهد إليهم زهير في عسكره، وقد غشيت أبصار الناس من الدروع والجواش وهم على تعبئة حسنة، وأصوات الطبول والبوقات مثل الرعد القاصف، وأبو السرايا يقول: يا أهل الكوفة صححوا لله نياتكم، وأخلصوا له ضمائركم، واستنصروه على عدوكم، وابرأوا إليه من حولكم وقوتكم، واقرأوا القرآن، ومن كان يروي الشعر فلينشد شعر عنترة العبسي. قال: ومرَّ بنا الحسن بن الهذيل يعترض الناس

---

(١) في (ج): منها.

ناحية ناحية ويقول : يا معشر الزيدية، هذا موقف تشترك فيه الأقدام، وتزايل فيه الأفعال، والسعيد من حاط دينه، والرشيد من وفّى لله بعهده، وحفظ محمداً في عترته. إن الآجال موقوفة، والأيام معدودة، ومن هرب بنفسه من الموت كان الموت محيطًا به :

من لم يمت عبطة يمت هرمًا   الموت كأس والمرؤ ذائقها

قال أبو الفرج الأصبهاني[1] : الحسنُ بن هذيل هذا صاحبُ حسين المقتول بفخ، وقد روى عنه الحديث قالوا : واطّلع رجل من أهل بغداد مستلثمًا شاكلي السلاح، فجعل يشتمُ أهل الكوفة ويقول لهم : لنفجُرَنَّ بنسائكم ولنفعلن بكم ولنصنعن، فانتدب له رجل من أهل الوازار[2] عليه إزار أحمر وفي يده سكين، فألقى نفسه في الفرات وخرج سباحة حتى صار إليه فدنا منه فأدخل يده في جيب درعه وجذبه إليه فصرعه، وضرب بالسكين حلقه فقتله وجرَّ برجله يطفو مرة ويغوص أخرى حتى أخرجه إلى أهل الكوفة، فكبّر الناس وارتفعت أصواتهم بحمد الله والثناء عليه والدعاء، وخرج رجل من ولد الأشعث بن قيس فعبر إلى البغداديين، ودعا للبراز فبرز له رجل فقتله، وبرز إليه آخر فقتله، وبرز إليه ثالث فقتله حتى قتل نفرًا، وأقبل أبو السرايا فلما رآه شتمه، وقال : من أمرك بهذا؟ ارجع فرجع الرجل يمسح سيفه بالتراب ورده في غمده وقنع فرسه[3]، ومضى نحو الكوفة فلم يشهد حربًا بعدها معهم، ووقف أبو السرايا بالقنطرة معهم طويلاً وخرج رجل من أهل بغداد، فجعل يشتمه بالزاني لا يكني، وأبو السرايا واقف لا يتحرك، ثم إنه تغافله ساعة حتى همَّ بأن ينصرف، ثم حمل عليه فقتله، وحمل في عسكرهم حتى خرج من خلفهم، ثم حمل عليهم من خلف العسكر حتى رجع

---

(١) المقاتل ص٥٢٧ .

(٢) قرية بباب الكوفة .

(٣) في(أ) : رأسه .

من حيث جاء، ووقف في موقفه وهو ينفخ وينفض علق الدم من درعه.

ثم دعا غلامًا له فوجهه في نفر من أصحابه وأمره أن يمضي حتى يصير من وراء العسكر. ثم يحمل عليهم لا يكذب، فمضى الغلام لوجهه مع من هو معه قاصدًا لما أمره، ووقف أبو السرايا على القنطرة على فرس أدهم محذوف، وقد اتكأ على رمحه فنام على ظهر الفرس حتى غط وأهل الكوفة جزعون مما يرونه من عسكر زهير ويسمعونه من تهددهم ووعيدهم وهم يصيحون ويضجون بالتكبير والتهليل حتى يسمع أبو السرايا فينتبه من نومه فلم ينتبه حتى ظن أن الكمين الذي بعثه قد انتهى إلى حيث أمره فصاح بفرسه فبال[1]، ثم قنّعه حتى رضي تحفزه، ثم أومى بيده نحو الكمين الذي بعثه وصاح بأهل الكوفة: احملوا، وحمل وتبعوه فلم يبق من أصحاب زهير أحد إلا التفت نحو الإشارة. وخالط أبو السرايا وغلامه سيّار العسكر وتبعه أهل الكوفة وصاح بغلامه: ويلك يا سيار ألا تزأر، فحمل سيار على صاحب العلم فقتله وسقط العلم، وانهزمت المسودة، وتبعهم أبو السرايا وأصحابه ونادى من نزل عن فرسه فهو آمن، فجعلوا يترجّلون وأصحاب أبي السرايا يركبون ويتبعونهم حتى جاوزوا شاهي، ثم التفت زهير إلى أبي السرايا فقال له: ويحك أتريد هزيمة أكبر من هذه؟ إلى أين تتبعني؟ فرجع وتركه. وغنم أهل الكوفة غنيمة لم يغنم أحد مثلها، وصار إلى عسكر زهير ومطابخه قد أُعدت وأقيمت، وكان قد حلف أن لا يتغدّى إلا في مسجد الكوفة، فجعلوا يأكلون الطعام وينتهبون الأسلحة والآلة، وكانوا قد أصابهم جوع وجهد شديد، ومضى زهير لوجهه حتى دخل بغداد مستترًا، وبلغ خبره الحسن بن سهل فأمر بإحضاره فأحضر، فلما رآه رماه بعمود حديد كان في يده فشتر إحدى عينيه، وقال لبعض من كان بحضرته: أخرجه فاضرب عنقه، فلم يزل يُكلّم فيه حتى عفى عنه.

---

(١) في المقاتل: فصاح بفرسه: قتال. وفي (أ): قبال.

ودخل أبو السرايا الكوفة ومعه خلق من الأسارى، ورؤس كثيرة على الرماح مرفوعة، وفي صدور الخيل مشدودة، ومن معه من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح، فهم في حالة واسعة وأنفسهم بما رزقوه من النصر قوية.

واشتد غم الحسن بن سهل ومن بحضرته من العباسيين لما جرى على عسكر زهير وطال اهتمامهم به، فدعا الحسن بعبدوس بن عبد الصمد، وضم إليه ثلاثة الآف فارس وثلاثة الآف راجل، وأزاح علته في الإعطاء، وقال له: إنما أريد أن أنوه باسمك وأرفع منزلتك فانظر كيف تكون، وأوصاه بما يحتاج إليه وأمره أن لا يلبث، فخرج من بين يديه وهو يحلف أن يبيح الكوفة، ويقتل مقاتلة أهلها ويسبي ذراريهم، ثلاثًا. ومضى لا يلوي على شيء حتى صار إلى الجامع، وكان الحسن ابن سهل تقدم إليه بذلك، وأمره ألا يأخذ على الطريق الذي انهزم فيه زهير؛ لئلا يرى أصحابه بقايا قتلى عسكره فيجبنوا من ذلك، فأخذ على طريق الجامع، فلما وافاها وبلغ أبا السرايا خبره صلى الظهر بالكوفة، ثم جرد فرسان أصحابه، من يثق به منهم، وأغذ السير حتى إذا قرب من الجامع فرّق أصحابه ثلاث فرق، وقال: يكون شعاركم (يا فاطمي يا منصور)، وأخذ هو في جانب السوق وأخذ سيّار في سيره الجامع، وقال لأبي الهرماس: خذ بأصحابك على القرية لا يفوتك أحد، ثم حملوا دفعة واحدة من جوانب عسكر عبدوس، ففعلوا ذلك وأوقعوا به وقتلوا فيه مقتلة عظيمة، وجعل الجند يتهافتون في الفرات طلب النجاة حتى غرق منهم خلق كثير. ولقي أبو السرايا عبدوسًا في رحبة الجامع وكشف خوذته عن رأسه وصاح أبو السرايا: أنا أسد بني شيبان، ثم حمل عليه وولى عبدوس من بين يديه، وتبعه أبو السرايا فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وخرّ صريعًا عن فرسه، وانتهب الناس من أصحاب أبي السرايا وأهل الجامع عسكر عبدوس، وأصابوا منه غنيمة عظيمة، وانصرفوا إلى الكوفة بقوة وأسلحة.

ودخل أبو السرايا إلى محمد بن إبراهيم وهو عليلٌ يجود بنفسه فلامه على

تبييته العسكر، وقال له : أنا بريء إلى الله مما فعلت فما كان لك أن تبيتهم ولا تقاتلهم حتى تدعوهم، وما كان لك أن تأخذ من عسكرهم إلا ما أجلبوا به علينا من السلاح، قال له : يا ابن رسول الله، كان هذا تدبير الحرب، ولست أعاود مثله، ثم رأى في وجه محمد الموت فقال له : يا ابن رسول الله، كل حي ميت، وكل جديد بال فاعهد إليَّ عهدك. فقال له : أوصيك بتقوى الله، والمقام على الذب عن دينك، ونصرة أهل بيت نبيك، فإن نفوسهم موصولة بنفسك، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي، فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيدالله فإني قد بلوت طريقته ورضيت دينه، ثم اعتقل لسانه، وهدأت جوارحه فغمّضه أبو السرايا وسجّاه وكتم موته، فلما كان الليل أخرجه في نفر من الزيدية الى الغري فدفنه، فلما كان من الغد جمع الناس فخطبهم، ونعى إليهم محمداً وعزاهم عنه، فارتفعت الأصوات بالبكاء إعظامًا لوفاته ثم قال : وقد أوصى أبو عبدالله رحمة الله عليه إلى شبيهه ومن اختاره وهو أبو الحسن علي بن عبيدالله فإن رضيتم به فهو الرضى، وإلا فاختاروا لأنفسكم، فتواكلوا وانتظر بعضهم بعضًا فلم ينطق أحد منهم، فوثب محمد بن محمد بن زيد وهو غلام حدث السن فقال : يا آل علي فات الهالك فنجا، وبقي الباقي بكرمه، إن دين الله لا يُنصر بالفشل، وليست يد هذا الرجل -يعني أبا السرايا- عندنا بسيئة قد شفى الغليل، وأدرك الثأر، ثم التفت إلى علي بن عبيدالله فقال : ما تقول يا أبا الحسن رضي الله عنك؟ فقد وصانا بك، امدد يدك نبايعك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن أبا عبدالله رحمه الله قد اختار فلم يَعْدُ الثقة في نفسه، ولم يأل جهدًا في حق الله تعالى الذي قلده، وما أردُّ وصيته تهاونًا بأمره، ولا أدع هذا نكولاً عنه، ولكن أتخوّف أن أشتغل به عن غيره مما هو أحمد وأفضل عاقبة، فامض رحمك الله لأمرك، واجمع شمل بني عمك فقد قلدناك الرئاسة علينا، وأنت الرضا عندنا، والثقة في أنفسنا. ثم قال لأبي السرايا : ما ترى؟ أرضيت به؟ قال : رضاي

في رضاك، وقولي مع قولك، فجذبوا يد محمد بن محمد فبايعوه، وفرّق عماله.

فولى إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد خلافته على الكوفة، وولى روح بن الحجاج شرطته، وولى أحمد بن السري الأنصاري رسائله، وولى عاصم بن عامر القضاء، وولى نصر بن مزاحم السوق، وعقد لإبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن، وولى زيد بن موسى بن جعفر الأهواز، وولى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر البصرة، وولى الحسن بن الحسن الأفطس مكة، وعقد لجعفر بن محمد بن زيد بن علي والحسن بن إبراهيم بن الحسن على واسط، فخرجوا إلى أعمالهم، فأما ابن الأفطس فلم يمنعه أحد مما وجُه له، فأقام الحج في تلك السنة وهي سنة تسع وتسعين ومائة، وأما إبراهيم بن موسى فأذعن له أهل اليمن بالطاعة بعد وقعة كانت منهم[1].

وروى غير أبي الفرج أنه قتل فيها من الجنود العباسية خمسة عشر ألفًا حتى سمي إبراهيم الجزار، وكان ينزل والشيعة بالقطيع من صنعاء، وكانت سكتة تُدعى بشارع المبيضة، وخرب سد الخانق بصعدة، وقتل البطون التي تبغض أهل البيت باليمن وهم: بنو الحارث بنجران، والسلمانيون بعيان، واللعويون بريْدَةَ، والكباريون باثافت، والإبارة بظهر، والحواليون ببيت ذخار، وبنو يافع بالسر وسرو حمير، قال أبو الفرج[2]: وأما صاحبا واسط فإن النضر البجلي صاحب واسط خرج إليهما فقاتلهما قتالاً شديداً فثبتا له، ثم انهزم ودخلا واسط وجبيا الخراج وتألفا الناس، وأما الجعفري صاحب البصرة فإنه خرج إليه علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فاجتمعا، ووافاهما زيد بن موسى ابن جعفر ماضيًا إلى الأهواز فاجتمعوا ولقيهم الحسن بن علي المعروف

(١) ينظر مقاتل الطالبين ٥٢٧ - ٥٣٤. والإفادة ٨٤ - ٨٧.

(٢) المقاتل ص٥٣٤.

بالمأموني -رجل من أهل باذغيس-وكان على البصرة، فقاتلوه فهزموا عسكره، وحرق زيد بن موسى دور بني العباس بالبصرة، فلقّب لذلك زيد النار، وفي هزيمتهم يقول دعبل بن علي في إسماعيل بن علي بن سليمان بن علي :

لقد خلّف الأهواز من خلف ظهره وزيد ورآء الرأب من أرض كسكر
يهوّل إسماعيل بالبيض والقنا وقد فرّ من زيد بن موسى بن جعفر [1]

وتواترت الكتب على محمد بن محمد بالفتوح من كل ناحية، وكتب إليه أهل الشام والجزيرة أنهم ينتظرونه أن يوجّه إليهم رسولاً يسمعون له ويطيعون وعظم أمر أبي السرايا على الحسن بن سهل فكتب إلى هرثمة بن أعين يأمره بالقدوم عليه، وكانت بينه وبينه شحناء، ودعا بالسندي بن شاهك فسأله اللحاق به، وسأله التعجيل وترك التلوّم، وكانت بين الحسن بن سهل وبين هرثمة شحناء فخشي أن لا يجيبه إلى مايريد ففعل ذلك السندي ومضى إلى هرثمة فلحقه بحلوان فأوصل إليه الكتاب، فلما قرأه تغيظ وقال: نوطئ لهم نحن الخلافة، ونمهد لهم أكنافها ثم يستبدون بالأمور، ويستأثورن بالتدبير علينا، فإذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور أرادوا أن يصلحوه بنا، لا والله ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم، وقبيح أفعالهم.

قال السندي : وباعدني مباعدة آيسني منها من نفسه، فبينما أنا كذلك إذ جآءه كتاب من منصور بن المهدي فقرأه، وجعل يبكي بكآء طويلاً، ثم قال : فعل الله بالحسن بن سهل وصنع فإنه عرّض هذه الدولة للذهاب، وأفسد ما صلح منها، ثم أمر فضرب الطبل، وانكفأ راجعاً إلى بغداد وأتى منزله.

وأتي الحسن بن سهل بدواوين الجيش فنقلت إليه؛ ليختار الرجال منها وينتخبهم، وأطلق له بيوت الأموال فانتخب من أراد، وأزاح العلة في الأعطيات

---

(١) في ديوان دعبل بن علي يهجو إسماعيل بن جعفر بن سليمان العباسي، وفيها :
وعاينته في يوم خلّى حريمه فيا قبحها منه ويا حُسن منظرِ

والنفقات، وخرج إلى الياسرية فعسكر بها فكان في نحو من ثلاثين ألف فارس وراجل، ثم نادى بالرحيل إلى الكوفة، فرحل الناس وأبو السرايا بالقصر، ثم عسكر هرثمة في شرقي صرصر، وعسكر أبو السرايا في غربيه، ووجه الحسن بن سهل إلى المدائن علي بن أبي سعيد[1] وحماد التركي وجماعة، فقاتلوا محمد بن إسماعيل الأرقط بن علي بن الحسين، وكان قد عقد لهم أبو السرايا على البلد واستولى عليها، فهزموه واستولوا عليها ومضى أبو السرايا من فوره بالليل ولم يعلم هرثمة، -وكان جسر صرصر مقطوعًا بينهما- يريد المدائن، فوجد أصحابه قد أُخرجوا منها واستولى عليها المسودة فكانت بينهم مناوشة، وقُتل غلامه أبو الهرماس أصابه حجر عرّادة فدفنه بها ومضى نحو القصر، فلما صار بالرحب سار هرثمة إليه فلحقه هناك فقاتله قتالاً شديداً فهُزم أبو السرايا وقُتل أخوه ومضى لوجهه حتى نزل الجارية، وأتبعه هرثمة وأجمع رأيه على سد الفرات عليهم ومنعهم المآء، وصبّه في الآجام والمغائط التي في شرقي الكوفة، ففعل ذلك وانقطع المآء من الفرات، فتعاظم ذلك الكوفيون وسقط في أيديهم، وأزمعوا معاجلتهم فبينما هم كذلك إذا انبثق السكر الذي سكّروه، وأقبل المآء يجر الخشب فكبروا وحمدوا الله كثيراً وسروا بما وهب الله لهم من الكفاية، ثم إن هرثمة نهد إلى الكوفة مما يلي الرصافة، وخرج أبو السرايا إليه في الناس فعبأهم، وجعل على الميمنة الحسن بن هذيل، وعلى الميسرة جرير بن الحصين، ووقف في القلب، وعبأ هرثمة خيلاً نحو البر فبعث أبو السرايا عدتهم يسيرون بإزائهم لئلا يكونوا كمينا، ثم إن أبا السرايا حمل حملة فيمن معه فانهزم أصحاب هرثمة هزيمة رقيقة، ثم عطفوا وجوه دوابهم فانهزموا، فنادى أبو السرايا: لا تتبعوهم فإنها خديعة ومكر فوقفوا وتبعهم أبو كتلة فأنفذ، ثم رجع فأعلم أبا السرايا أنهم عبروا الفرات، فرجع بالناس إلى الكوفة، ثم خرج في يوم الإثنين لسبع خلون من ذي القعدة،

---

(١)في (أ): علي بن سعيد.

وخرج الناس معه وقد كان جاسوسه أخبره أن هرثمة يريد مواقعته في ذلك اليوم، فعبأ الناس مما يلي الرصافة، ومضى هو نحو القنطرة فلم يبعد حتى أقبلت خيل هرثمة، فرجع أبو السرايا كالجمل الهائج إلى الناس فقال : أقيموا صفوفكم، وأقبل هرثمة فاقتتلوا قتالاً شديداً، فنظر أبو السرايا إلى روح بن الحجاج قد رجع فقال له : والله لئن مضيت لأضربن عنقك، فرجع فقاتل حتى قُتل، وقُتل يومئذ الحسن بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين، وقُتل أبو كتلة غلام أبي السرايا، واشتدت الحرب وكشف أبو السرايا رأسه وجعل يقول : أيها الناس صبر ساعةوثبات قليل، فقد والله فشل القوم ولم يبق إلا هزيمتهم، ثم حمل وخرج إليه قائد من قواد هرثمة وعليه الدرع والمغفر، فتناوشا ساعة ثم ضربه أبو السرايا ضربة على بيضته فقده حتى خالط سيفه قربوس سرجه، وانهزمت المسودة هزيمة قبيحة، وتبعهم أهل الكوفة يقتلونهم حتى بلغوا صعيبًا، فنادى أبو السرايا : يا أهل الكوفة، احذروا كرّتهم بعد الفرّة فإن العجم قوم دهاة، فلم يُصغوا إلى قوله وتبعوهم، وكان هرثمة قد أُسر في ذلك الوقت- ولم يعلم أبو السرايا بأسره، أسره عبد سندي، وقبل ذلك خلّف في معسكره زهاء خمسة الآف فارس يكونون ردءًا له إن انهزم أصحابه، وخلف عليهم عبيدالله بن الوضاح، فلما وقعت الهزيمة ونادى أبو السرايا : لا تتبعوهم، كشف عبيدالله بن الوضاح رأسه وأصحابه يقولون : قُتل الأمير، قتل الأمير، فناداهم فما يكون إذا قتل الأمير يا أهل خراسان؟ إليّ أنا يا عبيدالله بن الوضاح، اثبتوا فوالله ما القوم إلا غوغاء ورعاع وثابت إليه طائفة، وحمل على أهل الكوفة فقتل منهم مقتلة عظيمة، وتبعوهم حتى جازوا صعيبًا، وتبعوا ووجدوا هرثمة أسيرًا في يد عبد أسود فقتلوا العبد وحلُّوا وثاق هرثمة، وعاد إلى معسكره ولم تزل الحرب بينهم مدة متراخية في كل يوم أو يومين ،كون بينهم سجالاً، ثم إن أبا السرايا بعث علي بن محمد بن جعفر المعروف بالبصري في خيل وأمره أن يأتي هرثمة من ورائه

فمضى لوجهه ولم يشعر هرثمة حتى قرب منه ، وحمل أبوالسرايا عليه ، فصاح هرثمة : يا أهل الكوفة ، علام تسفكون دمآءنا ودماءكم؟ إن كان قتالكم إيانا كراهة لإمامنا فهذا المنصور بن المهدي رضًا لنا ولكم نبايعه ، وإن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم ، واتفقوا معنا ليوم الإثنين نتناظر فيه ، ولا تقتلوا أنفسكم ، فأمسك أهل الكوفة عن الحملة ، وناداهم أبو السرايا : ويحكم إن هذه خديعة من هؤلآء الأعاجم ، وإنما أيقنوا بالهلاك فاحملوا عليهم ، فامتنعوا وقالوا : لا يحل لنا قتالهم وقد أجابوا ، فغضب أبو السرايا وانصرف معهم وقد أراد قبل ذلك إجابة هرثمة ، وأن يمضي إليه مع محمد بن محمد بن زيد فيستأمن ، ثم خشي الغدر به ، فلما كان في يوم الجمعة خطب أهل الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا قتلة علي ، ويا خذلة الحسين ، إن المغتر بكم لمغرور ، وإن المعتمد على نصركم لمخذول ، وإن الذليل لمن أعززتموه ، والله ما حمد عليّ أمركم فنحمده ، ولا رضي مذهبكم فنرضى به ، ولقد حكّمكم عليه ، وائتمنكم فخنتم أمانته ، ووثق بكم فحلتم عن ثقته ، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين ، ولطاعته ناكثين ، إن قام قعدتم ، وإن قعد قمتم ، وإن تقدّم تأخرتم ، وإن تأخر تقدمتم ، خلافًا عليه وعصيانًا لأمره ، حتى سبقت فيكم دعوته ، وخذلكم الله بخذلانكم إياه ، أي عذر لكم في الهرب عن عدوكم ، والنكول عمن لقيتم؟ وقد عبروا خندقكم وعلوا قبائلكم ، ينتهبون أموالكم ، ويجتاحون حريمكم ، هيهات لا عذر إلا العجز والمهانة ، والرضا بالصغار والذلة ، إنما أنتم كفيء الظل تهزمكم الطبول بأصواتها ، وتملأ قلوبكم الخرق بسوادها ، أما والله لأستبدلن بكم قومًا يعرفون الله حق معرفته ، ويحفظون محمدًا في عترته ، ثم قال :

وما رستُ أقطار البلاد فلم أجدْ ... لكم شبهًا فيما وطئت من الأرض
خلافًا وجهلاً وانتشار عزيمة ... ووهنًا وعجزا في الشدائد والخفض
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة ... فلا عنكم راضٍ ولا فيكم مرضي

سأبعد داري عن قلى من دياركم فذوقوا إذا ولّيت عاقبة البغض

فقامت إليه جماعة من أهل الكوفة فقالوا له : ما أنصفتنا في قولك : ما أقدمت فأحجمنا ، ولا كررت وفررنا[1] ، ولا وفيت وغدرنا ، ولقد صبرنا تحت ركابك ، وثبتنا تحت لوائك حتى أفنتنا الوقائع واجتاحتنا ، وما بعد ما فعلنا غاية إلا الموت ، فامدد يدك نبايعك على الموت ، فوالله لا نرجع حتى يفتح الله علينا أو يقضي قضاءه فينا .

فأعرض عنهم ونادى في الناس بالخروج لحفر الخندق ، فخرجوا فحفروا وأبو السرايا يحفر معهم عامة يومه ، فلما كان الليل خرج الناس إلى الخندق ، وأقام إلى الثلث الأول من الليل ثم عبّأ أثقاله وأسرج خيله وارتحل هو ومحمد بن محمد ونفر من العلويين والأعراب ، وقوم من أهل الكوفة وذلك في ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة مضت من المحرم ، فأقام بالقادسية ثلاثًا حتى تتام إليه أصحابه ، ثم مضى على خفان وأسفل الفرات حتى صار على طريق البر ، ووثب بالكوفة أشعث بن عبدالرحمن الأشعثي فدعا إلى هرثمة ، وخرج أشراف أهل الكوفة إلى هرثمة فسألوه الأمان للناس فأجابهم إلى ذلك .

ودخل منصور بن المهدي الكوفة وأقام هرثمة خارجها ، وفرّق عسكره حوالي خندقها ، وأبوابها خوفًا من حيلته ، وخطب منصور بن المهدي الناس وصلى بهم ، وولّى هرثمة غسان[2] بن الفرج الكوفة ، وأقام هو أيامًا بظهر البلد ، حتى أمن الناس وهدأت قلوبهم وارتحل إلى بغداد ، ومضى أبو السرايا يريد البصرة فلقيه أعرابي من أهل البلد ، فسأله عن الخبر فأعلمه غلبة السلطان عليه وإخراج عماله عنه ، وأن المسودة في خلق كثير لا يمكنه مقاومتهم ، فعدل عنها وأراد المضي نحو واسط ، فأعلمه الرجل أن صورة أمرها مثل ما ذكره له عن البصرة ، فقال له : فأين ترى؟ فقال : أرى تعبر دجلة فتكون بين خوخي والجبل ، فتجتمع معك أكرادها ،

---

(١) في (أ) : متى اقدمت فاحجمنا ، او كررت . . .

(٢) في (ج) : حسان .

ويلحق بك من أراد صحبتك من أعراب السواد وأكراده، ومن رأى رأيك من أهل الأمصار والطساسيج، فقبل أبو السرايا مشورته وسلك ذلك الطريق، فجعل لا يمر بناحية إلا جبا خراجها وباع غلاتها. ثم عمد إلى الأهواز حتى صار إلى السوس فأغلقوا دونه فنادى ففتحوا له فدخلها، وكان على كور الأهواز الحسن بن علي المأموني، فوجه إلى أبي السرايا يعلمه كراهته لقتاله ويسأله الانصراف عنه إلى حيث أحب فلم يقبل ذلك وأبى إلا قتاله، فخرج إليه المأموني فقاتله قتالاً شديداً، وثبتت الزيدية تحت ركاب محمد بن محمد، وثبت العلويون معه فقتلت منهم عدة، وخرج أهل السوس فأتوهم من خلفهم، فخرج إليهم غلام أبي السرايا لقتالهم فظن القوم أنها هزيمة فانهزموا، وجعل أصحاب المأموني يقتلونهم حتى أجنهم الليل فتفرقوا وتقطعت دوابهم. ومضى أبو السرايا حتى أخذوا على طريق خراسان، فنزلوا قرية يقال لها: نوقانا، وبلغ حمّاد الكندغوش خبرهم وكان يتقلد تلك الناحية، فوجه إليهم خيلاً، ثم ركب بنفسه حتى لقيهم فأمّنهم على أن يُنفذ بهم إلى الحسن بن سهل فقبلوا ذلك منه وأعطى الذي أعلمه خبرهم عشرة الآف درهم، وحملهم إلى الحسن بن سهل. وبادر محمد بن محمد إلى الحسن بكتاب يسأله أن يأمنه ويستعطفه، فقال الحسن بن سهل: لا بد من ضرب عنقه، فقال له بعض من كان يستنصحه: لا تفعل أيها الأمير، فإن الرشيد لما نقم على البرامكة احتج عليهم بقتل ابن الأفطس فقتلهم به، ولكن احمله إلى أمير المؤمنين فعمل على ذلك، وحلف أنه يقتل أبا السرايا، فلما أتته الرسل بهم وهو نازل بالمدائن معسكراً، قال لأبي السرايا: من أنت؟ قال السري ابن منصور، قال: بل أنت النذل بن النذل، المخذول بن المخذول، قم يا هارون بن أبي خالد فاضرب عنقه بأخيك عبدوس، فقام إليه فقدمه وضرب عنقه، ثم أمر برأسه فصلب في الجانب الشرقي من بغداد، وصلب بدنه في الجانب الغربي، وقتل غلامه أبو الشوك وصلب معه.

وحمل محمد بن محمد إلى خراسان فأقيم بين يدي المأمون وهو جالس في مستشرف له، ثم صاح الفضل بن سهل: اكشفوا رأسه فكشفوا رأسه فجعل المأمون يتعجب من حداثة سنه، ثم أمر له بدار فأسكنها وجعل له فيها فرش وخادم، فكان فيها على سبيل الاعتقال والتوكيل، فأقام على ذلك مدة يسيرة يقال: إن مقدارها أربعون يوماً، ثم دست إليه شربة، فكان يختلف كبده وحشوته حتى مات، وتوفي رحمه الله وهو ابن ثماني عشرة سنة، وقبره بمرو.

ونظر في الدواوين فوجد من قتل من أصحاب السلطان في وقائع أبي السرايا مائتي ألف رجل. وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن إبراهيم بن سلمة المقرئ قال: كنت واقفاً مع أبي السرايا على القنطرة ومحمد بن محمد بصحراء إنبر، فجاءه رجل دسّه هرثمة، فقال له: إن المسودة قد دخلت في جانب الجسر، وأخذ محمد بن محمد، وإنما أراد أن يتنحى عن موضعه، فلما سمع بذلك ولّى بوجه فرسه نحو صحراء إنبر، وأقبل هرثمة حتى دخل الكوفة، وبلغ إلى موضع يعرف بدار الحسن، وصار أبو السرايا إلى الموضع فوجد محمداً قائماً على المنبر يخطب، فعلم أنها حيلة فَكَرَّ راجعاً ومعه رجل يقال له: مسافر الطائي وكان من بني شيبان إلا أنه نزل في قبائل طي فنسب إليهم، فحمل على المسودة فهزمهم حتى ردهم إلى مواقفهم، وجاءه رجل فقال له: إن جماعة منهم قد كمنوا لك في خرابة ها هنا، فقال: أرنيهم، فأراه الخرابة فدخل إليهم فأقام طويلاً، ثم خرج يمسح سيفه، وينفض علق الدم عن نفسه، ومضى لوجهه نحو هرثمة، فدخلت فإذا القوم صرعى، وخيلهم يثب بعضها على بعض، فعددتهم فإذا هم مائة رجل أو مائة رجل إلا رجلاً[1].

وللقاسم بن إبراهيم يرثي أخاه محمد بن إبراهيم (عليهما السلام) رواه الشيخ أبو الفرج[2]:

---

(١) ينظر مقاتل الطالبين ٥٣٤-٥٣٦، ٥٤٢-٥٥٠.

(٢) المقاتل ص٥٥٣.

يا دارُ دارَ غـرور لا وفــآء لهــا | حيث الحـوادث بالمكروه تسـتـبقُ
أبْرحْت أهلك من كـد ومن أسف | لمشـرع شـربهُ التـصـريد والرنقُ
فـإن يكن فـيك للآذان مـسـتـمع | يصبي ومَرْءًا تسامى نحوه الحدقُ
فـأي عـيـشك إلا وهو منتـقل | وأي شـملك إلا سـوف يفـتـرقُ
من سـره أن يرى الدنيـا مـعطلة | بعين من لم يخنه الخَـدْعُ والملقُ
فليأت داراً جفاها الأنس موحشة | مأهولة حشوها الأشلاء والخرق[1]
قل للقـبـور إذا مـاجـئت زايرها | وهـل يـزار تراب البـلقـع الخلـقُ؟
مـاذا تضـمّنتَ ياذا اللحد من مَلك | لم يحـمـه عنك عـقـيـان ولا وَرقُ
بل أيهـا النازح المرموسُ يصحبُهُ | وَجْدٌ ويحدو به الترجيع والحرقُ
يُهدي لدار البلى عن غير مَقْلية | قـد خُطَّ في عـرضـه منهـا له نَفَقُ
فبات فرداً و بطن الأرض مضجعُهُ | ومن ثراها لـه وثر ومـــرتفقُ
داني المحل بعـيـد الأنس أسلَمـه | برُّ الشفـيق فحبل الوصل منحـذقُ
قد أعقب الوصل حبل اليأس فانقطعت | منك القـرائن والأسـبـاب والعلقُ
يا شخص من لو تكون الأرض فديته | مـا ضـاق مني بهـا ذرع ولا خلقُ
بينا أرجّـيك تأمـيـلاً وأشـفق أن | يَغْـبَـرّ منك جـبينٌ واضح يَقَقُ
أصبحت يحثى عليك الترب في جدَث | حـتى عليك لما يحـثى به طبقُ
أمـا تفـيني بك الأيام مـسـرعـة | فـقلّ مني[2] عليك الحزن والأرقُ
وإنما حَـدَثٌ تخـشى غـوائله | من بعـد هُلْك يُغَنِّيني به الشـفقُ

روى السيد أبو طالب عليه السلام[3] له أيضًا هذه المرثية في أخيه محمد (ع):

---

(١) في (ج): الأسى والحرق.

(٢) في (أ): شيء.

(٣) الإفادة ص٩٢.

صَرَمَ الكرى وصلَ الجفون　　وشجاك فقدانُ الخدين
عما يَهيجُ بك الأسى　　خلجساتُ صرف نوى شَطون
بعثت سواكب عَبْرة　　غرقت لها مُقل العيون
وأخ يعين على الحوا　　دث أعتريه ويعستريني
ختر الزمان بعهده　　وسطت عليه يد المنون
فنعى إليَّ مصابَه　　نفسي وغيض من شؤني
علق المنون تصرّمي　　آنت مفارقه المنون
عسفتْ المنى وطويت عن　　علق المنى كشحًا فبيني
ما فاز بالخفض امرؤٌ　　جعل المنى أدنى قرين
لهفان يُتبع نفسه الـ　　آمال حينًا بعد حين
غمر الرجاء فؤاده　　ودهته أنجية الظنون
يسمو إلى كُرب المنى　　ويعود بالعهد الخؤن
لم يقض من حاجاته　　وطرًا ولم يَمهد لدين
نصبًا لكل مهمّة　　حمَّال أعباء الحزين
لله درُّ عصابة　　باعوا التظنن باليقين
فسمت بهم همم العلا　　عن صفقة الخط الغبين
فتأثروا[1] عزّ التقى　　وذخيره الفضل المبين

وقال محمد بن علي الأنصاري يذكر محمد بن إبراهيم عليه السلام وأبا السرايا ومن كان معهم رضي الله عنهم :

أبت السكون فما تجف مدامعي　　عبرى تفيض بدمعها المتتابع

(١) في الافادة «فتأثلوا» .

لَمـا تذكـرتُ الحـسين وبعـده زيداً تحـرك حـزن قلب جـازع
صلى الإله على الحسين وصحبه في كـربلاء تتـابعـوا بمصـارع
وعلى قـتيل بالكناسـة مـفـرد نائي المحل عن الأحـبـة شـاسع
وجـزى ابن إبراهيم عن أشياعه خـيـراً وأكـرمـه بصنع الصـانع
نعم الخليـفـة والإمـام المرتضى ذي الدين كـان ومـسـتـقـر ودائع
وجـزى الإله أبا السـرايا خـير ما يجـزي وصـولاً من مطيع سـامع
حـاط الإمـام بسيـفـه وبنفسـه بلسـان ذي صـدق وقلب خـاشع
في فتية جعلوا السيوف حصونهم مع كل سلهـبـة وطرف رائع
فلتلقين بابن النبي فـمـالهـا أحـدٌ سـواك برغـم أنف الطامع
فلقـد رأيت بهـا عليك طلاوة وضـيـآء نور في جـبـينك سـاطع

[يعني بذلك محـمـد بن محـمـد بن زيد بن علي عليـهم السـلام][1]،

ولبعضهم وهو الهيثم بن غبدالله الخثعمي يرثي أبا السرايا :

سـائل عن الظاعنين مـا فـعلوا وأين بعـد ارتحـالهم نـزلوا
يا ليت شعري والليت عصمة من يأمـل مـا حـال دونه الأجل
أين استـقـرت نوق الأحـبـة أم هل يرتجى للأحـبـة القـفَلُ
ركبٌ ألحّت يد الزمـان على إزعـاجـهم في البـلاد فـانتـقلوا
بني الرسـول البـشـيـر والطاهر الطهـر أقـرّت بفـضله الرسل
خـانهم الدهر بعـد عـزِّهمُ والدهر بالناس خـائن خَـتَل
بانوا فظلّت عـيـون شيعـتـهم عليـهـمُ لا تزال تنهـمـل
واستبـدلوا بعـدهم عـدوّهم بئس لعـمـر المبـدِّل البـدل

---

(١) ما بين القوسين غير موجودة في (أ).

يا عسكراً ما أقلّ ناصره ... لم تشفه من عدوّه الدُّول

فابكهم بالدمآء إن نفد الدمـ ... ـع فقد خان[1] فيهم الأمل

لا تبك من بعدهم على أحد ... فكل خطب سواهم جلل

أتتهم تهتدي صفوفهم ... زحفًا إليهم وما بها خلل

في فيلق يملأ الفضاء به ... كأنما فيه عارض وبل

رماهم الشيخ من كنانته ... والشيخ لا عاجز ولا وَكِلُ

بالخيل تردي وهي سائمة ... تحت رجال كأنها الإبل

والسابغات الجياد فوقهم ... والبِيضُ والبَيْضُ والقنا الذُّبَّلُ

والرَّجْل يمشون في أظلّتها ... كما تمشّى المصاعب البُزل

واليَزَنيّاتُ في أكفهم ... كأنما في رؤسها الشعُل

حتى إذا ما التقوا على قدر ... والقوم في هبوة لهم زَجَل

شدوا على عتره الرسول ولم ... تثنهم رهبة ولا وهل

فما رعوا حقه وحرمته ... ولا استرابوا في نفس من قتلوا

والله أملى لهم وأمهلهم ... والله في أمره له مهل

بل أيها الراكب المخبِّر والنا ... عي أبِنْ لِيْ لأمِّك الهُبَلُ

ما فعل الفارس المحامي إذا ما الـ ... ـحرب بدّت[2] أنيابها العضل

أأنت أبصرته على شرف ... لله عيناك أيها الرجل؟

من فوق جذع أناف شائلة ... ترمي إليه بلحظها المقل

إن كنت أبصرته كذاك فما ... أسلمه ضعفه ولا الفشل

---

(١) في (ج): خاب.

(٢) في (أ): أبدت.

ولو تراه عليه شكّته ... والموت دان والحربُ تشتعل

في موطن والحتوف مسرعة ... فيه قسي المنون تنتضل

والقوم منهم مضرج بدم ... وموثق أسره ومنجدل

وفائض نفسه وذو رمق ... تطمع فيه الضباع والحجل

في صدره كالوجار مزبدة ... تغيب فيه السبار والفُتُلُ

يميل منها والموت يحفزه ... كما يميل المرنح الثَّملُ

في كفه عَضْبَة مضاربُها ... وذابل كالرشاء معتدل

لخلت أن القضاء في يده ... أو المنايا من كفه رسل

يا رب يوم حمى فوارسه ... وهو فلا مرهق ولا عجل

كأنه آمنٌ منيّته ... في الروع لَمَّا تشاجر الأسل

في موطن لا يقال عاثرُهُ ... يَغصُّ فيه بريقه البطل

أبا السرايا نفسي مُفجّعة ... عليك والعين دمعها خَضِلُ

من كان يغضي[1] عليك مصطبرًا ... فإن صبري عليك مُختزل

هلا وقاك الرّدى الجبانُ إذا ... ضاقت عليه بنفسه الحيل

أم كيف لم تخشك المنون ولم ... ترهبك إذ حان يومك الأجل

فاذهب حميدًا فكل ذي أُكل ... يموت يومًا إذا انقضى الأُكل

والموت مبسوطة حبائله ... والناس ناج منهم ومحتبل

من تعتلقه تعث به أبدًا ... ومن نجا يومه فلا يُبَل[2]

❖❖❖

(١) في (أ): أغضى.

(٢) مقاتل الطالبين ٥٥٦-٥٥٩.

فهرس الجزء الأول